الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان -

كلية العلوم الاجتماعية

قسم: التاريخ و الآثار

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي

مدينة تيهرت الرستمية
دراسة تاريخية حضارية
(القرن 2- 3هـ/8- 9م)

إعداد الطالبة:
- فطيمة مطهري

إشراف الأستاذ:
-أ. د . معروف بلحاج

أعضاء لجنة المناقشة:

د/ مبخوت بودواية	أستاذ محاضر	أ - جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/ معروف بلحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
د/ عبدلي لخضر	أستاذ محاضر	أ - جامعة تلمسان	عضوا
د/ ودان بوغفالة	أستاذ محاضر	أ- جامعة معسكر	عضوا
د/ أوعامري مصطفى	أستاذ محاضر	ب - جامعة تلمسان	عضوا

السنة الجامعية: 1430- 1431هـ/ 2009- 2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أغلى ما أملك في هذا الوجود، أمي الغالية التي أدعو العلي القدير لها بالشفاء العاجل و طول العمر.

إلى والدي الكريم الذي لم يبخل علي يوما برضاه و دعواته.

إلى زوجي الذي أشكره على وقوفه إلى جانبي و تدعيمه لي ماديا ومعنويا.

إلى ابنيا العزيزين "محمد آدم" و "أسامة" خاصة الذي سهر و تحمل عناء كتابة و طبع هذا العمل.

إلى أفراد عائلتي الكريمتين "بن طلحة" و "مطهري" كل باسمه، و خاصة أختي العزيزة "نوارة".

إلى أسرة ثانوية "بحيرة قرار" بدءا بالسيد المدير "حمزة" و الأساتذة والتلاميذ والعمال، كل باسمه.

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل و كل من لم أذكر اسمه لأن الورق عاجز عن حمل الجميع.

شكر و عرفان

أحمد الله جل و علا و أشكره بكرة و أصيلا على ما أنعم علي و وفقني لإنجاز هذا العمل.

و أتوجه بخالص الشكر و العرفان إلى الأستاذ الدكتور معروف بلحاج الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل و أعترف بالجهد الكبير الذي بذله في تتبع كل خطوات إنجازه و توجيهاته و نصائحه القيمة في سبيل إتمام هذا العمل.

و جزيل الشكر أتقدم به إلى كل معلم خير على هذه المعمورة، و أقف بإجلال و تقدير بوجه خاص إلى كل من علمنا خلال مسارنا الدراسي خاصة السنة النظرية، و أخص بالذكر الدكاترة الأفاضل: الدكتور عبد الحميد حاجيات و الذي أدعو له الله أن يطيل في عمره و يجعله مطية للعلم والعلماء و عبدلي لخضر، مبخوت بودواية، و الأستاذ بن داود نصر الدين الذي أتقدم له بأسمى عبارات الاعتزاز و الشكر على تقديمه لي يد المساعدة و الذي لم يبخل علي بنصائحه السديدة.

و أتوجه بالشكر و التقدير إلى مسؤولي و عمال مكتبة التاريخ و جميع مكتبات دائرة الرمشي.

و لا يفوتني أن أنوه بفضل جميع الذين ساعدوني و قدموا لي العون في إخراج هذا البحث.

المقدمة

المقدمة

لقد عرف المغرب الإسلامي قيام العديد من الدول الإسلامية التي صنعت تاريخه و قادته إلى التطور و لعبت أدوارا سياسية و حضارية مختلفة في المنطقة و من بينها الدولة الرستمية، هذه الدولة الإسلامية العريقة التي نشأت في المغرب الأوسط سنة160هـ، و استمرت أزيد من قرن و ثلاثين سنة، و قد اختار الرستميون مدينة تيهرت عاصمة لهم، فكانت من بين الحواضر الإسلامية التي بلغت شأوا عظيما آنذاك، و قد اخترنا هذه الحاضرة موضوعا لدراستنا.

لا شك أن الدراسة التاريخية و الحضارية لمدينة ما جدير بالبحث، خاصة إذا علمنا أن مدينة تيهرت تمثل عاصمة لأول دولة مستقلة في المغرب الإسلامي، و يرجع اختيارنا لدراسة مدينة تيهرت، دراسة تاريخية- حضارية خلال القرنين2- 3هـ/8- 9م لسببين رئيسيين أحدهما ذاتي والآخر موضوعي:

فالسبب الذاتي يتمثل في تشوقنا لمعرفة أهم الإنجازات الحضارية لهذه المدينة. و مما شدني أكثر لهذه الدراسة فقرات ورد ذكرها في الميثاق الوطني سنة 1986:"...كانت الدولة الرستمية أول دولة في العهد الإسلامي في الجزائر، سجلت قيام حكم وطني منفصل إداريا عن الحكم المركزي الإسلام، و ما لبثت العاصمة تيهرت أن عرفت ازدهارا اقتصاديا معتبرا تتجاوز أهميته حدود الدولة...كما أن التسامح الذي كانت تنتهجه الدولة الرستمية في تعاملها مع المذاهب الأخرى كان سببا في جذب الكفاءات و الخبرات لهذه الدولة"

أما السبب الموضوعي فيتمثل في الرغبة في الوقوف على المستجدات الحضارية لتيهرت الرستمية بصفة خاصة، و كذا أن جل الدراسات اهتمت و ركزت على الجوانب التاريخية والسياسية للدولة الرستمية عموما أكثر من الجوانب الحضارية لعاصمتها.

إن أهمية الموضوع تكمن في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ السياسي و الحضاري لثاني دولة إباضية في المغرب الإسلامي، و من هنا تتحدد إشكالية هذا البحث حول المسار التاريخي لمدينة تيهرت الرستمية و حول منجزاتها الحضارية من منشآت

عمرانية و حركة فكرية و ثقافية و مظاهر اقتصادية و اجتماعية و كذا مدى تأثرها و تأثيرها الحضاري فيمن يجاورها.

لا يختلف اثنان على أن الظروف التي سادت المغرب الإسلامي خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين أسهمت بدور فعال في قيام الدول المستقلة و منها الدولة الرستمية. فيما تمثلت هذه الأوضاع التي شهدها المغرب الإسلامي قبل قيام هذه الدول؟ و ما هي التطورات التاريخية والسياسية للدولة الرستمية منذ قيامها حتى سقوطها؟

لا شك أن عدة عوامل تظافرت في تفعيل الحركة الثافية و الحضارية لهذه المدينة، نذكر منها دور العلماء و الأئمة الرستميين في تفعيل المسار الثقافي والحضاري لهذه المدينة، فما هي المظاهر الحضارية و الإجتماعية التي سادت في مدينة تيهرت؟ و ما دور لأئمة الرستميين في ازدهار الحركة الثقافية؟ و كيف أثرت و تأثرت بالدول المجاورة؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على تتبع الأحداث والمراحل التاريخية و السياسية و عرض الأوضاع الحضارية من الفكرية و العمرانية و الاقتصادية، دون الاستغناء عن المنهج التحليلي الذي ساعدنا على تحليل و استنباط بعض الاستنتاجات التاريخية، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي تم من خلاله وصف المنجزات الحضارية.

و قد وضعنا لهذا البحث خطة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي و ثلاثة فصول و خاتمة و ملاحق.

استعرضنا في الفصل التمهيدي شرحا لمفاهيم و مصطلحات ذات صلة وثيقة بموضوع الدراسة.

تناولنا في الفصل الأول الأوضاع السياسية لبلاد المغرب قبل سنة 160هـ، و أهم التطورات والأحداث السياسية التي شهدها المشرق و مدى تأثيرها على الحركة الإباضية خاصة والخوارج عامة، و لجوئهم نحو المغرب لنشر مذهبهم هروبا من بطش الأمويين و من ثم تأسيس دولتهم الرستمية و عن تطورها السياسي ودور مؤسسها عبد الرحمن بن رستم في ذلك، كما تتبعنا مستجدات أهم الأئمة الرستميين، وأنهيت هذا الفصل بإبراز مراحل الضعف و القوة حتى سقوطها سنة 296هـ.

و في الفصل الثاني تطرقنا إلى الحديث عن الأوضاع الاقتصادية و أثر الازدهار الاقتصادي الداخلي الكبير والإيجابي على التجارة الخارجية و مبادلات تيهرت التجارية مع الدول المجاورة، كما خصصنا مبحثا عن الحياة الاجتماعية باستعراض لطبقات المجتمع التيهرتي و تأثيراتها على نمو تيهرت و تدهورها.

و في الفصل الثالث تناولنا فيه المظاهر العمرانية التي تجسدت في بناء حضارة تيهرت وكذا الاهتمام بالمنشآت و المرافق العمومية من مساكن و قصور و مساجد و حمامات وغيرها، كما تعرضنا للحياة الثقافية و الفكرية بإبراز دور و إسهام الأئمة الرستميين في ازدهارها، و أهم المؤسسات التعليمية و العلوم المتدارسة، دون أن ننسى العلاقات الثقافية مع باقي دول المغرب والأندلس والمشرق و أثر هذه العلاقات في تأثير تيهرت و تأثرها الحضاري.

و في خاتمة البحث وصلنا إلى استنتاجات عامة عن أهم معالم حضارة تيهرت الرستمية وإنجازاتها عمرانيا وثقافيا و اقتصاديا، و ما قدمته من نتاج حضاري راق للبلاد العربية والإسلامية، و قد أرفقنا البحث بمجموعة من الملاحق قصد توضيح الأفكار الواردة في متن المذكرة.

و لإنجاز هذا البحث اعتمدنا على جملة من المصادر من كتب التاريخ و الجغرافية و كتب الرحلة والطبقات إلى جانب الدراسات الحديثة، العربية و الأجنبية، و قد تفاوتت في قيمتها التاريخية، حيث أن بعضها لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة و كذلك من حيث قربها الزمني من الأحداث، و من أهم هذه المصادر:

* كتاب **"أخبار الأئمة الرستميين"** لصاحبه ابن الصغير، عاش في القرن 3هـ، و ترجح وداد القاضي أن ولادته كانت ما بين 265- 270هـ/878- 883م، كان في شبابه يملك دكانا في الرهادنة و كان يتردد على مسجد هذا الحي و هذا ما ذكره هو نفسه في كتابه:"أن لي في الرهادنة دكانا أبيع فيه و أشتري"، و يقال أنه كان وراقا أو نساخا، مما ساعده على توسيع مداركه اللغوية التي مكنته من القدرة على المناظرة و المجادلة مع الإباضيين.

و رغم أن ابن الصغير لم يكشف عن المذهب الذي ينتمي إليه لكنه نفى انتماءه للمذهب الإباضي، و يشير مثلا سليمان الباروني إلى أنه مالكي، أما لويكي فيشير إلى أنه شيعي، و بغض النظر عن انتمائه و مذهبه، ما زال مؤلفه يعتبر إلى أيامنا هذه أقدم وثيقة وصلتنا عن إباضيي شمال افريقية.

و تأتي أهميته في أن ابن الصغير سكن بتيهرت و عاصر بعض الأئمة الرستميين و عاش فترة من الزمن تحت حكم أبي اليقظان حيث يذكر:"قد لحقت أنا بعض أيامه...و حضرت مجلسه" كما عاش تحت حكم الإمام أبي حاتم و في عهده يرجع ليفتسكي أنه كتب مؤلفه أي حوالي العام 290هـ/902م.

* كتاب"**سير الأئمة و أخبارهم**" لأبي زكرياء ابن أبي بكر السدراتي الورجلاني، (ت.سنة471هـ/1078م)، و كان ينتمي بحسب الدرجيني إلى الطبقة العاشرة، تابع دروس الراوي الشهير و المؤرخ الإباضي أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي و من تلامذته من المؤرخين وكاتبي السير البارزين كأبي الربيع عبد السلام الوسياني و أبي نوح و غيرهما، و يعتبر مؤلف أبي زكرياء عملا تاريخيا و سيريا في الوقت نفسه يزودنا هذا الكتاب الذي هو من أقدم المستندات الخاصة بتاريخ الإباضيين في المغرب بمعلومات هامة عن دخول الإباضية إلى المغرب و تطورها فيه، و عن تاريخ الرستميين و سقوطهم ، و عن مقاومة الإباضيين للفاطميين و ثورة أبي مخلد بن كيداد من جهة، كما يزودنا من جهة أخرى بسير عدد من الأعلام الإباضية، إذن ينقسم هذا العمل إلى قسمين أولهما ذو محتوى تاريخي، بينما يحتوي القسم الثاني على تراجم عدد من الإباضيين البارزين من المغرب، أضف إلى ذلك أن هذا الكتاب هو أحد المصادر الرئيسية لكتاب طبقات المشائخ للدرجيني كما يذكره الشماخي في عشرات المواضع.

اعتمد أبو زكرياء في كتابه هذا على عدد من المؤرخين الإباضيين عبر عنهم بقوله:"ذكر بعض أصحابنا" و على غيرهم من المؤرخين مثل ابن الصغير، و الرقيق القيرواني في حادثة دخول الإباضيين القيروان و مغامرة ابن طولون، كما نقل البكري ما يتعلق ببناء مدينة تيهرت.

و من كتب الطبقات و التراجم التي تعتبر مكملة للمصادر التاريخية، اعتمدنا على:

* كتاب "**سير المشائخ**" للإمام أبي العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت.سنة 928هـ/1522م)، و يعتبر الشماخي كاتب سير و مؤرخ و فقيه بارز يعود أصله إلى جبل نفوسة و ينتمي لعائلة أنجبت الكثير من المشاهير و العلماء، كان يسكن يفرن و لهذا نجد في إسمه الشماخي نسبا و اليفريني بلدا.

و قد ترك أبو العباس مصنفات كثيرة أشهرها هذا الكتاب "سير المشائخ" و هو عمل ضخم في سير أعلام الإباضية البارزين و ذلك منذ تأسيس الفرقة و حتى نهاية القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) كما نجد فيه بالإضافة إلى التراجم و المعطيات السيرية، روايات تاريخية طويلة تتعلق بأصول الفرقة الإباضية و الحركات الإباضية في شمال إفريقية و نجد فيه أيضا تفاصيل كثيرة عن حياة البربر الإجتماعية و عاداتهم.

و مهما يكن فقد أفادني كتاب السير للشماخي في تراجم و سير الأئمة و أعلام الإباضية و كذا في الناحية الثقافية.

* كتاب "**طبقات المشائخ في المغرب**" لأبي العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني، فقيه و شاعر و مؤرخ إباضي، عاش في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، والمتوفي سنة 670هـ/1272م، و يتألف هذا الكتاب من قسمين، القسم الأول هو مجرد إعادة نقل و سبك كتاب السير و أخبار الأئمة لأبي زكرياء يحيى، أما القسم الثاني، فهو أكثر أهمية من القسم الأول كونه العمل الأصلي للدرجيني و يشمل مجموعة سير حكماء و علماء إباضيين مشهورين مقسمة إلى اثني عشر طبقة، تغطي كل طبقة حقبة ذات خمسين سنة.

تضم الطبقات الأربع الأولى من المؤلف تراجم علماء الإباضية بالمشرق في القرنين الأول و الثاني الهجريين، و اقتصر على ما أورده أبو زكرياء فيما يخص تراجم أعلام المغرب مثل عبد الرحمن بن رستم و بقية الأئمة، لهذا اعتمدت أكثر على الجزء الأول منه.

* كتاب "**طبقات علماء افريقية و تونس**" لأبي العرب (ت.سنة333هـ/944م) يعتبر من أقدم الكتب التي وصلتنا، يشتمل على قائمة من العلماء و فقهاء المالكية في المغرب و منهم بكر بن حماد

التيهرتي، و تكمن أهميته في كون مؤلفه عاش فترة من حياته معاصرا للدولة الرستمية رغم أنه اقتصر على ذكر علماء افريقية و تونس المالكيين و تجاهل علماء الإباضية، هناك و مع ذلك ظل مصدرا لمن جاء بعده، و كذلك الشأن في كتب الطبقات الأخرى مثل: **"رياض النفوس"** للمالكي و كتاب **"معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"** للدباغ، فذكرهم مثلا لبكر بن حماد كان من باب اعتباره عالما و شاعرا مالكيا سكن القيروان و ليس من باب اهتمامهم بالرستميين.

أما المصادر المغربية أو السنية فهي كثيرة و متنوعة رغم ضياع العديد منها، لكنها كما ذكر جودت عبد الكريم و كذا ابراهيم بحاز:"لم تتعرض للرستميين إلا ببعض العبارات القليلة رغم معاصرة بعضها لهم، و منهم مثلا: كتاب **"فتوح مصر و المغرب و الأندلس"** لابن عبد الحكم (ت.سنة 257هـ/871م) و **"فتوح البلدان للبلاذري"** (ت.سنة 279هـ/892م) و الذي يعتبر أول من أشار إلى حادثة العباسية و عنه أخذها المؤرخون كابن الأثير و ابن خلدون وغيرهم.

و من أهم المصادر المغربية:

* كتاب **"تاريخ افريقية و المغرب"** لابن ابراهيم بن القاسم المشهور بالرقيق القيرواني (ت.ما بعد417هـ/1026م) يحتوي مؤلفه أحداث أواخر القرن الأول الهجري و ينتهي أواخر القرن الثاني الهجري أي فترة الفتح الإسلامي إلى بداية ثورات الخوارج، و يتناول عهد الولاة ابتداءا من ولاية عقبة بن نافع إلى ولاية أبي العباس عبد الله الأغلبي، فهو أقدم مؤلف تعرض لحادثة طبنة وأول من أشار إلى معاهدة السلم و حسن الجوار المبرمة بين الإمام عبد الوهاب و الأمير روح بن حاتم، كما أنه يذكر أخبار دخول الإباضية إلى طرابلس و القيروان بقيادة أبي الخطاب و قد اعتمد القيرواني على مصادر معاصرة للرستميين مما جعله أيضا مصدرا لمن جاء بعده، كابن عذارى المراكشي و ابن خلدون...

* كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**" لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي (712هـ/1312م) تناول فيه تاريخ المغرب و الأندلس منذ الفتح، و الدول التي نشأت في هذه الفترة كالمرابطين و الموحدين و المرينيين و رغم أن الدولة الرستمية لم تحظ بالتفعيل الواسع الذي خطيت به دول المغرب السنية المعاصرة لها إلا أن هذا المؤلف وصف مدينة تيهرت و ذكر أئمتها

ابتداءا من مؤسسها عبد الرحمن بن رستم حتى سقوطها بشكل موجز، كما تضمن هذا الكتاب بعض العبارات في مجال العلاقات الخارجية، فذكر نزول جيش هرثمة بن أعين تيهرت، و صلة النسب بين تيهرت و سجلماسة و كذا نزول شخصيات رستمية بالأندلس و مكانتهم هناك.

* كتاب **"الملل و النحل"** للشهرستاني (ت.سنة548هـ) يعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر التي درست نشأة الفرق و المذاهب الإسلامية و تطوراتها و كذا الأفكار و المبادئ التي قامت عليها هذه المذاهب، و قد اعتمدت على الجزء الثاني منه الذي تناول تاريخ ظهور الفرق الإسلامية والتي انتشرت في المغرب الإسلامي.

* كتاب **"الكامل في التاريخ"** لابن الأثير (630هـ/1231م)، و يصنف هذا الكتاب ضمن المصادر التاريخية العامة، تناول تاريخ المشرق الاسلامي، و قد خصص جانبا منها لبعض الأحداث التاريخية في المغرب لكن بشكل نادر، و قد اعتمدت خاصة على الأجزاء الرابع و الخامس والسادس.

إضافة إلى مصادر أخرى الذين يجمعون على موقف واحد من الدولة الرستمية القائم على ذكرها ببعض العبارات القليلة و منهم:

* كتاب **"المغرب في حلى المغرب"** لابن سعيد المغربي (ت.673هـ/1274م) و الذي ضاع معظمه و لم يبق منه إلا أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الأندلس في العصر الأموي و عن تيهرت رغم أنه لم يهتم بعلاقات قرطبة معها إلا أنه ينفرد بذكر قدوم أبناء الإمام عبد الوهاب إلى البلاط القرطبي و الإحتفال بهم و انفاق ألف دينار.

* كتاب **"تاريخ افتتاح الأندلس"** لابن القوطية (ت.367هـ/927م) حيث أشار إلى وجود مذهب الخارجية في الأندلس، و ذكر ظهور عمر بن حفصون في تيهرت و شخصيات رستمية في قرطبة.

* كتاب **"الحلة السيراء في شعر الأمراء"** لابن الإبار (ت.658هـ/1260م) حيث احتفظ بأبيات الشاعر بكر بن حماد التيهرتي التي قالها في مدح الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني و أشار أيضا إلى وجود شخصيات رستمية في الأندلس.

* كتاب "**العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" لعبد الرحمن بن خلدون (808هـ/1406م) و هو من المؤرخين الذين يشهد لهم بالموضوعية إلا أنه ضرب صفحا عن الدولة الرستمية ذكرها بإشارات عابرة فقط و لم يول لها اهتمامه مثل اهتمامه بدول المغرب السنية كالأغالبة و الأدارسة و أمويي الأندلس، و رغم ذلك كانت تلك الإشارات العابرة على قلتها مفيدة لنا، فقد انفرد بتقديم معاهدة السلم بين تيهرت و القيروان إلى عهد عبد الرحمن بن رستم و يكاد ينفرد أيضا بذكر وقوع عمل عسكري بين الرستميين والأدارسة.و مع ذلك يظل كتاب "العبر و ديوان المبتدأ و الخبر" مصدرا هاما لكل باحث في تاريخ المغرب الإسلامي، كما تعد المقدمة و هي الجزء الأول لكتاب العبر من المصادر الهامة لهذه الدراسة لكونها تضم الجانب الثقافي و العلمي و كل ما يتصل بالعمران البشري من فنون و صنائع و علوم في الدول الإسلامية عموما و هذا ما أفادنا كثيرا خاصة في شرح المفاهيم والمصطلحات الحضارية و العلمية.

و من كتب الجغرافيين و الرحالة اعتمدنا على:

* كتاب "**البلدان**" لليعقوبي (ت.284هـ/897م) و هو أول من أفسح المجال للمغرب الإسلامي بذكر مدن المغرب و وصفها كما ضمنها بعض المعلومات التاريخية الهامة و أشار إلى اتصال بلاد المغرب بالسودان الغربي و تكمن أهميته في كونه معاصرا للرستميين و مروره بتيهرت عندما وصل إلى المغرب حسب ما ذكره لقبال موسى.

* كتاب "**المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب**" و هو جزء من كتاب "**المسالك و الممالك**" لأبي عبيد البكري (ت.487هـ/1094م) فقد ذكر بناء تيهرت و وصفها، و تكمن أهميته في كونه وضع كتابه هذا معتمدا على كتاب محمد الوراق و على ملاحظات و أقوال التجار والمسافرين الذين زاروا بلاد المغرب و الأندلس و في كونه أيضا أصبح مصدرا لغيره فتأثر به الحموي و ابن خلدون و ابن عذارى و ابن الخطيب في ذكره دولة بني مدرار.

*كتاب"**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**"لأبي عبيد الله الشريف الإدريسي(ت548هـ/1154م في جزئه الخاص بافريقيا و الأندلس و الذي حققه اسماعيل العربي، و يعتبر هذا الكتاب من أمهات

الموسوعات الوصفية في العهود الوسطى لما تضمنه من تعريفات و مصطلحات و اشتمل عليه من أماكن و أعلام.

* كتاب **"صورة الأرض"** لابن حوقل (ت.367هـ/977م) و الذي وضع وصفا لمدينة تيهرت والفرق التي تربطها بغيرها كما قدم عبارات مفيدة في علاقات تيهرت الخارجية و تأثر به الإدريسي و القلقشندي و غيرهما.

* كتاب **"معجم البلدان"** لياقوت الحموي (ت.626هـ/1229م) اعتمد و تأثر بكتاب "المسالك و الممالك" لابن خرداذبة (ت.272هـ/885م) و قد أفادني في التعريف بالمواقع الجغرافية من مدن و أقاليم في المغرب، خاصة الأجزاء 1- 2- 3- 4.

اعتمدت أيضا على نتائج الحفريات التي قام بها مجموعة من المستشرقين أمثال جورج مارسيه ودوسوس لامار و غيرهم و سنتطرق إليها في الدراسة، لكن نتائجها في هذا الموضوع تبقى محدودة و غير كافية كما يرى الدكتور معروف بلحاج.

و تكملة لما أوردته المصادر حول الموضوع، استعنا بمجموعة من المراجع و الدراسات الحديثة المنشورة و غير المنشورة المتخصصة في تاريخ حضارة مدينة تيهرت و منها:

* كتاب **"الدولة الرستمية: دراسة في الأوضاع الإقتصادية و الحياة الفكرية"** لابراهيم بحاز، رصد فيه تاريخ الدولة الرستمية و الجوانب الإقتصادية و الفكرية، كما تعرض للعوامل التي ساعدت على النهضة الفكرية و أهم العلوم و النشاطات الإقتصادية و كذا العلاقات الخارجية وهو ما أفادني كثيرا في هذا البحث، إضافة إلى كتابه **"عبد الرحمن بن رستم"** و الذي يستعرض ويترجم فيه سيرة الإمام عبد الرحمن بن رستم من نشأة و ثقافة و جهوده في تأسيس الدولة الرستمية.

* كتاب **"العلاقات الخارجية للدولة الرستمية"** لجودت عبد الكريم يوسف، اختص هذا الكتاب في مكانة الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي، و علاقاتها بالدول المجاورة و دورها في تنشيط الحركة الفكرية في المغرب الأوسط، لاسيما العلاقات المذهبية، و كذا كتابه **"الأوضاع الإقتصادية**

و الإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين **3- 4هـ/9- 10م**" و الذي استفدت منه في رصد بعض المظاهر الإقتصادية و الإجتماعية.

* كتاب "**المغرب العربي الكبير** " لسعد زغلول عبد الحميد خاصة الجزء الثالث الذي خصصه للتاريخ السياسي و الفكري لدول المغرب الإسلامي بالتفصيل، و قد اعتمدت عليه في انتقاء المعلومات المتعلقة بثورات الخوارج و كذا الإفتنراق الذي حدث في الإباضية، خاصة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.

* كتاب "**تاريخ المغرب العربي الكبير، تاريخه و ثقافته**" لرابح بونار، و الذي يتميز بغزارة المادة في الجانب الثقافي للمغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى عهد المرابطين، و قد أفادني في انتقاء المعلومات الخاصة بسير الفقهاء و العلماء في الدولة الرستمية.

* كتاب "**الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس160هـ- 296هـ**" لمحمد عيسى الحريري، اعتمدت عليه في انتقاء المادة العلمية المتعلقة بالجوانب السياسية و التاريخية حيث تعرض لمختلف الأحداث و التطورات قبل نشأة الدولة الرستمية، و أعمال أئمتها و كذا علاقاتها الخارجية.

اعتمدت أيضا على مجموعة من المجلات و الدوريات و المتضمنة لمقالات تاريخية و آراء فكرية لمجموعة من الإساتذة المؤرخين على رأسها "**مجلة الأصالة**" خاصة الأعداد 1- 41- 45، ومحاضرات الملتقى الخامس و الحادي عشر و الثالث عشر للفكر الإسلامي.

و بما أن موضوع الدراسة موضوع حضاري، فقد استعنت ببعض المعاجم لشرح المفاهيم، أهمها:

* "**لسان العرب**" لابن منظور، خاصة المجلد 2- 3- 4.

* "**المعجم العربي الأساسي**" لمجموعة من المؤلفين من طبع المنظمة العربية للثقافة و العلوم.

و استعنت أيضا بمراجع باللغة الأجنبية منها:

Chikh Bekri: Le royaume rostemide le premier Etat Algerien.

تحدث فيه عن بداية ظهور الخوارج في المغرب و عن قيام الدولة الإباضية في تيهرت عاصمة المغرب الأوسط و يستعرض كذلك حكم الائمة الرستميين و الحياة الثقافية و علاقة الرستميين بالدول المجاورة.

Gautier.Emil.Felix: Le passée de l'afrique de nord.

و الذي تميز بعرض للظروف السياسية التي أحاطت بتأسيس الدول المستقلة في المغرب الإسلامي، كما أشار فيه إلى انتشار المذاهب و الفرق الدينية منذ القرن 2هـ/8م.

Abdallah Laraoui: Lhistoire du magreb.

جاء في هذا الكتاب دراسة نقدية تحليلية لتاريخ المغرب الإسلامي في مختلف عصوره.

و قد اعترضتنا بعض الصعوبات التي هي سمة من سمات أي بحث تاريخي تتمثل أساسا في مشكل الاطلاع على كل المصادر التي تناولت تاريخ بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وكذا صعوبة استنباط الحقيقة التاريخية و المادة العلمية من بعض الكتابات التي طغت عليها النزعة المذهبية، خاصة تجاه الدولة الرستمية الإباضية، إضافة إلى فقدان و ضياع الكثير من الوثائق والمصادر الخاصة بالدولة الرستمية و صعوبة الوصول إلى ما بقي منها.

و من واجب الاعتراف بالجميل و الفضل لا يفوتني أن أجدد شكري الجزيل و امتناني العظيم للمشرف الأستاذ الفاضل الدكتور بلحاج معروف الذي تتبع خطوات هذه الدراسة بكل إمعان وتدقيق و منحني الكثير من وقته و توجيهاته و تحمل عناء قراءة كل الفصول و تصحيحها، فجزاه الله عني خير الجزاء.

الرمشي يوم 14 يناير 2010

فطيمة مطهري

الفصل التمهيدي

مفاهيم ومصطلحات عامة

1- الحضارة

2- العمران

3- العمارة

4- الثقافة

5- الفكر

6- الخوارج

إن موضوع الدراسة التاريخية و الحضارية لأي أمة أو مجتمع، أو مدينة خصب و واسع، وغزير المادة، و كثير و متشعب النواحي، فحضارة الأمة تنبع من عقائدها و مزاجها، هذا المزاج هو بدوره وليد البيئة الطبيعية، و الثقافة، و الاختلاط بالشعوب. وتيهرت خصوصا و الدولة الرستمية عموما تشبثت بدينها وخلقها وعلمها، و الدين و العلم و الخلق، هذه الخصال تمثل رأس الحضارة في كل أمة، فإذا عرفناها، عرفنا درجة رقيها في كل نواحي الحياة المادية و المعنوية. وظهور هذه الدولة الفتية دشن عهدا جديدا لأبناء المغرب الإسلامي، و سمح لهم بإقامة صرح الحضارة، ودخول معترك العلوم و البناء، كانت نتيجة بروز كفاءات فنية و علمية و اقتصادية، أنارت بقدراتها و علمها أرض المغرب في القرنين الثاني و الثالث الهجريين، حتى أصبحت مدينة تيهرت تضاهي حواضر المشرق الإسلامي.

و دراسة هذه المدينة تاريخيا و حضاريا يقتضي منا تحديد مفاهيم ذات العلاقة بالحضارة والثقافة و الدين، منها: الحضارة ، العمران ، العمارة ، الثقافة ، الفكر و الخوارج.

1 – مفـــهـــــوم الحضـــــارة:

إن مفهوم الحضارة شامل و متشعب التعريفات منها:

أ – لـــغـــــــة:

اشتقت من الحضر أي الإقامة في المدن[1]، أو الاستمرار في الاستقرار في المدن و القرى بخلاف البدو[2]، و في لسان العرب:الحضر و الحاضرة هي خلاف البادية و هي المدن و القرى، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار و مساكن الديار التي كان لهم بها قرار[3]، و بهذا المعنى ورد اللفظ في القرآن الكريم، فأصل الحضارة إذا هو الإستقرار و المشتق من "قر يقر قرارا" لقوله

1- سليمان الخطيب : أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص25.وينظر أيضا، عبد الرحمن علي الحجي: أضواء على الحضارة و التراث، شركة الشهاب للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، ص67.

2- محمد هيشور : سنن القرآن في قيام الحضارات و سقوطها، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، سنة1991، ص61.

3- ابن منظور : لسان العرب، المجلد4، دار صادر للطباعة و النشر، ط1، بيروت، لبنان،د.ت، ص- ص 148- 149.

سبحانه و تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً ﴾ [1]، أي مستقرا[2].

و استعمل لفظ الحضارة بمعنى التطور و التقدم في الكل الميادين ، فالحضارة ليست منجزات مادية أو كثرة علمية، أو كتلا بشرية مكدسة في المدن دون ترابط داخلي، و إنما هي روح سام من الفضائل و الخصال الطيبة التي تزين و تقوم سلوكات أبناء الأمة و سائر نشاطاتهم، كما تتجسد في النظم السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية، حتى تشمل جميع جوانب الحياة[3]، و بفضل التعاون و التعاضد وصلت الأمم إلى أعلى مستويات التحضر[4].

ب – اصـــــطلاحـــــا:

لفظ الحضارة مشتق من الكلمة اللاتينية CIVIS بمعنى المدينة، أو CIVILIS بمعنى مدني أو متعلق بالمدينة[5].

و معانيها الاصطلاحية فهي عديدة و لها علاقة متشابكة ببعض المصطلحات الأخرى كالثقافة و المدنية و العمران، نورد بعض آراء المفكرين في تصوراتهم لمفهوم الحضارة، و منهم:

عبد الرحمن بن خلدون (732هـ- 808هـ/1332م- 1406م)

نظر ابن خلدون إلى الناس في زمانه فوجدهم مستقطبين في فئتين، هما:أهل البدو و الحضر، و رأى صفات إحداهما مخالفة للأخرى، فتساءل عن سر هذا الإختلاف، و راح يستنبط قوانين التطور التحول في الأمم و الدول[6].و يرى أن الحضارة غاية البداوة[7]، فطور الدولة من أولها بداوة، ثم إذا حصل المال تبعه الرفه و اتساع الأحوال و الحضارة، و الحضارة إنما تنمو في الترف[8]، و تعني الحضارة عند بن خلدون:"و الحضارة إنما هي تفنن في الترف و إحكام الصنائع المستعملة في وجوهه

1- سورة غافر : الآية 64.

2- أبو القاسم الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التريل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص64.

3- زريق قسطنطين : معركة الحضارة، دار العلم للملايين، بيروت، 1964، ص40.

4- نفسه، ص42.

5- محمد بن عبد الكريم الجزائري : الثقافة و مآسي رجالها، شركة الشهاب، الجزائر، د.ت، ص67.و ينظر أيضا الموقع الالكتروني http//fr.wikipedia.org/wiki/civilisation

6- علي الوردي : منطق بن خلدون في حضارته و شخصيته، مطبعة جامعة الدول العربية- معهد الدراسات العربية العالمية،القاهرة، 1992، ص77.

7- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007، ص- ص 275- 276.

8- الصغير بن عمار : الفكر العلمي عند بن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1984، ص48.

و مذاهبه من المطابخ و الملابس و المباني و الفرش و سائر عوائد المترل و أحواله"[1].و من مفاسد الحضارة، الانهماك في الشهوات و الاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفنن في شهوات البطن من المآكل و الملاذ و المشارب و طيبها[2].

و من هذه النصوص نستنتج آراء ابن خلدون في الحضارة، و منها أن الأمم تمر بثلاث مراحل و أطوار[3]:

ففي الطور الأول: تعيش عيشة البدو في الصحاري و القفار و لا تعرف قانونا و لا تحكمها سوى حاجات و عادات[4]، و هو ما يعبر عنه بالجيل الأول.

و في الطور الثاني: تصل الأمة إلى تأسيس الدولة حيث الإنتقال إلى الجيل الثاني الذي يشيد الملك و يؤسس الدولة و يسن القوانين.

و في الطور الثالث: تنحر الأمة أو الدولة إلى حالة الحضر، و تنغمس في الترف و الملاهي، فتنهار الدولة إذ يفقد الجيل الثالث العصبية.

و هكذا يرى ابن خلدون أن لكل حضارة حدا تقف عنده، وذلك هو انتهاء عمرها، و من هذا الحد يستأنف السير مجتمع أو أمة أخرى جديدة، و لعل هذا أهم ما جاء به ابن خلدون من جديد في عصره[5].

مالك بن نبي (1325هـ- 1393هـ/1905م- 1973م)

و يستند مالك بن نبي في دراسته لحضارة الأمم على دراسة حركة التاريخ التي تؤثر في ثلاثة عوامل:تأثير عامل الأشخاص و تأثير عامل الأفكار و تأثير عامل الأشياء[6]، في شكل متكامل

1- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص183، عبد الكريم الجزائري : المرجع السابق، ص38، محمد هيشور، المرجع السابق، ص100.

2- عبد الرحمن بن خلدون، نفسه، ص378، محمد هيشور، المرجع نفسه، ص101.

3- الصغير بن عمار : المرجع السابق،ص- ص 77- 78.

4- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص279.

5- طه حسين، فلسفة بن خلدون الإجتماعية، نقله إلى العربية محمد عبد الله عنان، مطبعة الإعتمار بمصر،ط1، 1925، ص67.

6- آمنة تشيكو : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و آرنولد توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989،ص116.

ومترابط يجعل الإنسان محور التأثير و التأثر، و بهذا فإن حركة تطور الأمم و الشعوب مرهونة بالتغيرات النفسية للأشخاص و الاجتماعية للظروف المحيطة، و بما أن قواعد حركة التاريخ ثابتة لا تغيرها عوامل البيئة و لا الزمان، فإن انبعاث أية حضارة و تجديدها لا يتم إلا في الظروف نفسها التي نشأت فيها أول مرة[1].

و الحضارة عند مالك بن نبي تقوم على الصيغة أو المعادلة التالية:انسان+تراب+وقت=حضارة[2]، دون أن يغفل وجود عامل يؤثر في مزج هذه العناصر الثلاث و هو ما عبر عنه مالك بن نبي بالعقيدة أو الفكرة الدينية التي رافقت قيام الحضارات عبر التاريخ[3].

و بعد امتزاج آثار هذه العوامل الثلاثة (الأشخاص- الأفكار- الأشياء) تتجسد العلاقات الإقتصادية و بقية العلاقات الحضارية بصفة عامة، و التي ظلت مشروطة بوجود علاقات شخصية، نفسية و اجتماعية، و هذا عكس المدرسة الماركسية التي ترجع الشبكة الاجتماعية و الحضارية بصفة عامة إلى المخطط الاقتصادي، و تجعل العلاقات المادية أساسا تقوم عليه كل النشاطات[4].

و يرى مالك بن نبي أن الحضارة تمر بثلاث مراحل :

1. مرحلة الروح أو نقطة البداية و الإنطلاقة في فجر كل حضارة مع ظهور فكرة دينية يكون فيها الإنسان ذا فعالية إجتماعية و طاقة حيوية كبيرة، و هذا هو العصر الذهبي للحضارة لأن الأمة تتمتع بقوة جماعية.
2. مرحلة بداية بعض المظاهر السلبية و الإنحرافات بتغلب المصالح الفردية على المصالح الجماعية بحيث تتفكك القوى و تنقسم الحركة الإجتماعية إلى حركة مضادة و حركة تواصل رسالة التحضر و لعلها هي القلة.

1- مالك بن نبي : ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الإجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهي، دار الفكر، سوريا 1962، ص70.

2- آمنة تشيكو : المرجع السابق،ص118، و محمد هيشور:المرجع السابق، ص66.

3- مالك بن نبي : شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا،1976، ص53.

4- مالك بن نبي : ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص30.

3. مرحلة التفكك النفسي، و بالتالي السقوط و الإنهيار الحضاري، و من خصائص هذه المرحلة سيادة الترعة الفردية و تفكك العلاقات الإجتماعية، و هذا ما يعرف في تاريخ الحضارات بمرحلة الأفول[1].

و أما أبو الأعلى المودودي (1323هـ- 1399هـ/1903م- 1979م) فقد جاء تصوره عن قيام الحضارة على أساس الغاية التي بعث الرسل و الأنبياء لتحقيقها في الحياة، و هذا يكون ضمن منهج أوله العقيدة، ثم الجماعة، ثم المجتمع، وبالتالي توسيع دائرة الإسلام و تقليص دائرة الجاهلية[2]، فعوامل قيام الحضارات و تكوينها عند المودودي هي تصور الحياة الدنيا، غاية الوجود، العقائد و الأفكار الأساسية ، تربية الأفراد و إعداد الإنسان، النظام الإجتماعي[3]، و يعلل المودودي أسباب سقوط الحضارات و هلاك الأمم بفساد الأخلاق و البعد عن الله و انتشار حب الذات والمادة، و يعطي مثالا عن الهند التي ارتبطت بفساد القلة من أتباع التابعين حيث فتر إيمانهم و غلب عليهم حب المغانم المادية، و طالبوا الناس بطاعتهم بدل طاعة الله، فكانت النتيجة بقاء السواد الأعظم من أهل شبه جزيرة الهند على غير الإسلام رغم وجوده في البلاد قرونا عديدة[4].

و المودودي من الذين يرون أن الحضارات تسقط بعوامل داخلية و أسباب ذاتية، و أن أية حضارة تنشأ تحمل بذور فنائها[5]، و من بين المفكرين الغربيين نذكر:

أزفـــــالـــد شــبــنـــجــلــر (1888م- 1936م)

واكتفى أزفالد شبنجلر بتفسير الحضارة تفسيرا بيولوجيا[6]، و لما كانت الحضارة كالكائن البيولوجي عند شبنجلر، فإنها تمر بنفس الأدوار التي يمر بها الإنسان من طفولة و شباب و رشد وشيخوخة، ففي دور الشباب تتوفر القوة و الإبداع ثم تظهر عليها علامات الشيخوخة فتسقط

1- مالك ابن نبي : ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص- ص 71- 72.
2- محمد عمارة : أبو الأعلى المودودي و الصحوة الإسلامية، دار الشروق، ط1، 1987، ص89.
3- أبو الأعلى المودودي : الحضارة الإسلامية، أسسها و مبادئها، دار الأنصار، القاهرة،د.ت، ص7.
4- أبو الاعلى المودودي : نحن و الحضارة الغربية، دار الفكر الحديث، لبنان، د.ت، ص27.
5- نفسه،ص28.
6- عبد الرحمن بدوي : شبنجلر، دار القلم، الكويت، 1982، ص34.

وتموت[1]، فيغدوا حال الحضارة كحال غابة عملاقة جفة أغصانها و التوت أعناقها، و هذا ما نشاهده في بقايا وأطلال تلك الحضارات العملاقة كحضارة الفرس و الروم و الهند[2]،و ليس معنى هذا فناء الحضارة فناءا نهائيا، بل تبقى قادرة على البقاء و الإستمرار، فتكون كالشجرة التي استنفذت أغصانها أوراقها، ثم لا زالت تدب داخل عروقها مياه الحياة[3].

إن رؤية شبنجلر للحضارة، و التي تأثرت إلى حد بعيد بنظرية ابن خلدون في تطور الدولة، واجهت إنتقالات عدة خاصة في نقطتين أساسيتين:

1. فيما يخص نبوءته المتصلة بتدهور الغرب و سقوط حضارته التي دخلت مرحلة المدنية، و دور الإستمتاع المادي الذي لا ينتظر بعده إلا الفناء.و غضب المفكرون الفرنسيون على شبنجلر غضبا شديدا بسبب هذه النبوءة السوداء بمستقبل حضارتهم[4].
2. في تشبيهه لدورة الحضارة بدورة الكائن الحي إلى مدى بعيد لا يتفق و المنهج العلمي، لأن الكائنات العفوية الحية تبدأ في الضعف و التدهور بعد أن تبلغ درجة معينة من النمو البدني، في حين أن الشعوب و الأمم يجددها شبابها و نشاطها مع تجدد و ميلاد الأجيال، و إن كانت للأمة شيخوخة الكائنات الحية، فإن شيخوخة الأمم الحضارية لها مفهوم آخر في الضعف والفساد و بروز ظواهر اجتماعية و سياسية و ثقافية تحل بكيانها عندما يدب إليها الهوان نتيجة أسباب و عوامل عدة[5].

1- نعمان عبد الرازق السامرائي : في التفسير الإسلامي للتاريخ، دار الشهاب، باتنة، الجزائر،د.ت، ص123.

2- أزفالد شبنجلر : تدهور الحضارة الغربية،ترجمة أحمد الشيباني، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964، ص218.

3- عبد الرحمن بدوي : المرجع السابق، ص103.

4- محمد عفت الشرقاوي : فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة، بيروت، ط2، 1981، ص198.

5- حسين مؤنس : التاريخ و المؤرخون، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص174.

و يمكن تلخيص هذا النقد في رأي أحد تلامذة شبنجلر، عندما ذهب إلى أن هذه الرؤية "الشبنجلرية" تمكننا من الحكم على مستقبل أية حضارة بدراسة ما قطعته من أطوار -حياتها، فنعرف ما بقي من عمرها[1].

و رغم هذا النقد الشديد لشبنجلر، إلا أن آراءه أثرت في مفكري الغرب بعد الحرب العالمية الثانية أمثال توينبي و كولن ولسن، اللذين أصبح أكبر شغلهما مصير الحضارة الغربية خاصة و الحضارات الإنسانية عامة.

أرنولد توينبي (1889م- 1975م)[2]

و قد اعتمد أرنولد توينبي دراسة مقارنة للحضارات، حيث اختار من حضارات العالم إحدى و عشرين حضارة، فدرس كل واحدة دراسة شاملة و عميقة، تبين له بعد ذلك أن حضارة كل أمة إنما هي استجابة لتحدي الظروف التي وجدت فيها هذه الأمة، و رأى توينبي أن أي مخلوق حي يجد نفسه بمجرد خلقه أمام عوامل تعمل على إفنائه و أخرى تعمل على قوته واسعاده[3]، و من هنا تولدت نظرية "التحدي و الإستجابة"[4] لدى توينبي، و اتضح له أن المجتمعات تقودها دائما الزمرة المختارة و أصحاب الرأي في الأمة نحو التحضر ، استجابة للتحدي المضروب على الناس، و تكون الاستجابة هي الإبداع و الابتكار في الأفكار و الوسائل، و عندما تصل عملية ما إلى ذروة الإنتاج و الاختراع، تنصرف الصفوة المبدعة إلى انشغالات أخرى و تبدأ الحضارة في التدهور و الإنحطاط ثم الأفول و السقوط، و بالتالي ترتد المجموعات البشرية إلى مرحلة البداوة تحقيقا للمقولة الخلدونية القائلة "إن البداوة[5] غاية للحضارة"[6].

1- حسين مؤنس : المرجع السابق، 176.

2- آمنة تشيكو : المرجع السابق، ص65.

3- حسين مؤنس : التاريخ و المؤرخون، المرجع السابق،ص176، محمد هيشور:المرجع السابق،ص91.

4- نعمان عبد الرزاق السامرائي : المرجع السابق، ص114.

5- البداوة في مفهوم ابن خلدون تعني بداية الحياة أو العمران، و تكون في الصحراء أو الريف، ينظر : زينب الخضري:فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1989، ص- ص 207- 208.

6- حسين مؤنس : التاريخ و المؤرخون، المرجع السابق، ص178.

إن العامل الأساسي في نشوء الحضارات في نظر توينبي هو التحدي الخارجي و الإستجابة الداخلية، و قد استخلص توينبي هذه النظرية من خلال دراسته للحضارات و منها الحضارة الفرعونية.و ينكر توينبي التفسير البيولوجي للحضارات، كما ينكر تأثير عامل واحد في قيام الحضارة أو سقوطها، فيقول ردا على الذين يرون أن عامل البيئة الجغرافية هو الأساس في قيام الحضارة، بأن هناك جماعات بشرية أقامت حضارات استجابة لعامل الجفاف و الفقر، و شعوب أخرى نعمت في الشواء و لم تعرف أي ازدهار حضاري[1]، أي أن عوامل قيام الحضارات تتمثل في التفاعل ما بين التحديات الخارجية، الطبيعية و البشرية، و الإحتياجات الداخلية من الفرد والمجتمع.و هنا يشترك توينبي مع مالك ابن نبي في هذا التصور، حيث هذا الأخير يعتقد بأن للاستعمار دورا في إيقاظ الشعوب المستعمرة، فالاستعمار عامل خارجي حرك بتحديه قوى كامنة في الأمة، و بالتالي الاستجابة و ردود الفعل المقاومة له.

و يرى توينبي أن من أكبر التحديات البشرية، هي الصدمات الخارجية للاحتلال الأجنبي التي تثير الطاقات الإبداعية الكامنة في الأمة، فتقابل التحدي بنفس القوة المهاجمة أو أشد[2].

و أحسن وضعيات الحضارة عندما تتكافأ قوى التحدي و الإستجابة، و إذا حدث اختلال في التوازن، أدى ذلك إلى اختلال في نمو الحضارة و استمرار رقيها.و يجمل توينبي عوامل سقوط الحضارات في ثلاثة أسباب:فشل القوة المبدعة- فتور إيمان الأغلبية- فقدان وحدة المجتمع في شمول علاقات أفراده و ترابط أسره.

إن إيمان توينبي بعملية تأثير و تأثر الحضارات فيما بينها بفضل تبادل و توارث الإنجازات الإنسانية في شتى الميادين، جعله يصنف الحضارات إلى قسمين:

1- ارنولد توينبي : مختصر دراسة التاريخ، ترجمة محمد فؤاد شبيل، ج1، طبعة الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة، 1961، ص105.

2- محمد فؤاد شبيل : منهج توينبي التاريخي، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، سلسلة الثقافة، العدد209،968، ص53.

1. الحضارة الأصلية:و هي الحضارات التي نشأت دون الإتصال بحضارات سابقة، لكن كانت قاعدة ارتكزت عليها و اقتبست منها الحضارات التي أعقبتها ممثلة في حضارة بلاد الرافدين و الحضارة المصرية.

2. الحضارة المشتقة[1]: و هي التي أخذت و ارتكزت عن ما سبقها من حضارات.

كما يرى كارل ماركس أن كل شيء أصله الأول المادة، و حتى الأفكار و المفاهيم و الوعي مرتبطة أولا و بشكل مباشر بالنشاط المادي، و حاول أن يجد معيارا ماديا لتطور الحياة الإنسانية[2].

إن آراء ماركس كانت وليدة العقيدة اليهودية التي كانت تنتظر مملكة أرضية تحقق فيها سيادتها المزعومة في قيادة الإنسانية، و تلك هي العدالة الإجتماعية المرجوة.إن فكرة الصراع الطبقي في بناء المجتمعات و تحقيق العدالة فكرة مرفوضة، لهذا لا يمكن تعميم آراء و نظريات الفكر الماركسي في تفسير الظواهر الإجتماعية و القضايا الحضارية[3].

ألفريد نورث واهيد

و يقدم ألفريد نورث واهيد تعريفا عاما بسيطا للحضارة، فالإنسان أو المجتمع المتحضر هو من سيطرت عليه المزايا التالية:الصدق، الجمال، الفن،السلام و المغامرة، على أن تتمثل هذه المزايا الخمس في كل جوانب الخيرة[4].

و نستنتج من خلال هذه الآراء و التصورات أن الحضارة مصطلح أطلق على نتاج الإنسان و إنجازه، و نظمه و ما يحيى به و ما يحتاجه لشؤونه، و هي أمور شاركت فيها أمم وأجناس خلال التاريخ حيثما تقيم[5]، أي هي ذلك الكل المتكامل مما أنتجه أو أنجزه الإنسان في جميع النواحي، الفكرية و الإجتماعية و العمرانية و الأخلاقية، أي كل ما يتعلق بحياة الإنسان في

1- أمنة تشيكو : المرجع السابق، ص70.

2- هارترت : الحب و الحضارة، ترجمة مطاع صفدي، دار الآداب، بيروت، 1975، ص11.

3- محمد أبو القاسم : العالمية الإسلامية الثانية، دار المسيرة، لبنان، ط1، 1979، ص13.

4- أ.هـ.جونسون : فلسفة واهيد في الحضارة، ترجمة عبد الرحمن ياغي، نشر بالإشراك مع مؤسسة فرن كلين للطباعة و النشر، بيروت، نيويورك، 1965، ص15.

5- عبد الرحمن علي حجي : المرجع السابق، ص68.

جانبها المعنوي و المادي، أو كما عرفها محمد بن عبد الكريم الجزائري "أنها ظاهرة إجتماعية تتبلور في نظم محكمة و آثار ماثلة"[1]،أي هي ظاهرة لمجتمع ما، تقوم في ظل نظم سياسية و اقتصادية وإدارية و قضائية و ثقافية محكمة و تتجسد في فن العمارة بجميع أنواعها، مثل تخطيط المدن وتشييد البنيان و الرسم و النحت و جميع الفنون الجميلة.و تعرف الحضارة أيضا بأنها محاولات الإنسان في الإستكشاف و الإختراع و التفكير و التنظيم و العمل على استغلال الطبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل، و هي حصيلة جهود الأمم كلها على مر التاريخ.و في هذا الصدد يقول بول ديورنت:"ليس التاريخ إلا موكب الدول و الحضارات التي تنشأ و تزدهر ثم تضمحل و تفنى، و لكن كل منها تخلف وراءها تراثا من العادات و الأخلاق و الفنون تتلقاها الحضارات التي تأتي من بعدها، فهي كالعدائين في سباق يسلم كلا منهم مصباح الحياة إلى غيره"[2].

و للحضارة مظاهر بارزة في كل النواحي و المجالات، و هي على الشكل التالي:

المظهر السياسي:و يتمثل في نظم الحكم و مؤسساته

المظهر الإقتصادي:و يضم وسائل الإنتاج و تكوين الثروة و تبادل المنتوجات

المظهر الإجتماعي:يتكون من المجتمع و نظمه و العلاقات الأسرية.

المظهر الفكري:يتمثل في الفلسفة و العلوم و الآداب

المظهر الديني:و يشمل المعتقدات الدينية و العبادات

المظهر الفني:و يعني الفن المعماري و النحت و الرسم و الموسيقى[3].

2 – مــفــهــوم العــمــران:

لتحديد معاني مصطلح العمران علينا أن نستعرض معنييه اللغوي و الإصطلاحي:

1- محمد بن عبد الكريم الجزائري : المرجع السابق،ص38 .

2- ول وايرل ديورنت : قصة الحضارة، المجلد1، ترجمة محمد بدراز، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ص9.

3- نفسه، ص10.

أ – لــــــــغـــــــة:

العمران: العمائر: جمع عَمارة أو عِمارة، أي عمارة الأرض، و هي فوق البطن من القبائل أولها الشعب ثم القبيلة ثم البطن ثم الفخذ[1]. و تعني أيضا السكن في موطن ما بصورة دائمة، و العمل على إقامة بنيان هذا السكن و تأهيله، و العمل على تقدمه و ازدهاره[2].

و أصل كلمة عمران "عمر" التي تعني إما: أ – أن يعيش أو يسكن أو يقطن أو يستقر فيبقى في مكان ما.

ب – أن يصبح مسكونا أو مستقرا أو مزروعا، أي عامرا بالناس و الحيوانات و النبات، فيصبح بحالة حسنة، و هو شيء يخالف الفقر و الضياع و الخراب. ج – الزراعة أو البناء أو الأشياء[3].

ب – اصـــــطـــــلاحــــا:

أما مفهوم العمران الإصطلاحي، فسنركز على ما ذكره بن خلدون، فمحمد رعد يقول عن كتاب العبر:

"و إنما هو على الأكثر عنوانا لمحاولة جريئة علمية تضع العمران كعلم في مقدمة العلوم الطلائعية، فيجعل العالم في مسيرته التاريخية قائما عليه كنظام عالمي يستند في الأساس على الفكر و الحس السليم، و يقوم على التجربة و هي تجارب الأمم في غابر حياتها و حاضرها... إن تاريخ ابن خلدون الكبير مع "المقدمة"، يصلح أن يكون مدخلا للكتابة عن العمران، إذ استطاع أن يمهد السبيل لنشر أفكاره و تعميمها عن طريق التاريخ[4].

فعنوان المؤلف الذي ابتدأه بـــ"العبر"، يعني ما استخلصه أو يجب أن يستخلصه كل من أراد أن يتابع آراءه في تحديد معاني العمران، و هو ما اصطلح على الرمز إليه بـــ"المبتدأ" لأنه قديم قدم الخليقة، و بعد ذلك وجد أن ليس هناك فن اجل و أفضل من "التاريخ" الذي سماه "الخبر"،

1- ابن منظور : المصد السابق، الجزء 4، ص280

2- سعيد محمد رعد : العمران في مقدمة بن خلدون، دار طلاس للدراسات للدراسات و الترجمة و النشر، ط1، سوريا، دمشق، 1985، ص27.

3- نفسه، ص522.

4- نفسه، ص- ص 12- 13.

وهو من ألصق الأمور بـــ"المبتدأ"، فأصبح العنوان بذلك يعني ما يحصل عليه الإنسان و المجتمع البدوي و الحضري في أدوار ترقيه عبر التاريخ، و هو ما اصطلح عليه ابن خلدون لكلمة "العمران"[1] .

و يعرف ابن خلدون العمران بما يلي:"و هو التساكن و التنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير و اقتضاء الحاجات،لما في طباعهم من التعاون على المعاش، و من هذا العمران ما يكون بدويا و هو الذي يكون في الضواحي و الجبال و القفار و أطراف الرمال، و منه ما يكون حضريا، و هو الذي بالأمصار و القرى و المدن..."[2].

و يجعل ابن خلدون للعمران عمرا محسوسا كالأشخاص بقوله:"و العمران كله من بداوة و حضارة و ملك و سوقة "الرعية" له عمر محسوس، كما أن للشخص عمرا محسوسا، وتبين في المعقول و المنقول أن الأربعين سنة للإنسان غاية في تزايد قواه و نموها". كما يربط ابن خلدون العمران بـــ"المدنية" في الباب الأول من "المقدمة":"...أن الإجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: (الإنسان مدني بالطبع) أي لا بد له من الإجتماع الذي هو "المدنية" في اصطلاحهم وهو معنى العمران[3].إلا أن المدنية عند اللغويين مشتقة من لفظ تمدن الرجل أي هي صفة اكتسابية تظهر في سلوك الشخص، و هي وليدة التربية و التهذيب، أي التخلق بسلوك مهذب و جميع ما هو ضد الوحشية و الهمجية، أما العمران فهو وليد العلم و الإختراع وهو جزأ من الحضارة يضم أنظمة جماعية و اختراعات مادية محسوسة[4].و يعطي بن خلدون الإنسان الدور الأول في مفهومه للنظرية العمرانية، حيث اعتبر العضو البشري أساس الإجتماع الإنساني، وبالتالي اعتمار و عمران العالم[5].

1- عبد الرحن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص58.
2- نفسه، ص56.
3- نفسه، ص57.
4- محمد بن عبد الكريم الجزائري : المرجع السابق، ص- ص 40- 41.
5- سعيد محمد رعد : المرجع السابق، ص57.

إن ابن خلدون استعمل مصطلح العمران للتعبير عن الإجتماع البشري و نتاجه، كما استعمل علم العمران مشيرا إلى دراسة ظواهر هذا الإجتماع[1].

يرتكز العمران على ثلاث قواعد أساسية أو أصول عامة و هي:

أولها:المكان الذي يتسنى للناس الإقامة فيه و الإستقرار و السكن.

ثانيها:الإجتماع الإنساني، أي اجتماع الإنسان و تعاونه مع غيره و هي من طبائع العمران، و هنا يقول ابن خلدون:"أعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الإجتماع الذي هو عمران العالم..."[2].

ثالثها:العمل الذي لا يتم إلا بمساهمة كل فرد قدر استطاعته، إذ أن مظاهر العمران أعمال من تدبير الإنسان، لهذا دعا بن خلدون العمران بأوصاف منها:العمران البشري، العمران البدوي، والعمران الحضري.فنظريته ترتكز على أبعاد كثيرة أهمها النواحي الإنسانية الاجتماعية و المكانية والزمانية، أي (الإنسان– المكان– الزمان) و هي الركائز الثلاثة الأساسية لقيام العمران.

إن البيئة الجغرافية لها دور في لم شتات الجماعات البشرية و توحيد نشاطها العمراني، و يستنسج من هذا سر تمركز جل الأديان و البعثات النبوية في المنطقة المعتدلة من جزيرة العرب و الشام ومصر[3].و إن كان إنسان العصر الحديث قد تمكن بفضل الله و العلم و الإرادة و العمل من جعل قلب الصحراء و الجبال و الأوعار بوادر حضارية و منجزات مدنية عظيمة، و تمكن من الإستفادة من كل مكونات البيئة[4].

لقد اختلف العلماء في تحديد معاني العمران بالضبط، فمنهم من سماه المدنية و آخرون سموه بالثقافة و كثيرون جعلوه مرادفا لكلمة الإجتماع، لكن الحضارة و الثقافة تختلفان عن العمران الذي يشمل كل شيء إنساني و حضاري و ثقافي، فالحضارة و الثقافة تبدءان حين ينتهي عمر العمران، أي أنه سابق الوجود عنهما.

1– عبد الرحمن علي حجي : المرجع السابق، ص69.

2– سعيد محمد رعد : المرجع السابق، ص208.

3– عماد الدين خليل : ابن خلدون اسلاميا، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، دمشق، 1985، ص41.

4– توفيق محمد سبع : قيام حضارة في القرآن، ج1، دار المنار، ط2، القاهرة، 1984، ص59.

و خلاصة القول أن العمران دور يقوم به الإنسان منذ الخليقة بالتساكن و الإستقرار في مكان ما، بقصد التعاون و التآنس للحصول على معاشه بالعمل و التفكر، و بالتالي تحصل العلوم والصنائع الكثيرة، و ذلك على مر الأيام و الأجيال.

3 – مــــفـــهـــوم الـــعـــمــــارة:

ينقسم مفهوم العمارة إلى قسمين هما:

أ – لــــغـــــة:

ما يعمر به المكان[1]، فيقال لساكن الدار:"عامر" و الجمع "عمَار" لقوله تعالى:﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾[2]، أي بيت في السماء معمور بالملائكة[3].

و قوله تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[4]، أي أذن لكم في عمارتها، وجعلكم عمارا تعمروها و تستغلوها[5]، أي كلفكم بعمارتها بالحق و العدل و العمل الصالح[6].

و المعمر:المترل الواسع من جهة الماء و الكلأ، ذكر ابن الأثير أن الشجرة العمرية هي العظيمة القديمة التي أتى عليها عمر طويل[7].

ب – اصــــطــــلاحـــــا:

العمارة منشأة مؤلفة من كتلة و فراغات تقوم باستيعاب نشاط إنساني كالإسكان والعبادة و العمل و الدفاع،و شروطها المتانة و الراحة[8].بدأت العمارة في العصر الحجري، كان

1– ابن منظور : لمصدر السابق، ص278.
2– سورة الطور : الآيتين4 ، 5.
3– ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، المجلد4، ط2، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، بيروت، 2006، ص218.
4– سورة هود : الآية 61.
5– ابن كثير : المجلد3، المصدر السابق، ص425.
6– محمد سعيد رمضان البوطي : منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، ط1، سوريا، 1984، ص26، الزمخشري: الكشاف، المصدر السابق، هود، ص85.
7– ابن منظور : المصدر السابق، ص279.
8– عفيف البهتسي : العمارة و المعاصرة، دار الشرق للنشر، دمشق، 2005، ص7.

قوامها الحجر الضخم أو الخشب، و كان الهدف منها إيواء الساكنين و حمايتهم من العدوان، كما ظهرت مادة الطين اللين و المشوي "الآجر".

و مع بداية التاريخ أصبحت العمارة فنا و علما يتطلب دراسة هندسية و اهتماما جماليا، ظهر ذلك في العمارات الأولى في مصر القديمة و بلاد الرافدين[1].و مع منتصف القرن التاسع عشر تطورت صناعة الحديد و الصلب لتصبح المادة الإنشائية الأساسية في العمارة، حيث ساعد الحديد على إنشاء عمارات و أبراج مثل برج إيفل و ناطحات السحاب. استفاد المعمار أيضا من الزجاج في إقامة منشآت حديدية زجاجية تبدو في قصور البلور التي ظهرت خاصة في لندن، باريس وبسطن، كما ساعد الكهرباء في تطور العمارة، حيث ساهم في تأمين التكييف و الإنارة الضرورية و التزيينية.

و ما يهمنا في هذه الدراسة هو العمارة الإسلامية لأن الدولة الرستمية تمسكت بشروط هذه العمارة في بناء و تخطيط و إعمار مدنها خاصة عاصمتها تيهرت بسبب تمسكها بالدين الإسلامي و الحضارة الإسلامية عموما[2].

و العمارة الإسلامية اسم أطلق على الفن المعماري، الذي ساد المناطق التي مستها الحضارة العربية الإسلامية بعد الفتوحات، و يشمل البلاد الواقعة بين خليج البنغال شرقا و المحيط الأطلسي غربا، وينطوي هذا النطاق على ظروف طبيعية متقاربة، أنتجت وضع أسس متشابهة لحضارة معمارية تميزت منذ بدايتها، بصفتي الوحدة و التنوع[3].

لقد ساهمت في نشأة و تطور العمارة الإسلامية عدة عوامل دينية و بيئية و اقتصادية وسياسية تكاد تكون متشابهة في جميع أقطار العالم الإسلامي، مما زاد في توثيق روابطها، و أفضى على الطراز

1- عفيف البهنيسي : المرجع السابق، ص7.

2- محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، 1963، ص547 .

3- G. Marcais:L’architecture Musulmane d’occident , Paris, 1955 ,p3.

الإسلامي طابعه العام الذي يتسم به،و هو طابع الوحدة الظاهرة التي لا مجال لإنكارها رغم احتفاظ كل قطر بطابع محلي مميز له و خاص به[1].

كانت العمارة الإسلامية و لا تزال تحتل مكانة مرموقة بين طراز العمارة التي عرفتها الحضارة الإنسانية العامة، فمن جهة، أضافت العمارة الإسلامية إلى التراث المعماري العالمي نظما تخطيطية جديدة كالمساجد و المدارس و الزوايا، و من جهة أخرى أدخلت على نظم العمارة الجنائزية و المدنية و الحربية أنظمة جديدة جعلت لها طابعا فريدا مميزا، و ما "تاج محل" بالهند و"طوبقابي سرا" باسطنبول بتركيا و قصر "الحمراء" بغرناطة باسبانيا، إلا خير شواهد مادية حية باقية تكفي للتدليل على ذلك[2].و تنقسم العمارة الإسلامية تبعا للوظيفة التي تؤديها إلى عدة أنواع ومنها:

– العمارة الدينية: و التي تحتل المكانة الأولى و المقام الأسمى بين أنواع العمائر الإسلامية الأخرى، ويرجع ذلك إلى العاطفة الدينية و الرغبة في التقرب إلى الله سبحانه و تعالى. وتشمل العمارة الدينية المساجد و الجوامع و المدارس و الزوايا، و تأتي عمارة المساجد على رأس النظم التخطيطية في العمارة الإسلامية عامة و العمارة الدينية خاصة، فالمسجد هو بيت الله، و تعميره من أفضل القربات إلى الله عز و جل، و أسس المسجد لتقام فيه الصلاة التي هي عماد الدين، و من ثم علت منزلة المسجد عند المسلمين، علما أنه لم تقتصر وظيفة المسجد في أول الأمر على الصلاة، بل كان مركزا للحكم و الإدارة و الدعوة و التشاور، كما كان محلا للقضاء والإفتاء و العلم و الإعلام وغير ذلك من أمور الدين و الدنيا.فقد ارتبطت الفنون الإسلامية على اختلافها بالمسجد وبعمارته و أثاثه و شعائره[3].

1– شافعي فريد : العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، القاهرة، 1980، ص- ص 231- 292، فكري أحمد : عوامل دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، القاهرة 1979، ص- ص 1- 7.

2– محمد حمزة اسماعيل الحداد : المجمل في الآثار و الحضارة الإسلامية، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006، ص485.

3– الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، مطبعة القاهرة، ط2، 1990، ص- ص 25- 26.

- العمارة الجنائزية: و تشمل المدافن و الترب و القباب و المشاهد و العتبات المقدسة، سواء كانت منفردة بذاتها، أو ملحقة بغيرها من العمائر الدينية غالبا و المدنية و الحربية أحيانا[1].

- العمارة المدنية:تشتمل على عدة أنواع من عمائر خيرية و صحية و سكنية و تجارية و غيرها.

أما العمارة الحربية فتشمل القلاع و الحصون و القصبات و ما يربط بها من أسوار و بوابات وأبراج و مرافق أخرى متعددة[2].

و في كتب الرحالة[3]، وردت عدة مصطلحات، منها ما تعلق بالمدن الإسلامية و مرافقها المختلفة، و منها:الخطط، المحلات، الرحاب، الدروب، الشوارع، المربعات، الأزقة، المقابر، القرافة، المصليات، و غيرها من المصطلحات، كما وردت مصطلحات تتعلق بالعمارة الحربية، منها:الرباط، القلعة، الحصن، القصبة، المحرس، المرقب، الحصار، الخندق، البرج، السور[4]، و أخرى خاصة بالعمارة الدينية مثل المسجد، الجامع، الزاوية، المدرسة، الساحة، المئذنة، المقصورة، وغير ذلك، و أيضا مصطلحات خاصة بالعمارة المدنية، و منها:الدار، البيت، القصر، الديوان، الرواق، الجناح، المقصورة، الميزاب، القبة، و غيرها[5]، كما وردت مصطلحات تتعلق بالعناصر المعمارية ومواد البناء و الزخرفة مثل، العمود، القوس، القنطرة، الركن الأسطوان، الآجر، الطوب، الحجر، الرخام، و غيرها من المصطلحات، علما أن هذه المصطلحات كانت متطابقة ومتشابهة مع مثيلتها

1- محمد حمزة اسماعيل الحداد : المجمل في الآثار و الحضارة، المرجع السابق، ص488.

2- نفسه، ص نفسها، أما قبة الصخرة فكان بناؤها نموذجا معماريا نادرا في العمارة الإسلامية عامة، و في بلاد الشام خاصة، للمزيد عنها ينظر، بدر محمد عباس : قبة الصخرة، ضمن كتاب دراسات في الآثار الإعلامية، مطبعة القاهرة، 1979، ص- ص 75- 82، فان برشم، مارجريت، واوري، سولانج:القدس الإسلامية في أعمال ماكس برشم، ترجمة عطى الله دهينة و آخرين، دمشق، 1994، ص41، و ينظر أيضا، عبده عبد الله كامل:الأمويون و آثارهم المعمارية، مطبعة القاهرة، 2003، ص54.

3- هم كثيرون منهم : القلصادي- رحلة القلصادي/الحسن الوزان:وصف افريقية/الورثيلاني:الرحلة الورثيلانية/ابن بطوطة: الرحلة/ابن جبير:الرحلة/المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب/المقديسي:أحسن التقاسيم/المقريزي:الخطط المقريزية، و غيرهم كثير.

4- محمد حمزة اسماعيل الحداد : المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2001، ص18.

5- نفسه، ص19.

التي وردت في كتاب المؤرخين المعاصرين، كان هؤلاء الرحالة يشيرون إلى المصطلح المتداول والشائع في بلدانهم، و ما يقابله في البلدان الأخرى التي يزورونها، مما سهل توحيد هذه المصطلحات بين الأقطار العربية و الإسلامية، و مثالا على ذلك، ما أورده المقديسي عند حديثه عن أبنية غزنين[1] بقوله:"و بنيانهم عامته خشب، فيه شيء يقال له "غشك" يشبه فسيفساء مصر"[2].فالمقديسي يضيف مصطلحا جديدا غير معروف بين جمهرة الأثاريين و هو "غشك" أو فسيفساء، حيث توجد دولة أفغانستان كمرادف لمصطلح الفسيفساء و الذي كان متداولا في مصر و الحجاز و الشام و غيرهما من أقطار المشرق الإسلامي[3]، و هنالك مرادف آخر لهذين المصطلحين، كان شائعا في المغرب الإسلامي و هو "الفص المذهب"[4]، أو المفصص المعروف في المشرق بالفسيفساء[5]، و منه ما أورده ابن بطوطة عند حديثه عن مدينة النجف بقوله:"و حيطانها بالقشاني، و هو شبه الزليج عندنا، لكنه لونه أشرق و شكله أحسن"[6]، و قد عرف أحيانا باسم القيشاني أو الكاشن (القاشي) و هو ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه[7]، أي أن مصطلح القشاني يرادف مصطلح الزليج في المغرب، و من قول ابن بطوطة عن مصر"و أما الزوايا في مصر فهي كثيرة، و هم يسمونها الخوانق واحدها خانقة، و الأمراء في مصر يتنافسون في بناء الزوايا..."[8]،

1- غزنين : وصفها المقديسي بأنها:"قصبة ليست بالكبيرة، إلا أنها رحبة منعمة رفيعة الأسعار، كثيرة اللحوم، طيبة الفواكه مع كثرتها، و لها مدن جليلة، و المعايش بها حسنة، و هي أحد فرض خراسان و خزائن السند"، ينظر، المقديسي:أحسن التقاسيم، بيروت، 1987، ص239.

2- نفسه، ص239.

3- محمد حمزة اسماعيل الحداد : المدخل، المرجع السابق، ص23.

4- ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تقديم محمد سويدي، الجزائر، 1989، ص63.

5- المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1998، ص- ص 69- 70.

6- ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 119.

7- ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995، ص296.

8- ابن بطوطة : المصدر السابق، ص33.

أي أن مصطلح الخانقات بمصر يرادفه مصطلح الزاوية بالمغرب، و الذي كان يعرف أيضا بالرباط[1] قبل القرن 6هـ/12م.و بخصوص مواد البناء، أورد ياقوت الحموي عن الآجر بقوله"و هو بلغة أهل مصر "الطوب" و بلغة أهل الشام "القرميد""[2]، كما عرف الآجر عند العراقيين بـ"الطابوق"[3].

و ذكر المقديسي اختلافا في مسميات المنشآت التجارية، فذكر مثلا، فندق، خان، دار التجار[4]، و يقول ابن بطوطة:"و بكل مرحلة، و منها فندق، و هم يسمونه الخان، ينزله المسافرون بدوابهم، و بخارج كل خان ساقية للسبيل و حانوت يشتري منه المسافر ما يحتاج إليه لنفسه ولدابته[5]، أي أن مصطلح الفندق الذي ما زال متداولا في المغرب، يرادفه في مصر لفظ الخان، حيث زارها ابن بطوطة عام 726هـ/1325م.

و بعد هذا الوصف للعمارة و مصطلحاتها و مقارنتها مع مصطلحي الحضارة والعمران، نستنتج أن العمارة هي الجانب التطبيقي و العلمي و الفني للعمران البشري والذي ينتهي بمظهر من مظاهر الحضارة الإنسانية، فمن خلال العمارة و منجزاتها و فنونها، نتعرف على درجة و مستوى ما حققته و توصلت إليه في مسيرة حضارتها.

4 - مـــفــهـــوم الثــقـــافـــة:

مصطلح الثقافة له دلالات متعددة، و لاستنتاج مفهوم شامل يجب علينا معرفة مفهومها اللغوي و الإصطلاحي:

1- الرباط: الحصن أو المكان الذي يرابط فيه الجيش، و الأنسب كلمة رباطات، و هي المعاهد الدينية و الموقوفة للفقراء، ينظر، ابن خلدون:المقدمة المصدر السابق، ص442.

2- ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج1، ص51.

3- عباس التميمي:الطابوق، صناعته و أشكاله في العراق، مجلة سومر، العدد1 – 2، بغداد، 1982، ص- ص 276-283

4- المقديسي : المصدر السابق، ص39.

5- ابن بطوطة : المصدر السابق، ص43.

أ – لــــغــة:

الثقافة من الثقف الذي له عدة معان في لغة العرب، فقد وردت بمعنى الحذق[1].و يقال ثقف الشيء بمعنى أسرع في التعلم، أي فهم العلم في وقت سريع[2]، كما تعني أيضا وجود الشيء والعثور عليه، و هذا ما تعبر عنه الآيتان الكريمتان:﴿ **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** ﴾[3]،﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا** ﴾[4].

و تعني أيضا تسوية الشيء و تقويم اعوجاجه، كما تستعمل بمعنى التأديب و التهذيب[5]، وهناك من عرفها بمعنى الحبس و القيد، حيث قال ابن العربي:"و هو (الثقف) عندي بمعنى الحبس"[6]، و قال الدباغ:"و لما سرح عقبة من ثقافه و توجه إلى الشام..."[7].

ب – اصــطــلاحــا:

تطور مفهوم الثقافة عبر التاريخ، و لعل أول من استعمل المصطلح هم الألمان (Kultur) و تعني عندهم الحضارة، و أخذ اللفظ من كلمة (Cultura) في اللغة اللاتينية بالقرون الوسطى، وتعني اصلاح الشيء و تهذيبه و إعداده للإستعمال، و من هنا قالوا (Agri- culture)[8] أي اصلاح الأرض و زراعتها، و الشبه بين الفلاحة و الثقافة هو أن الفلاحة تصلح الأرض و تنميها

1- عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص438.

2- مالك ابن نبي : مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة و النشر، دمشق، 1984، ص19.

3- سورة البقرة : الآية191.

4- سورة آل عمران، الآية 112.

5- محمد بن عبد الكريم الجزائري : المرجع السابق، ص10.

6- محمد بن العربي : أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، ج2، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1957، ص86.

7- الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، ج1، تحقيق، محمد ماضور، و محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة، القاهرة، تونس، 1972، ص 41.

8- سليمان الخطيب : أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،د.ت، ص25، و ينظر أيضا الموقع الإلكتروني السابق: http//fr.wikipedia.org/wiki/civilisation

مثلما تهذب الثقافة العقل،أي اصلاح الشيء و تهذيبه و استغلاله[1]، حيث استعملت في الأدب اللاتيني المسيحي بمعنى تهذيب الروح و العقل.

و لعل أشهر االتعاريف المتداولة هو تعريف ادوارد تايلور، أحد رواد النظرية التطورية في الأنتروبولوجيا، حيث قدم في كتابه "الثقافة البدائية" عام 1871م تعريفا للثقافة:"هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعارف، و العقائد و الفنون، و الأخلاق و القوانين و العادات، و أية قدرات و خصال يكتسبها الإنسان، نتيجة وجوده كعضو في المجتمع"[2]. و من هنا نستنتج أن الثقافة مرتبطة بوجود الإنسان أو لا وجوده[3]، بحيث أدرج تايلور في تصوره للثقافة جميع أنشطة الإنسان، مما جعل البعض يعرفها بهذه الصيغة:"الثقافة هي طريقة عيش الجماعة"[4].

إن هذه الرؤيا هي وليدة مناخ فكري و حضاري غربي محض مما دفع أحد كبار المفكرين في العالم العربي و هو الجزائري مالك بن نبي إلى وضع كتاب أسماه "مشكلة الثقافة"، جاء فيه تعريف عام و شامل بقوله:"هي الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين و سلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في مجتمع آخر"[5].فالثقافة إذن هي كل ما يميز الإنسان عن غيره و يجعله مخلوقا بشريا، و هي كذلك ما يميز شعبا عن الشعوب الأخرى، لهذا استبعد العلماء و منهم "كلود ليفي شتراوس" أن يكون شعب ما بلا ثقافة، و لكن ما يحدث هو أن يتعرض للغزو فيصبح بدون ثقافة أصلية، و هذا ما حدث لكثير من الشعوب كالهنود الحمر في

1- محمد عليلي : الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين2- 3هـ/8- 9م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007- 2008، ص3.

2- مجموعة من الكتاب : نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الضاوي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1997، ص9، و ينظر أيضا: Taylor Edouard :primitive culture , ed ,John Murray,London,1971,p1.

3- علي كبريت : المرجع السابق، ص28.

4- ر.بودون و ف.بوريكو : المعجم النقدي لعلم الإجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1986، ص486.

5- مالك بن نبي : تأملات، دار الفكر للطباعة و النشر، ط5، دمشق، سوريا، 1991، ص147.

أمريكا الشمالية، الذين أجبرهم الغزو العسكري الأنجلو سكسوني في الشمال، و الإسباني والبرتغالي في الجنوب على اعتناق المسيحية و حمل أسماء اسبانية.

بعدما ذكرنا مفهوم الثقافة عند العرب و الغرب فهي تعني في أوسع معانيها الإنسان نفسه، أو جوهر الإنسان، أو خلاصة نفس الإنسان، فهي داخلة في كل ما يتصل به الإنسان، فكريا وجسميا و أخلاقيا، و في هذا المعنى الواسع تشمل الثقافة كل ما يقوم به الإنسان من مجهود في سبيل تحسين حياته، و كسب خبرات و مهارات و معارف تجعل منه مخلوقا مثقفا.فالثقافة إذن هي أسلوب الشعب في الحياة، و الأسلوب هو الذي يميز الإنسان عن غيره، و هنا يقول الناقد الفرنسي"سانت بيف":"إن الإنسان هو الأسلوب" فلا عبرة بمكان و لا فرق بين جيل و آخر، فالإنسان هو الإنسان، و الحسن هو الحسن و القبيح هو القبيح[1].

5 – مـــفـهـــوم الفـكــــر:

مما لا شك فيه أن كل حضارة ثمرة للفكر الإنساني الذي لا يمكن أن ينضب في تجدده وإبداعه، و ما الإنحطاط الحضاري إلا نتيجة إنحطاط ذلك الفكر[2]، و له مفهومان لغوي واصطلاحي:

أ – لــــغــــة:

معناه لغويا، أعمال الخاطر في الشيء، يقال رجل فكير أي كثير الفكر أو كثير التفكر والتأمل[2]. استعمال العقل لإدراك العلوم و المعارف، و قد اختلف العلماء في تحديد العقل و مكانه في الإنسان، لكن الصواب و ما له دلائله في السنة و القرآن، هو أن العقل نور إلهي في القلب يهدي إلى التفكر و التأمل و التفريق بين الحق و الباطل.

كما وصف رب العزة عز و جل القلوب بالعقل في الآية الكريمة:﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا** ﴾[3].و بما أن العقل متفاوت بين الأشخاص، غريزة

1- محمد بن عبد الكريم : المرجع السابق، ص20.

2- ابن منظور : المصدر السابق، المجلد2، ص1120.

3- سورة الحج : الآية 46.

واكتسابا، فإنه تعذر على الناس أن يتساووا في إدراك المعارف و العلوم، و هذا ما نستنتجه من قوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[1]، أي إنما يعلم الفرق بين هذا و ذاك من له لب و هو العقل[2].

ب – اصــــطــــلاحــــا:

أما معناه الاصطلاحي، فنستخلصه من خلال ما جاء به ابن خلدون في مقدمته، فهو يقول:"أن الفكر تميز به البشر عن الحيوانات، و اهتدى به لتحصيل معاشه و التعاون عليه مع أبناء جنسه ، و النظر في معبوده، و ما جاء به الرسول من عنده، فصارت جميع الحيوانات في طاعته وملك قدرته، و فضله به على كثير من خلقه"[3]، ذلك أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانية م الحس و الحركة و الغذاء، و إنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به، ...فهو مفكر، لا يفتر عن الفكر طرفة عين، بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر، و عن هذا الفكر تنشأ العلوم والصنائع...يكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من إدراكات، فيرجع إلى من سبقه بعلم، أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه، فيتقن ذلك عنهم و يحرص على أخذه و علمه[4].لقد رد ابن خلدون على الفلاسفة السابقين الذين يعتبرون العقل بمثابة الميزان الصحيح لأن أحكامه لا كذب فيها[5]، بأنه لا ينكر ميزة العقل و فضله عند البشر، فهو يرى في العقل نعمة، و يرى له دورا هاما في الفكر الإنساني، و لكنه يحدد له مجاله وميدانه، فيقول:لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد و الآخرة و حقائق النبوة و حقائق الصفات اللإلهية، و كل ما وراء صوره، فإن ذلك طمع في محال، و مثال ذلك، مثال رجل رأى الميزان الذي نوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال[6]، فابن خلدون جعل للعقل ميدانا و للشرع ميدانا آخر، فلا يمكن للعقل أن يتستقل بمطلق المعرفة أو يصل إلى طريق الهداية دون أن يهتدي بنور

1– سورة الزمر : الآية 9.

2– ابن كثير : تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، ص44.

3– عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر، بيروت، 2003، ص329، و ينظر أيضا المقدمة:المصدر السابق، ص437.

4– عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص437.

5– الصغير بن عمار : المرجع السابق، ص– ص 17– 18.

6– عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص439.

الشرع، بل هو عاجز أن يتمكن من الحقيقة، لا سيما حقيقة ما وراء الطبيعة إذا لم يستعن بوحي الله الذي هدى، قال تعالى:﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].لقد فصل ابن خلدون بين تفكيرين أو بين علمين هما:العلوم العقلية، وأداة تحصيلها هي الحواس و العقل، أما العلوم النقلية، فسبيلها إلينا هو الوحي[2]، و هناك عرف الفكر الحكمة، و تتمثل هذه الحكمة مثلا في رأي سلمان الفارسي[3]، الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه و سلم بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، و بذلك سلم المسلمون.و يقول الله تعالى:﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[4]. ينقسم الفكر إلى ثلاثة مراتب و هي:

- الفكر العملي:و هو الذي يستعمله الإنسان للحصول على حاجاته اليومية، و هنا يقول ابن خلدون:"و منها السعي في المعاش والاعتمال في تحصيله و اكتساب أسبابه فهداه الله إلى التماسه و طلبه"[5] ، و قوله تعالى:

﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[6].

- الفكر الاجتماعي: و هو الذي يتلقاه الإنسان من المجتمع، و ينظم علاقات الفرد بالمجتمع على شكل قوانين أخلاقية و سلوكية.

- الفكر النظري:هو الذي يستعمله الفرد في الحصول على العلوم و يميز الإنسان عن الحيوان[7]،

1- سورة النحل : الآية78

2- الصغير بن عمار : المرجع السابق،ص- ص 15- 16.

3- سلمان الفارسي : صحابي جليل من ماجوس أصبهان، أسلم على يد الرسول صلى الله عليه و سلم و جعل أميرا على "المدائن"، فأقام بها إلى أن توفي سنة 36هـ/656م بعدما عمر طويلا رضي الله عنه، ينظر، محمد عبد الكريم:المرجع السابق، ص116

4- سورة البقرة : الآية 269.

5- عبد الرحمن بن خلدون : العبر، المصدر السابق، ص33، ابن خلدون:المقدمة، المصدر السابق،ص55.

6- سورة طه : الآية50.

7 - عبد الله شريط:الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص- ص 65- 67.

وهذا ما توضحه الآية الكريمة:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾[1].

إذن نستنتج أن الفكر صفة سامية ميز بها الله بني البشر عن سائر الكائنات الحية، و أكرمه بها و سخر له ما في الكون و هيأ له أسباب الحياة، فيقول جلت قدرته:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2].

7- مـفـهـوم الخـوارج:

عرف مصطلح الخوارج بتعريفات كثيرة نستعرض منها:

أ- لـغـة:

الخوارج:الحرورية، و الخارجية طائفة منهم، لازمهم هذا الإسم لخروجهم عن الناس، و في حديث ابن عباس أنه قال:"يتخارج الشريكان و أهل الميراث.

ب- اصـطـلاحـا:

عرف أهل الملل الخوارج بتعريفات منها ما بينه:

أبو الحسن الأشعري: بقوله:"و السبب الذي سموا له الخوارج، خروجهم عن علي[3] رضي الله عنه لما حكم"[4].

---

1 - سورة الأعراف : الآية179.

2 - سورة الإسراء : الآية70.

3- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن رابع الخلفاء الراشدين، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم و صهره، ولد بمكة سنة 23 ق هـ/600م، توفي سنة 40هـ/661م، ينظر النسائي : خصائص من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، تحقيق، أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المحلا، الكويت، 1986، ص140، و ينظر أيضا، اليعقوبي: البلدان، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص- ص 104- 105، قال عنه الرسول صلى الله عليه و سلم(أنت مني و أنا منك)، البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص1357، البخاري: فضائل الصحابة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق خالد عبد الفتاح شبل، الشركة العلمية للكتاب، بيروت، ط1، 1990، ص140.

4- أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، الجزء1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص207، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، خليل مأمون شيحة، ج1، دار معرفة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص19.

ابن حزم: بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، و شاركهم في معتقدهم حيث قال:"و من وافق الخوارج من إنكار التحكيم و تكفير أصحاب الكبائر و القول بالخروج على أئمة الجور، و أن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، و أن الإمامة جائزة في غير قريش، فهو خارجي و إن خالفهم، فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون و خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجا"[1].

أما الشهرستاني:فقد عرف الخوارج بتعريف عام حيث قال:"كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجيا، سواء كان هذا الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين بإحسان و الأئمة في كل زمان..."[2].

ابن حجر:يعرفهم قائلا:"و الخوارج هم الذين أنكروا على علي كرم الله وجهه التحكيم و تبرؤوا منه، و من عثمان و ذريته و قاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة[3].و في تعريف آخر قال:أما الخوارج فهم جماعة خارجة أي طائفة، و هم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين[4].

أما أبو الحسن الملطي:فيرى أن أول الخوارج المحكمة الذين ينادون (لا حكم إلا لله) و يقولون: (علي كفر) فرقة الخوارج سمية خوارج لخروجهم على علي رضي الله عنه يوم الحكمين حين

1-ابن حزم الأندلسي : الفصل في الملل و الأهواء و النحل، الجزء2، المطبعة الأدبية، مصر، 1320هـ، ص113.

2- الشهرستاني : الملل و النحل، المجلد1، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1980، ص114، المبرد :ا لكامل، ج3، علق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم، دار النهضة، مصر للطبع و النشر، د.ت، ص76.

3- ابن حجر العسقلاني : هدى الساري في مقدمة فتح الباري، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، د.ت، ص459، ينظر أيضا، ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ص1087.

4- ابن حجر العسقلاي : فتح الباري، ج2، المطبعة السلفية، ط2، القاهرة، د.ت، ص83.

كرهوا التحكيم و قالوا: (لا حكم إلا لله)[1].و هناك من قال:"الخوارج هم الذين يكفرون بالمعاصي، و يخرجون على أئمة الجور"[2].

و للخوارج ألقاب أخرى عرفوا بها، و من تلك الألقاب:الحرورية- الشراة- المحكمة- المارقة، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة، فغنهم ينكرون أن يكونوا مارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية[3].

ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه[4] باحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة[5]، ظلما و عدوان، و سميت تلك الفتنة بالفتنة الأولى[6]، و قال شارح الطحاوية:"الخوارج و الشيعة حدثوا في الفتنة الأولى"[7]، و قد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه و قتلوه، اسم الخوارج حيث قال:"وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال و كان فيه شيء كثير جدا[8].

1- أبو الحسن الملطي : التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع، مكتبة المثنى، بغداد، 1968، ص47، الشهرستاني:المصدر السابق،ص- ص 114- 138، علي جفال : الخوارج، تاريخهم و أدبهم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990، ص20.

2- ناصر العقل، الخوارج، دار الوطن، الرياض، ط1، 1995، ص28.

3- الخوارج سموا أولا بالمحكمة لقولهم عندما اعترضوا على التحكيم :(لا حكم إلا لله)، كما سموا أيضا بالحرورية نسبة إلى حروراء، و هي قرية قرب الكوفة خرجوا إليها أول الأمر، و من أسمائهم أيضا الشراة لقولهم:"شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة"، أما الإسم الذي غلب عليهم، فهو الخوارج لخروجهم على علي كرم الله وجهه، ينظر، أبو الحسن الأشعري: المصدر السابق، ج1، ص207، علي محمد الصلابي:فكر الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة و الجماعة، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، ط1، الفسطاط، 2005، ص14.

4 - عثمان بن عفان: يكنى بأبي عبد الله، و هو ذو النورين و أمير المؤمنين، أسلم في أول الإسلام و كان يقول:"إني لرابع أربعة في الإسلام"، ابن الأثير: أسد الغابة، المصدر السابق، ص215، قال النبي صلى الله عليه و سلم:"من يحفر بئر رومة فله الجنة، فحفرها عثمان، و من جهز جيش العسرة فجهزه عثمان"، البخاري:المصدر السابق، ج3، ص1352.

5- المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق مصطفى السيد بن أبي ليلى، ج2، المكتبة التوفيقية، د.ت، ص314.

6- ناصر علي عائض : عقيدة أهل السنة و الجماعة في الصحابة الكرام، ج3، مكتبة الرشد، ط1، 1999، ص1141.

7- محمد بن علي الأذرعي : شرح العقيدة الطحاوية، أخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1391هـ، ص67.

8- ابن كثير : البداية و النهاية، دار الريام، ط1، 1988، ج7، ص202

إن مصطلح الخوارج لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي و آراؤها الخاصة، أحدثت أثرا فكريا عقائديا واضحا بعكس ما سبقها من حالات[1].

إن ما يهمنا في هذه الدراسة ليس مفهوم مصطلح الخوارج و بداية ظهورهم بقدر ما يهمنا كيفية وصولهم إلى المغرب و نشر أفكارهم و تأسيسهم كيانات سياسية خاصة بهم.فكيف تم لهم ذلك؟و ما هي أفكارهم و آراؤهم؟

يعود ظهور الخوارج إلى أخطر شقاق في الإسلام، عقب معركة صفين[2]، التي دارت رحاها على شاطئ الفرات سنة 37هـ/657م[3]، بين الإمام علي كرم الله وجهه، و معاوية بن أبي سفيان[4] رضي الله عنه، توقفت الحرب بسبب رفع جيش معاوية للمصاحف مناديا بتحكيم كتاب الله تعالى[5]، هذه الحادثة كانت سببا في انقسام صف علي كرم الله وجهه إلى مناصرين له وهم الشيعة، و رافدين للتحكيم و هم الخوارج الذين اعتزلوا عليًا، و بقوا أعداءا لمعاوية و أتباعه من الشاميين[6]، و نادوا بشعارهم "لا حكم إلا لله"ن و قد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد

1- علي محمد الصلابي : المرجع السابق، ص16.

2- صفين:موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجهة الغربية بين الرقة و بالس، ينظر، الطبري:تاريخ الأمم و الملوك، الجزء 6، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، د.ت، ص330، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ص190،
Amar Dhina : Grands tournants de l'histoire de l'Islam de La Barbar a l'attaque d'Alger par Charles Quint , 2eme edition , societe national d'edition et de diffusion , Alger , 1982 , p , 48 – 50

3- محمد بن عميرة :دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص47، أبو زكرياء يحيى : سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص1و أيضا:
Robert Mantrant : L'expansion Musulmane vll-xl siecle , presses universitaires de France , 1ere edition , p116 .

4 - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة و تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص120.

5- قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج : الظروف السياسية لنشأة الفرقة الإباضية، المطبعة العربية، غرداية، 1998، ص9.

6- سليمان داود بن يوسف : الخوارج هم أنصار الإمام علي، ج1، مكتبة البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، 1983، ص92.

الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الحرورية لما خرجت و هو مع علي كرم الله وجهه قالوا لا حكم إلا لله، رد عليهم بقوله:"كلمة حق أريد بها باطل"[1].

لقد كان أمير المؤمنين علي حريصا على إرجاعهم إلى جماعة المسلمين حيث أبدى كثيرا من الحلم و سعة الصدر، حتى أنه بعث عبد الله بن عباس إليهم لمناظرتهم حيث استجاب له حوالي ألفين منهم، ثم خرج هو بنفسه لمناظرة بقية الخوارج[2]، لكن دون جدوى، حيث انفصل الخوارج في جماعة كبيرة قدر عددها ابن الكثير بثمانية آلاف[3]،و ولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي[4]، الذي خطبهم خطبة بليغة، زهدهم في الدنيا و رغبهم في الآخرة و الجنة ، و حثهم على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و يذكر ابن كثير، أنه لما عرض الخوارج الإمارة على عبد الله بن وهب الراسبي، قبلها و قال:"أما و الله لا أقبلها رغبة في الدنيا، و لا أدعها فرقا من الموت"[5]، و من اسمه أخذت الطائفة تسمية الوهبية، و انسحبوا بعد ذلك إلى قرية الحروراء و منها أخذ الخوارج إسم الحرورية[6].

و لما اشتدت شوكتهم، و ذلك بالتحاق الكثير من أتباع علي كرم الله وجهه، والتحاقهم بجيش عبد الله بن وهب الراسبي، الذي احتل موقعا استراتيجيا على الضفة اليسرى لنهر دجلة، على طول ترعة نهروان[7]، و نتيجة لشعورهم بالقوة، أخذت حركتهم تزداد تطرفا و تعصبا،

1- معناها :أن الكلمة أصلها صدق لقوله تعالى:"إن الحكم إلا لله"[سورة يوسف، الآية40]، لكنهم أرادوا بها الإنكار على علي في تحكيمه، ينظر، الإمام مسلم:صحيح مسلم، بشرح النووي، المطبعة المصرية الأهرام، ط1، 1929، ج7، ص 173.

2- النسائي : المصدر السابق، ص200، علي محمد الصلابي:المرجع السابق، ص- ص 24- 25.

3- ابن الكثير : البداية و النهاية، المصدر السابق، ج7، ص- ص 280- 281.

4- عبد الله بن وهب الراسبي بن يدعان بن مالك، من قبيلة الأزد، كان من أنصار علي كرم الله وجهه في معركة صفين ثم أنكر التحكيم، بايعه المحكمة سنة 37هـ/ 657 م، قتله بن الخطاب الأرحبي و زياد بن حفص في معركة النهروان، ينظر فرحات الجعبري : البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، نشر جمعية التراث، القرارة، 1987، ص47، بلحاج معروف: العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2002، هامش ص23.

5- ابن الكثير : البداية و النهاية، المصدر السابق، ج7، ص312.

6- الحروراء: هي كورة واسعة بين بغداد و واسط غير بعيد من الكوفة، ينظر، ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج3، دار صادر بيروت، لبنان، 1995، ص- ص 316-317.

7- نهروان : مدينة صغيرة ببغداد "العراق" ، لها نهر جليل تجري فيه المراكب العظام، ينبعث من جبال أرمينيا بالجانب الغربي، بها مسجد جامع، و في الجانب الشرقي مسجد جامع أيضا و أسواق كثيرة، ينظر، محمد بن المنعم الحميري:الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، ط1، بيروت، 1990، ص740،=

و اتصف عندهم بالكفر و الردة كل من لا يرى رأيهم[1]، و لا يتبرأ من علي و عثمان رضي الله عنهما[2]، و لم يتورعوا عن قتل الصحابة و النساء كقتلهم عبد الله بن خباب[3]، و بالرغم مما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم فأجابوه:"كلنا قتلة"[4].

و عقب ذلك و في 9 من سفر 38هـ/658م، كانت موقعة النهروان، حيث هزمهم علي كرم الله وجهه، و قتل عبد الله بن وهب الراسبي وعدد كبير من أصحابه . فتفرق بعد ذلك الخوارج وقرروا قتل علي وعثمان وعمر بن العاص رضي الله عنهم، و فعلا كان لهم ذلك بقتل الأول سنة 40هـ/661م[5].

استمرت حركة الخوارج في مهاجمة الدولة الجديدة في الكوفة و البصرة، لكنها باءت بالفشل لهزيمتهم و قتل زعيمهم الثاني أبو بلال[6]، و ذلك سنة 61هـ/680م.

و بينما كان تعليم الناس دينهم الجديد يجري في المناطق الخاضعة فعلا لسلطة الدولة الأموية بصورة طبيعية، مع الإلحاح على ضرورة طاعة أولي الأمر، أي الخلفاء الأمويين و عمالهم بعد ثبوت شرعية تعينهم، فإن دعاة الفرق المعادية لهم كانوا يتوغلون في المناطق التي لم تكن خاضعة لهم، و ينشرون

=اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص44.

1- ابن حجر : فتح الباري، المصدر السابق، ج12، ص301، حيث يقول:"إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم، و تركوا أهل الذمة".

2- الشهرستاني : المصدر السابق،ج1، ص117.

3- ابن أبي شيبة : المصنف في الأحاديث و الآثار، طبع الدار السلفية، ط1، بومباي، الهند، 1403هـ، ج15،ص- ص 310- 311.

4- نفسه، ج15، ص- ص 308- 309.

5- محمد بن عميرة : المرجع السابق، ص84، ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد 1، ص1086.

6- أبو بلال مرداس بن حدير التميمي:شهد صفين و أنكر التحكيم، و شارك في معركة نهروان، ثم سجنه بن زياد، و لما أطلق سراحه، خرج في ثلاثين رجلا، استطاعوا أن يهزموا أسلم بن زرعة الذي أرسله إليهم بن زياد في ألفي رجل، لكن هذا الأخير بعث إليهم عباد بن الأخضر في أربعة آلاف، فهزمهم و قتل أبو بلال، ينظر، المبرد:الكامل، ج3، دار نهضة مصر،د.ت ، ص217، فرحات الجعبري:المرجع السابق، ص49، و ينظر أيضا: Chikh Bekri : Le Royaume Rostemide, Le premier etat Algerien , Edition, ENAG, Alger, 2005, p60 .

فيها تعاليم الإسلام، مع شرح نظريتهم السياسية و إثبات شرعيتهم للأمويين، و كانت الأسبقية في ذلك بالمغرب للخوارج الصفرية الذين قدموا إليه في أوائل القرن الثاني الهجري[1].

و كانت الأوضاع السياسية آنذاك في سائر العالم الإسلامي تمتاز بتزايد سخط الشعوب المفتوحة على ولاة بني أمية، و السياسة الجائرة التي سرى عليه الخلفاء قد جعلتهم في نظر كثير من أتقياء المسلمين منحرفين عن تعاليم الإسلام و مبادئه القائمة على العدل و المساواة و الشورى، فقد استبدوا بالخلافة و لم يطبقوا النظام الشوري في اختيار الخلفاء و حادوا عن الإنصاف الذي نادى به الإسلام و الذي يقوم على إنفاق مال الدولة في مصالح المسلمين، حيث أصبحت الأموال في العصر الأموي تنفق على الشهوات و الثروات[2].

و نتيجة لهذا، شعر زعماء الأحزاب المناهضة لبني أمية من شيعة و خوارج بتدهور الأوضاع في مختلف الأنحاء، فراحوا يبثون دعوتهم فيها، و يألبون شعوبها ضد بني أمية، في هذا الإطار تندرج دعوة الخوارج في المغرب، و قد لقيت هذه الدعوة ميدانا خصبا في مناطق عدة من المغرب.

و ترجع بداية ظهور حركة الخوارج في المغرب إلى أواخر القرن الأول و بداية القرن الثاني للهجرة، حيث انتقل من المشرق بواسطة الخوارج الهاربين من قمع الأمويين، و منهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، الداعية الإباضي اليمني الأصل[3]، و يقول بوزيان الدراجي:"أنه كان من أولئك الخوارج أيضا من كان مندسا في صفوف جيوش الخلافة الزاحفة إلى بلاد المغرب،

1- رشيد بورويبة و آخرون :الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ج3، ص62.

2- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تارخية و عمرانية و أثرية، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص533.

3- ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق و تعليق محمد الناصر و ابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986، ص57، الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص22، ألفرد بل:الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص170، ذكره القيرواني بعبد العالي، القيرواني:المصدر السابق، ص141.

و منهم عكاشة بن أيوب الفزازي الذي كان ضمن جيش عبيد الله بن الحبحاب"[1]، إضافة إلى دور عكرم[2] بن عبد الله مولى بن عباس، حيث تذكر المصادر الإباضية أنه قدم من أرض البصرة و معه سلمة بن سعيد على بعير واحد، فسلمة يدعو إلى مذهب الإباضية، و عكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية[3].و مما ساعد على انتشار مذهب الخوارج في المغرب، تقارب نظريته في مسألة الإمامة المبنية على مبدأ الاختيار و نظام تعيين أشياخ القبائل فيه.أضف إلى ذلك شروع ولاة بني أمية في تنفيذ مشروع توظيف الخراج على الرعايا المسلمين عن مبدأ المساواة بين سائر الفئات.

بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز، فقد سببا سخط و غضب الأهالي، فكان لتحريض دعاة الخوارج صدى كبير خصوصا في جبل نفوسة[4]، و ناحية قابس[5]، و بعض الجهات في مناطق أوراس و في المغرب الأوسط و الأقصى، و كان ظهور حركتهم و بداية نشاطها على يد الصفرية. انقسم و تفرق الخوارج إلى عدة فرق و مذاهب[6]، نذكر منها:

1- يقول الرقيق القيرواني :(و كان صفريا يعبد الله و هو الذي قدم على طليعة أهل الشام مع عبيد الله ابن الحبحاب)، ينظر، الرقيق القيرواني:المصدر السابق، ص114، ابن الأثير:الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1979 ج4، ص223، بوزيانبي الدراجي:المرجع السابق، ص32.

2- قال المالكي :(دخل عكرمة إفريقية و أقام بالقيروان، و بث بها العلم، و كان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة)، ينظر، المالكي : المصدر السابق، ج1، ص146، و ذكره الشخرستاني بين رجال الخوارج دون أن يحدد أي فرقة منهم، ينظر، الشهرستاني : المصدر السابق، ج1، ص137، أما بن خلكان، فقال فيه:(و قد تكلم الناس فيه لأنه يرى رأي الخوارج)، ينظر، ابن خلكان:وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970، ج3، ص265.

3- الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص11، صالح باجية: الإباضية بالجريد، دار بو سلامة للطباعة و النشر و التوزيع، ونس، د.ت، ص- ص 24- 25، ابراهيم بحاز:الشخصيات لها تاريخ عبد الرحمن بن رستم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص11.

4- نفوسة : جبال في المغرب(ليبيا حاليا) ، و فيها منبران في مدينته، احدهما سروس في وسط الجبل، و بها خبز الشعير ألذ من كل طعام، و الأخرى يقال لها جادو من ناحية نفزاوة، ينظر، اليعقوبي:المصدر السابق، ص184.

5- مدينة بين طرابلس و صفاقس، ثم المهدية على ساحل البحر، و هي مدينة جليلة عامرة، حفت بها من نواحيها غابات جنات ملتفة و حدائق مصطفة و فواكه عامة رخيصة، و بها من التمر و الزروع و الضياع ما ليس بغيرها من البلاد، الإدرسي: المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق، حققه و نقله إلى الفرنسية، محمد بلحاج صادق، المؤسسة العامة للنشر والإشهار، حيدرة، الجزائر، 1983، ص141.

6- مبارك ميلي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ج2، ص56، يقول ابن=

- الأزارقة:

هم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي[1] الذين خرجوا معه من البصرة إلى الأهواز[2]، فغلبوا عليها و على كورها و ما وراءها من بلدان فارس، و كرمان في أيام عبد الله بن الزبير و قتلوا عماله بهذه النواحي، و كان معه أمراء من الخوارج[3]، ثم بايعوا بعد موت نافع قطري بن الفجاءة المازني و سموه أمير المؤمنين[4].

و تتلخص آراءهم في:- كفروا عليا و المسلمين جميعا ما عدا الأزارقة.- غلوا في الحكم على مخالفيه و قضوا بتكفيرهم، فاستحلوا قتالهم و استحلوا قتل أطفالهم و شيوخهم[5].- رفضوا القعود أو التقية و كفروا المؤمن، و اعتبروا المناطق التي يمارسون فيها سلطتهم دار هجرة و باقي المناطق دار كفر[6].

- النجدية:

أصحاب نجدة بن عامر الحنفي[7]، و قيل عاصم خرج من اليمامة مع عسكره للحاق بالأزارقة، فاستقبله عطية بن الأسود الحنفي و أبو فديك و بايعوه و سموه أمير المؤمنين، ثم اختلفوا

=خلدون:(افترقت الخوارج على أربع فرق:الأزارقة، النجدية، الإباضية، الصفرية)، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1090.

1- هو أبو راشد نافع ابن الأزرق بن قيس بن نهار، أحد بني حنيفة، كان أول خروجه بالبصرة في عهد عبد الله بن الزبيرن وفي سنة 65 هـــ، أشتدت شوكته، فبعث إليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عيسى بن كريز بن ربيعة على رأس جيش كثيف، فقتل نافع في جمادى الأخيرة، ينظر، اليعقوبي:المصدر السابق، ص68، ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد1،ص1090.

2- الأهواز : جمع هوز، و أصله حوز، لكن الفرس غيروها إلى هوز، و كان اسمه أيام الفرس خوزستان و هو عشرة مواضع، ينظر، محمد بن عميرة:المرجع السابق، ص49.

3- منهم عطية بن الأسود الحنفي، عبد الله بن المحوز و اخواه عثمان و الزبير، عمر بن عميرة الغنبرين قطري بن الفجاءة المازني، عبيدة ابن هلال اليشكري و أخوه بن هلال صخر بن حبيب التميمي...في زهاء 30 ألف فارس ممن يرى رأيهم، ينظر ، الشهرستاني : المصدر السابق، ج1، ص96.

4- الشهرستاني : المصدر نفسه، ص- ص 95- 97.

5- عبد الرحمن بن خلدون : العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1090.

6- Laoust henri : Les schismes dans l'islam, edition payot, paris, 1965, p45.

7- نجدة بن عمر الحنفي : استولى على اليمامة و البحرين سنة66هـــ، و في سنة 69هـــ قتله أصحابه، ينظر البغدادي:الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2005، ص71.

عليه فكفره قوم منه لأمور نقموها عليه[1]. يرون أن إقامة إمام ليست واجبا شرعيا، بل هي واجب وجوبا مصلحيا بمعنى أنه إذا أمكن المسلمين أن يتواصوا بالحق فيما بينهم و ينفذوه، لم يكونوا بحاجة إلى إقامة إمام[2]، كما يرون أن الناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام، و قالوا: و من جوز العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر[3]، و هم يخالفون الأزارقة كلية و لا يكفرون مرتكب الذنب[4].

– **الصفرية**: تنسب إلى زياد بن الأصفر[5] أو عبد الله بن الصفار[6]، استعملوا كل الطرق لنشر آرائهم مثل التجارة و الرحلات، و كذا الدعوة باسم الدين، و هو ما يتفق مع مزاج البربر[7]، الذين اعتنقوا هذا المذهب لما فيه من مبادئ قائمة على المساواة. إن الصفرية أقرب في تعاليمها إلى الأزارقة، لكنهم خالفوهم في بعض المبادئ، فهم لم يكفروا القعدة عن القتال، و اعتمدوا على مبدأ التقية والكتمان[8]. بدأت الدعوة الصفرية من طرابلس ثم تحولت إلى ثورات نجحت في تأسيس إمارات منها: إمارة بني قرة اليفريني بتلمسان سنة 122-162هـ/740- 780م ، و إمارة سجلماسة سنة 140-366هـ/757- 976م[9].

– **الإباضية**: سنتطرق إليها بالتفصيل في الفصل الثالث.

إن هذه الآراء و الأفكار، و إن برزت فيها صفة التكامل و الشمولية بين هذه المفاهيم الفكرية والحضارية

1- الشهرستاني : المصدر السابق، ج1، ص99.

2- محمد أبو زهرة : المرجع السابق، ص71.

3- الشهرستاني : المصدر السابق، ج1، ص- ص 99- 100.

4- عبد الرحمن بن خلدون : العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1090، محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص71.

5- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية و الحركات الثورية و الفكرية خلالها، ج2، مكتبة النهضة الإسلامية، ط9، ص278.

6- الشهرستاني : المصدر السابق، ج1، ص134، يوجد اختلاف في سبب التسمية، فقد قيل أنهم سموا كذلك بسبب كثرة العبادة التي أنهكت وجوههم فجعلتها مصفرة، ينظر، المبرد: المصدر السابق، ج3، ص275

7- موسى لقبال : تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة للنشر و التوزيع، ط4، الجزائر، 2001، ص176.

8 – حنا فاخوري و خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص138، و ينظر أيضا:
Louis Gardet : Les hommes de L'islam, edition hachette, 1971, p213.

9 - ذكر البكري ان الشروع في بناء سجلماسة كان في 104هـ، و هذا لا يتطابق مع ما أجمعت عليه بقيت المصادر، لهذا الراجح يكون ما ورد في مصدره، تحريفا في النسخ أو خطأً مطبعيا لا غير، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص149، ابن خلدون : العبر، المجلد 2، ص2406، علي يحيى معمر: المرجع السابق، ص133.

و الثقافية، إلا أنها أظهرت لنا أن الحضارة و الفكر و الثقافة و الفكر و العمران و العمارة، ليست مدلولا واحدا، إنما تحمل عدة دلالات و مفاهيم مختلفة، فالحضارة أوسع و أعم من الفكر و العلم و الثقافة و العمران و العمارة، فهذه المفاهيم الأخيرة ما هي إلا عناصر و أجزاء من الحضارة، و مظاهر تطلعنا على درجة رقيها أو انحطاطها. كما نستنتج أن الفكر هو القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها قيام الحضارات، لأن المنجزات الحضارية في مختلف الميادين ما هي إلا انعكاس لإبداع الفكر البشري في صوره المادية و المعنوية، و بذلك يكون الفكر جزءا من الثقافة ثم الحضارة، و كذا العلم الذي يعبر عن مدى نمو هذا الفكر من خلال تنوع العلوم و المعارف النقلية و العقلية، و حتى الصنائع و العمران البشري عموما. فبقدر ما تكون هذه العلوم والصنائع و العمران مزدهرة، بقدر ما تكون الحضارة متطورة هي الأخرى.و بهذا الشكل تصبح العلاقة بين هذه المفاهيم علاقة تأثير و تأثر و تكامل، أما مصطلح الخوارج، خاصة الإباضية، فهو رأس موضوع هذه الدراسة، لأن وجود الخوارج بالمغرب هو ما أوجد الدولة الإباضية الأولى في المغرب الأوسط، و هي الدولة الرستمية، لهذا أوردنا هذا المصطلح، وما استعراضنا لهذه التعاريف و المفاهيم إلا بقصد استخلاص العلاقة بينها، حتى يسهل علينا تحديد مسار بحثنا بعيدا عن أي تداخل أو خلط في المفاهيم.و بما أن موضوعنا يتناول دراسة مدينة تيهرت الرستمية، دراسة تاريخية حضارية خلال القرنين 2- 3هـ/8- 9م، فإنه سينصب، حول جوانب متعددة، تاريخية و حضارية لن تخرج عن جوانب الحضارة العربية الإسلامية في شكلها العام.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية بالمغرب الإسلامي

خلال 2- 3هـ/ 8- 9م و قيام الدولة الرستمية

المبحث الأول:أحوال و أوضاع المغرب الأوسط العامة قبل قيام الدولة الرستمية

المبحث الثاني:تأسيس و نشأة الدولة الرستمية

المبحث الثالث:توطد دعائم الحكم في الدولة الرستمية و تطورها السياسي

المبحث الرابع:انهيار و سقوط الدولة الرستمية

المبحث الأول:أحوال و أوضاع المغرب الأوسط العامة قبل قيام الدولة الرستمية

أولا- الجغرافيا الطبيعية للمغرب الأوسط:

قامت مدينة تيهرت في المغرب الأوسط الذي يمثل جزءا من كلمة عامة هي المغرب[1]، كما سمي بإفريقية[2] التي كانت تعني ممتلكات قرطاجة[3] الفينيقية على الساحل التونسي، أطلقها العرب الفاتحون على بلاد المغرب، و بامتداد حركة الفتح الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي و منها إلى بلاد الأندلس[4] ، أصبح لفظ إفريقة غير كاف لتحديد هذا المجال الواسع الذي انطلق فيه المسلمون، ثم تطورت كلمة إفريقية و اتسعت لتشمل كل النطاق الساحلي

1- المغرب:يطلق لفظ المغرب على البلاد العربية الممتدة من الحدود المصرية الليبية إلى المحيط الأطلسي، و قد كان يدخل تحت هذا النطاق أيضا، صقلية أي جنوب إيطاليا، و البلاد الأندلسية بما فيها اسبانيا و البرتغال، و كل بقعة حلها المسلمون في أوروبا الغربية، ينظر، ابن عبد الحكم:فتوح افريقية و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص37، ابن أبي دينار:المؤنس في أخبار افريقية و تونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1957، ص20، ابن أبي عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، الطبعة2، 1980، ص5، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 342، و يراد به كما ذكر حسين مؤنس:"البلاد الإسلامية الواقعة من حدود برقة شرقا حتى ساحل المحيط اللأطلسي غربا"، حشين مؤنس: المغرب و الأندلس، مكتبة الأسرة، مصر 2003، ص24، أو كما عرفه عبد الله القيسي الغرناطي:"المغرب ضد المشرق على أحد التأويلات"، أبو عبد الله القيسي الغرناطي: تحفة الألباب، مخطوط، ورقة رقم3.

2- افريقية:أوسط بلاد المغرب، و عند أهل العلم تعني القيروان، و قيل سميت إفريقية لأنها فرقت بين المشرق و المغرب، أو باسم أهلها الأفارقة من ولد فاروق بن مصرايم أو نسبة إلى افريقش بن قيس بن صفي الحميري، ينظر، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص19، الحموي:معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، 1995، ص300، مؤلف مجهول: الاستبصار، ص111.

3- قرطاجة:بلد قديم في نواحي افريقيا، كانت مدينة شامخة عظيمة البناء، أسوارها من الرخام الأبيض، و على ساحل البحر بينها و بين تونس اثنا عشر ميلا، ياقوت الحموي:معجم البلدان، المصدر السابق، ج7، ص52، و قال بعضهم أنها بنيت في زمن داوود عليه السلام أو قبل ذلك بكثير، ينظر، ابن أبي دينار:المصدر السابق، ص22.

4- الأندلس:هي رقعة جغرافية دعاها اليونانيون هيسبيريا Hesperia و منها أتى مصطلح إيبريا، ثم دعاها الرومان هيسبانيا Hispania و منها أتى مصطلح إسبانيا أي إشبانيا عند العرب أو الأندلس، و تسمى أيضا جزيرة الأندلس لأنها عبارة عن شكل مثلث يحيط به البحر من جميع جهاته الثلاث، فجنوبها يطل على البحر المتوسط و شمالها و غربها يطل على المحيط الأطلسي، وحدها الشرقي جبال البيرينيه التي تفصلها عن أوروبا، أما عن إفريقية فيفصلها مضيق جبل طارق، ينظر، الإدريسي:المصدر السابق، ص-ص 255- 258، عبد الواحد المراكشي:المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2006، ص- ص 13- 14، ابن حوقل: المصدر السابق، ج1، ص62، القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص212، و قيل سميت بالأندلس نسبة إلى الأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح الذي نزلها، المقري:=

الذي يمتد من طرابلس[1] إلى طنجة [2] بل إلى سبتة [3].

و مع توسع الفتح الإسلامي، أخذ لفظ إفريقية يتقلص شيئا فشيئا، بينما أخذ لفظ المغرب في الظهور[4] و أصبح مدلول إفريقية يقتصر على الإقليم الذي يتوسطه القيروان[5].

و هناك من ربط لفظ المغرب بعصر الفتنة بين علي كرم الله وجهه و معاوية رضي الله عنه، أي منتصف القرن الأول الهجري، و كان يدل على الجزء الغربي من العالم الإسلامي الذي يتضمن الشام و مصر و ما اتصل بهما، في مقابل المشرق الذي يشمل العراق و إيران و ما جاورهما [6].و ما يؤكد هذه الحقيقة أن علي بن أبي طالب في رسالة أرسلها إلى ابن عباس في البصرة قال فيها:"قد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب"[7].

=المصدر السابق، ص123، و منهم من قال أنها سميت نسبة للويندال، فأطلقوا إسمهم عليها "فندالوسيا" و لما قدم المسلمون سموها الأندلس، القلقشندي: المصدر نفسه، ص211، شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، م1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص32.

1- طرابلس:من مدن إفريقية، تقع في أقصى شرقها على ساحل البحر، و منها تبدأ إفريقية، ينظر، الحميري:المصدر السابق، ص ، اطرابلس بالأعجمية الإفريقية ثلاثة مدن، و سماها اليونانيون طربليطة[طر= ثلاث و بليطة= مدينة] ، و يذكر أن أشاروس قيصر هو الذي بناها، و تسما أيضا مدينة أناس، ينظر، البكري:المصدر السابق، ص- ص 6- 7.

2- طنجة:مدينة بينها و بين سبتة مسيرة يوم واحد، و طنجة آخر حدود إفريقية من الغرب بينها و بين القيروان ألف ميل، ينظر، ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج4، ص43.

3 – سبتة:مدينة قديمة على بحر الزقاق من ناحية المغرب، و كان صاحبها أليان هو الذي أعان طارق بن زياد على دخول بلاد الأندلس، ابن أبي دينار:المصدر السابق، ص- ص 30- 31، و يقال أنه نزلها سبت بن طوبال بن يافث بن نوح و إليه نسبت، المقري: المصدر السابق، ص123، لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964، ج3، ص- ص 202- 203.

4- حسين مؤنس:فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،د.ت، ص2.

5- القيروان:إسم معرب، و هو بالفارسية كروان، و هي مدينة عظيمة بتونس، فتحها عقبة بن نافع سنة 60هـــ/ 279م، وكانت أول عاصمة أنشئت بالمغرب، ينظر، ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج4، ص346، و جاء في كتاب ابن أبي دينار:"قال بعضهم أن القيروان لا تخلو من السحب في غالب السنة...تنشأ السحابة بالقيروان و تمطر بصقلية"ن ينظر، ابن أبي دينار:المصدر السابق، ص19.

6- ابن الأثير:الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، د.ت، ج3، ص172، موسى لقبال: المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، طه، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981، ص14.

7- ابن الأثير: نفسه، ص نفسها.

و المغرب عند الكتاب الأوائل يبدأ مما يلي إفريقية غربا إلى سواحل المحيط الأطلسي، فقد ولي يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج ابن يوسف الثقفي إفريقية و المغرب، و هذا معناه أن المغرب غير إفريقية [1]، أي أنه كان يضم كل الأقاليم الواقعة بين مصر شرقا و المحيط الأطلسي غربا[2].

و قسمت بلاد المغرب جغرافيا إلى ثلاث أقاليم كبرى[3]، و مايهمنا في هذه الدراسة هو:

✓ – **المغرب الأوسط:** و يمتد من ملوية غربا إلى بجاية شرقا[4]، و ذكر ابن عذارى اسم بلاد الزاب [5]، و ذكر أنه يمتد من طرابلس شرقا إلى مدينة تمودة[6]، أو كما جعله أبو عبد الله القيسي الغرناطي في الصقع الثاني بقوله:"الصقع الثاني هو المغرب الأوسط وأوله تاهرت إلى سبتة إلى جبال درن"[7].

1- محمود شيت خطاب:قادة الفتح الإسلامي في المغرب العربي، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1966، ص14.

2- وديع أبو زيدون:تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة في قرطبة، دار الأهلية للنشر و التوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص43، كما كانت تضاف إليه الأندلس و مصر،

3 - و هي: المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، و المغرب الأقصى، و للمزيد، ينظر: ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص230، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص- ص 195- 196، أحمد بن أبي راس الناصر، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تقديم و تحقيق محمد غالم، ج1،منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية، وهران، د.ت، ص61.

4- نصر الله سعيدون:تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة20- 640هـ/788- 1492م، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص14.

5- الزاب:إسم يطلق على المنطقة التي تقع بين بسكرة و طولقة و توذر و قفصة و غيرها، كما يطلق على نهر كان يجري بين سجلماسة و تلمسان، و يوجد زاب أعلى و زاب أسفل، ينظر، ابن حوقل:صورة الأرض، دار صادر، ط2، بيروت، 1938، ص85، ابن عذارى:المصدر السابق، ص5، و يبتدئ الزاب من تخوم المسيلة و يمتد شرقا إلى إقليم الجريد بتونس و هو منطقة رملية شديدة الحرارة، حسن الوزان: وصف افريقية، ج2، ط2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص138.

6 – تمودة:إسم لقبيلة من البربر بناحية إفريقية، لهم ارض تعرف بهم، ينظر، ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج2، ص432

7 – أبو عبد الله القيسي الغرناطي: المصدر السابق، ورقة 4.

الطبيعية التي يتمتع بها المغرب الأوسط، وجدت تضاريس متنوعة بسط الرستميون نفوذهم عليها، بحيث تمتد من شمال المغرب الأوسط سلسلتان جبليتان متوازيتان تعرفان باسم:أطلس التل و أطلس الصحراء [1]، فتقسم شمال المغرب الأوسط إلى ثلاثة مناطق متباينة فيما بينها و هي:المنطقة الساحلية، وتكثر بها سهول ضيقة غنية و كثيرة السكان، و المنطقة التلية، و هي الوجه الجبلي من جبال الأطلس الذي يلي البحر، و هي أخصب جهات المغرب الأوسط و أغناها من حيث التربة و الغابات، و منها خرجت كثير من المحاصيل الزراعية و غيرها عن طريق الموانئ الرستمية إل بلاد الأندلس [2].و تقع المنطقة الثالثة بين سلسلتي جبال الأطلس التلي و الصحراوي، و هي منطقة لانتشار النجود والشطوط ، كما أنها فقيرة التربة و قليلة المياه، لذا فهي قليلة السكان، ضعيفة العمران [3].تمتد سلاسل جبال الأطلس الصحراوي بانحدار شديد نحو الصحراء و تمثل منابع لبعض المجاري المائية القصيرة، و التي بدورها تغذي عددا من واحات الصحراء[4]، فازدهرت في هذا الإقليم المراعي التي أمدت الدولة الرستمية بثورة رعوية كبيرة [5]، كما ساهمت هذه المناطق الجبلية في حماية الدولة الرستمية عند قيامها.أما من حيث مصادر المياه، فإن المغرب الأوسط لم يحظ بعدد كبير من الأنهار، فهي قليلة وصغيرة، و بعضها لا تكثر فيها المياه إلا في فصل الشتاء عندما تهطل الأمطار [6]، إلا أن هذه الأنهار عن قلتها كان لها أثر إيجابي في ازدهار العمران بالمغرب الأوسط و في الدولة الرستمية بصفة خاصة، حيث أسس عبد الرحمن بن رستم عاصمة دولته على نهر مينة [7].

1- ابراهيم أحمد العدوي:بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي و العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، 1970، ص11، محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص14، رضا كحيلة: المرجع السابق، ص16.

2- نفسه، ص نفسها.

3- مجهول، لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري:الاسبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958، ص133، ابن سعيد المغربي:كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1980، ص142.

4- محمد أحمد حسونة:أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1960، ص53.

5- البكري:المصدر السابق، ص- ص 15- 16.

6- سعد زغلول:المرجع السابق، ص14.

7- البكري:المصدر السابق، ص16.

و كان من أهم أنهار المغرب الأوسط:

أولا- نهر الشلف: و ينبع من الونشريس، و يصب في البحر المتوسط إلى الشرق من مدينة مستغانم[1].

ثانيا- نهر سيرات: و يجري هذا النهر قرب قلعة هوارة من الجهة الجنوبية، و يسقي هذا النهر فحص سيرات الذي يبلغ طوله نحو أربعين ميلا، و يقول البكري:"ليس منه شيء إلا يناله ماء هذا النهر، إلا أنه اليوم غامر عير عامر و لا آهل لان الخرب أجل أهله[2].

ثالثا- نهر مينه: و هذا النهر يأتي من جهة القبلة لمدينة تيهرت عاصمة الرستميين[3].

إلى جانب هذه الأنهار، هناك وديان صغيرة يأتيها الماء من العيون أو من قمم الجبال ومنها: نهر تاتش الذي اعتمد عليه أهل تيهرت في شربهم و ري بساتينهم، و نهر تامسن الذي ينبع من جبال من جبال في جنوب تنس، و عليه اعتمدت مزارع تنس التي اشتهرت بزراعة الحبوب، و منها القمح[4]. هذه الأنهار و الوديان و العيون هيأت الاستقرار للرستميين و ساعدتهم على قيام حياة زراعية هامة، كما مثلت مصدرا حيويا من مصادر رخاء الدولة الرستمية و ازدهارها اقتصاديا. و قد أدى تباين و تنوع عناصر السطح في المغرب الأوسط من سهول ساحلية و هضاب و جبال و صحارى إلى تنوع في عناصر المناخ من حرارة و رطوبة و كميات الأمطار، و هذا ما أثر بدوره في تعدد النشاط البشري في كل المغرب الأوسط[5]. فالمنطقة الساحلية ذات طقس معتدل لطيف في الشتاء، خفيف في الصيف، كثير الرطوبة، كما تشتد الحرارة في السهول المرتفعة الداخلية[6]، و في هتين المنطقتين تغزر

1- ذكره البكري في موضع آخر بوادي شلف و قيل هو من أهم أنهار بلاد المغرب، و لو لم يكن لتيهرت غير هذا النهر الكبير الغزير المياه لكفاها عمرانا إذ كان يفيض كما يفيض السيل و تزرع عليه أنواع الحبوب،ينظر، البكري:المصدر نفسه، ص69، ابن سعيد المغربي:المصدر السابق، ص114.

2- البكري: نفسه، ص- ص 69- 70، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج1، ص77.

3- البكري: نفسه، ص66.

4- سعد زغلول:المرجع السابق، ص19، ابن سعيد المغربي:المصدر السابق، ص142، كاتب مجهول مراكشي:المصدر السابق، ص133

5- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص17

6- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص- ص 172- 173.

الأمطار، فيشتغل السكان بالزراعة و يعيشون حياة الإستقرار و التحضر[1].أما منطقة الأنجاد و الشطوط فجوها بارد في الشتاء، حار في الصيف، بحيث يستمر ارتفاع الحرارة كلما تقدمنا نحو الصحراء، فتقل كمية الأمطار حتى تكاد تنعدم، لذا فالنشاط البشري الذي يمارسه السكان في هاتين المنطقتين يرتكز على حرفة الرعي، و بالتالي يعيشون حياة التنقل و الترحال بحثا عن العشب والمراعي[2].

فمن خلال استعراضنا للأحوال الطبيعية، نستنتج أن المغرب الأوسط يشكل وحدة جغرافية طبيعية متماسكة تتمتع بمناخ معتدل و أمطار وفيرة و خصب كثير لذا وفد عليه أجناس مختلفة، إما طلبا للعيش أو للتجارة، و إما قصدا للغزو و السيطرة و الإستيلاء على خيراته[3]، مما أثر بذلك في صنع الأحداث و التطورات حتى قيام الدول المستقلة عموما، و الدولة الرستمية خصوصا.

فهل كان للأوضاع الإدارية دور بارز في الإنفصال بين المغرب و مركز الخلافة في المشرق؟ و كيف تطورت الأحداث و انتقلت من فترات الهدوء و الإستقرار إلى أخرى للإضطراب و سوء أحوال المغرب؟ و كيف سارت بعض التنظيمات الإدارية ببعض الولاة إلى الظلم و الجور، و بالتالي اندلاع ثورات البربر في المغرب، و ما هي الشخصيات البارزة و التيارات التي صنعت هذه الأحداث و أثرت في تغيير أوضاع المغرب العامة؟

ثانيا- الأوضـــاع السياســـة بالمغرب و انتشار المذاهب الخارجية:

إن سياسة أخذ الرهائن و السبي و الغنائم التي ابتدعها حسان بن النعمان[4] و توسع فيها موسى بن نصير[5]، قد أدت إلى نمو حركة التعريب و انتشار الإسلام من جهة، و من جهة أخرى

1- يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1(الجزائر القديمة و الوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، وهران، الجزائر، 1995، ص20.

2- إحسان حقي:المرجع السابق، ص13، أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص173، محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص17.

3- حسين مؤنس:فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص4، محمد الطمار:الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص31.

4 - حسان ابن النعمان الغساني: 74- 84هـ/693- 704م، أشرف على المرحلة الأخيرة لعملية الفتح و استحدث التنظيمات الإدارية و نظم الدواوين و الخراج، ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب: المصدر السابق، ص269، المالكي: المصدر السابق، ص37.

5 - كانت ولايته سنة 86- 95هـ،و يذكر ابن الأثير سنة 89هـ، ابن الأثير:المصدر السابق، ج4، ص32، ابن عبد الحكم=

تركت آثارا بالغة السوء في نفوس البربر، و غرست في نفوسهم بذور الثورة، خاصة في عهد ما بعد موسى، حيث أرهق الولاة البربر بابتزاز أموالهم و خيراتهم وتقديمها إلى الخلفاء طمعا في نيل رضاهم[1]. إن الفترة التي تلت رحيل موسى بن نصير إلى دمشق و نهاية ولايته، مثلت مرحلة جديدة اصطلح عليها بعصر الولاة، فما هو مفهوم هذا العصر؟ و ما تحديده؟ و كيف سارت أحوال وأوضاع المغرب السياسية والإدارية في ظله؟و هل كانت تلك الأوضاع سببا في دخول الحركة الإباضية لبلاد المغرب؟

يطلق عصر الولاة في بلاد المغرب على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي "الوليد بن عبد الملك" لموسى بن نصير من الأندلس و المغرب سنة 96هـ/714م[2] حتى قيام الدول المستقلة بتلك البلاد، أي بانتهاء ولاية موسى بن نصير تنتهي فترة فتوح المغرب، فتميز عصر الولاة تارة بالهدوء والإستقرار و إن كان نسبيا، و تارة أخرى تحول إلى اضطرابات بسبب جور وظلم بعض الولاة وتطبيقهم لسياسة العنف، و من هؤلاء الولاة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

*** يزيد بن أبي مسلم (101هـ/719م)[3]:**

كان ظلوما غشوشا على قدم مولاه الحجاج بن يوسف، اتخذ البربر لحراسته و أدنى منزلتهم و أعاد الجزية عليهم و هم مسلمون، فقال ابن خلدون:"لقد أساء السيرة في البربر، ووضع الجزية على من اسلم من أهل الذمة منهم، تأسيا بما فعله الحجاج بالعراق، فقتله البربر لشهر من ولايته"[4]، سنة 102هـ/720م[5]، و أكثر من ذلك فقد أخذ موالي موسى بن نصير من البربر، فوشم أيديهم،

= فتوح مصر، المصدر نفسه: ص 274، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1573.

1- ابن عذارى المراكشي:المصدر السابق، ج1، ص52.

2- ابراهيم أحمد العدوي:بلاد الجزائر، المرجع السابق، ص164.

3- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1573، ابن أبي دينار:المصدر السابق، ص39.

4- عبد الرحمن بن خلدون:المصدر نفسه، ص نفسها

5- يحيى بوعزيز:المرجع السابق، ج1، ص92.

وأحصى أموالهم و أولادهم، ثم جعلهم حرصه و بطانته و أخذ محمد بن يزيد القرشي، فعذبه وجلده[1].

* بشر بن صفوان الكلبي (103هـ/721م)[2]:

سوى بين العرب و البربر، فنجح في تهدئة الأوضاع في المغرب، غزى بنفسه صقلية سنة 107هـ/725م، فعاد منها بسبي كثير[3]، استصفى بقايا آل موسى، و وفد بأموالهم إلى الخليفة يزيد، فبلغه في الطريق وفاة الخليفة في 105هـ/723م[4]، فأقبل بهديته إلى هشام بن عبد الملك، فرده إلى عمله بإفريقية، فعذب مواليه[5].توفي بشر بن صفوان في شوال 109هـ/727م[6].و قد عاصر سوء الإدارة في بلاد المغرب في أواخر العصر الأموي انتشار التنافس البغيض بين سكانه العرب من اليمنية و القيسية، و كان غلبة أي منهما على الآخر تتوقف على ميول الخلفاء أنفسهم، و لما كان أكثر عرب المغرب يكاد يكون يمنيا خالصا، فكانوا يلتزمون الهدوء حين يكون ولاتهم من اليمنيين، أما إذا كان الولاة من القيسية، فإن المغرب يصبح مسرحا للإضطابات العنيفة، و ذلك ما حدث بعد وفاة بشر بن صفوان، إذ صادف تحول ميول الخليفة هشام بن عبد الملك عن اليمنية إلى القيسية، ومن ثم ولى على المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمي[7].

* عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110هـ/728م)[8]:

اضطهد أتباع الوالي بشر بن صفوان و حبسهم و أغرمهم الأموال، كما لقي البربر نفس المعاملة،

1- ابن عبد الحكم:فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص288.

2- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1573.

3- ابن عبد الحكم:فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص91.

4- ابن أبي الضياف:المصدر السابق، ص111.

5- السيد عبد العزيز سالم:المغرب الكبير، المرجع السابق، ص- ص 195- 196.

6- رينهرت دوزي:تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي، ج1، الحروب الأهلية، دار المعارف، 1963، ص134، ابن عذارى:المصدر السابق، ص49.

7- رينهرت دوزي:المرجع نفسه، ص143.

8- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1574، ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص50.

حيث سبى نساءهم و أصرف في غزو قبائلهم، مما دفع الكثير من البربر إلى اعتناق مبادئ الخوارج[1] ثم غادر المغرب سنة 114هـ/732م متوجها إلى دمشق يحمل إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ما جمعه من أموال و هدايا، فطلب من الخليفة أن يعفيه من ولاية المغرب فأعفاه[2].

*** عبيد الله بن الحبحاب[3] (116هـ/734م):**

مولى بني سلول بن قيس[4]، كان واليا على نصر، فمضى إلى المغرب بعد أن استخلف على مصر إبنه القاسم[5].تمتع بثقافة عالية أشار إليها ابن عذارى بقوله:"هو مولى بني سلول، و كان رئيسا نبيلا و أميرا جليلا، بارعا في الفصاحة و الخطابة، حافظا لأيام العرب و أشعارها و وقائعها"[6].و من إنجازاته الحضارية الجليلة، بناء جامع الزيتونة و دار الصناعة لإنشاء المراكب الحربية بتونس[7].و ما أن استلم ولايته حتى قسمها بين بنيه و أنصاره، فاستعمل على الأندلس، عقبة بن الحجاج السلولي، واستعمل على طنجة إبنه اسماعيل و معه عمر بن عبد الله المرادي[8].انتهج سياسة قوية متشددة مع البربر، و يروي المؤرخون أن والي طنجة عمر بن عبد الله المرادي أساء السيرة و تعدى في الصدقات وأراد تخميس من أسلم من البربر، فأجمعوا الإنتقام منه، ولهذا تميزت ولايته بأكبر ثورة قام بها البربر في طنجة سنة 122هـ/740م[9] بزعامة ميسرة المطغري، فكانت هذه أول ثورة للخوارج، تلتها

1- السيد عبد العزيز سالم:المغرب الكبير:المرجع السابق، ص297، ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص51.

2- ابن عبد الحكم:فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص93.

3- نفسه، ص51.

4- ابن القوطية:تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957، ص40، عبد الرحمن بن خلدون:العبر،المصدر السابق، المصدر السابق، المجلد1، ص1574.

5- ابن القوطية: نفسه، ص نفسها، أما ابن وخلدون فيذكر أن اسمه "أبا القاسم"، ابن خلدون، نفسه، ص نفسها.

6- ابن عذارى:المصدر السابق، ص 51، النويري:المصدر السابق، ج22، ص15

7- الرقيق القيرواني:المصدر السابق، ص107، ابن عذارى، نفسه، ص نفسها، ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1574

8- عبد الرحمن بن خلدون:المصدر نفسه، ص نفسها، ابن عذارى:المصدر نفسه، ص52.

9- عبد العزيز النعالبي:تاريخ شمال إفريقية، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم و مراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص118.

ثورات أخرى هزت أركان المغرب، خاصة غزوة الأشراف[1]، التي قال على إثرها الخليفة هشام بن عبد الملك:"و الله لأغضبن للعرب غضبة، و لأبعثن لهم جيشا أوله عندهم و آخره عندي"[2]، ثم استقدم بن الحبحاب، فخرج في جمادى الأولى123هـ/741م، و ولى مكانه كلثوم بن عياض.

*** كلثوم بن عياض القشيري (123هـ/741م)[3]:**

سير معه جيشا كثيفا لقتال البربر، تكون من اثني عشر ألفا على رأسه بلج بن كلثوم بن عياض[4]، و هو ابن أخ كلثوم بن عياض الذي أساء معاملة أهل القيروان، هذه التصرفات كانت أحد العوامل للهزيمة الكبرى التي تلقاها العرب في مواجهة البربر بوادي سيبو بطنجة، و التي قتل فيها كلثوم بن عياض سنة 124هـ/742م[5]، و لما بلغ هشام بن عبد الملك قتل كلثوم و أصحابه وتشتيت جموعهم، بعث إلى إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي.

*** حنظلة بن صفوان الكلبي[6](124هـ/742م):**

كان عامل هشام بن عبد الملك على مصر[7]، فأمده بثلاثين ألفا من الجند لمحاربة الخوارج الصفرية التي تلقت هزيمة نكراء في معركتي القرن و الأصنام، سنة125هـ/743م[8]، و قتل زعيما المعركتين و هما عكاشة بن أيوب الفزازي، و عبد الواحد بن يزيد الهواري[9].في هذه الفترة أصبحت

1- ابن أبي دينار:المصدر السابق، ص40، علي دبوز:تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار إحياء التراث العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1963، ص218.

2- ابن أبي الضياف:المصدر السابق، ص113، ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1574.

3- المقري:المصدر السابق، ج3، ص299، ابن أبي دينار:المصدر السابق، ص60

4- اسماعيل العربي:دولة الادارسة ملوك تلمسان و فاس و قرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص27، و قد ذكره بن خلدون"بلخ"، ينظر عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد1ن ص- ص 1574- 1575.

5- ابن عبد الحكم:فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص93، ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص57.

6- ابن أبي الضياف:المصدر السابق، ص113، ابن الأثير:المصدر السابق، ج5، ص- ص 192- 193.

7- مصطفى أبو ضيف أحمد:القبائل العربية في عصري الموحدين و المرينيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص198.

8- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص65، و ينظر أيضا: Gautier E.F:le passe de l'afrique du nord:les siecles obscurs,edition payot,paris,1964,p283.

9- السيد عبد العزيز سالم:المغرب الكبير، المرجع السابق، ص340، ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية و الأندلس، المصدر السابق، ص104.

خلفاء بني أمية و سقطت الدولة الأمية، خطب عبد الرحمن بن حبيب للعباسيين و أطاع أبا العباس السفاح، فيكون بذلك الوالي المخضرم[1].

ما نستنتجه أن الأحوال لم تهدأ لعبد الرحمن بن حبيب، حيث توالت الثورات من كل ناحية، و قد أجمل بن عذارى هذه الثورات في قوله:"و لما ولي عبد الرحمن، ثار عليه جماعة من العرب و البربر، ثم ثار عليه عروة بن الوليد الصدفي، فاستولى على تونس، و ثار عليه عرب الساحل، فقام عليه بن عطاف الأزدي، و ثارت البربر في الجبال، و ثار ثابت الصنهاجي بباجة، فأخذها"[2].

إن أسباب ثورات البربر في عهد الدولة الأموية ترجع بالدرجة الأولى إلى سياسة الخلفاء و ولاتهم في المغرب، حيث ارتكزت اهتماماتهم و نشاطاتهم على تثبيت أركان الدولة و انتهاج سياسة داخلية هدفت إلى استئصال بقايا الخصوم مثلما قام به محمد بن يزيد القرشي في تصفية آل موسى بن نصير، و كذا تطبيق يزيد بن أبي مسلم سياسة الحجاج العنيفة، إضافة إلى اهتمامهم بجمع الأموال من البربر بطرق غير مشروعة، همهم في ذلك إرسال الأموال و الهدايا إلى الخلافة التي كانت تواجه إرتباكا ماليا خطيرا في ميزانياتها[3]، و بالتالي تخميس البربر الذين اعتنقوا الإسلام في عهد عبيد الله بن الحبحاب.

إن تجاهل كثير من الولاة لطبيعة سكان هذه المنطقة المقاومة لأي تسلط واعتبار بلاد المغرب موردا أساسيا للأموال، دفع أغلبهم إلى الشطط في تحصيلها، فتحول غضب هؤلاء إلى ثورات وجدت سندها من الأطراف المناوئة للسلطة المركزية، ممثلة في الخوارج، لذلك اتخذت أبعادا مذهبية و سياسية أكثر منها اقتصادية[4].

1- محمد علي دبوز، ج2، ص12، و يذكر ابن خلدون:"و بعث عبد الرحمن بطاعته إلى السفاح، ثم إلى أبي جعفر من بعده" ينظر، عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد1، ص1575.

2- ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص61، سليمان داوود:المرجع السابق، ص52، أما ابن خلدون فيقول:"ثم ثارت عليه الخوارج في كل جهة...و عبد الجبار و الحارث بطرابلس، فزحف عبد الرحمن إليهما سنة 131هـ، فظفر بهما، و قتلهما، و سرح أخاه إلياس لابن عطاف فهزمه و قتله، ثم زحف إلى عروة بتونس و قتله، و انقطع أمر الخوارج"، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، م1، ص نفسها، ابن الأثير:المصدر السابق، ج5، ص- ص 312- 313.

3- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص53.

4- محمد عليلي:المرجع السابق، ص12.

و أكثر من ذلك هناك من استغل هذه الظروف المضطربة في المروق عن الدين و الخروج عن الملة، منهم صالح بن طريف البرغواطي في برغواطة بالمغرب الأقصى "منطقة الشاوية حاليا"[1]، والذي ألف كتابا باللغة البربرية سماه القرآن و هو ما يمكن اعتباره، بربرة الإسلام[2].

بفضل جهوده الكبيرة، تمكن عبد الرحمن بن حبيب من إخماد هذه الثورات، و في سنة135هـ/753م، وجه أنظاره نحو المغرب الأوسط، و جاهد في جعله ضمن ولايته[3]، فغزا أرض زناتة بنواحي تلمسان، ثم بعث جيشا إلى صقلية و آخر إلى سردينيا[4].

لكن سرعان ما دب الخلاف في الأسرة الفهرية، و وصل الحقد إلى قتل عبد الرحمن بن عبد الحبيب، نتيجة مؤامرة نسجها أخواه إلياس و عبد الوارث137هـ/755م[5]، و تردت الأسرة الفهرية في صراع دموي قتل فيه إلياس بن حبيب سنة 138هـ/756م على يدي حبيب بن عبد الرحمن انتقاما لأبيه[6]، و فر عمه الآخر عبد الوارث إلى الأوراس حيث قبيلة ورفجومة[7] مستنجدا بزعيمها عاصم بن جميل[8]، و كانت هذه فرصة للصفرية لتحقيق أهدافهم السياسية بالإستيلاء على القيروان، و قد تم لهم ذلك سنة138هـ/755م، و تمكن عبد الملك بن أبي الجعد[9] من قتل حبيب

1- Gautier E.F:op.cit,p217.

2- Robert Cornevin:Histoire de l'afrique,Tome1desorigines au XVI siecle,nouvelle edition, Payot,paris,p264.

3- سعد زغلول عبد الحميد:تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص293، ابراهيم العدوي، المرجع السابق، ص174.

4- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، م1، ص1575.

5- عبد الحميد حاجيات:المرجع السابق، ص66، صالح باجية:المرجع السابق، ص33.

6- سليمان داوود:المرجع السابق، ص53، ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص69.

7- ورفجومة:من قبيلة نفزاوة البترية، و كانوا من غلاة الصفرية، ينظر، عبد الحميد حاجيات:المرجع السابق، ص66، محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص66، ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، م2، ص2412.

8- يذكر أنه ادعى النبوة، فبدل الدين و زاد في الصلاة، و أسقط ذكر النبي صلى الله عليه و سلم من الأذان، ينظر، ابن الأثير:المصدر السابق، ج5، ص315، اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص33، عبد العزيز فيلالي:العلاقات السياسية للدولة الرستمية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص69.

9- هو الذي خلف عاصم بن جميل و قام بأمر ورفجومة و القيروان، و قد فعل في أهل القيروان ما كان يفعله عاصم من الفساد و الظلم بل أسوأ منه، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون:العبر، م1، ص1576.

بن عبد الرحمن في محرم سنة140هـــ/757م، فانتهى بذلك حكم أسرة الفهريين في إفريقية[1].و قد استفاد دعاة الإباضية من هذه الأحوال المضطربة، خاصة و أن سنة140هـــ هي التي ولي فيها أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إماما للإباضية بطرابلس، و هو الذي سيتولى نجدة المدينة وتخليصها من جور ورفجومة.

نستنتج من خلال استعراضنا لعصر الولاة، إلى غاية بوادر ظهور الدولة الإباضية الرستمية وإمامة أبي الخطاب لها،أن عدم الإستقرار هو الميزة التي طبعة هذه المرحلة، فمهام الوالي ارتكزت بالدرجة الأولى على الحفاظ على الأمن، و مقياس نجاحه هو إخماد الثورات مثلما حدث في عهد كل من كلثوم بن عياض و حنظلة بن صفوان و عبد الرحمن بن حبيب.إلا أن هذه الأوضاع التي تميزت بمعارضة البربر لسلطة الولاة لم تمنع هؤلاء بالقيام بأعمال جليلة لتثبيت أركان الدولة، فمعظمهم قد قدم إسهامات في المجال الحضاري و السياسي خاصة في ميدان النشاط البحري و مد سلطان العرب في جزر البحر مثل سردينيا و صقلية، و كذا في ميدان الخدمات الدينية و الثقافية لأن قدوم الجيوش من المشرق إلى المغرب، غالبا ما كان يصاحبه عدد من الفقهاء و العلماء، استقروا في هذه الربوع، وأخذوا على عاتقهم تعليم البربر مبادئ الدين الإسلامي و اللغة العربية[2]، أي أن رغبة الخلفاء الأمويين أو العباسيين لم تكن تهدف فقط إلى توسيع نفوذهم في المغرب، بل إنهم حرصوا على أن يكون الإسلام دين أهل المغرب كلهم، لهذا لم تكن تخلوا حملة عسكرية من الفقهاء و العلماء، فقد جاء مع الولاة و قادة الجيش أدباء و كتاب لتحرير الرسائل الرسمية، و تعليم أبنائهم و أبناء الأسر العربية القادمة من المشرق، و لم يستثن من هذه المزايا أبناء البربر[3]، فكان مثلا بناء المساجد تدعيما لهذه السياسة التعليمية و الثقافية عكس ما يذكره بعض المستشرقين و المؤرخين الإستعماريين الذين ركزوا على الجانب السلبي و على بعض أخطاء بعض الولاة و جعلها سياسة عامة.

1- ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص- ص 80- 81، السيد عبد العزيز سالم:المرجع السابق، ص338

2- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص28، محمد عليلي:المرجع السابق، ص16

3- عمر رضى كحالة:دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1973، ص57.

المبحث الثاني:تأسيس و نشأة الدولة الرستمية

أولا- نسبها و ظروف نشأتها:

تنتسب مدينة تيهرت إلى الدولة الرستمية التي نسبت بدورها إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم الذي تعددت المراجع و المصادر في أصله و نسبه، إلا أن الأغلبية تجمع على أنه فارسي الأصل، حيث ذكر اليعقوبي عن تيهرت أنه غلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي[1]، بل من أشراف فارس، حيث يرجع نسبه إلى بهرام[2] بن كسرى الملك الفارسي، فهو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى[3].و يرتفع البكري بنسب عبد الرحمن بن رستم إلى أصل ملكي يرتبط بأكاسرة الفرس الساسانيين، فجده هو:"بهرام بن ديشيرار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الأكتاف، الملك الفارسي"[4]، و نفس الرواية نجدها عند ياقوت الحموي مع مزيد منالإيضاح للوصول بهذا النسب إلى الأصل الملكي الفارسي، حيث يقول:"هو بهرام بن بهرام جور بن شابور بن باذكان بن شابور ذي الأكتاف ملك الفرس"[5]، أما الأستاذ ابراهيم فخار فيشكك في أصله الفارسي إذ يقول:"لم يتبث لنا بالأدلة القطعية أن عبد الرحمن بن رستم فارسي الأصل، فلا يمكن قبول هذه الدعوة و لو قبلناها على علاتها فمؤسس الدولة الرستمية نشأ نشأة عربية

1- اليعقوبي:المصدر السابق، ص195، ابن خرداذبة:المصدر السابق، ص87، و يقول ابن حزم:"و بنو رستم ملوك تيهرت من ولد جامسب، و الملك جامسب هو ابن فيروز بن يزد بن بهرام جور، و بذلك يوافق ابن حزم الروايات الإباضية في جعل بني رستم من سلالة الملك الفارسي، ينظر، ابن حزم:جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي برفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص315، المسعودي:مروج الذهب و معادن الجوهر، دار الأندلس للطباعة و النشر، ط3، بيروت، 1981، ج1، ص- ص 186- 357.

2- بهرام:مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان عفان رضي الله عنه، و هو بهرام بن ذوشرار بن سابور بن بابكان بن سابور من أكاسرة الفرس، ينظر، البكري:المصدر السابق، ص267، و ينظر أيضا: Gautier.E.F:opcit,p302

3- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص35، الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص19، و يقول الشماخي:"أن أباه رستم بن بهرام بن كسرى"، الشماخي: سير المشائخ، المصدر السابق، ص123.

4- البكري:المصدر السابق، ص67، سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي، ص372

5- ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج2، ص8، ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص225.

و ظهر في العراق مع والديه قبل رحيله إلى المغرب مع زوج أمه"[1]، و يقاربه في هذا الطرح، الطبري الذي ضبط إسم رستم الذي تنتسب إليه الدولة الرستمية بـــ"الرَستمي"، فالنطق الصحيح لهذه الكلمة بالفارسية هو بفتحها، أما نطقها الصحيح بالعربية، فهو بضمها، كما يؤيده في ذلك ابن خرداذبة وإحسان حقي إذ يرى أن رستم بضم التاء لا بفتحها، لأنها إذا كانت مفتوحة، فهذا يدل على أنه فارسي الأصل، فالنطق الصحيح لهذه الكلمة هو بفتحها، أما نطقها الصحيح بالعربية فهو بضمها[2].كما يذكر ابن عذارى أن جد عبد الرحمن كان مولى الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، عاش حياة عربية، فلا شك أن أباه تربى في بيئة عربية[3].إن نسب الرستميين الفارسي غير مستبعد لأن يزد جرد آخر ملوك فارس كان له إبنان هما بهرام و فيروز، و هذا ما يؤكده ابن حزم بقوله:"وكان له إبنان بهرام و فيروز، فكان من ملوكهم جاماسب بن فيروز، أخ قباذ بن فيروز وجاماساب هو عم أنوشروان"[4].أما ابن خلدون، فيجعل عبد الرحمن بن رستم أمير جيش فارس في موقعة القادسية، و قد عبر عن ذلك بقوله:"و كان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح، و هو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية"[5].و لا يعقل أن يكون عبد الرحمن بن رستم من أبناء رستم أمير جيش فارس بمعركة القادسية، لأن رستم قتل سنة16هـــ/637م، أما عبد الرحمن بن رستم فقد توفي في 171هـــ/787م[6]،و قيل في 168هـــ[7].

1- ابراهيم فخار:دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد4، ورجلان، من6 إلى 15 فبراير، 1977، ص146.

2- الطبري:تاريخ الأمم و الملوك:المصدر السابق، ص294، ابن خرداذبة:المصدر السابق، ص87، إحسان حقي:المرجع السابق، ص152، و علق المستشرق زامباور على نسب الرستميين الفارسي قائلا:"أنه نسب خرافي"، زامباور:معجم الأنساب و الأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر محمد حسن بك و آخرون، دار الرائد العربي، بيروت، 1980، ج1، ص100.

3- ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص196

4- ابن حزم:جمهرة أنساب العرب، المصدر السابق، ص315، البكري:المصدر السابق، ص267، المسعودي:المصدر السابق، ص- ص 357- 358.

5- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد2، ص- ص 2406- 2414.

6- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص87.

7- ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص196

و بهذا يكون عبد الرحمن قد عمر مائة و بضعا و خمسين سنة، و هذا ما لم يذكره أحد من المؤرخين.و المسعودي ينفرد برواية تقول، بأن هناك من يرى أن الرستميين من بقايا الأشبان، حيث يقول:"و قد كان ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي، و هو إباضي المذهب..و قيل إنهم من بقايا الأشبان"[1].و قد اختلف المؤرخون في حقيقة الإشبان، فمنهم من يرى أنهم من الفرس الذين انتقلوا إلى المغرب من بلاد أصبهان، أما المقري فيرى أن حقيقة الإشبان "أنهم نسبة إلى ملك الأندلس اشبان بن طيطش الذي تنسب إليه مدينة إشبيلية، و قال أن إشبان هذا من عجم روما أو أنه من أصبهان التي ولد بها"[2]، أي أن الإشبان من الفرس، و بالتالي الرستميون من أصل فارسي، كما تعني أيضا أن الرستميين وفدوا إلى المغرب من الأندلس، و هذا تنقصه الدلائل، لكن ما يتضح من خلال هذه الروايات أن الرستميين ينتمون إلى أصل فارسي.

و بما أن جد عبد الرحمن بن رستم كان مولى للخليفة عثمان بن عفان، فلا شك أنه كان بالمدينة بالحجاز، و لعله ولد هناك، او أقام فيها حتى يكون قريبا من مولاه عثمان، و وجود البيت الرستمي في المدينة كان دعما لأركانه الإسلامية، حيث يحتمل انه درج في بيت الخلافة، فنهل من فيضها الإسلامي الرفيع، و غذى ذلك مهيئا عظيما لشخصية عبد الرحمن بن رستم[3].و تذكر المستشرقة الإسبانية ماريا خيسوس فيغيرا أن عبد الرحمن بن رستم ظل مجهولا إسم والده، و قد بدأ حياته في مكانة لائقة ضمن بلاط عبد الرحمن الثاني (206- 238هـ)[4].كما يذكر المؤرخون أن رستم والد عبد الرحمن انتقل إلى العراق فيما بعد حيث ولد عبد الرحمن، و الاحتمال الأكبر أنه ولد في أواخر القرن 1هـ/7م، و قد نشأ وحيد أبويه[5]، أو في النصف الأول من القرن 2هـ/8م

1- المسعودي:المصدر السابق، ص186.

2- المقري:المصدر السابق، ج1، ص134

3- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص76

4- ماريا خيسوس فيغيرا:محمد بن عبد الرحمن بن رستم في قرطبة، مجلة الأصالة، العدد41، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، 1977، ص- ص 65- 67.

5- جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص62.

(100- 110هـ)[1].و يقول أبو زكرياء:"بأن عبد الرحمن أصله من العراق، و مات أبوه بمكة وتزوجت أمه رجلا من أهل القيروان، حيث اصطحب الابن و أمه معه إلى وطنه بالمغرب[2].و قد ربط ابن خلدون علاقة الرستميين بالمغرب بطوالع الفتح الإسلامي لهذه البلاد بقوله:"و قد عبد الرحمن بن رستم إلى إفريقية مع طوالع الفتح فكان بها"[3].لكن طوالع الفتح يتحدد تاريخها ببداية الفتح و تنتهي بالطوالع التي قدم بها موسى بن نصير لإتمام فتح المغرب نهائيا و ضمه إلى الدولة الإسلامية، لهذا عرفنا أن عبد الرحمن بن رستم رحل إلى البصرة و هو شاب حديث السن[4] بعد أن تلقى المذهب الإباضي على يد سلمة بن سعيد في أوائل القرن الثاني الهجري[5].

و قارنا هذه الفترة بطوالع الفتح الأخيرة التي جاء فيها عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب، استنتجنا أنه كان طفلا صغيران حيث انتقل من الحجاز إلى القيروان، إذ في هذه الفترة تسربت آراء مذهبي الإباضية و الصفرية إل بلاد المغرب[6]، و قد وجد فيهما المغاربة ملجأ و منجى من جور بعض الولاة الأمويين، و رأوا في تلك المعتقدات الإسلام الحقيقي[7].و وجدوا في مبادئهما ما يطابق ميولهم وعقليتهم المحبة للاستقلال و العدل، و قد عمل المذهبان على تعميق جذور الإسلام في نفوس المغاربة، و في هذا الصدد يقول ألفرد بال:"إن دعاة الخوارج كانوا خير رسل الإسلام في بلاد المغرب منذ

1- ابراهيم بحاز:عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص8، عمار عمورة:المرجع السابق، ص84.

2- أبو زكرياء يحيى:المرجع السابق، ص- ص35- 36، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص123، الطاهر أحمد الزاوي:شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد1، مؤسسة الإتصال و الإعلام التوجيه، الجزائر، 1990، ص9.

3- الطاهر احمد الزاوي:شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد1، مؤسسة الإتصال و الإعلام و التوجيه، الجزائر، 1990، ص9.

4- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المجلد2، ص2414.

5- السيد عبد العزيز سالم:المغرب الكبير، المرجع السابق، ص- ص 534- 535، الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص11.

6- ابراهيم بحاز:عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص9، محمود اسماعيل:الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا، دار العودة، بيروت، 1976، ص108، حيث يقول:"أن عبد الرحمن بن رستم كان شابا جميلا حديث السن، و كان أبو عبيدة يجعل بينه و بين الناس سترا لئلا يشغلهم جماله"، محمود اسماعيل:المرجع نفسه، ص96.

7- Chikh Bekri :Le kharijisme berbere, annales de l'institut d'etudes Orientales, Universite d'Alger, tome XV, Alger, 1957, p106.

بداية القرن الثاني للهجرة"[1].أصبحت القيروان بعد ذلك موطنا جديدا لعبد الرحمن بن رستم، و التي كانت مصرا من الأمصار الإسلامية الهامة، تشع بالعلم في بلاد المغرب كلها[2]، و يذكر ابن الصغير أن عبد الرحمن بن رستم عاش صباه في القيروان في بيت إسلامي في ظل رعاية أمه و زوجها، فنشأ على الأخلاق الفاضلة و العادات السامية، و أقبل على العلم في مسجد القيروان، فتعلم العربية و حفظ القرآن[3]، لكنه مال إلى تعاليم الخوارج كما يقول ابن خلدون:" و أخذ بدين الخارجية و الإباضية منهم"[4]، و كان ذلك بتأثير من الداعية سلمة بن سعيد الذي أحاطه برعاية خاصة و أرسله رفقة مجموعة من الشباب إلى البصرة بالمشرق[5] لتلقي المذهب من أصوله، و كان ذلك سنة135هـــ[6].ويقول أبو زكرياء أن عبد الرحمن بن رستم ظهرت عليه علامات الاهتمام بالإباضية، فلما رآه احد دعاة هذا المذهب في هذه الحالة قال له:"يا فتى إن كنت طالبا ما أراك تطلبه، فاقصد إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي...تجد عنده ما رجوت"[7]، و بقي في البصرة خمس سنوات حتى صار أحد حملة العلم الإباضي إلى افريقية[8] لينخرط فيما بعد في العمل السياسي[9] و يصبح أقوى مساعدي أبي الخطاب الذي عينه قاضيا على مدينة طرابلس ثم واليا و قائدا للجيش في مدينة

1- ألفرد بال:المرجع السابق، ص147.

2- ابراهيم العدوي:بلاد الجزائر:المرجع السابق، ص187

3- ابن الصغير:المصدر السابق، ص- ص 10- 16.

4- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، م2، ص2414.

5- ابراهيم بن يوسف:الحكم و السياسة في الإسلام من منظور الإباضية، مطبعة الفنية للألوان، الجزائر، د.ت، ص47.

6- محمد علي دبوز:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص- ص 189- 190.

7- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص36، و قيل أن أمه هي القائلة له ذلك، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص124.

8- موسى لقبال:المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخوارج سياسة و نظما، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص165، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص142.

9- سليمان عشراتي:الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية و المحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 2002، ص89.

و على لإثر علم الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور[1] انفصال افريقية عن الكيان الإسلامي أرسل جيشا بقيادة محمد بن الأشعث[2] لاسترجاعها، فتم له القضاء على أبي الخطاب و جيشه[3] في معركة تاورغة[4] سنة 144هـ/ 761م، و بالتالي القضاء على الدولة الإباضية بطرابلس[5] الأمر الذي دفع بعبد الرحمن بن رستم للعودة إلى القيروان بعدما تفرق جيشه، فوجدها ثائرة على عامله، فلم يجد خيارا أمامه سوى التسلل خفية نحو المغرب الأوسط و هناك احتضنته القبائل الإباضية و منها لماية لسابق حلف معها[6].أما الذين ارتحلوا معه إلى جانب أهله و ابنه عبد الوهاب كانت غالبيتهم من زناتة و هوارة، من طرابلس و الأوراس[7]، لتكون بذلك أول خطوة في تأسيس الدولة الرستمية.أما القبائل البربرية الإباضية فقد لجأت بعد فرار عبد الرحمن إلى المغرب الأوسط إلى الهدوء و الكتمان حتى كونت لنفسها قوة، خاصة في طرابلس حيث توجد قبيلة نفوسة[8] و اجتمعوا على مبايعة إمام للدفاع عنهم، فوقع اختيارهم على أبي حاتم الذي بايعوه بالإمامة سنة145هـ/762م[9].و رغم

1- أبو جعفر المنصور:هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس ثاني الخلفاء العباسيين، ولد في الحميمة سنة95هـ، و هو والد الخلفاء العباسيين جميعا، ابن الأثير:المصدر السابق، ج5، ص- ص 317- 318.

2- هو محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي، كان عاملا لبني العباس في مصر و واليا على افريقية التي بقي فيها حتى ثار عليه عيسى بن عجلان على رأس جماعة من قواد الجيش، و أخرجوه في سنة148هـ، و قد مات في غزو بلاد الروم في هذه السنة، ابن الأثير:المصدر نفسه، ج5، ص- ص 317- 318.

3- زهير أحداون:شخصيات و مواقف تاريخية، دار التراب للنشر و التوزيع، طبع بمؤسسة الشروق للنشر و الإعلام و الطباعة، القبة، الجزائر، د.ت، ص42.

4- تاورغة:تبعد بمسيرة أربعة أيام عن مدينة طرابلس شرقا، اليعقوبي:المصدر السابق، ص86

5- سليمان داوود بن يوسف:المرجع السابق، ص56، بلحاج معروف:العمارة الدينية، المرجع السابق، ص36.

6- عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق،ص71، جودت عبد الكريم يوسف:المرجع السابق، ص28.

7- محمد بن عمير:المرجع السابق، ص117.

8- اليعقوبي:المصدر السابق، ص184.

9- أبو حاتم:هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي الهواري، مكث في مدينة طرابلس أربعين سنة، و كانت ولايته ولاية الدفاع و طلب الحق، و كان يرسل بما جمع من الصدقات للإمام عبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى هذا الأخير ولاية الظهور، الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص36، ابراهيم بحاز:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص69، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص133.

تحقيقه عدة انتصارات على الولاة، إلا أن يزيد بن حاتم تمكن من قتله سنة155هـــ/772م[1].

و هكذا عادت الإباضية إلى الكتمان من جديد، و توجه العديد من أتباع هذا المذهب إلى المغرب الأوسط حيث يوجد عبد الرحمن بن رستم الذي كان يعد أبرز شخصية إباضية بعد مقتل أبي الخطاب و أبي حاتم[2].

و لما كثر عدد الإباضيين في المغرب الأوسط، بدؤوا يفكرون في بناء مدينة تأويهم و تكون حصنا لهم يحميهم من الأخطار الخارجية التي تهددهم[3].و بالتالي كانت تيهرت و التي ستصبح عاصمة الدولة الإباضية الجديدة موقعا مناسبا لهذه الدولة[4]، و المعتقد أن عبد الرحمن بن رستم لم يفكر في ربط مصيره و مصير أتباعه بالمغرب الأوسط إلا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد إلى افريقية.

نستنتج من خلال هذا العرض أن المحاولة الأولى لتأسيس الدولة الرستمية كانت في طرابلس، و هي مركز الإباضية الأول، غير أن هذا الطموح تبدد بمقتل أبي الخطاب و انسحاب عبد الرحمن بن رستم من القيروان نحو المغرب الأوسط ثم الشروع في بناء مدينة تيهرت [5]مع الإباضيين الذين انضموا إليه في المنطقة، مما يدل أن المذهب الإباضي كان قد وصل إلى هذه الربوع قبل التجاء عبد الرحمن بن رستم إليها.

ثانيا– الامتداد الجغرافي و الحدود السياسية للدولة الرستمية:

نشأت الدولة الرستمية بجانب الدولة الأغلبية، و قد دان لسلطانها كل المدن و القرى الواقعة بين الزاب و فاس و سجلمسة، فهي أول دولة مستقلة تمام الاستقلال، رائد هذه الدولة الكتاب

1– يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب: كان واليا على مصر، أرسله أبو جعفر المنصور إلى طرابلس لمى بلغته أحداث المغرب وثوراته و مقتل عاملها عمر بن حفص، ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص601، الشماخي: المصدر نفسه، ج1، ص136.

2– سعد زغلول عبد الحميد:تاريخ المغرب العربي تاريخ دول الأغالبة و الرستميين و بني مدرار و الأدارسة حتى قيام الفاطميين، ج2، منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية، جلال حزي و شركاه، 1993، ص295.

3– ابراهيم بحاز:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص70.

4– السيد عبد العزيز سالم:المرجع السابق، ص538.

5– Abdallah laroui :l'histoire du magreb(un essai de synthese)tome1,petite collection maspero,Paris,1976,p104.

والسنة، و نظمها الديمقراطية الحقة، و لغتها الرسمية العربية، إلا أن اللهجة البربرية كان لها خط كبير وقتها، فكانت لغة التخاطب، و بالتالي كثيرا ما يلجأ إليها العلماء في إلقاء دروسهم الفقهية و الدينية، و عماد المجتمع الحسن العادات الراقية و العلم الغزير[1] و لهذا كانت الدولة الرستمية ذات أصول وفروع بعيدة المدى، غير أنه لم تعرف حدودا ثابتة ظاهرة المعالم، إذ إن فكرة الحدود بمعناها الحالي لم تكن معروفة في تلك العصور، فوضع حدود لهذه الدولة إنما يكون من باب التقريب حتى تتضح الرقعة الجغرافية التي جرت فيها الأحداث لهذه الدول[2]. فالمملكة الرستمية إذن واقعة بين مملكة الأغالبة شرقا و الأدارسة غربا، و تمتد شمالها ممالیك صغيرة للعلويين من إخوان الأدارسة، و ينفسح لها المجال جنوبا إلى ورقلة و يمتد منها شريط على واد ريغ إلى الجريد، و جبال دمر إلى طرابلس، و جبال نفوسة[3].

و يذكر الباروني أن مملكة تيهرت ضمت مدنا كثيرة حيث أن كل المدن و القرى الواقعة بين الزاب و فاس و سجلماسة داخل مملكة تيهرت[4]، حيث ينسب إليها عدة مدن كتنس[5] و شلف[6].

و كانت الدولة الرستمية تنقسم إلى ثلاثة أقسام طبيعية، منها بلاد التل بالشمال على ساحل البحر الرومي، و منها البلاد الجبلية، و لها جبل جزول بجهة تيهرت و الأوراس و جهة الزاب، و هي كلها جبال الدرن المعروفة بسلسلة الأطلس، أما القسم الثالث فهو البلاد الصحراوية، التي تجتاز

1- محمد عمرو الطمار:المرجع السابق، ص93.

2- ابراهيم بحاز:المرجع السابق، ص98.

3- جبل نفوسة:الواقع بين طرابلس و الغرب بليبيا، يبعد عن تيهرت حوالي56 مرحلة، ابن خرداذبة:المصدر السابق، ص34.

4- سليمان الباروني:الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، ج2، دار البعث، ط3، قسنطينة، 2002، ص- ص 40-56، مبارك ميلي:المرجع السابق، ص66.

5 - تنس مدينة مسورة حصينة...، ينظر، البكري: المصدر السابق، ص- ص61- 62، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص48، مختار حساني: المرجع السابق، ج4، ص- ص 194- 195.

6 - ذكرها البكري بقوله:"مدينة شلف على نهر، بها سوق عامرة..."، البكري: المصدر نفسه، ص69، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 67- 68، ابن حوقل: المصدر السابق، ص72.

جنوب المغرب من أدناه إلى أقصاه، يسكنها البربر من الخوارج على اختلاف مذاهبهم[1]، أما رابح بونار فيرى أن نفوذ الرستميين يعد نفوذا أدبيا أكثر منه سياسي[2].

و تضيف رواية أخرى حسب قول بحاز ابراهيم أن سلطة الأمويين وصلت إلى سرت أقصى نقطة شرقية في المغرب الغربي و إلى جربة في البحر المتوسط، فورجلان في الصحراء[3].

و يثبت لنا نص ابن الصغير الحدود الغربية في عهد الإمام عبد الوهاب، فيقول:"حكى لي جماعة من الناس أنه قد بلغت سمعته إلى أن حاصر طرابلس و ملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان[4].

أما الجهة الشرقية، فيذهب الخط إلى تسمسين و السرسو، و يتصاعد إلى ثنية الحد و يذهب مشرفا إلى قصر البخاري، و أعالي واد الشلف، و يذهب جنوبا شرقي الأغواط غلى توقرت، و وادي ريغ، و يظهر أن هوارة أوراس خارج هذا الخط[5].و عموما فإن أقصى مد للدولة الرستمية هو ما بلغته هذه الدولة الرستمية في عهد الأئمة الأوائل، إذ كان يحدها شرقا سرت و الدولة الأغلبية، وغربا تلمسان و نهر ملوية، فما سوى ذلك من الصحراء و المغرب الأوسط، فهو داخل ضمن حدودها[6]، إضافة إلى جبل نفوسة الذي بقي دوما مخلصا في ولائه للأئمة الرستميين بتيهرت، حيث كان تاريخ هذا الجبل طوال حياة إمامة تيهرت جزءا من تاريخ تلك الإمارة[7].

و نستدل على امتداد النفوذ الرستمي على المناطق التي ذكرناها آنفا من خلال العمالات الرستمية التي ورد ذكرها في المصادر الإباضية و المراجع الأخرى.

و نستشف ذلك من مصادر الإباضية مثل السير للشماخي[8] التي تبين عمال الأئمة الرستميين على الشكل التالي:

1- عثمان الكعاك:المرجع السابق، ص120.

2- رابح بونار:المرجع السابق، ص36.

3- ابراهيم بحاز:المرجع السابق، ص107.

4- ابن الصغير:المصدر السابق، ص27، و ينظر أيضا، Chikh Bekri:Le royaume rostemid, opcit, p75

5- مبارك الميلي:المرجع السابق، ص67

6- جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص- ص 58- 59، ابراهيم بحاز:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص108.

7- اليعقوبي:المصدر السابق، ص346، E.F.Gautier:Le passé de L'Afrique ;op.cit, p300.

8 – الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص203.

- ✓ سلام بن عمرو اللواتي و عامل الإمام عبد الوهاب على سرت و نواحيها.
- ✓ أبو منصور إلياس عامل أبي اليقظان محمد بن أفلح على نفوسة و طرابلس
- ✓ محمد بن إسحاق عامل الإمام عبد الوهاب على نفزاوة.
- ✓ ميال بن يوسف عامل الإمام أفلح على نفزاوة كذلك و أبوه وزير و هو أيضا لواتي.
- ✓ سلمة بن قطفة عامل الإمام عبد الوهاب على قابس.
- ✓ زقون بن عمير عامل الإمام عبد الوهاب على قسطيلية.
- ✓ وكيل بن دراج عامل الإمام عبد الوهاب على قفصة[1].
- ✓ السمح بن أبي الخطاب (حفيد أبي الخطاب) عامل عبد الوهاب على جبل نفوسة[2].

هكذا و من هذا العرض، و كذلك حسب رأي أغلب المؤرخين، فإن السلطة الرستمية كانت تمتد من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط باستثناء إقليم طرابلس و إفريقية الأغلبية و الزاب و تلمسان، و مما ساعد على هذا الإمتداد هو أن الدولة الرستمية لم تضع لنفسها حدودا سياسية مرسومة بل جعلت من طبيعة مذهبها و علاقتها بالجماعات الإسلامية سبيلا جديدا بين حدودها[3].

و من هنا يمكن القول أن كل إقليم من الأقاليم و القرى التي كانت تدين بمذهب الخوارج و خاصة الإباضية في بلاد المغرب الأوسط كانت داخلة في سلطان تيهرت[4].

ثالثا– تأسيس الدولة الرستمية و جهود عبد الرحمن بن رستم في توطيد دعائمها:

أقام عبد الرحمن بن رستم في القيروان واليا و قاضيا لأبي الخطاب حوالي ثلاث سنوات أو أربع، رتب أمورها و أصلح أحوالها و اهتم باقتصادها و ضرب فيها في تلك المدة القصيرة فلسا

1- الشماخي: المصدر السابق، ص 203، محمد الطالبي:الدولة الأغلبية، 184- 296هـ/800- 909م، التاريخ السياسي، ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1985، ص- ص 387- 388، صالح باجية:المرجع السابق، ص81.

2- صالح باجية:المرجع نفسه، ص نفسها، و يذكر ابن الصغير أن الإمام أبا اليقظان كان يعين العمال على جبل نفوسة و غيره من نواحي المنطقة، ابن الصغير:المصدر السابق، ص47.

3- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص61.

4- سعد زغلول عبد الحميد:المرجع السابق، ج2، ص405.

نحاسيا و دينارا ذهبيا لا يزالان موجودين إلى يومنا هذا[1]، و من الواضح أن عبد الرحمن بن رستم على حظ من الثقافة الروحية و الإنسانية[2] لأنه لم يكن ليبلغ تلك الدرجة بين جند الخوارج لو لم يكن متميزا بخصال منها التكوين الروحي و الخطابي الذي لا بد أن يتوفر لقيادة الجند في تلك العهود، وقد قام عبد الرحمن بإدارة شؤون البلاد في القيروان حيث عين العمال على النواحي، منهم عبد الله بن عقيب على كتامة[3]، و لما شعر باهتزاز كرسي القيروان، لجأ إلى بناء قاعدة خلفية تكون له عمقا لأنه كان يعلم أن الخلافة العباسية لن ترضى بالهزيمة، و لن تتنازل عن إفريقية لخصومها من الخوارج[4]، ومن هنا أسهم عبد الرحمن مساهمة فعالة في بناء الجيش الإباضي و تنظيمه، و خاض معه معارك عديدة ضد ممثلي الخلافة العباسية في المغرب، غير أن نتائج هذه المعارك لم تكن حاسمة لكلا الطرفين، الأمر الذي دفع عبد الرحمن بن رستم إلى الانصراف عن هذا الصراع لعدم جدواه، و لأن همه الوحيد كان نشر المذهب الإباضي في بلاد المغرب، كما أن هذا الموقف الذي اتخذه عبد الرحمن بن رستم، يبين عمق نظره في السياسة و في التدبير[5]، إذ أن عملية الاستمرار في الصراع ضد الجيش العباسي في المغرب الأدنى لا تؤدي إلا إلى إراقة الدماء و ضياع الإمكانيات البشرية و المعنوية للحركة، لذلك نجده يتوجه إلى قبائل لماية يعتمد عليهم، فكانت مبايعته بالإمارة أولا سنة 144هـ/761م[6]، تلتها مبايعته بالإمامة[7] سنة 160هـ/776م، و نظرا لقصر مدة حكمه في القيروان و إهمال المؤرخين لها يمكن اعتبار بيعته الأولى في المغرب الأوسط بداية حقيقية لحكمه.

1- ابراهيم بحاز:عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص27.

2- سليمان العشراتي:المرجع السابق، 88.

3- جودت عبد الكريم:العلاقات الخاجية، المرجع السابق، ص27.

4- نفسه، ص28

5-- بشار قويدر:المرجع السابق، ص103

6- و يذكر السلاوي أنهم بايعوه بالخلافة سنة144هـ، ينظر، السلاوي:الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1956، ج1، ص115، و يقول البكري:"في صفر سنة144هـ هرب عبد الرحمن بأهله و ما خف من ماله و ترك القيروان، فاجتمعت الإباضية و اتفقوا على تقديمه و بنيان مدينة تجمعهم"، البكري، المصدر السابق، ص68، بوزياني الدراجي:المرجع السابق، ص85، و للمزيد عن كيفية خروج عد الرحمن بن رستم من القيروان صوب المغرب، ينظر، الشماخي: المصدر السابق، ص- ص 133- 134.

7- الإمامة:هي لقب أمير المؤمنين و رئيس الدولة، يتصرف في أمورها و ينظر في مصالحها، ترجع له السلطتان الزمنية=

فكيف تمت هذه المبايعة بالإمامة؟ و ما هي الشروط و المبادئ الأساسية التي روعيت في اختيار عبد الرحمن بن رستم؟ و هل كانت سياسته عند حسن ظن الجماعة فيه و طبقا للشروط المتفق عليها؟

لقد وصف لنا ابن الصغير الكيفية التي تمت بها مبايعة عبد الرحمن بن رستم إماما بقوله:"إجتمع رؤساءهم فقالوا:قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا، و ينصف مظلومنا من ظالمنا، و يقيم لنا صلاتنا، و نؤدي إليه زكاتنا، و يقسم فيئنا...و قد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضيا و ناظرا، فقلدوه أموركم، فإن عدل فذلك الذي أردتم، و إن سار فيكم بغير عدل عزلتموه[1]، و لم تكن له قبيلة و لا عشيرة تدفع عنه".و الغريب أنه من الأسباب التي رشحته لهذا المنصب كونه غريبا لا قبيلة له يشرف بها و لا عشيرة له تحميه، فهو لا ينتمي إلى قبيلة مغربية و لا حتى عربية على أكبر تقدير، خاصة إذا علمنا أن هذه الفترة هي فترة الخصومات العربية المشهورة بين القيسية و اليمنية من العرب[2]، و كان عبد الرحمن بن رستم قبل هذه المبايعة قد طلب من أعيان تيهرت و مشايخ الإباضية أن يمتثلوا لأوامره ما تماشت مع العدل و خلق الإسلام، فإذا انحرف فلا طاعة لهم عليه[3].و كان البرنامج الذي تمت على أساسه البيعة هو العمل بكتاب الله

=و الروحية، ينتخبه وجوه المدينة و زعماء المذهب و شيوخ الدين بحرية تامة دون مراعات صداقة أو قرابة، فإن رأووا فيه اعوجاجا قوموه بالسيف لا بالرفق و اللين، عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص125، جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص29، أما ابن خلدون فيقول:"أنها نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين و سياسة الدنيا به، تسمى خلافة و إمامة، و القائم به خليفة و إماما، فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة في اتباعه و الإقتداء به، و أما تسميته خليفة، فلكونه يخلف النبي في أمته"، عبد الرحمن بن خلدون:المقدمة، المصدر السابق، ص201.

1- ابن الصغير:المصدر السابق، ص29، و يقول أيضا:"لما نزلت الإباضية مدينة تيهرت و أرادوا عمارتها، احتمع رؤساءهم..." و المقصود بتيهرت هي القديمة، و أن التي استحدثها عبد الرحمن لم تكن أنشئت بعد، و هذا حسب ابن خلدون الذي يجعل مبايعة عبد الرحمن قبل بناء تيهرت الحديثة، ابن الصغير:المصدر نفسه، ص30، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر نفسه، م2، ص 2406.

2- حسين مؤنس:فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة و النشر، ط1، القاهرة، 1959، ص144، علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، المرجع السابق، ص136.

3- إيفلا كوست:المرجع السابق، ص102.

وسنة رسوله وآثار الخلفاء الراشدين[1]، و على هذا الشرط قبل عبد الرحمن أمانتاهم و اشترط عليهم هو الآخر الطاعة في الحق[2].

إن الإمامة لا تراعي العرف، و لكن الكفاءة[3].و في رواية للشماخي يحدد فيها المبادئ الأساسية التي روعيت في اختيار عبد الرحمن و هي أربعة بقوله:"فاتفق رأيهم (الإباضية) على عبد الرحمن لفضله و كونه من حملة العلم...و لكونه عامل أبي الخطاب على إفريقية و لأنه لا قبيلة له تمنعه إذا تغير عن طريق العدل[4].إذن توجد أربعة أسباب اختاروه على أساسها و هي:- الفضل:و يراد به العدالة و هي عند الإباضية جميع صفات الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الإعتقاد و صحة الجوارح و نزاهة النفس[5].- العلم: و يعرفونه بأنه يوصل مصلحة الجماعة في الدنيا و سعادتها في الآخرة، ويقول ابن خلدون:"إنما يكون منفذا لأحكام الله تعالى إذا كان عالما بها و ما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها[6].- الوصية:و يراد بها وصية الإمام القائم لمن يخلفه و لا تكون فردا ملزما للأتباع و إنما توجيه، وقد قلدوا في ذلك ما فعله أبو بكر رضي الله عنه قبل موته عندما أوصى لعمر رضي الله عنه، وكانت الإباضية أميل لاتباع ما فعل عمر رضي الله عنه و ذلك باختيار ستة من أصحابه لينتخبوا من بينهم خليفة، و بالفعل كان لإمام الإباضيين أصحاب يسمون أهل الشورى، و كان عليه أن يستشيرهم في كل أمور الإمامة، فإذا مات كان على الستة اختيار الإمام الجديد[7].- ألا يكون للإمام عصبية تؤيده، لا تعتمد العصبية في الإمامة و في فرض السلطان على الناس[8].- كما كان على الإمام أن يحيا حياة

---

1 - و يقول الشماخي:"...فقبلها على ذلك و أقام بأمر الله و زهد الدنيا بعد أن تمكن منها..."، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140.

2- ابن الصغير:المصدر السابق، ص9، سليمان الباروني:المرجع السابق، ج2، ص- ص 120- 121.

3- محمد علي دبوز:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص396، و يذكر ابن خلدون أربعة شروط للإمامة، و هي:العلم و العدالة و الكفاية و سلامة الحواس و الأعضاء مما يؤثر في الرأي و العمل، ابن خلدون:المقدمة، المصدر السابق، ص203.

4- الشماخي : المصدر السابق، ج1، ص140.

5- نفسه، ج1، ص نفسها.

6- عبد الرحمن بن خلدون:المقدمة، المصدر السابق، ص203، حسين مؤنس:المرجع نفسه، ص- ص 117- 118.

7- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص- ص 54- 55.

8- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص118.

الزهد و من ذلك أن ابن رستم لما قدم عليه من العراق رسل من الإباضية واصل ما كان منشغلا به في إصلاح شقاق في سطح بيته بالطين، و لم يترل لاستقبالهم إلا بعد أن أتم شغله، و قدم لهم خبزا وسمنا، و ليس في بيته شيء سوى وسادة ينام عليها، و سيفه و رمحه و فرس مربوطة في ناحية من داره[1]، وقد تمت مبايعته بالإمامة على هذه الأسس سنة 160هـ[2]، و قيل عام 162هـ[3] بعد وفاة إمامهم أبي حاتم[4]، و كان ذلك بعد أن رست قواعد الدولة و رسخت دعائمها و توطدت أركانها وأصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها[5].كما اشترك في مبايعة عبد الرحمن بن رستم أيضا إباضية طرابلس[6].

و اتسع سلطانه بين القبائل العديدة التي دخلت في طاعته و على رأسها نفوسة، و ساد الأمن و السلام ربوع بلاده.لقد كان عبد الرحمن عند حسن ظن الجماعة فيه، فقد أحسن السيرة و جلس في مسجده للأرملة و الضعيف[7]، و يقول ابن الصغير:"شمر مئزره، و أحسن سيرته، و جلس في مسجده للأرملة و الضعيف و لا يخاف في الله لومة لائم، فطار ذلك في أطراف الأرض، مشارقها ومغاربها"[8] فلم ينقم عليه أحد في حكمه، و لم يكن في أيامه اختلاف، و عندما انتشرت أخبار عدله و سيرته الحسنة توافدت عليه الأنصار من كل مكان، لا من البلاد المغربية فحسب، بل حتى من المشرق من العراق و البصرة و خرسان[9].و لما سمع إباضية المشرق بعدله و فضله، قرروا مساعدته من

1- ابن الصغير:المصدر السابق، ص- ص 10- 11، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140، محمد علي دبوز:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص22.

2- الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص- ص 40- 41.

3 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص139.

4- أبو حاتم يعقوب بن حبيب الكندي بالولاء، ثار على رأس جمع كبير من البربر سنة 151هـ، و هزم جيوش عمر بن حفص أمير إفريقية عند طرابلس، و حاصر القيروان و قاتل عمر حتى قتل، اتخذ جبل نفوسة قاعدة له، ولايته كانت ولاية دفاع، تولاها بعد مقتل أبي الخطاب، توفي سنة 155هـ، ينظر هامش أبو زكرياء:المصدر السابق، ص49، الشماخي: المصدر نفسه، ج1، ص128.

5- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص80.

6- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص547.

7- سعد زغلول عبد الحميد:المرجع السابق، ج2، ص302، رابح بونار:المرجع السابق، ص36، مبارك ميلي:المرجع السابق، ص- ص 71- 72.

8- ابن الصغير:المصدر السابق، ص28.

9- حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص- ص 118- 119.

جديد، حيث بعثوا له عشرة أحمال من المال، لكنه رفض قبولها[1]، و طلب رد المال إلى أصحابه، خاصة عندما عرف أحوال إخوانه بالمشرق، بأنهم مستضعفون غير قادرين، و أن بجماعتهم مثلما بجماعة الناس من الغناء و الفقر[2].و من هنا يتضح لنا أن عبد الرحمن لم يكتف بما تحقق من استقلال أهل المذهب في تيهرت بل كان يرمي إلى تحرير الجماعة الإباضية في المشرق من الحكم العباسي[3]، ومجمل القول أن سياسة عبد الرحمن يمكن جمعها في النقاط التالية:

1 – اشتهر بحسن السيرة و العدل في رعيته[4]، فكان فقيها في شؤون الدين عامة و قضايا المذهب خاصة، و هو القائد الأعلى لكل قضايا الدولة[5].

2 – أسهم في مجد الأمن و السلام بين الطوائف و المذاهب في المغرب من خلال سياسته المرنة مع جيرانه.

3 – تمكن من تأسيس رابطة مذهبية وسط اتحاد قوي يضم قبائل مختلفة كانت دائما في صراع وتنافس.

4 – توافدت إليه قبائل من مناطق مختلفة من أجل أن تعيش في كنف دولته العادلة و حتى الذين لم يتمكنوا من الوصول إليه كانوا يعتبرون أنفسهم تابعين لدولته و يعترفون به كإمام لهم[6].

أما على صعيد السياسة الخارجية، فقد انتهج الإمام عبد الرحمن بن رستم سياسة المسالمة التي رأى فيها وسيلة لتأمين هذه الدولة الفتية مما يمكن أن يحاط بها من أخطار خارجية، لا سيما الدولة العباسية

1- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص141، شارل أندري جوليان:المرجع السابق، ص44، سليمان الباروني:المرجع السابق، ص- ص 119- 120.

2- ابن الصغير:المصدر السابق، ص- ص 13- 14، و يقول الشماخي:"...ارجعوا بما لكم فإن أربابه أحوج إليه منا لأنا في أرض قد استولى عليها العدل و هم في بلد غلب عليه الجور..."، ينظر، الشماخي: المصدر نفسه، ص نفسها.

3- ابن الصغير:المصدر نفسه، ص15.

4- بحاز ابراهيم:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص102.

5- بشار قويدر:المرجع السابق، ص105، و يقول ابن الصغير في هذا الشأن:"فسار فيهم سيرة جميلة حميدة أولهم آخرهم، و لم ينقموا عليه في أحكامه حكما و لا في سيره سيرة"، ابن الصغير:المصدر السابق، ص31، ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، م2، ص2406.

6- بشار قويدر:المرجع نفسه، ص106، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص141.

الممثلة في ولاة القيروان و بالتالي إبرام معاهدة سلام مع والي القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب سنة171هـ/787م[1].

و هكذا يمكن القول أن عبد الرحمن بن رستم تمكن في فترة وجيزة من أن يؤسس دولة قوية لها جيرانها اتصلوا به يطلبون صداقته و هاجر إليه كثير من أهل المشرق و المغرب و الأندلس[2].و هذا ما دفع يحيى معمر إلى تشبيه بن رستم بعبد الرحمن بن معاوية "عبد الرحمن الداخل"، فإذا كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور قد أطلق على الأخير لقب "صقر قريش"، فإن علي يحيى معمر لقب عبد الرحمن بن رستم بـــ"صقر فارس" بقوله:"إنني كلما ذكرت عبد الرحمن بن رستم إلا و ذكرت بطلا آخر يشبهه في بعض المواقف، ذلك هو عبد الرحمن الداخل صقر قريش، على أن صقر قريش قد وجد من عناية التاريخ و احتفال الكتاب به، ما رسم حوله هالة من المجد و العظمة، أما صقر فارس، فوجد من إهمال التاريخ و حقد المؤرخين و الكتاب عليه و انصرافهم إلى طمس مزاياه و أخباره ما كان حريا أن يخرجه من حيز الوجود و يطمس آثاره من واقع الحياة"[3].و يواصل مقارنته بقوله:"كان الرجلان متعاصرين، نالتهما الأحداث من الدولة العباسية الناشئة بسبب انتماء كل واحد منهما إلى دولة سابقة، فقد فر صقر قريش و لحق بالأندلس سنة138هـــ، و فر صقر فارس من القيروان واستقر بتاهرت سنة141هـــ...و ترك الداخل دولة عظمى في الأندلس، و ترك الفارسي إمامة عظمى في الجزائر..."[4].

و لما أحس عبد الرحمن بن رستم بدنو أجله اقتدى بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه بجعله الإمامة شورى في سبعة نفر من خيرة رجال الدولة الرستمية و ممن كان يتوفر فيهم الصلح و الزهد، منهم:مسعود الأندلسي و كان فاضلا فقيها من شيوخ المسلمين و أبو قدامة يزيد بن فندين اليفريني،

1- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص107، سليمان الباروني:المرجع السابق، ص125،ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، م2، ص1407.

2- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص550.

3- علي يحيى معمر:الإباضية بالجزائر، المرجع السابق، ص134

4- نفسه، ص- ص 136- 137.

و عمران بن مروان الأندلسي، و عبد الوهاب بن عبد الرحمن، و أبو الموفق سعدوس بن عطية، وشكر بن صالح الكتامي، و مصعب بن سدمان[1].

و قد جاءت وفاة عبد الرحمن بن رستم في سنة 171هـ/787م[2]، و قيل في سنة168هـ[3].

المبحث الثالث:توطد دعائم الحكم في الدولة الرستمية و تطورها السياسي

أولا- مراحل الحكم و الإمامة بعد عبد الرحمن بن رستم:

حكم مدينة تيهرت في المغرب الأوسط، أحد عشرا إماما من بني رستم[4]، بالتالي فالحكم قد تعاقب في أفراد أسرة واحدة ، و كان أول أئمتها عبد الرحمن بن رستم التي دامت إمامته إحدا عشر سنة أي من 160هـ حتى 171هـ[5].إن الفترة التي أعقبت وفاة عبد الرحمن بن رستم تعد من أحرج الفترات التي مرت بها الدولة الرستمية حيث أن المرشحين السبعة للإمامة[6] لم ينتهوا في فترة وجيزة من عملهم الذي كلفهم به عبد الرحمن بن رستم و هو اختيار واحد منهم للإمامة، و قد استمرت اجتماعاتهم شهرا كاملا دون أن يتخذوا قرارا في هذا الشأن، و في الأخير اتفقوا على اختيار أحد الإثنين، إما مسعود الأندلسي أو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، لكن الأكثرية من المرشحين مالوا إلى اختيار مسعود الأندلسي لمنصب الإمامة[7]، و الذي دفعهم إلى ذلك أحد الأمرين هما:

أولا:أن مبدأ الإباضية كان يقتضي الالتزام بالشورى دون الوراثة.

ثانيا:إن مسعود الأندلسي كان أعلم من عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[8].

1- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص- ص 54- 55، شارل أندري جوليان:المرجع السابق، ص44، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص145.

2- أبو زكرياء: نفسه، ص56، ابراهيم بحاز:عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص38

3- ابن عذارى المراكشي:المصدر السابق، ج1، ص196.

4- ستانلي لين بول:الدول الإسلامية، تصحيح، بارتولد و خليل أدهم، نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات و محمد أحمد وهمان، مطبوعات مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق، د.ت، ص118.

5- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص65، ابراهيم بحاز:عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص38

6- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص57.

7- نفسه، ص58، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص145.

8- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص551، محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص109.

لكن مسعود الأندلسي كان ينفر من الرئاسة و يزهد فيها، فآثر أن يتخلى عنها لعبد الوهاب، فلما تقرر عقد المجلس في دار الإمامة توارى عن الأنظار و انسحب تاركا الفرصة لعبد الوهاب في تولي الإمامة، و كان مسعود الأندلسي أول من بايع عبد الوهاب و تتابع من ورائه الحاضرون، ثم بايعه المسلمون بعد ذلك بيعة عامة[1]، فتولى عبد الوهاب الإمامة، و هكذا أغلب مبدأ الوراثة على مبدأ الإختيار[2].

و من هؤلاء الأئمة:

- عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171- 208هـ/787- 823م)[3]:

تولى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم منصب الإمامة سنة 171هـ[4]، و كان آنذاك في الثانية والخمسين من عمره[5].و قد قضى أغلب هذه السنين بجوار والده عبد الرحمن يقاسمه فيها حلو الحياة ومرها، و رغم أن المصادر لم تذكر الكثير من التفاصيل عن حياة عبد الوهاب قبل توليه منصب الإمامة، إلا أن الذي لا شك فيه أنه كان إلى جانب واده في كل جهوده السياسية و الحربية التي قام بها لتأسيس دولة إباضية و أنه عاش مع والده في القيروان.لقد اكتسب عبد الوهاب خبرة واسعة في السياسة و الإدارة و الحرب، كما كانت لديه شخصية قوية اكتسبها من والده و استطاع بفضل الميزات المتعددة لشخصيته أن يحتفظ بمركزه كإمام رغم الفتن التي واجهته و منها ما سمي بالافتراق[6].

1- الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص47، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص145.

2- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص55.

3- ذكره ابن عذارى باسم عبد الوارث، ابن عذارى:المصدر السابق، ص197.

4- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، م2، ص2407.

5- محمد علي دبوز:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص455.

6- الإفتراق:يعرفه ابن خلدون بالإختلاف و التنازع و يحدث عندما يكون القبيل الواحد فيه بيوتات متفرقة و عصبيات متعددة، و يستدل بقوله تعالى:"و لولى دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض"[سورة البقرة:الآية251]، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون:المقدمة، المصدر السابق، ص152، (سنتحدث عن هذا الإفتراق و عن الواصلية في عنصر سقوط الدولة الرستمية)

الأول مع النكارية[1] بقيادة يزيد بن فندين[2] و مع الواصلية[3]، لكنه تمكن من القضاء على تمردهم وبعدما ساد الهدوء و الإستقرار في الدولة الرستمية قرر عبد الوهاب السفر لأداء فريضة الحج فاستخلف ابنه أفلح على تيهرت فمضى شرقا و في صحبته زوجته و جمع كبير من رجاله و سلكوا الطريق الصحراوية المارة بقسطيلة و جبل دمر[4] إلى أن وصلوا إلى جبل نفوسة[5]، فنزلوا فيه و منعه السكان من متابعة السير إلى مكة خوفا من أن يقع في أيدي العباسيين فيقتلوه.أقام الإمام عبد الوهاب في جبل نفوسة سبع سين[6] تولى فيها شؤون القوم و ألف كتاب أسماه "مسائل نفوسة الجبل"[7]، كما استطاع أن يوسع هذه إلى غاية صحراء طرابلس، بعد ذلك عزم على العودة إلى تيهرت[8]، و هكذا نجح عبد الوهاب في توطيد أركان الدولة الرستمية و في الوصول بها إلى أوج اتساعها ، و ترك لخلفائه دولة قوية الدعائم متينة الأركان[9]، يقول عنها ابن الصغير:"و كان عبد الوهاب هذا قد اجتمع له من أمر الإباضية و غيرهم ما لم يجتمع الإباضية قبله، و دان له ما لم يدن لغيره و اجتمع له من من الجيوش و الحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله، و لقد حكى لي و جماعة من الناس أنه قد بلغت سمته إلى أن

1- النكارية:هم أتباع يزيد بن فندين الذين تنكروا لإمامة عبد الوهاب و ثاروا ضده، ابن الصغير:المصدر السابق، ص37.

2- يزيد بن فندين:هو أحد الذين رشحهم عبد الرحمن بن رستم لمنصب الإمامة، و قاد تيار المعارضة ضد الإمام عبد الوهاب وهو ينتمي إلى بني يفرن و هو فرع قوي من قبيلة زناتة البترية، أبو زكرياء يحي:المصدر السابق، ص- ص 85- 96.

3- الواصلية:هي مذهب واصل بن عطاء الغزال من أئمة البلاغة و علم الكلام، لقد نشرت الواصلية مذهب الإعتزال في مختلف أنحاء العالم الإسلامي حيث بعث واصل بعضا من رجاله إلى اليمن الجزيرة و أرمينة و المغرب إلخ، أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1900، ص- ص 92- 93، و قد أشار البكري لهذه الفئة بقوله:"و كان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت، و كان عددهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملوها".البكري:المصدر السابق، ص67، ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج2، ص8.

4- جبل دمر: هو يشكل الطريق الغربي للسلسلة التي تمتد من حنوب طرابلس حتى قابس، أبو زكرياء:المصدر السابق، ص114.

5- ابن الصغير المالكي:المصدر السابق، ص49.

6- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص84.

7- جمعية التراث:أعلام الإباضية منذ القرن1هـ إلى العصر الحاضر، م1، المطبعة العزبية، غرداية، الجزائر، 1999، ص- ص 591- 592، ابن الصغير:المصدر السابق، ص45.

8- حسين مؤنس:تاريخ المغرب و حضارته، المرجع السابق، ص329.

9- ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 118- 119

حاصر مدينة طرابلس و ملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان"[1].أولى اهتماما كبيرا للسياسة الخارجية باعتماد المسالمة و هي نظرة اقتضتها ظروف تأسيس و توطيد الحكم الناشئ، فقد وادع هو الآخر والي إفريقية روح بن حاتم و أبرم معاهدة سلم معه سنة 171هـ/787م[2].و ضل الهدوء سائدا في الدولة الرستمية حتى توفي الإمام عبد الوهاب سنة 208هـ[3]، و قيل 211هـ[4].و قد تولى الإمامة بعده ابنه أفلح.

- أفلح بن عبد الوهاب (208- 240هـ/823- 854):

مارس الإمام أفلح الحكم أثناء غياب أبيه في جبل نفوسة، فعاش في قلب المعارك التي أدارها والده، فشاركه محاربته الواصلية، مكنته من أن يكون أهلا لخلافة والده حيث اجتمع أهل الشورى من علماء الدولة، و أجمعوا على مبايعة أفلح بالإمامة في 208هـ لما رأوا فيه من صلاح و كفاءة لهذا المنصب[5]، قد أظهر أثناء حياة أبيه من الورع و التقوى و حسن السيرة و العلم، فاستمال قلوب الناس بالمعروف و القول الحسن و العمل البار و العدل و الإنصاف[6].تميز عهده بالازدهار الإقتصادي و تطور الحركة العلمية في شكل جعل تيهرت تعرف توسعا في نسيجها العمراني و إقبالا عليها من كل المناطق، فيصورها لنا ابن الصغير بقوله:"و عمرت معه الدنيا، و كثرت الأموال و المستغلات، و شاخ في ملكه، و أتته الرفاق و الوفود من كل الأمصار و الآفاق بأنواع التجارات، و تنافس الناس في البنيان..."[7] ، كما ازدهر النشاط التجاري و توسعت التجارة مع بلاد السودان، خاصة مملكة

1- ابن الصغير:المصدر السابق، ص17.

2- Gautier E.F:opcit, p303.

3- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص87.

4- اختلفت الروايات حول مدة حكمه، فمن قائل بأنها دامت أربعين سنة، أي أنه تولى الحكم سنة168هـ/784م، و مات سنة208هـ/823م، و قائل أنها لم تتجاوز 19 سنة، غير أن سليمان الباروني يقول أنه حكم من سنة 171هـ إلى 190هـ/805م سنة وفاته، سليمان الباروني:المرجع السابق، ج2، ص212، بوزياني الدراجي:المرجع السابق، ص- ص 91-92.

5- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص85، الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص72.

6- عثمان الكعاك:المرجع السابق، ص32، السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص558.

7- ابن الصغير:المصدر السابق، ص17.

"كوكو"[1]، علما أن والده الإمام عبد الوهاب كان يحرج عليه الدخول في التجارة تورعا و بعدا عن الوقوع في بعض الشبه من حيث البيع و الشراء، حت أنه عزم مرة التوجه إلى مملكة "صوصو" بقصد التجارة إلا أنه بعد أن هيأ نفسه و برز برحله، خرج إليه والده و قال له:"ارجع..." فرجع...[2] كما نالت الدولة في عهده حظها من الإزدهار الثقافي خصوصا الثقافة الدينية، إذ امتلأت مساجد تيهرت بطلاب العلم، و شاركت المرأة أيضا في هذه النهضة الثقافية، فكانت أخت الإمام أفلح ممن نبغن في علم الحساب و الفلك و التنجيم[3]، كما استطاع الإمام أفلح أن يجذب الواصلية و يستميلهم إلى جانبه، فأصبح رئيسا لهم إلى جانب كونه رأسا للإباضية و الصفرية، و في ذلك يقول البكري:"و كان ميمون(أفلح بن عبد الوهاب) رأس الإباضية وإمامهم و إمام الصفرية و الواصلية..."[4].و رغم هذا نشبت في عهده بعض التيارات المعارضة مثل الحركة التي سماها الإباضيون "الإفتراق الثالث" التي قادها نفاث بن نصر النفوسي[5].

و في فترة حكمه، ألقى العباسيون القبض على إبنه أبي اليقظان عندما كان ذاهبا إلى الحج، فحمل إلى بغداد[6] و زج به في السجن[7]، و لما علم أفلح بما حدث لولده، اشتد حزنه عليه و طال غمه به، فلم

1- كوكو:يقدر بعدها عن تيهرت بثلاثة أشهر سيرا بالقوافل عبر ورجلان، هي أحد أقاليم مملكة مالي الخمسة التي ذكرها البكري بملل، و الإدريسي بلملم، أما بن خلدون فيقول:"و كانت تجاورهم أي "غانة" من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم النقالون، تعرف بسوسو...ثم أمة تعرف بمالي ثم بعدها أمة تعرف بكوكو..."، ينظر، البكري:المصدر السابق، ص178، الإدريسي: المصدر السابق، ص4، عبد الرحمن بن خلدون:العبر، م2، ص1436.

2- Willems didier :Recherches sur quelques grande mosquees du M'zab et du sahel central, Etude realisee dans le cadre d'un D.E.A en Etudes Islamiques, Institut D'histoire de l'art et archeologie, paris, IV – Sorbonn,AnneeAcademique,1990-1991,p34.

3- محمد عيسى الحرير:المرجع السابق، ص151.

4- البكري:المصدر السابق، ص68.

5- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص138،الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص- ص 77- 82.

6- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص87.

7- ابن الصغير:المصدر السابق، ص27.

يزل مهموما محزونا إلى أن وافته المنية في سنة240هـ/854م[1].

- أبو بكر بن أفلح (240هـ- 241هـ):

لقد تغيرت الأمور في الدولة الرستمية بعد وفاة أفلح، إذ تولى الإمامة إبنه أبو بكر الذي لم يكن على المستوى المطلوب للحاكم الذي يقود دولة لها أهميتها مثل الدولة الرستمية، و قد اجتمع أهل الحل والعقد من نفوسة و غيرهم و عقدوا الإمامة لأبي بكر بن أفلح سنة240هـ[2] لأنهم لم يجدوا غيره في أبناء البيت الرستمي، فأخوه اليقظان كان أقدر منه على إدارة شؤون الدولة و لكنه كان لا يزال مسجونا ببغداد، و كان أخوه الثالث يعقوب صغير السن لذلك تمت مبايعة أبي بكر بالإمامة، و كان شابا طائشا لم يحسن الإدارة كما أنه لم يكن عادلا يحكم بأصول الدين كآبائه، بل كان يميل إلى الراحة و حياة الخمول[3]، فانغمس في الترف و أسرف في اللهو[4]، يقول ابن الصغير:"يسامح أهل المرجوات و يشايعهم على مواتهم و يحب الأدب و الأشعار و أخبار الماضين[5]".

ترك أبو بكر شؤون الدولة لصهره محمد بن عرفة[6] الذي كان من أعيان تيهرت، مهمته الإتصال بالرعية، و النظر في قضاياهم، فأصبحت الإمامة الفعلية لمحمد بن عرفة و الإسمية لأبي بكر[7]، و في تلك الأثناء عاد أبو اليقظان من العراق بعد أن أطلق سراحه، فوجد أحوال الدولة الرستمية كما هي لم تتغير، فأسلم إليه أبو بكر مقاليد الإمامة و ترك له مهمة القيام بشؤون الدولة

1- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص559، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 290- 291، الزركلي:الأعلام قاموس التراجم، ج1، مطبعة القاهرة، ط2، 1954، ص442، و قد اكتفى ابن الصغير بقوله:"و كان أفلح قد عمر ما لم يعمر أحد ممن كان قبله فأقام خمسين عاما أميرا"، بينما الدرجيني يقول:"و كانت مدة إمامته ستون سنة"، ينظر ابن الصغير:المصدر السابق، ص26، الدرجيني:المصدر السابق، ص85.

2- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص155، سليمان الباروني:المرجع السابق، ج2، ص292.

3- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص67.

4- عثمان الكعاك:المرجع السابق، ص134.

5- ابن الصغير:المصدر السابق، ص- ص 61- 62.

6- محمد بن عرفة:سبق و أن قام بالسفارة بين أفلح بن عبد الوهاب و مملكة كوكو و كان محمد بن عرفة قد تزوج بأخت أبي بكر بن أفلح و في المقابل كان لمحمد بن عرفة أخت تزوجها أبو بكر، الدرجيني:المصدر السابق، ج2، ص83.

7- جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص68، و يقول ابن الصغير:"فكانت الإمارة بالإسم لأبي بكر و بالحقيقة لمحمد بن عرفة"، ابن الصغير:المصدر السابق، ص62.

وحل مشاكلها.و في المقابل كان نفوذ ابن عرفة في ازدياد، و صيته في دوي مما أوغر صدر رؤساء الإباضية عليه، فحسده غير واحد على منصبه و سعوا به عند أبي بكر حتى أغروه عليه، فما كان منه إلا أن قتله غيلة و غدرا[1] لتدخل البلاد بعد ذلك في نار الفتن و لم يتمكن أبو بكر من إطفائها، فتخلى عن السياسة و تقدم أخوه أبو اليقظان الذي نجح في إخماد هذه النار و القضاء عليها نهائيا.

- أبو اليقظان محمد بن أفلح (241هـ- 281هـ):

لم تذكر المصادر شيئا عن المراحل الأولى من حياة أبي اليقظان، و إنما اكتفى بعضها بالحديث عن ورعه و تقواه و أنه كان حسن الحال عند جميع الناس. كان أبو اليقظان وقت وفاة أبيه أسيرا عند بني العباس[2]، فقد قبض عليه عامل الحجاز و هو متجه إلى الحج كما كرنا سابقا، و قد سجن مع المتوكل[3]، فتصادق معه، و لما اعتلى المتوكل عرش الخلافة، أمر بإطلاق سراح أبي اليقظان و آذن له بالعودة إلى بلاد المغرب[4].و كانت لهذه الفترة التي عاشها أبو اليقظان في بغداد أثرها في تكوين شخصيته السياسية سواء تلك الفترة التي قضاها مع المتوكل في السجن، أو التي قضاها في بلاط العباسيين، حتى ارتحل عنهم إلى بلاد المغرب[5].كانت لأبي اليقظان شخصية قوية استمدت عناصر قوتها من مقوماته الجسمية و سلوكه الشخصي، فقد كان مربوع القامة، أبيض الرأس و اللحية، زاهدا ورعا[6].و بعد عودته إلى تيهرت تمت مبايعته بالإمامة، و قيل بعد موت أخيه أو بتسليم منه إليه سنة 241هـ[7]، و تمت بيعته و أحوال البلاد في غاية السوء من الإضطراب و الفتن، فاستنجد بسكان جبل نفوسة الذين أمدوه بجيش كثيف تمكن بفضله و بفضل عزيمته و شجاعته من القضاء

1- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص89.

2- عثمان الكعاك:المرجع السابق، ص135.

3- المتوكل:هو أخو الخليفة الواثق، حيث غضب عليه فقام و سجنه و هناك التقى بأبي اليقظان، أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميري:حدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس و أسماء رواة الحديث و أهل الفقه و الأدب و ذوي النباهة و الشعر، تحقيق و تصحيح محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، د.ت، ص328.

4- ابن الصغير:المصدر السابق، ص63.

5- نفسه، ص نفسها.

6- رابح بونار:المرجع السابق، ص37.

7- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص98.

على الثوار، و بذلك احتل موضع التقدير من الجميع، و يذكر الدرجيني في هذا الصدد:"فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه و سيرته إلا بإمامة جده عبد الرحمن و سيرته، و ذلك أنه اتخذها مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون، و طائفة يقرؤون القرآن، و طائفة يتذاكرون في فنون العلم"[1].بقي أبو اليقظان في منصب الإمامة مدة أربعين سنة[2]، تمتعت الدولة الرستمية خلالها بكثير من الإصلاحات الداخلية التي ساهمت في دعم مركز الدولة السياسي و الإقتصادي و الإجتماعي، و هذا ما ذكره محمد بلقراد في مقاله، نقلا عن اليعقوبي الذي زار تيهرت في عصر أبي اليقظان و اعتبرها فترة ذهبية حتى أنه وصفها بـــ"عراق المغرب"[3].و من أعماله:تجديد دار الإمام[4]، و تقديم من هو أهل بالوظائف العليا و تسيير الأمور بلين، و قد قدم أحد علماء عصره "أبو عبيدة" على القضاء، أما الإمام أبو بكر، فقد قضى بقية أيامه في تيهرت في ظل إمامة أخيه أبي اليقظان الذي عمل على استثبات الأمن، فظلت أحوال الدولة هادئة إلى نهاي حكمه و وفاته سنة 281هـــ بعد أن عاش من العمر أكثر من مائة سنة[5].و لم يخلف وراءه شيء سوى قيمة قدرت بسبعة عشر دينارا[6]، و خلف من الولد الذكور عددا، منهم يقظان الذي كني باسمه، و يوسف المكنى بأبي حاتم و أبي خالد، و عبد الوهاب، و وهب، و غيرهم مما لا ذكر له[7].

– أبو حاتم يوسف بن محمد (281هـــ/294هـــ):

تولى الإمامة بعد وفاة محمد بن أفلح، مكث في الإمامة اثني عشر عاما[8] حيث أنه كان و هو أخوه اليقظان غائبان عندما توفي والدهما، فيقظان كان بالموسم، أما أبو حاتم، كان قد أخرجه أبوه في جيش مع وجوه زناتة ليجيروا "أي يؤمنوا" قوافل قد أقبلت من المشرق، و فيها أموال لا تحصى،

1- الدرجيني:المصدر السابق، ج2، ص- ص 83- 84، أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص98

2- حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب و الأندلس، المرجع السابق، ص37.

3- محمد بلقراد:الحركة الإباضية في تاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد41، 1977، ص58.

4- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص- ص 91- 92.

5- ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص197.

6- ابن الصغير:المصدر السابق، ص89.

7- نفسه، ص نفسها.

8- أبو زكرياء:المصدر السابق، ص100، الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص84.

خوفا من قبائل زناتة[1]، و لما رجع إلى المدينة، استقبله سكانها و حملوه على الأعناق و الأيادي، واصعدوه المنبر، و بايعوه، ثم أرسلوا إلى القبائل و بايعوه[2].

و قد كان له رجلان من خلاصته من أهل المدينة، كما من أهل الحرب و النجدة، و هما محمد بن رابح، و محمد بن حماد[3]، و كانا هما أول بن بايعوه، و كانا جريئين جدا إلى حد أنهما قالا يوما لأبي الحاتم، و كان أبوه قد لامه على شيء"خل بيننا و بينه، نحن ندخل عليه فنقتله، و يصير الأمر إليك" فاستنكر أبو الحاتم قولهما، و قد خشي على نفسه، فأمر بهما فأخرجا من المدينة[4]، و ثار أهلهما عليه[5].و قد كان أبو حاتم رجلا وسيما، حييا، كريم السجايا و الأخلاق، واسع الإحسان والبر بأترابه[6]، مدربا على إدارة شؤون الحكومة، و لعل في بداية إمامته، ظهرت أزمات رافقتها تطورات و أحداث متفاوتة، حيث خرج عليه يعقوب بن أفلح بتحريض من بعض سكان تيهرت، فأعلنوا الثورة عليه، و استقدموا يعقوب من زواغة[7]، و بايعوه بالإمامة، فقامت الحرب في العاصمة الرستمية، و احتدم القتال بين أنصار أبي حاتم، و أنصار يعقوب، حيث دامت هذه الحرب حوالي أربع سنوات، و انتهت بانتصار أبي حاتم، و عودته إلى الإمامة، و عودة عمه إلى زواغة سنة 294هـ[8]، و قضى ثمانية سنوات أخرى أعاد فيها النظام للدولة، و طهرها من الفساد الذي طغى على المجتمع، إلا أنه لم يستطع أن يقضي و يمحي جذور الفساد في الأسرة الرستمية التي كانت سببا في قتله[9].

1- ابن الصغير:المصدر السابق، ص91.

2 – سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 350- 351.

3 – و لعله أخا بكر بن حماد الشاعر المشهور، سليمان الباروني، المرجع السابق، المرجع السابق، ص- ص 350- 351.

4 – سليمان الباروني: نفسه، ج2، ص353.

5- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص- ص 92- 93، سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص383، Andre negre, la fin de l'état rostumide, revus d'histoire et de civilisation du magureb, faculté des lettresd'Alger,1967,p – p 33 – 34.

6 – سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص348.

7- زواغة:هم من بطون البرابرة البتر، و لهم ثلاثة بطون هي:دمر، بنو وطيل، و بنو ماخر، و هم متفرقون في نواحي

8- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص197، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص363.

9- رابح بونار:المرجع السابق، ص37.

و قد شارك أبو بكر الناقمين و الثائرين على أبي حاتم، ثم عاد إليه طالبا العفو في قصيدة مدح رائعة وجميلة جاء في مطلعها:

و مؤنسه لي بالعراق تركتها و غصن سبابي في العصون نضير

فقالت كما قال النواسي[1] قبلها "عزيز علينا أن نراك تسير[2]"

و قد شهد أيضا عهده تنكرا الطيب بن خلف في حيز طرابلس[3]، و جبل نفوسة، فعهد الإمام بتأديبه إلى منصور إلياس، فوجه إلى الطيب جيشا لمحاربته، فالتجأ هذا الأخير إلى زواغة، فطاردهم أبو المنصور، و حاصر جربة، و قبض عليه، و حمل مقيدا إلى جبل نفوسة، و حبس فترة، ثم أخرج بعد أن أعلن توبته و عودته إلى ولاء الإمام[4]، و لما توفي أبو منصور إلياس، أسند الإمام ولاية نفوسة إلى أفلح بن العباس، و لم يكن بمهارة أبي المنصور، فقد انهزم على يد الأغالبة سنة 284هـــ، و قد كان عدد النفوسيين عشرين ألف مقاتل، يقودهم أفلح بن العباس، و سميت هذه الموقعة بـــ "مانو"[5].و قد عاود ابراهيم بن أحمد الأغلبي الكرة مرة أخرى، فأرسل ابنه أبا العباس إلى نفوسة، وقتل عدد منهم، و أسر حوالي ثلاثة مائة شخص، و أخذهم إلى القيروان، و أمر بذبحهم، و استئصال قلوبهم، و نظمها في جبال نصبت على باب تونس[6]، و بهذه الهزائم ، أثرت سلبا في سقوط هيبة

1- النواسي:هو أبو النواس الحسن بن هانئ الحكمي، مبارك الميلي:المرجع السابق، ص74.

2 – البرادي نقلا عن سليمان الباروني، المرجع السابق، ج2، ص365.

3- الدرجيني: المصدر السابق، ص100، مبارك الميلي:المرجع نفسه، ص75.

4- الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص225، السيد عبد العزيز سالم:المرجع السابق، ص563، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج1، ص370.

5- تنسب هذه الموقعة إلى قصر"مانو"، و قد دخل الخوارج المعركة بعد كثير من التردد و خاصة أن أميرهم أفلح بن العباس أبى ذلك، أبو زكرياء:المصدر السابق، ص107، الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص87،الباروني:المرجع السابق، ص372، و ينظر:
Brahim.Fekar: Les institus Ibadites Magrebines au moyen- age, Actes du 3angres d'histoire et de la civilisation du magreb, tome1, office de publicatins universitaires, Oran 26- 27- 28/11/1983, p119.

6- السيد عبد العزيز سالم:المرجع السابق، ص564، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 374- 375.

الإمام و طمع أقاربه في الإمامة، و قد قضي على أبي حاتم قتلا من طرف أحد أبناء أخيه اليقظان بن أبي اليقظان سنة294هـ[1]، و تولى هذا الأخير هذا المنصب.

– إمامة يعقوب بن أفلح (284هـ/288هـ):

كان يعقوب بن أفلح يطمع في الإمامة بعد وفاة أخيه بن الأفلح، و لما بويع ليوسف بن أخيه الإمامة، انقطع يعقوب عنه و رحل إلى زواغة، و لما ثار أهل تيهرت على يوسف و أخرجوه منها[2]، أعلنوا الثورة عليه، و استقدموا يعقوب من زواغة و بايعوه بالإمامة، و دامت أربع سنوات[3]، و كان يعقوب رفيع الهمة، نزيه النفس، حيث وصفه إبن الصغير قائلا:"إنه كان بعيد الهمة نزيه النفس، ماجس بيده دينارا و لا درهما فكأنه أعاد سيرة الإمام الأول في ورعه و تقشفه.فقد كان إذا أتى وكيله بغلاته أمر بأن يجعلها تحت بردعه له يجلس عليها.

و إذا أراد إخراج شيء منها دفعه بقضيب من يده، و كان يعقوب إذا سافر و نزل بقوم لم يأكل لهم طعاما، و كانت له بقرات يأمر بحلبهن بين يديه في إناء جديد، فإذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عيه ثلاثا لا يأكل طعاما و لا يشرب شرابا و لا يخرج لبراز...و كان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب مثله، لا قبله و لا بعده..."[4].

و قد قامت الحروب بينه و بين المصلحين و وضعت الفتنة و أوزارها، و عاد أبو حاتم إلى إمامته سنة 286هـ، وقتها قال يعقوب قولته المشهورة:"لا يجتمع منكم إثنان إلا ما كن عليهم الطلب، افترقوا فقد انقضت أيامكم، و زوال مملكتكم و لا يعود إليكم إلى يوم القيامة"، و أقبل هو و عياله و أهله إلى ورجلان[5].إلا أن الصراع ظل قائما داخل البيت الرستمي، مما يؤدي إلى قتل أبي حاتم من قبل أبناء أب اليقظان أخيه من الأب سنة294هـ[6].

1- محمود اسماعيل:المرجع السابق، ص133، جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص69.

2- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص125.

3- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص565.

4- ابن الصغير:المصدر السابق، ص54.

5- أبو زكرياء:المصدر السابق، ص128.

6- بوزياني الدراجي:دول الخوارج و العلويين:المرجع السابق، ص102، جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص69.

- إمامة اليقظان بن أبي اليقظان (294هـ/296هـ):

هو ابن أبي اليقظان محمد و أخو أبي حاتم يوسف، تولى الإمامة و أيام دولته غير مستقرة[1]، دامت إمامته سنتين في جو مليء بالإنقسامات و الإضطراب، فالإنقسام تمثل في أن شيوخ الدولة كانوا ساخطين عليه لاتهامه بقتل أخيه[2]، أما الإضطراب فلأن خطر الإسماعيلية[3] قد اقترب من دولتهم، و أصبح يهددها بالسقوط، خصوصا بعد أن تمكن أبو عبيد الله الشيعي، من احتلال الزاب والتغلب على دولة الأغالبة، و دخل رقادة[4] سنة296هـ بعد أن هرب منها زيادة الله بن الأغلب[5]، فأحس اليقظان بعجزه عن مواجهة الشيعة، و أدرك قرب نهايته و نهاية دولته، و بالفعل، تمكن أبو عبيد الله الشيعي من قتله و دخول مدينة تيهرت بكل سهولة و بدون حصار، و كان ذلك في سنة 296هـ[6]، و استولى على مكتبة المعصومة لمدينة تيهرت، و كانت على جانب كبير من الأهلية ومن التنوع و الغنى، و تضيف النصوص الإباضية بأن أبا عبد الله الشيعي قد خص محتويات المكتبة الثرية، فأخذ كتب الصنائع و كذا العلمية، و أحرق ما تبقى من الكتب[7]، و بهذا انقرضت هذه الدولة من تيهرت، و التجأ باقي أفرادها إلى الصحراء، و قد أخذ زمام الولاية فيها أيام الشيعة أبو حميد دواس اللهيصي، حيث ولاه أبو عبيد الله الشيعي حين خروجه منها إلى سجلماسة[8].

نستنتج من خلال هذا الملخص لأهم الأئمة الرستميين الذين توالوا مقاليد الحكم الرستمي أن هناك اختلافات عديدة بين المصادر و المراجع في تحديد فترة الإمامة، و يبقى هذا الإختلاف واردا

1- عبد الرحمن الجيلالي:المرجع السابق، ج1، ص172.

2- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير:المرجع السابق، ج2، ص565.

3- سنتطرق لتعريف الإسماعيلية في الفصل الخاص بالحياة الثقافية.

4- رقادة:هي على بعد ثمانية أميال جنوب مدينة القيروان، بنى لها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب قصورا عديدة و جامعا، الإدريسي:المصدر السابق، ص143.

5- ابن عذارى المراكشي:المصدر السابق، ج1، ص196.

6- نفسه، ج1، ص197، B.Fekar : op.cit,p- p119- 120 .

7- موسى لقبال:من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتاهرت هل أحرقت؟ أم نقلت عيونها إلى سدراتة؟، في جوار بني ورجلان؟ مجلة الأصالة، العدد44، 1977، ص- ص 52- 59.

8- ابن عذارى:المصدر السابق، ص198.

أمام غياب أدلة مادية تبرز مدة حكم كل إمام، كالعملة أو الكتابات الأثرية، و تبقى الحفريات المسلك الوحيد لحل هذه الإشكاليات، و إن كانت هي الأخرى قليلة و نتائجها محدودة، و سنورد في قائمة الملاحق جدولا نحدد فيه فترة حكم الأئمة و تلك الإختلافات بين المصادر و المراجع.

ثانيا- نظـــام الحكـــم و طـــبـــيـــعـــتــــه :

أ/ النظام السياسي:

إن نظام الحكم في الدولة الرستمية لا يختلف كثيرا عن باقي الدول الإسلامية الأخرى، و هو يقوم في عمومه على الإمامة حيث الحاكم مجبر على التقيد بالكتاب و السنة و الإقتداء بالصالحين من الأمة[1].

كان الإباضيون قد نكروا على الأمويين ثم العباسيين.استئثارهم بالخلافة و حصرها في بيتهم، فرفعوا يدعو لإصلاح نظام الحكم[2]، و أخذوا يطالبون بجعل الخلافة إسلامية، كما دفعهم ظمأ و جور بني أمية و بني العباس أن يجددوا واجب الخليفة بأن يتقيد بالكتاب و السنة و آثار الصالحين و عليه أن يقيم حدود الله و يؤمن السبيل و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و ينشر العدل و المساواة، و أن يخضع لإشراف شرح المذهب من الشورى و الطلبة و المشايخ، فإن رأوا منه انحرافا أوجبوا عزله، فإذا امتنع أوجبوا قتله، لأنه في اعتبارهم الراعي الأمين و الحارس المخلص للشريعة الإسلامية، كما يتصورونها[3]، فهو من أصلح الناس، و الرئيس الروحي و الزمني لهم،و للإمام مجلس شوري و أعوان يساعدونه، و يحمل الإمام ألقابا أخرى مثل أمير المؤمنين، و كان يسلم عليه بالخلافة و الإمامة عندهم أكوار الكتمان و الظهور و الدفاع و الشورى و ليس هناك فترة محددة لكل منها، هذا على الصعيد النظري، أما على الصعيد العملي عند الرستميين، فإن عبد الرحمن بن رستم أخذ ولاية القيروان بعقد من أبي الخطاب موافقة أهل الحل و العقد[4].و تولى إمامة تيهرت بعد التشاور مع جماعة الإباضيين فيها، و على هذا، فإن نظام الحكم كان شوريا يتولى قيادة الدولة إمام تختاره الأمة بعد مشورة أهل

1- محمد عليلي:المرجع السابق، ص18.

2- علي يحيى معمر:المرجع السابق، ص12.

3- كان الرستميون لا يعترفون بتبعية سياسية لغيرهم، و كان دستورهم هو العمل بأحكام القرآن و السنة النبوية، رابح بونار: المرجع السابق، ص28.

4- جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص50.

العلم و الدين و وجوه القبيلة، و كان الإمام الرستمي هو أيضا رئيسا روحيا و زمنيا في ذات الوقت و كان عليه أن يكون خير قدوة لكافة المسلمين[1].

و قد كان عبد الرحمن بن رستم متحليا بالفصل و الورع و الزهد في متاع الحياة الدنيا كما سبقت إشارتنا إليه من خلال نص ابن الصغير الذي يروي لنا زيادة الوفد المشرق إلى تيهرت[2].

و لقد كانت تلك صورة رائعة لسيرة عبد الرحمن بن رستم و مطعمه و ملبسه و حلية بيته، و إذا ذكرتنا بعهد الخلفاء الراشدين و عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خصوصا[3]، و لقد اكتفى الوفد المشرقي بهذه الصورة الناطقة امتحانا لعبد الرحمن في سيرته، فقال:"بعضهم لبعض يكفينا من السؤال عنه ما رأينا..."[4].

بعد هذه الصورة للإمامة في تيهرت، نلاحظ أنها لم تخرج عن دائرة الرستميين، فإذا خرجت عن أحدهم تولاها آخر، قد يكون أبناء كولاية عبد الوهاب بعد أبيه، و أخا كولاية أبي اليقظان بعد أخيه أبي بكر، و قد يكون عما كولاية يعقوب بعد ابن أخيه أبي حاتم، و بهذا نستطيع القول أن الإمامة لم تكن للمسلمين عامة، و لم تكن وراثية بالمعنى الضيق، و هو أن يرث الابن أباه فقد ظلت مقصورة على وراثة البيت الرستمي، شأن الخلافة الأموية و العباسية و إذا استثنينا عبد الرحمن، فما من إمام رستمي إلا و قامت في وجهه معارضة من الرستميين أنفسهم و غيرهم[5].و هذا يعني أن كلا من هؤلاء كان يعتمد على جماعة تناصره و تؤيده حتى يصل كرسي الإمامة، حتى بلغ بأبي حاتم أن استعان بالمسيحيين[6].كما يعني أن الشورى كانت قائمة في اختيار الإمام لكنها شورى محدودة ببيت معين هو البيت الرستمي، و كان الإختيار خاضعا لمبدأ الأفضل إلا أن الوصول إلى الكرسي كان

1- ابراهيم يوسف:المرجع السابق، ص75.

2- ابن الصغير:المصدر السابق، ص30.

3- بحاز ابراهيم:عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص- ص 40- 43.

4- ابن الصغير:المصدر السابق، ص30.

5- جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص51.

6- إن الروم استعانوا بالبربر لمواجهة عقبة بن نافع عند تيهرت، و لذلك فمن المحتمل أن تكون قد ظل بقايا الروم و النصارى يدفعون الجزية فقد كان، عبد الرحمن بن رستم ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية، ابن الصغير:المصدر السابق، ص15.

خاضعا لمبدأ الأقدر.بهذا يتضح أن الرستميين كانوا يرفعون شعارات نظرية في الإمامة و غيرها، ثم اصطدموا بالواقع عند التنفيذ، فخرجوا عن الالتزام بمبادئهم، و هذا ما أدى إلى جعل نظام الحكم أقرب إلى الملكية منه إلى الجمهورية[1].

ب/ النظام العســـكري:

لقد كانت تيهرت العاصمة السياسية و الإدارية، و كانت في نفس الوقت قاعدة عسكرية محصنة بسور ذات قصبة محكمة التحصين قادرة على أن تصمد لكل هجوم يأتيها من الخارج، و كان سكانها مصممين جميعا كرجل واحد على حمايتها و مستعدين لمواجهة أي خطر ليصبحوا جنودا وأبطالا و سندا مستمرا لجيش المدينة[2].

و كان للرستميين جيش يعتمد عليه في الدفاع عن حرمة تيهرت و حدود البلاد، كان عدده يبلغ في الظروف العادية حوالي خمسة عشر آلفا، لكن سكان تيهرت من الذكور كانوا كلهم مجندين في حالة الحرب، و كانت أسلحتهم تشتمل على السيوف و الرماح و الدرق، و يلبس الجيش أثناء الحروب الدروع و الخوذ، و يستعملون أعلاما و يضربون الطبول لجمع الجنود[3].و ذكر ابن الصغير أن حرس تيهرت كانوا لا يفتأون ساهرين على أسوارها و أن الإمام الأول كان ذا خيالة مجهزة تجهيزا قويا وأن الإمام الثاني عد في عسكره ألف فرس أبلق و أن افلح خلفه كان له حرس خاص، و كان صاحب شرطته إذا تخلل المدينة لافتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة و لا يتخلله هيبة[4].و يذكر ابن الأثير من جهته أن عبد الرحمن بن رستم ضرب حصارا على مدينة طبنة بجيش عدده خمسة عشر ألف جندي[5].و من هنا نستنتج أن الدولة الرستمية افتقدت إلى جيش نظامي، و اقتصر جيشها على تطوع القبائل أثناء الحروب، و منها المتطوعون من جبل نفوسة.

1- جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص51، أحمد توفيق المدني:المرجع السابق، ص21.

2- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص109، لخضر سيفر:التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2006، ج1، ص90.

3- عمار عمورة:المرجع السابق، ص94، رشيد بورويبة و آخرون:المرجع نفسه، ص نفسها.

4- ابن الصغير:المصدر السابق، ص109.

5- ابن الأثير:المصدر السابق، ج5، ص600.

جـ/ النظـــام الإداري:

أما التنظيم الإداري، فقد اتخذ الرستميون الوزراء و الكتاب و الحجاب، و الحراس و نظام السجلات و الخاتم، فمثلا من أشهر الوزراء الذين تقلدوا منصب الوزارة، السمح بن أبي الخطاب[1] ومحمد بن عرفة[2].فقد وضع عبد الرحمن بن رستم نظاما إداريا بسيطا للقضاء و الشرطة و الجباية والصدقات و الأموال[3]، و اتخذ حاكم الدولة لقب الإمام، و بمقتضى ذلك أصبح مصدرا لجميع السلطات الدينية و السياسية، يظهر ذلك من خلال حوار البيعة الذي دار بين رؤساء الإباضية وشيوخهم، و بين عبد الرحمن بن رستم حيث قالوا له:"و نحن الآن نرضى بك و نقدمك على أنفسنا، فقد علمتم أنه لا يصلح أمرنا إلا إمام نلجأ إليه في أمورنا..."[4].

و قد قسم الرستميون إلى عملات، و منها ما كان في شرق الدولة في المغرب الأدنى، بها الولاة و العمال الذين تولوا هذه العملات و منها عمالة قفصة، و سرت، و نفزاوة، و قنطرارة، جبل نفوسة و قابس و جبال دمر، و كان الأئمة الرستميون يتتبعون العمال و الرعية عن طريق رسائل يكتبونها و يشرحون فيها مبادئ المجتمع الإباضي، و كلها ترتكز على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و طاعة الأئمة[5].و أسند الأئمة الرستميون إلى عمال الأقاليم أعمال جباية و تحصيل مطالب بيت المال، و توجد رواية تؤكد أن أفلح بن عبد الوهاب ألزم عماله بضرورة مراعاة فقه المذهب الإباضي في نظام الجباية[6]، و يتضح من خلال رسالة أرسلها أفلح بن عبد الوهاب للبشير محمد بن سلام أحد عماله، يعطيه فيها مزيدا من السلطان داخل عمالته و يلزمه فيها بحدود الشرع فيما يختص بالخراج و الجبايات.و سار الرستميون على سنن المشارقة في كافة النظم الإدارية الأخرى التي تكفل ضبط الأمور في دولتهم، فأنشؤوا جهازا للشرطة يقوم بأعمال الحراسة و المحافظة على الأمن، و قد

1- سليمان الباروني:المرجع السابق، ج2، ص147

2- ابن الصغير:المصدر السابق، ص54.

3- عمار عمورة:المرجع السابق، ص93، ابراهيم بحاز:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص237.

4- ابن الصغير:المصدر السابق، ص- ص 25- 26، محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص223.

5- عثمان الكعاك:المرجع السابق، ص127، و سنعرض هذه الرسائل في نهاية الملاحق.

6- ابراهيم بن يوسف:المرجع السابق، ص50.

أسس الإمام أبو اليقظان فرقة كاملة للقيام بأعمال الحسبة، و كان أفراد هذه الفرقة من قبيلة نفوسة الإباضية، و حددت وظائفهم التي قاموا بها بأنهم كانوا يمشون في الأسواق يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، فإن رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه، و إن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عليها، و إذا رأوا قدارا في الطريق، أمروا من حوله بكنسه[1]، أما عن ط[2]ريقة تعيين القضاة و عن أهم القضاة في الدولة الرستمية، فيقول ابن الصغير:"فأتوا إلى أفلح بن عبد الوهاب فقالوا:قد تدافعنا هذا فيما بيننا، فلم نرتض أحدا منا، و قد ارتضينا جميعا بمحكم الهواري لخاصتنا و عامتنا و ديننا[3]، فقال أفلح:و بحكم دعوتكم رجل كما وصفتموه في ورعه و دينه، و لكن الرجل نشأ في باديته و لا يعرف لذي القدر قدره و لا لذي الشرف شرفه، و إن كان ليس أحد منكم يجب أن يظلم و لكن تحبون أن يجري فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لأعراضكم ولا امتهانا لأنفسكم، قالوا:فإننا لا نرضى لقضائنا أحدا غيره".كان فاقها كبيرا و قاضيا فذا، و له كتاب في التفسير و هو في سفرين كبيرين، لكنه ضاع كغيره من الكتب الإباضية عندما حارب العبيديون تيهرت و القيروان[4]، و كذلك القاضي الرستمي الذي تميز بتصلبه، محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ الذي دفعت به الضغوط إلى أن يستقيل [5]من منصب القضاء، لأن أبناء الإمام اليقظان استغلوا كونهم أبناء الإمام و ارتكبوا بعض الأخطاء.و قد كان الشخصية الأكبر في تيهرت بعد الإمام و القاضي هو صاحب بيت المال المسؤول عن الشؤون المالية، و وصف عمل الجباة الذين في خدمته و كيف كانوا يجمعون الضرائب، و كان القاضي في تيهرت هو الشخصية العليا بعد الإمام لأن الرستميين أقاموا نظاما تمتع في ظله القضاة بالنزاهة التامة و الخضوع لاحترام كامل من قبل الأئمة، كان يمتاز أيضا

1- ابن الصغير:المصدر السابق، ص77، سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص- ص 366- 367.
2- ابن الصغير: نفسه، ص49.
3- نفسه، ص50.
4- صالح باجية:المرجع السابق، ص55.
5- يقول البلاذري:"أنه جاء إلى أبي اليقظان فرمى إليه بخاتمه و قمطره و قال له:ول على قضائك من تريد؟فقال له أبو اليقظان مال و ما اعتراك؟ فرد عليه القاضي محمد بن عبد الله:ما نقمت عليك شيئا و لكن نقمت على بنيك...خليتهم عالة على الناس، وانصرف...و رد بقوله على الذين أرسلهم الإمام إليه:دعوني من هذا، و الله لا وليت له قضاء أبدا"البلاذري:المصدر السابق، ص230، ابن الصغير:المصدر السابق، ص78.

بالنفوذ الأكبر الجاري حتى على الأعيان، و كان حكمه يعم كل الميادين التي ينص عليها القرآن، حيث لم يسمح القاضي لأحد بأن يتدخل في شؤونه و كان يرى هذا الأخير أن الأئمة و أبناءهم فوق كل الشبهات، و ينبغي أن يكون الجميع قدوة طيبة للرعية[1].و علاوة على الموظفين الذين سبق ذكرهم كان في تيهرت أشخاص آخرون غير ذوي اختصاصت دقيقة و لكنهم قاموا بأدوار ذات أهمية أساسية في إدارة المدينة[2].

ثالثا- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية:

أ/ علاقة الرستميين مع دولة سجلماسة (140- 296هـ/757- 908م):

قامت إلى الجنوب الغربي لحدود الدولة الرستمية دولة بني مدرار في سجلماسة، تلك الدولة التي تربط مع الرستميين بأوثق الروابط، و قد قامت دولة سجلماسة سنة 140هـ/757م[3] على أساس المذهب الصفري، و ذكر بعضهم أن تأسيس سجلماسة يرجع للرستميين[4]، كما لعب الفرع المكناسي دورا إلى جانب القبائل الإباضية في مبايعة الإمام عبد الرحمن بن رستم، و كانت العلاقات بينهما تتسم بالسلم و حسن الجوار، بحكم المذهب الخارجي الذي يجمعهما و الجغرافي كذلك[5]، وتقوت العلاقات بينهما بزواج مدرار بن اليسع الذي تولى الحكم سنة207هـ/723م[6] من أروى

1- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص107.

2- هم التجار و الأغنياء و رؤساء القبائل و المشايخ، رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص109.

3- كان أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسي صاحب ماشية كثيرة ينتجع لها موضع سجلماسة و يتردد إليها، فاجتمع قوم من الصفرية على أبي قاسم و سكنوا معهوا هناك في خيمات، و في سنة140هـ، قدموا عليهم عيسى بن الأسود، و شرعوا في بناء سجلماسة، و لكن هؤلاء الصفرية ما لبثوا أن نقموا على عيسى بن يزيد أشياء فأحدوه و شدوا وثاقه إلى الشجرة في رأس جبل وتركوه حتى مات و ولوا أمرهم إلى أبي القاسم سمغون بن واسول الذي ظهر أمر دولة سجلماسة و أولاده من بعده، ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص156، ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، م2، ص- ص 2422- 2406.

4- جودت عبد الكريم:الأوضاع الإقتصادية و الاجتماعية للمغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجري (9- 10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص- ص 210- 211.

5- عبد الرحمن بلاغ:قبيلة مكناسة البربرية و دورها المذهبي و السياسي في بلاد المغرب من القرن 2 إلى 4هـ (8- 10م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المركز الجامعي بشار، 2006- 2007م، ص84.

6- البكري:المصدر السابق، ص130

إبنة عبد الرحمن بن رستم[1]، و هذا ما أكده بن خلدون حيث قال:"إن اليسع بن أبي القاسم أصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت بإبنه مدرار في ابنته أروى فأنكحه إياها"[2]، و يمثل هذا الزواج قمة التقارب في العلاقات بين الدولتين، و قد تحدث الباروني عن الأهداف الحقيقية لهذا الزواج بقوله:"و على عهده اليسع بن القاسم الذي تولى الحكم سنة714هـ استفحل أمرهم و اشتد ملكهم، و كان يرى في نفسه العظمة لكثرة الجنود و الأتباع، و له ابن يعرف بمدرار، فلم يرى له كفئا للمصاهرة غير الإمام عبد الرحمن، و كانت له ابنة تعرف بأروة، فخطبها اليسع، و بعد أن أظهر الإمام العزة و الإمتناع مع إلحاح الخطيب، أجابه إلى طلبه و زوجها من مدرار إبنه، و لم يصغ للمعترضين و المنكرين عليه مؤملا أن يأتي يوم ما على أولادها إن قدر الله بحملها و هم على مذهبه، فيضمهم هو أو خلفه إليه، أو تتوثق علائق الوداد بين المملكتين فلا يطرقه منهم طارق سوء، و لا يأتيه من قبلهم ما يكدر راحته أو يوجب له قلقا أو خللا في داخليته إذا كان تحت حكمه من الصفرية ما يعد بعشرات الألوف من المقاتلين الموصوفين بالشجاعة و البسالة، كما أن بسجلماسة من الإباضية أمثال ذلك من الفرسان الأشداء..."[3].و يفهم من ذلك أن هذه العلاقات بينهما قامت على أساس المصلحة المتبادلة خاصة إذا عرفنا أن فترة اليسع عرفت حركة تجارية واسعة حيث جال الصحراء و امتلك درعة، ثم توسع شرقا نحو حدود الدولة الرستمية لتحكمها في المسالك التجارية بالنسبة لسجلماسة، لهذا فعقده لهذا القران الدبلوماسي سيؤمن به الطرق التجارية مما يضمن له عدم التأثر السياسي و المذهبي لأنه كان شديد التعصب للمذهب الصفري[4]، و يبدو أنه لم يظل المذهب الصفري هو السائد بسجلماسة، و ذلك أن أبا القاسم سمكو كان إباضيا صفريا، و اليسع بن أبي القاسم كان إباضيا صفريا أيضا، و مما يؤكد عدم وضوح المذهب هو عند الأخوين ميمون بن أروى

1- Chikh Bekri:Le Royaume Rostomide, op.cit, p172.

2- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، ص2422.

3- سليمان الباروني:المرجع السابق، ج2، ص125، السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، المرجع السابق، ج2، ص571

4- عبد الرحمن بلاغ:المرجع السابق، ص85.

الذي يقول عنه ابن خلدون أنه يسمى عبد الرحمن أيضا، و ميمون بن تقية[1].و لم يتوقف اعتناق المذهب الإباضي عند الأسرة الحاكمة فقط بل تعداه إلى رعاياها، و هذا ما يؤكده ابن الصغير بقوله:"إن إباضية سجلماسة كانوا يبعثون بزكاتهم إلى الإمام أبي اليقظان[2].

و بالمقابل كانت الصفرية منتشرة بين القبائل التيهرتية، خاصة قبيلة مكناسة لأن أبا عبد الله الشيعي عندما عسكر أمام تيهرت خرج إليه من فيها من شيعة و واصلية و صفرية و مالكية قدموا له الشكاية في أبي اليقظان[3]، و تظهر علاقات المصلحة بينهما من خلال موقف اليسع من أحداث الفوضى التي شهدتها تيهرت في أواخر أيام الرستميين، فلم يذكر أحد من المؤرخين أنه ناصر فريقا على فريق من الأطراف المتصارعة فيها، أو أنه حاول استغلال الفوضى لكي يوسع حدود دولته، رغم أن تيهرت لا تبعد عن سجلماسة أكثر من عشرة مراحل، بل إن موقفه من هجوم الشيعي على يهرت يزيد سياسته تجاه الرستميين وضوحا، فهو لم يحاول أن يحرك ساكنا، و ليس هناك من يشير أنه قدم مساعدة لتيهرت أو حاول التحالف معها خاصة و هو يحتفظ بعبيد الله المهدي سجينا عنده، وهذا ما يدل على أن نظره لم يكن يمتد أبعد من حدود دولته[4].

ب/ علاقة الرستميين مع الأغالـــــبـــة[5]:

اتخذت العلاقات بين بني رستم و الأغالبة طابعا عدائيا صرفا، و كان لذلك أسبابه المذهبية والسياسية و الجغرافية فالأغالبة كانوا سنة، و مذهب مالك المعروف بعدائه لسائر النحل المتطرفة، ساد إفريقية الأغلبية بينما تعصب بنو رستم للمذهب الإباضي، و هو رغم اعتداله يذهب إلى تكفير مخالفيه و فضلا عن ذلك، فالأغالبة كانوا عمال الخلافة العباسية و أداتها في إفريقية، و رمز نفوذها

1- ابن خلدون:العبر:المصدر السابق، ص2424، جودت عبد الكريم:الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص218.

2- ابن الصغير:المصدر السابق، ص97.

3- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص169.

4- جودت عبد الكريم:علاقات الدولة الرستمية الخارجية، المرجع السابق، ص217.

5- نسبة إلى مؤسس الدولة الأغلبية، و هو ابراهيم بن الأغلب(184- 196هـ/800- 812م)و الذي كان واليا على الزاب،امتاز بشجاعته العسكرية و حكمته و حنكته السياسية و الماهه بالأدب و العلوم الشرعية و حفظه للقرآن، كان تلميذا لليث بن سعد المتوفي سنة165هـ/781م بمصر، محمد بن سعد:الطبقات الكبرى، ج7، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1958، ص517.

الوحيد في بلاد المغرب، فقد قامت سياستهم الخارجية على مصادقة أصدقاء الخلافة و معادات أعدائها، و من ثم كان على أمراء بني الأغلب أن يناهضوا أئمة تيهرت جديا على سنة الخلافة و تنفيذ مشيئتها، كما لم يتقاعس بنو رستم عن مناحرة جيرانهم الأغالبة باعتبارهم أعداء سياسيين ومذهبيين، وبالرغم مما عرفوا به من المسالمة و الحرص على تحاشي أسباب التطاول و الصراع[1].

لقد فرضت الظروف الجغرافية على لدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدوانيا فلم يكن ثمة محيد عن الصدام أمام تشابك الحدود و عدم وضوح معالمها، فقد أحاطت الدولة الرستمية بإفريقية الأغلبية من الشرق و الغرب و الجنوب، و لم يكن هناك ما يمنع رعايا الدولتين من القبائل البدوية من الحركة و الإنتقال و الإختلاط في مناطق الحدود[2].و من هنا اختلط على بعض الجغرافيين، فنسبوا بعض البلدان الرستمية، كغدامس و تهودا و ودان إلى الأغالبة، و الذي يعنينا هو أن الصدام بين رعايا الدولتين في مناطق الحدود كان لا ينقطع، فإقليم الزاب و نواحي بلزمة شهدوا صراعات دامية بين فقهاء المالكية و أتباع المذهب الإباضي[3].

حقا إن الأغالبة كان لهم مسلكهم في معاداة أعداء الخلافة العباسية[4]، و لكنهم بالنسبة للرستميين لم يفصحوا عن هذا العداء، لذا عمدوا إلى تشجيع القلاقل و الخلافات التي كانت تظهر بين الحين و الآخر في مجتمع الدولة الرستمية، و قد ساعدهم على ذلك وجود جالية كبيرة من المتمردين على الأغالبة، حيث أعطى الرستميون لأفرادها ما يشبه حق اللجوء السياسي عندهم، فكانت تيهرت زاخرة بعدد كبير من هؤلاء القيروانيين الذين عاشوا في المجتمع الرستمي و هم يتمتعون بكامل الحقوق التي تمنح لمواطني الدولة الرستمية، بل إن بعضهم صاهر أئمة الدولة و أصبح له من النفوذ ما لم يصل له غيره.و قد اندس بين هؤلاء اللاجئين السياسيين عدد ممن سخرهم حكام الأغالبة لإثارة الشغب كلما أتتهم الفرصة لذلك[5]. و قام حلف الخادم مولى بن سالم في عهد أبي بكر

1- محمود اسماعيل:المرجع السابق، ص140.
2- نفسه، ص نفسها.
3- نفسه، ص141.
4- البلاذري:المصدر السابق، ص328.
5- ابن الأثير:المصدر السابق، ج6، ص519.

بإثارة الفتنة و الشقاق بين سكان تيهرت متخذا من مقتل محمد بن عرفة ذريعة إلى ذلك، و قد بذل في سبيل ذلك أموالا كثيرة[1]، و قد تمكن أبو اليقظان خليفة أبي بكر بن أفلح من القضاء على هدف الفتنة بعد أعوام سبعة من إمامته.بدأ التراع الأغلبي الرستمي في منطقة طرابلس، و سببه أن هذه المدينة كانت تابعة للأغالبة، و قد امتد نفوذ عاملها على بعض بطون هوارة الإباضية الضارية بجوارها، وعددها ثلاثمائة أسرة، و ينبغي أن يطمع هؤلاء الإباضية في الإستقلال عن سلطان الأغالبة للتحول إلى طاعة بني رستم، فاضطر عبد الله إلى التسليم بمطالب الرستميين في انضمام إباضية هوارة إلى دولتهم و انسلاخهم عن نفوذ عامل طرابلس الأغلبي، و نص في الإتفاق على أن يكون البلد و البحر لعبد الله و على وقف الحرب و عودته إلى القيروان، بل شجعه ذلك على الإجتراء على الأراضي الأغلبية ذاتها[2].و في إطار التعايش السلمي، نهض كل من الرستميين و الاغالبة للوقوف في وجه العباس بن أحمد طولون عندما هدد الحدود الأغلبية سنة 265هـ/878م[3]، و لم يكن اشتراكهما معا في وجه أطماع العباس نتيجة تعاون و تحالف مشترك تم بينهما، بل نتيجة لما أحاط بالجانبين من خطر في وقت واحد، و لأن هزيمة أي واحد منهما على يد العباس قد تعرض الآخر إلى هزيمة مماثلة تغير من طبيعة الوضع السياسي لمنطقة طرابلس، و الثابت أن كلا من الرستميين و الأغالبة قد نال قسطا من تهديدات العباس و اعتداءاته.

إذا كان الرستميون قد ألزموا الأغالبة بمبدأ التعايش السلمي بالقوة تارة و بالإشتراك معهم في الدفاع عن حدود الدولتين تارة أخرى، و عندما خرج العباس للإشتيلاء على حدود الدولتين، فإن الأغالبة لما استشعروا ضعف الرستميين استهانوا بمبدأ التعايش السلمي معهم بغية القضاء عليهم، و قد واتتهم الفرصة في فرصة أبي حاتم يوسف بن محمد[4]، ففي سنة 283هـ/896م[5]، اصطدم ابراهيم

1- ابن الأثير:المصدر السابق، ج6، ص525.

2- محمود اسماعيل:المرجع السابق، ص 134.

3- ابن الأثير:المصدر السابق، ج5، ص324، ذكر ابن عذارى أن الفتنة حدثت سنة 267هـ/880م، ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص- ص 117- 118، سليمان الباروني:المرجع السابق، ج2، ص337.

4- ابن الصغير:المصدر السابق، ص49.

5- ابن عذارى المراكشي:المرجع السابق، ج1، ص129.

بن أحمد بن أغلب بقبيلة نفوسة التي كانت من رعايا الدولة الرستمية، عند موضع قصر "مانو"، واندلعت الحرب بين نفوسة و ابن الأغلب، و دارت الدائرة على نفوسة، فقتل منها عددا ضخما جدا من الرجال و العلماء[1]، و بعد هذه المعركة، انهارت نفوسة التي كانت تشكل عصب الدولة الرستمية و ذرعها الواقي، و صارت في الجبل حالة فوضى لأن أهل الرأي في الجبل اجتمعوا و قرروا عزل أفلح بن العباس عامل الرستميين على الجبل، و قد دفعت حالة الفوضى هذه الأغالبة إلى إرسال جيش آخر سنة284هــ/897م هجم على نفوسة و استباحها و عاد مثقلا بالأسرى منهم.

و هكذا شغلت الإمامة في تيهرت بمشاكل الصراع حول السلطة عن تقديم العون للمغرب الأدنى، فتركوهم و شأنهم، يتلقون ضربات الأغالبة حتى وهنوا و ضعفوا، و بضعفهم تداعت الدولة الرستمية لولا ما حل بدولة الأغالبة من اضطراب سياسي في عهدها الأخير و انصراف أمرائها لمجابهة الخطر الشيعي لأمكنهم غزو تيهرت، لكن الدولتين المتعاديتين جمعهما في النهاية مصير واحد،حيث وقعتا فريسة الغزو الشيعي سنة297هــ/909م[2].

جـــ/علاقة الدولة الرستمية مع دولة الأدارسة:

تمثل دولة الأدارسة[3] الجار الغربي لدولة الرستميين، و يمكن القول أن علاقة الرستميين بالأدارسة ابتدأت بدخول إدريس بن عبد الله أرض المغرب، فقد ذكر بعض المؤرخين أنه سار من مكة إلى إفريقية و منها تلمسان، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى، و قد سبقت الإشارة إلى أن تيهرت تقع على الطريق الرابط بين إفريقية و فاس، و هذا يعني أن إدريس قد مر بتيهرت و يؤكد ابن تاويت هذا قوله، و كان أصحاب تيهرت قد سبقت لهم معرفته حيث أنه نزل بين ظهرانهم سنة169هــ/785م ، و مع هذا فإن الإباضيين في تيهرت لم يتعرضوا له بسوء، بل على العكس

1- ابن عذارى:المصدر نفسه، ج1، ص129، ابراهيم بحاز:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص129.

2- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص200.

3- تضم دولة الأدارسة لإقليم المغرب الأقصى بأعمه، و هذا الإقليم يحده من الشرق وادي ملوية و جبال تازه و هما يمثلان خط حدود مع الدولة الرستمية، أما حدها من جهة الغرب، فالبحر المحيط و من الشمال بحر الروم و من الجنوب جبال درن و مؤسس هذه الدولة هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، و دولة الأدارسة دولة علوية من النوع المعتدل الذي يتقرب مع أهل السنة و لذا أطلق عليها بن عذارى إسم الدولة الهاشمية، ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص82.

رغم نسبه العلوي، و بما كان ذلك مروره صادف انتشار الفوضى في تيهرت، و لأنه ثار على الخلافة، و المهم في الأمر أنه اجتاز بسلام فحفض لهم ذلك و انعكس على موقفه منهم[1].

و كان مرور إدريس في تيهرت فرصة ذات أهمية سمحت له أن يطلع على تجربة الرستمية وتأسيس دولة على أرض المغرب، فقد لاحظ أنه في وحدانيته يشبه عبد الرحمن بن رستم الفارسي، ورأى تشابههما في الهدف، فكلاهما كان يسعى لإقامة قبائل بربرية ثائرة على الخلافة، فاستفاد إدريس من الأساليب السياسية التي اعتمدها الرستميون.إن قرب دولة الأدارة من أهل السنة جعلها قريبة في ميولها السياسية من الرستميين أصحاب المذهب الإباضي الأقرب هو الآخر إلى مذهب أهل السنة، ومن ثم لم تكن هناك خلافات مذهبية حادة بينهما، و تدعمت علاقة حسن الجوار لما كان يجمع بينهما من موقف العداء المشترك نحو الدولة العباسية، حيث أصبح لكا منهما كيانها المستقل بعيدا عن سلطة الخلافة العباسية و ولاتها[2].لكن هذه العلاقات أصابها شيء من التدهور و المشاكل بين الدولتين، و من مظاهرها مثلا:وجود أقليات عاشت في كل من الدولتين كان ولاؤها متذبذبا، فتارة توالي الرستميين و أخرى تشايع الأدارسة و في الحالتين معا شكلت حجر عثرة أمام بسط نفوذ الأدارسة على سائر عناصر السكان داخل حدود الدولة، فمعلوم أن عناصر فارسية عاشت في فاس منذ تأسيسها، كما وفدت عناصر أخرى فارسية من إفريقية الأغلبية.و قد ضربت قبائل من بربر هوارة، و زناتة في دولة بني إدريس كانت على المذهب الإباضي، ثم أرغمت على التخلي عنه، لكنها لم تفتأ تتصل بأئمة تيهرت الإباضية لتحريرهم من سطوة الأدارسة، و بالمثل وجد في دولة بني رستم بطون بعض القبائل البربرية التي ضربت قبائلها الأصلية في الدولة الإدريسية[3]، و لم تأل جهدا في إثارة

1- جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص182، و يذكر ابن خلدون:"...و لحق إدريس بالمغرب الأقصى...و نزل بوليلي و أجمع البرابرة على القيام بدعوته... و احتمعت عليه زواغة و لواتة و مدراتة و غياثة و نفرة و مكناسة و غمارة و كافة البربر بالمغرب، فبايعوه و قاموا بأمره...ثم زحف إلى تلمسان و بدل لسائر زناتة الأمان فأمكنه من قياد البلد... و أما سليمان اخوه الأكبر ففر غلى المغرب أيام العباسيين و لحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه إدريس، و لحق بتلمسان فملكها، و أذعنت له زناتة و سائر قبائل البربر هنالك..."، عبد الرحمن بن خلدون:العبر، م1، ص- ص 1428- 1432

2- Gautier :op.cit, p31.

3- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص36.

في إثارة المتاعب ضد بني رستم لصالح الأدارسة.و زيادة لهذا كله صلات الرستميين الودية بأمويي الأندلس أعداء الأدارسة[1] ، و في نفس الوقت كان الأدارسة على خلاف مع الأمويين في الشرق، ومعنى هذا أن الأدارسة كانوا من المفروض أن يكون معارضين لأمراء قرطبة.

و على ضوء هذه الإعتبارات بمكن رصد أطوار الصراع الإدريسي الرستمي بمدى العداء بين الطرفين على إثر قيام دولة الأدارسة سنة 172هـ، إذ رغم الإباضية من قبائل زناتة و هوارة وزواغة و لماية على مبايعة إدريس الأول قسرا[2]، كما أن إدرس اتخذ في الإباضية أسافل شلف حين توجه إلى تلمسان سنة173هـ ، بل إن استيلاءه على تلمسان ذات الشهرة التجارية و الإستراتيجية و الكثافة البشرية على حساب نفوذ الرستميين و المداريين معا[3]. و تمثل رد الفعل الرستمي في تجنيد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن حملة[4] لاسترداد المفقود، و لكنه عاد أدراجه بعد أن خشي مغبة اقتحام تلمسان، و لم يكن بوسعه إلا أعمال الحلية في الكيد لخصومه، كما أوعز إلى إباضية تلمسان بالانتزاع، لكنهم لم ينعموا طويلا بانفصال عن الأدارسة، إذ جرد عليهم إدريس الثاني حملة أثخنت فيهم قتلا، و أرغم من بقي حيا على التخلي عن المذهب الإباضي[5].

و عبثا حاول هؤلاء طلب النجدة من الرستميين، لذلك اضطروا للإعتراف بطاعة الأدارسة، بل حاولوا إغراء بني رستم بأن يحذوا حذوهم[6]، قد تزيد أمر العلاقة بين الرستميين و الأدارسة

1- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص204، جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص186، محمود اسماعيل:المرجع السابق، ص142.

2- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، م1، ص1428.

3- نفسه، ص نفسها.

4- يشير البكري في مجال تدهور العلاقة بين الرستميين و الأدارسة إلى وقوع حادثة غسكرية بين الرستميين و قبائل زناتة الخاضعة للأدارسة، البكري:المصدر السابق، ص125.

5- يقول ابن خلدون:"ثم غزا إدريس الثاني تلمسان...و أقام بها ثلاث سنين، و انتظمت كلمة البرابرة و زناتة و محوا دعوة الخوارج منهم و اقتطع الغربيين من دعوة العباسيين من لدن الشموس الأقصى إلى شلف..."، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون:العبر، نفسه، م1، ص1429.

6- محمود اسماعيل:المرجع السابق، ص144، و يشير الشيخ بكري في مجال تدهور العلاقة بين الرستميين و الأدارسة إلى وقوع حادثة عسكرية بين الرستميين و قبائل زناتة الخاضعة للأدارسة سنة173هـ/789م، و يضيف قائلا أن الإباضيين لم يسمحوا لهم بتحقيق هدفهم، ينظر: Chikh Bekri :Le kharigismes, op.cit, p103.

يتخلوا عن سياستهم التوسعية التي شهدناها في بداية عهدهم، خاصة و أنهم كانوا لا يمتلكون جيشا منظما، و بذلك لم ين أمامهم إلا أن يسلكوا سياسة المرونة، و هذا بالتالي يضعف من احتمالات تدخل الأدارسة في شؤون تيهرت أو محاولتهم تعكير صفو العلاقات بينهما.

كما يمكن للسياسة الإدريسية الخارجية إبراز العلاقة بين الأدارسة و الرستميين، و في هذه الحالة يمكن ملاحظة أن الخلاف المبني بين إباضية تيهرت و الأدارسة لم يقف أمام سيادة روح السلم و الهدوء في المنطقة، ربما بسبب ضعف الحماس للمذهب، و ربما لخوفهما المشترك من بغداد و الوضع الداخلي لكلا الطرفين مما قرب بينهما، أو على الأقل أتاح لذلك السلم أن يسود[1].

د/ علاقة الدولة الرستمية بالدولة العباسية:

كانت الدولة الرستمية من أسبق الدول المستقلة عن الخلافة العباسية قياما في بلاد المغرب، و أصبح لها من إعلان قيامها سنة (160هـ/776- 777م) شخصيتها لدولة سيادة مواطنيها و أراضيها.وقد ارتبطت علاقات الرستميين الخارجية بالعباسيين بعاملين كان ذا أثر كبير في طابع العداء الذي اتسمت به تلك العلاقة:

أولهما:أنه منذ آلت الخلافة إلى العباسيين و هم يعتبرون بلاد المغرب ميراثا شرعيا تركه الأمويون لهم، و على هذا نظروا إلى الرستميين نظرة عداء و أصبحت هذه النظرة تحكم سير العلاقات بينهما، فقامت على أسس عدائية بين الطرفين باعتبار أن الرستميين اقتطعوا جزءا من ممتلكات العباسيين[2].

ثانيهما:أنه كان بين العباسيين و الرستميين ذلك العداء التقليدي الذي كان بين الخلافة العباسية السنية و الإباضية باعتبار أنهم من الخوارج[3]، و قد وضعت هذه الأسس العدائية موضع التنفيذ أيام مطاردة ولاة العباسيين بالإفريقية لعبد الرحمن بن رستم، و رغم أن أهداف عبد الرحمن واضحة للعباسيين، فقد قاوم العباسيون شخصية عبد الرحمن بن رستم منذ اللحظات الأولى التي ظهر فيها على مسرح الأحداث في بلاد المغرب لأنه كان في نظرهم خليفة لأبي الخطاب عدوهم اللدود، لذا

1- جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص191.

2- السيد عبد العزيز سالم:دراسات في التاريخ، المرجع السابق، ص- ص 206- 207.

3- اسماعيل محمود:الخوارج في المغرب، المرجع السابق، ص138، CH.Bekri : Le royaume, op.cit, p163.

حرص محمد بن الأشعث الوالي العباسي في القيروان على القضاء على عبد الرحمن بعد قتله لأبي الخطاب، و لكن ابن الأشعث فشل في محاولته و انسحب إلى إفريقية تاركا عبد الرحمن بن رستم في مأمنه في جبل سوفجج[1].و لما لم ينجح العباسيون في القضاء على عبد الرحمن و رأوا خطر هذه الشخصية بات قريبا من ممالكهم في إفريقية، أمر أبو جعفر المنصور عمرو بن حفص عامله على إفريقية أن يحصن قاعدة طنجة[2].و في مواجهة هذه الخطوة من العباسيين، حرص عبد الرحمن بن رستم على تكوين تحالف إباضي صفري يضم سائر القوى المعارضة للخلافة العباسية، و لكن بن حفص الذي تولى أمر المغرب سنة (151هـ/768م) نجح في تمزيق هذا التحالف و انفرد بعبد الرحمن وقواته و ألحق به هزيمة فادحة عند تهودا[3]،و لكنه لم يتمكن من القضاء عليه، لذا اقتنعت الخلافة العباسية أنه من الأسلم لها أن تحتفظ بنفوذها في إفريقية و أن تترك المغرب الأوسط لأن محاولة استرجاعه بها كثير من الأخطار، و لعل ذلك يفسر مسلك الوالي العباسي بن حاتم الذي تولى أمر إفريقية سنة (171هـ/787- 788م)[4] ، إذ حرص على تحسين العلاقات بينه كممثل للعباسيي وبين الرستميين، فمد يده إلى عبد الرحمن بن رستم طالبا موادعته كما ذكرنا سابقا، فوادعه عبد الرحمن، و كان ذلك في نفس السنة التي توفي فيها عبد الرحمن بن رستم (171هـ/787-788م)، و استمرت هذه الموادعة بعد وفاته حيث أرسل وح بن حاتم إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم و طلب باستمرار هذه العلاقات، فوافق عبد الوهاب على ذلك[5].كما استمرت ساسة تحاشي الصدام بين أئمة تيهرت و أمراء القيروان حتى سنة 174هـ/800م، حين قامت دولة

1- محمد عيسى الحرير:المرجع السابق، ص188، الباروني:المرجع السابق، ج2، ص3.

2- ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص73، عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، م1، ص1577.

3- يقول ابن عذارى:"وجه عمرو إلى بن رستم عسكرا، و كان في تهودا، فانهزم ابن رستم و قتل من أصحابه نحو ثلاثة آلاف، ورحل منهزما إلى تيهرت، و عمرو بن حفص إلى القيروان"، ابن عذارى: نفسه، ج1، ص75.

4- نفسه، ج1، ص77.

5- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، م1، ص1407، و قد اختلف المؤرخون في تحديد أي من الطرفين بادر بطلب الموادعة، إلا أنه من المؤكد أن هذه الموادعة ظلت سارية المفعول في عهد عبد الوهاب الذي عرف كيف يحافظ عليها، جودت عبد الكريم:العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص29.

الأغالبة في إفريقية بإثارة أسباب العداء مع بني رستم، و تنوب بذلك عن بني العباس في الإضطلاع بمناهضة حكمهم[1].

و الجدير بالإشارة و التنويه أن الموادعة التي كانت بين افراد القيروان و أئمة تيهرت لا تعني انتهاء العداء بينهما، فالعداء بين تيهرت ظل قائما، و لم يتوان الحلفاء عن اغتنام ما سمح لهم من فرص في الكيد من الدولة الرستمية و إثارة المتاعب في وجه أئمتها، و أدرك الرستميون ما ضمر بنو العباس لهم من خصومة و عداء، فأحجم عبد الوهاب بن عبد الرحمن عن أداء الحج خشية الوقوع في يد العباسيين، و برر له فقهاء المذهب الإباضي عزوفه هذا بعد أمان الطريق، و ليس ببعيد أن يكون العباسيون توجسوا خيفة من اتصال[2] تيهرت بإباضية المشرق لتدبير المؤامرات و تنظيم الثورات المناوئة لحكمهم، و من ثم درجوا على بث عيونهم لمراقبة وفود المغاربة في مواسم الحج[3].و ما لبثت العلاقات الرستمية العباسية أن بلغت قمة العداء بعد سجن أبي اليقظان، و قد رحب العباسيون بالثوار الخارجين على بني رستم، و وجد هؤلاء في بغداد سلاما آمنا بعد إخفاق حركاتهم، و الراجح أن العباسيين تعاونوا معهم على إسقاط الحكم الرستمي في تيهرت[4]، و قد وضع تآمر بني العباس على إسقاط إمامة تيهرت في العهد الرستمي الأخير، و طائفة الكوفيين بتيهرت لعبت دورا بارزا في مناوئة الإمامة الرستمية في ذلك الحين، و توطدت مع زعماء العامة في العاصمة الرستمية لإقصاء أبي حاتم يوسف عن السلطة و طرده خارج المدينة، و ما يشير إلى تواطئ الخلافة العباسية مع المارقين على بني رستم و تدبيرهم المكايد ضد الدولة الرستمية، و هذا كله ما ذهبنا إليه من تأصل العداء بين الطرفين[5].

1- محمود اسماعيل:الخوارج في المغرب، المرجع السابق، ص139.

2- نفسه، ص نفسها.

3- ابن الصغير:المصدر السابق، ص28.

4- محمود اسماعيل:الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص139.

5- نفسه، ص140.

هـ/ علاقة الرستميين بإباضية المشرق:

إن إباضية الشرق عمدوا إلى أساليب الدعوة السرية و التنظيم السياسي إثر فشل حركة عبد الله بن إباض التميمي في عهد مروان بن محمد الأموي، فطفقوا يرسلون من مركزهم في البصرة دعاتهم إلى الأمصار المتطرفة كخرسان و جنوبي الجزيرة العربية و المغرب لنشر المذهب الإباضي وإقامة دولة إباضية خالصة، و أسفرت هذه الجهود عن فشل الدعوة في خرسان و نجاحها في الجزيرة العربية و المغرب[1].

ففي جنوب الجزيرة العربية قامت دولة إباضية ضمت عمان و اليمن و بعض أقاليم الحجاز برئاسة بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق، و التي سقطت سنة 130هـ/748م، غير أن جزء من الإباضية تمركز في حضر موت بزعامة الجلندي الذي قتل سنة 134هـ على يد الجيوش العباسية، و لم يحل ذلك دون قيام دويلات للإباضية في عمان، و كانت هذه الحكومات الإباضية في عمان على نسق الدولة الرستمية في المغرب و معاصرة لها، و كانت وثيقة الصلة بجماعة الإباضية الأمر في البصرة، فضلا عن مشايخ المذهب، و لم يكن هناك ثمة ما يحول التقاء إباضية عمان و إباضية المغرب و أغلبهم من نفوسة في موسم الحج، و إن كنا نشك في وجود صلات وثيقة بينهما، فالمصادر خلت من ذلك في الوقت الذي تزخر فيه بالكثير من صلات إباضية البصرة بعمان و تيهرت و حرصهم على دعم الحكم فيها[2].

و يبدوا أن جماعة هائلة من إباضية الشرق التجؤوا إلى تيهرت بعد إنشائها هروبا من بطش بني العباس و رغبة في العيش في كنف الدولة الرستمية[3]، فقد تطلع إباضية الشرق إلى قيام دولة لهم تضم المشرق و المغرب معا، فانبروا يضعون بها عبد الرحمن بن رستم على مواجهة مشاكل دولته،

1- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص150.

2- نفسه، ص نفسها.

3- أحمد أمين: المرجع السابق، ص- ص 260- 262.

آملين أن تكون نواة لدولة كبرى منشودة، و ليس أدل على تعاطف ابن رستم مع إباضية الشرق من رفضه لمزيد من هذه الأموال حين تدعمت دولته و اشتد ساعدها[1].

و لقد كان الإباضية يحتكمون في خلافتهم إلى مشايخ المذهب في المشرق، فقد هادن يزيد بن فندين زعيم النكار الإمام عبد الوهاب ريثما ترى فتاوى المشارقة حول الإمامة المشروطة و سياسة الإمام في تنصيب عماله، كما أحتم الإمام عبد الوهاب و خلق بن السمح أيضا إلى فقهاء المشارقة في مسألتي تعدد الأئمة و حق الرعية في اختيار عمالها، و لم يتوان أعلام المذهب و فقهاؤه عن البث في تلك المسائل و القضايا، و على الرغم مما تصوره المصادر الإباضية من أن فتاوى المشارقة كانت في صالح الإمامة، فلا نعدم وجود ما يشير إلى استيائهم من سياسة عبد الوهاب و انتهاكه لتعاليم المذهب و خروجه على أحكامه[2].

و استمرت صلاتهم بإباضية المغرب إبان مرحلة الثورة[3] ، و بعدها لما جنحوا إلى الإستقرار السياسي و أقاموا دولة بني رستم، و في كلتا المرحلتين دأبوا على دعم إباضية المغرب ماديا و روحيا، فأرسلوا إليهم الأموال، و أفتوهم في مشاكلهم السياسية و المذهبية و تدخلوا لتسوية خلافاتهم بإبداء النصائح و إرسال البعوث.

كما حرص زعماء إباضية المغرب على الإستشارة في السياسة و الحكم و الإستزادة من تبحرهم في العلم و تفقههم في المذهب، فقد أبوا على إنفاذ بعوثهم للدراسة على يد مشايخ البصرة، و حكموهم فيها على مشاكلهم و خلافاتهم و استمدوا منهم الكتب و التأليف و خاصة ما تعلق منها بالمذهب الإباضي.

و قد سبقت الإشارة إلى دور أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[4] في التنظيم و الإعداد لإمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، و متابعة لأحوالها و حرصه على تجنيد إباضية المغرب والشقاق الذي سببته مسألة الحارث و عبد الجبار.و بديهي أن تتوطد هذه الصلات بقيام دولة بني

1- علي يحيى معمر: المرجع السابق، ص40.
2- نفسه، ص نفسها.
3- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص550
4- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص38.

رستم، و حسبما أن عبد الرحمن بن رستم تتلمذ في حلقة أبي عبيدة بالبصرة، و نجاحه في تأسيس دولة إباضية بالمغرب اعتبر نصرا لإباضية المشرق أيضا، فقد نظروا إليه باعتباره "إمام الظهور" لسائر أتباع المذهب في كافة أرجاء العالم الإسلامي[1]، فإن حرصهم على تحاشي الشقاق و رأب الخلاف أفضى بهم إلى تهدئة الخواطر بإسداء النصح لأطراف النزاع جميعا[2].

كان حرص رؤساء التنظيم الأم في البصرة على استمرار الإمامة في تيهرت و دعمها شغلهم الشاغل، فقد أفتوا بجواز تقاعد الإمام عن الحج حرصا على سلامته، كما كلفوا أنفسهم نسخ آلاف التآليف و التصانيف لتزويد المكتبة "المعصومة" بتيهرت بها، فقد وجدت هذه الكتب إقبالا لدى إباضية المغرب فأقبلوا على دراستها، و تصدوا للإنحرافات المذهبية و خروج الأئمة في سياستهم عن تعاليم ما ورد فيها.كما حرص المشارقة على إنفاذ بعوثهم لتفقد أحوال الدولة الرستمية و التدريس في مساجدها، و الإفتاء في مشاكلها و قضاياها، و فضلا عن ذلك فقد نقلوا معهم إلى المغرب تقاليد الحضارة و الفن الشرقي.و المصادر خلت من أي إشارة إلى استمرار هذه العلاقات بعد إمامة عبد الوهاب باستثناء إشارة عابرة أوردها بعض مؤرخي الإباضية عن اهتمام أفلح بن عبد الوهاب بأعلام المذهب من المشارقة، و خاصة ما كتبه أبو سفيان محبوب بن الرحيل و خصه رعيته على اتباع سنتهم، و لوضع ذلك لكان أفلح آخر أئمة بني رستم الذين اعترف جمهور الإباضية بإمامتهم[3].

و/ علاقة الدولة الرستمية مع مصر:

كانت العلاقات بين الرستميين و مصر في طريق ودي، إذ كانت مصر تمثل الجار الشرقي للدولة الرستمية و المنفذ الوحيد لهم إلى شرق العالم الإسلامي، و من ثم حرص الرستميون على أن العلاقات علاقات حسن جوار إلا أنه يلاحظ أن العلاقات السياسية كانت ضعيفة على حين نشطت العلاقات

1- محمود اسماعيل:الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص153.

2- نعتقد أن استياء أعلام المذهب في الشق من خروج عبد الوهاب على تعاليم المذهب تطور إلى رفض و إنكار لإمامة خلفائه، فقد تحولت الإمامة إلى ملك وراثي، و ضاعفت هيبتها و امتهنت رسومها، فكان ذلك بعزوف إباضية الشرق عن مناصرة الدولة الرستمية و الإتصال بأحكامها، نفسه، ص152

3- نفسه، ص153.

الأخرى[1] التجارية و الثقافية،و مرجح ذلك أن مصر كانت ولاية عباسية خاضعة للعباسيين و تسير على نفس المنهج الذي تسير عليه بغداد[2].

كانت دولة الرستميين ترتبط ارتباطا وثيقا بمصر، فقد كان كثير من أهل مصر على مذهب الإباضية بل قد كانوا من بين هؤلاء الإباضية المصريين علماء لهم وزنهم، و في رأي الرستميين كانوا مرجعا لهم في شؤونهم و فتاواهم، و من بين هؤلاء العلماء شعيب المصري[3].و قد احتمت طبيعة الإمتداد الجغرافي لحدود الدولة الرستمية إلى طرابلس أن تكون مصر منفذا للقوافل الرستمية المتجهة إلى الشرق الإسلامي، و خاصة القوافل التي تحمل الحجيج و الرحالة و العلماء و التجار، و قد سارت هذه القوافل في الطريق التجارية التي امتدت بين مصر و الواحات الغربية و بلاد المغرب[4].

قد تولت هوارة في شرق طرابلس ةو كذلك نفوسة و القبائل الطرابلسية الأخرى هذه المهمة، فكانت تجوب صحراء سرت ذاهبة آتية بين المدن الرستمية و المصرية[5]، و مما لا شك فيه أن هؤلاء التجار و الرحالة و العلماء من الرستميين قد نقلوا كثيرا من الأفكار الرستمية إلى مصر.

و قد شهدت العلاقات بين مصر و الرستميين شيئا من التوتر في عهد الطولونيين في سنة (265هـ/778م) و لكن الذي يفهم من هذا التوتر الذي سبق عرضه قبل ذلك أن أهدافه لم تكن بسبب سياسة عدائية رسمها الطولونيون تجاه الرستميين، و إنما كل دوافع هذا التوتر في ظروف شخصية بحتة، تتصل بفتنة العباس بن أحمد و مما يؤيد وجهة النظر هذه أن أحمد بن طولون لن يكن

1- يذكر ان مصر فتحت ذراعيها للدولة الرستمية، فتدفقت قوافلها التجارية إليها، محمد علي دبوز:المرجع السابق، ج3، ص351.

2- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص192.

3- شعيب المصري:كان يطمع في الإمامة الرستمية لنفسه، فقدم إلى تيهرت عندما كانت الفتنة بين عبد الوهاب و ابن فندين التي أدت إلى انقسام الإباضية إلى النكارية و الوهبية، و أيد شعيب بن فندين في نزاعه مع ابن رستم، فلما تغلب ابن رستم على خصومه عاد شعيب إلى مصر، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص152، سليمان الباروني: ج2، ص145، السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير:المرجع السابق، ج2، ص552.

4- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص193.

5- محمد علي دبوز:المرجع السابق، ج3، ص351.

في مصر حين خروج حملة ابنه العباس نحو بلاد المغرب[1]، و من ناحية ثانية أفاض المؤرخون في الحديث على بواعث هذه الحملة يقول أحدهم، عصى العباس بن أحمد بن طولون على أبيه و سبب ذلك أن أباه كان قد خرج إلى الشام و لستخلف ابنه العباس كما ذكرنا، فلما أبعد أحمد بن طولون عن مصر حسن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال و الإنشراح إى برقة ففعل ذلك و أتى برقة في ربيع الأول[2]. و يرى البعض أن الحكومة المركزية في العراق كان لها تدبير رفقاع السوء الذين التقوا حول العباس بن أحمد بن طولون و دفعوه إلى القيام بهذا العمل، و قد عمد الموقف إلى هذه الطريقة لخلق حالة من الإضطرابات و الشغب في حكومة أحمد بن طولون[3]، و عندما علم أحمد بن طولون بهذه التطورات الخطيرة التي حققت في مصر عاد سريعا إلى الفسفاط حرصا منه على وضع حد لهذا التوتر الذي أحدثه ابنه العباس بين الدولة الطولونية و جيرانها، و أرسل ابن طولون إلى العباس وفدا على رأسه أبو بكرة بن قتيبة، و فشل هذا الوفد في إعادة العباس إلى مصر، و لكن الهزائم التي تلاحقت على العباس من الرستميين و الأغالبة أضعفت شوكته[4]، فلم يقوى على الصمود أمام الجيش من هزيمة العباس هزيمة منكرة و قبض عليه و أعيد إلى مصر في أوائل سنة 268هـ[5].

ز/ علاقة الدولة الرستمية بالأمويين في الأندلس:

كان من الطبيعي أن يلتقي أمراء بني أمية بأئمة الرستميين تيهرت و تقوم بينهم علاقات من الصداقة و المودة على أساس التحالف القوي و المتين[6]، و قد بدأت العلاقات بين الامويين ممثلة في شخص عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) مؤسس الدولة الأموية بالأندلس و بين الرستميين في مرحلة مبكرة، فحين وصل عبد الرحمن بن معاوية إلى إفريقية فارا من العباسيين لجأ إلى المغرب الأوسط

1- ابن الأثير:المصدر السابق، ج6، ص324.

2- ابن الأثير:المصدر نفسه، ص نفسها، و يذكر ابن عذارى أن العباس قال:"ثم أخذ في استماله البربر بعد ذلك بالعطاء والإفضال و أبعد من مصر، فلا يقوم لأحمد بن طولون(يعني إياه) أمل في مطالبة لبعدي عنه"ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص118.

3- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص194.

4- ابن عذارى:المصدر السابق، ص119.

5- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص195.

6- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص569.

حيث أقام بين بني رستم الذين حافظوا عليه و أجاروه من الأخطار التي تعرض لها يقول المقري:"وآل أمره في سفره، عبد الرحمن بن معاوية إلى أن استجار بني رستم ملوك من المغرب الأوسط[1].

كان من الطبيعي أن يتم التآلف بين امراء بني أمية في رطبة و بين الأئمة الرستميين في تيهرت و تقوم العلاقات بين الدولتين على أساس الصداقة و التحالف و ود رغم احتلافهما مذهبا فقد كان أمراء بني أمية يعملون على توطيد علاقتهم بالدولة الرستمية إلا أنه لم يعد أمامهم من منفذ في بلاد المغرب سوى المغرب الأوسط لأن المغرب الأدنى قامت فيه دولة الأغالبة الموالية للعباسيين والمغرب الأقصى فيه دولة الأدارسة الشيعية التي كانت علاقتهم بالدولة الأموية في الأندلس تتسم بالعداء و الحذر و التربص[2]. فبقيام هاتين الدولتين أوصدت جميع المنافذ و السبل في وجه الإمارة الأموية الفتية، و أصبحت الدولة الرستمية هي الشريان الوحيد الذي يستطيع أن يغذي تلك الإمارة بالحياة و يتعاون معها سياسيا و اقتصاديا و حضاريا[3].و في إطار التعاون السياسي بين الدولتين ارتبطت كل منهما بالأخرى ارتباطا وثيقا و كان زعماء كل من الدولتين يتابع نشاط الآخر بإعجاب بالغ و استقبل الرستميون كبار رجال الأندلس الذين وفدوا إلى تيهرت و استوطنوا و أصبح منهم من عاون الأئمة في شؤون الإدارة و الحكم و قد اشتهر من بينهم إثنان هما، عمران بن مروان الأندلسي، و محمود الأندلسي اللذان كان ضمن الجماعة التي رشحها عبد الرحمن بن رستم لاختيار واحد منهما لتولي الحكم في الدولة الرستمية بعد وفاته[4]. و ظلت الدولتان تسمى كل منهما إلى كسب صداقة الأخرى، فقد ذكر ابن سعيد:"...و عليه قدم بنو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت"[5]، و يذكر الشيخ بكري و ماريا خيسوس أن أبناء هؤلاء هم:دحيون و عبد

1- المقري:المصدر السابق، ج1، ص117

2- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص569.

3- محمود اسماعيل:الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص153.

4- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص153.

5- ابن سعيد المغربي:المغرب في حلي المغرب، تحقيق و نشر شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1953، ج1، ص448.

الغني و بهرام[1]، و في سنة (207هـ/822م) بعث عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أبناءه الثلاثة في سفارة رستمية إلى قرطبة عاصمة الإمارة الأموية و قد كان يوم وصول هذه السفارة الرستمية إلى قرطبة يوما عظيما مشهودا حيث استقبلهم عبد الرحمن الثاني استقبالا ملكيا رائعا و أنفق عليه ألف دينار[2]، حتى أصبح حديث الناس و مصدر إعجابهم[3]، و هذا ما يدل على متانة الروابط بينهم و على أهمية الوفد[4].

و في عهد أفلح بن عبد الوهاب نمت العلاقات الرستمية الأندلسية نموا مضطردا و كانت كلتا الدولتين تبلغ الأخرى بأخبار انتصاراتها أولا بأول و تبادل الهدايا فيما بينها بهذه المناسبات، فحين ابتنى الأغالبة مدينة العباسية سنة (227هـ/741م) قرب تيهرت لتهدد عاصمة الرستميين وتوتر على مركزها الإقتصادي و السياسي، قام أفلح بن عبد الوهاب بهدمها و إحراقها[5]، و بادر باختيار خليفة عبد الرحمن الأوسط بما فعل، فأرسل إليه عبد الرحمن الثاني (الأوسط) هدية كبيرة قدرها المؤرخون بمائة ألف دينار[6]، و ذكر ذلك بن خلدون بقوله:"...و كتب (أي أفلح) إلى صاحب الأندلس يتقرب إليه بذلك، فبعث إليه بمائة ألف دينار"[7] و أصبح تبليغ أنباء الإنتصارات بين الدولتين تقليدا سياسيا متبادلا بينهما، فحينما انتصر عبد الرحمن الأوسط على المجوس (النورمانديين) في سنة 230هـ/844م، بادر بإبلاغ ذلك النصر إلى الخليفة الرستمي أفلح بن عبد الوهاب، فهنأ أفلح

1- ماريا خيسوس:المرجع السابق، ص15، و أيضا: Chikh Bekri :Le kharigisme, op.cit, p99, Levi provencal :Histoire d'Espagne musulmane, Ed, G.P, Maisonneuve, paris, 1950, T1, p171.

2- ابن السعيد المغربي:المصدر السابق، ج2، ص246.

3- جودت عبد الكريم:المرجع السابق، ص132.

4- نفسه، ص- ص 132- 133.

5 - حيث يذكر ابن خلدون:"و شيد أبا العباس محمد بن الأغلب مدينة يقرب تيهرت و سماها العباسية، و أحرقها أفلح بن عبد الوهاب"، و قد ذكر أيضا ذلك البلاذري لكنه قال إن ذلك كان سنة 231هـ، ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص 1442، البلاذري: المصدر السابق، ص234.

6- ابراهيم العدوي:بلاد الجزائر، المرجع السابق، ص- ص 222- 223.

7 - ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص 1445، لكن البلاذري رغم أنه ذكر قصة إحراق و تهديم مدينة العباسية من طرف الإمام أفلح بن عبد الوهاب لكنه لم يذكر ذلك التقرب إلى صاحب الأندلس، البلاذري: المصدر السابق، ص234.

خاص لهم خارج تيهرت يعرف بـ"كدية النكار"[1]، و أمام هذه الأوضاع لجأ الإمام إلى طلب الهدنة مع النكار[2]، على أن يتدخل علماء الإباضية المشارقة في التحكيم بين الطرفين، و ذلك عن طريق إرسال رسلهم إلى المشرق يمثلون الأطراف المتنازعة مهمتهم الحصول على رأي زعمائه هناك في قضيتهم، فانطلق رسل الإباضية إلى المشرق، و لما وصلوا إلى مصر قابلوا هناك من علماء الإباضية شعيب أبو المعروف[3] الذي خلا بطائفة من أصحابه و اتفقوا على المسير إلى تيهرت، و قد استغلوا التوتر الذي أصاب الدولة حيث التقى شعيب أبو المعروف بالإمام عبد الوهاب و أكد له أن إمامته صحيحة، و في المقابل أوضح ليزيد بن فندين، ضعف موقفه و أن عليه أن يستأنف حرب الإمام ثانية قبل عودة الرسل الذين اتجهوا إلى مكة، فيقوى من مركز عبد الوهاب[4].

و في هذه الأثناء حاولت جماعة النكارية قتل الإمام عبد الوهاب، و ما ساعدهم في ذلك أنهم كانوا يدخلون مدينة تيهرت و يخرجون منها بكل حرية، لكن الإمام تفطن لهم و أفشل خطتهم و طلب من سكان تيهرت أن يكون على أتم الإستعداد دائمات بسلاحهم[5]، و كان ابن فندين وأصحابه ينتظرون الفرصة المناسبة للقيام بهجومهم على تيهرت ، فاستغلوا فرصة خروج الإمام عبد الوهاب ذات يوم لقضاء بعض حاجته ليتوجهوا إلى المدينة لمباغتتها فخرج إليهم أفلح فوجدهم على باب المدينة و قد كادوا يدخلون إليها فوقف يدافع على بابها حتى انسلخت رجله إلى العرقوب ورغم ذلك تمكن من قتل يزيد بن فندين و هزيمة أصحابه حيث قتل منهم نحو اثني عشر ألف قتيل[6]، و لما عاد الإمام عبد الوهاب و أخبروه بما حدث أمر بجمع القتلى، فصلى عليهم و دفنهم آملا في الصلح وطمعا في العافية لعامة المسلمين من بقية أصحاب ابن فندين[7].

1- ابن الصغير:المصدر السابق، ص19.
2- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص152، محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص116.
3- سعد زغلول:المرجع السابق، ج2، ص319.
4- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 144- 145.
5- سعد زغلول:المرجع السابق، ج2، ص322.
6- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، امرجع السابق، ج2، ص553.
7- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص97.

لم تتوقف أعمال النكارية عند هذا الحد حيث قاموا بقتل ميمون بن عبد الوهاب[1]، و عندما تأكد عبد الوهاب من فعلتهم هذه أرسل إليهم جيش بقيادة أحد أبناء ميمون الذي تمكن من هزيمتهم و كسر شوكتهم، فلم تعد لهم تلك الخطورة التي تهدد الإمام عبد الوهاب[2]، و يقول ابن الصغير أن معظم النكار ظلوا معتصمين بها حتى نهاية الدولة الرستمية[3].

ب/ ظهور الفرقة الواصلية: إن حركة النكار خلقت وضعا جديدا في الدولة الرستمية فقد أعطت الفرصة لجماعة الواصلية[4]، أن يناقشوا منسألة الإمامة في الدولة الرستمية باعتبارهم من رعايا هذه الدولة، حيث أنهم كانوا يؤلفون حزبا قويا في شمال تيهرت و هذا ما جعل بقايا النكار ينضمون إلى هؤلاء الواصلية في حركتهم[5]، و أصبحت الواصلية المشكلة ثانية التي تهدد الجبهة الداخلية في الدولة الرستمية بعد ثورة يزيد بن فندين، و قد تحركت جماعة الواصلية عندما أحست ببعض الفرقة في الإباضية و أرادوا أن ينتهزوا الفرصة، و قد كان زعماء الواصلية يحسنون الجدل في المسائل التي كانت موضع خلاف بين أهل المذهب[6]، و عندما اشتدت معارضتهم نشب قتال ضار بينهم و بين الإباضية كانت نتيجته انهزام الواصلية و عودة البعض منهم إلى طاعة الإمام و البقاء داخل نطاق الحكم الرستمي[7].

ج/ ظهور الفرقة النفاثية: إن التنافس على ولاية إقليم قنطرارة كان السبب الرئيسي في الإنشقاق الرستمي في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب، و أدى ذلك إلى ظهور فرقة النفاثية نسبة إلى قائد الحركة فرج بن نصرالنفوسي الذي اشتهر باسم نفاث و قد أراد هذا الأخير ولاية قنطرارة، لكن

1- أبو زكرياء يحي:المصدر السابق، ص98

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص- ص 153- 154، الباروني: المرجع نفسه، ص151.

3- ابن الصغير:المصدر السابق، ص20.

4- البكري:المصدر السابق، ص67، محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص117.

5- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص- ص 553- 554، الباروني: ج2، ص153.

6- بحاز ابراهيم:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص335.

7- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص- ص 156- 157، محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص123.

الإمام أفلح عين سعد بن أبي يونس[1] على رأس هذه الولاية، فقد رأى أنه هو الأصلح لأمور المسلمين و الأحسن لأمورهم، فاستاء نفاث من ذلك و أضمر في قلبه الغش و العداوة، و أظهر الطعن في الإمامة و قد أتى بأسباب أخرى ذات طبيعة فقهية مذهبية، فقد كان متمسكا بسنن أهل الدعوة القديمة و انه كان ضد مظاهر التطور التي أخذ بها الإمام أفلح، و العناية بالملبس و المظهر و ممارسة الرياضة[2]، و قد تطورت هذه الخلافات المذهبية و الفقهية إلى غاية إنكار نفاث خطبة الجمعة و ادعائه أنها بدعة و ضلالة و قوله أن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ لأب[3]، و لما وصلت أخبار نفاث إلى الإمام أفلح و انتقاده عليه طلب حضوره من أجل أن يوضح له ما أنكره عليه فالإمام أفلح كان يدعو نفاث لعرض أفكاره أمامه، فإما أن يقتنع الإمام، و إما أن يقنع الإمام، و إما أن يتمكن الإمام من إقناع نفاث[4]، و هذا التصرف بين لنا المبدأ الهام الذي سار عليه أفلح، ألا و هو مبدأ احترام حرية الفكر و الرأي لسائر الأفراد في الدولة، لقد كانت شقة الخلاف المذهبي تتسع بين النفاث وأعوانه في جبل نفوسة و بين أصحاب الإمام افلح، و على رأسهم سعد بن أبي يونس الذي اضطر إلى ترك مقر ولايته و التوجه إلى الجبل[5]، حيث يوجد نفاث مخافة أن يضل الناس، و لما وصل هناك قام ببناء داره و ساعده في ذلك نفاث[6]، فخاف سعيد من أن يتوهم الناس أنه رضي عن النفاث فكان يقول له إلى:"إلى متى تترك كفرك يا نفاث"، فيقول له نفاث:"معاذا الله من الكفر يا شيخ" فإذا خلى سعيد بأصحابه، قال ليس جزءا من يخدمني و يبني لي أن أشتمه في وجهه، و إنما تخوفت من الفتنة على الناس، و لذلك فعلت ما فعلته[7].

1- سعيد بن أبي يونس:هو بن يونس وسيم الذي عينه الإمام أفلح واليا على قنطرارة، و قد أرسله والده لأخذ العلم عن الإمام، أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص139.

2- سعد زغلول:المرجع السابق، ج2، ص351.

3- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص146.

4- سليمان الباروني: المرجع السابق، ص- ص 256- 257، محمد عيسى الحريري:المرجع نفسه، ص147.

5- سعد زغلول عبد الحميد:المرجع السابق، ج2، ص352، سليمان الباروني: نفسه، ص نفسها.

6- الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص80.

7- أبو زكرياء يحيى:المصدر السابق، ص141.

و خوفا على ما قد تحدثه آراء نفاث من بلبلة بين العامة فقد بعث أفلح بالرسائل إلى العمال كي يقرؤونها على العامة لتحذيرهم من آراء نفاث[1]، و في نفس الوقت بعث إلى نفاث برسالة أخيرة يحذره فيها من ابتداع غير الحق و يدعوه إلى العودة إلى الرشد و يكرر خلع كل من خالف سيرة المسلمين و نفيه و هجره و إقصائه، و كذلك البراءة منه مع إشارة خاصة إلا من يزعم أن عمال الإمام أساقفة و أنهم لا طاعة لهم في حال كتمانهم، و في نهايتها يطلب من نفاث أن يعود إلى حظيرة الجماعة[2].

و من خلال هذه الرسالة خاف نفاث على نفسه و جمع أمواله و هرب إلى أرض سرت ومنها إلى بغداذ حيث أقام هناك[3]، و قد بقي في جبل نفوسة بعض الذين تأثروا بآراء نفاث بن نصر ، و لذلك عرفوا بالنفاثية[4].

2 – الحروب الداخلية:

عرفة الدولة الرستمية اضطرابا خطيرا في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح، حيث أن هذا الأخير كان بعيدا كل البعد عن سياسة و كان يفضل حياة الترف و اللهو[5]، و لذلك أوكل شؤون الدولة إلى صهره محمد بن عرفة الذي كانت له شخصية لطيفة، و كان يحسن إلى الناس، و يسعى إلى حل مشاكلهم[6]، فأحبوه و أصبح مقصدهم في العاصمة، و بذلك كثر أنصاره و أتباعه[7]، و بعد عودة أبي اليقظان من المشرق آلت الدولة إلى محمد بن عرفة و أبي اليقظان معا، فكان من الطبيعي أن يحدث صراع بين الطرفين، و كانت له آثار سلبية في المملكة الرستمية، لقد كان أبو اليقظان و قرابته يتربصون بمحمد بن عرفة و يراقبونه إلى أن نجحوا في إثارة الإمام أبي بكر عليه[8]، حيث أخبروه بافتتان

1- محمود اسماعيل:الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص124، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص262.

2 - سليمان الباروني: نفسه، ج2، ص268.

3- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ص- ص 124- 125.

4- بحاز ابراهيم:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص270، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص148.

5- محمود اسماعيل:الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص128.

6- السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص560.

7- بحاز ابراهيم:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص123.

8- ابن الصغير:المصدر السابق، ص33.

الناس بابن عرفة، و بينوا له سوء العاقبة إذ لم يتصرف سريعا[1]، و عندما تأكد من صحة كلامهم قرر قتله، فدعاه إلى نزهة خلوية و هناك أمر الإمام أحد خدمه بقتله و إخفاء جثته[2] أحدث تغيب ابن عرفة ضجة كبيرة في تيهرت، فخرج أتباعه و أنصاره يبحثون عنه حتى وجدوا جثته، و كانت ردود فعلهم لمقتله عنيفة فاشتعلت نار الفتنة، و انقسم أهل تيهرت إلى فريقين، فريق يتكون من أنصار الإمام و اعوانه و قد تجمعوا في الناحية الغربية للمدينة، و فريق من أنصار بن عرفة و يتكون من جند القيروان الذين أعلنوا في مناسبات كثيرة تمردهم على بني الأغلب، و قد استقروا بمدينة تيهرت و كان من الطبيعي أن يؤيدوا بن عرفة لأنه وافد من القيروان مثلهم[3]، و قد تجمع هؤلاء الثوار في الناحية الشرقية لمدينة تيهرت[4]، و استعد كل فريق للحرب و زحف أبو بكر برجاله نحو الثوار و تم اللقاء الذي شارك فيه معظم أهل تيهرت[5]، و كانت المعركة عنيفة تدخل فيها العجم بعد أن انهكت قوى الفريقين المتحاربين، و قد حاول العجم استغلال هذه الحرب لمصلحتهم الخاصة لكن في النهاية تحالف الفريقان و أصبح القتال بين العرب و العجم[6]، فبعد استيلاء العرب على موضع العجم المجاور لدرب النفوسيين أشعلوا النار فيه مما تسبب في الأضرار ببعض النفوسيين المقيمين هناك، الأمر الذي أدى إلى تحالف نفوسة مع العجم، بعد أن وقفت موقف حياد أمام هذه الأوضاع ثم انضم إليهم أبو اليقظان حيث أن نفوسة كانت من أخلص حلفائه و حاولوا إنقاذ الأمور المتدهورة في تيهرت[7]، و بذلك دخلت الحرب مرحلة جديدة تمثلت في انحياز العرب في صف أبي بكر و العجم و نفوسة في صف أبي اليقظان[8]، و هكذا شاركت جميع الأطراف في فتنة محمد بن عرفة و دارت الحرب باسم أفرادها، في بداية الأمر حقق العجم و نفوسة انتصارات قوية على أتباع أبي بكر، و تفرقوا خارج تيهرت، فنزل

1- الدرجيني:المصدر السابق، ج1، ص83.

2- بحاز ابراهيم:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص124.

3- محمد علي دبوز:المرجع السابق، ج3، ص571.

4- سعد زغلول:المرجع السابق، ج2، ص359.

5- ابن الصغير:المصدر السابق، ص- ص 36- 37.

6- نفسه، ص39، محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص160.

7-محمد عيسى الحريري: نفسه، ص162.

8- سعد زغلول:المرجع السابق، ج2، ص361.

العجم على موضع يقال له تنابغيت[1]، و لحق الرستميون بأبي اليقظان، و استقروا عند موضع يقال له أسكدال[2]، أما نفوسة فترلت بقلعة حصينة قامت ببنائها و في هذه الأثناء استغل محمد بن مسالة الفرصة و دخل تيهرت و استولى عليها بعد خروج الإمام أبي بكر و أصبح لهوارة اليد العليا في تيهرت و دخل في صراع مع لواتة التي انسحبت إلى حصنها المعروف بحصن لواتة[3]، و من هناك أرسلت إلى أبي اليقظان تدعوه إلى الإقامة معها، فترل بموضع يقال له تساونت[4]، و هناك تمت مبايعة أبي اليقظان بالإمامة بعد أن تنازل عنها أخوه أبو بكر، و أتته الإباضية من كل الأقطار.

استمرت الحرب بين أبي اليقظان و تيهرت طيلة سبع سنوات متتالية[5]، و قد ارسل في طلب العون العسكري من جبل نفوسة الذي استجاب لطلبه، لكن سكان تيهرت قد ملوا من الحرب وطلبوا الصلح فاستجاب أبو اليقظان لذلك و تم عقد الصلح، و بهذا انتهت هذه الحرب التي أوشكت ان تقضي على الدولة الرستمية نهائيا، و كانت لجهود أبي اليقظان و نفوسة الأثر الكبير في عودة الحياة الطبيعية إلى هذه الدولة، بعد انتهاء هذه الحرب، استقرت الأوضاع في الدولة الرستمية إلى غاية مجيء الإمام أبي حاتم فما كادت البيعة تتم له حتى انفردت به عشيرته و إخوته و أعمامه و مواليه، وكانت غايتهم في ذلك أن يحجبوا الإمامة عن جماهير الشعب ليثيروا عليه الرعية و قد وصل بهم الأمر إلى حد التآمر عليه و بالتالي قتله.

ثانيا– نهاية الدولة الرستمية:

إلى جانب الأوضاع الداخلية المتردية التي ذكرناها هناك عوامل خارجية عجلت بالسقوط لهذه الدولة و منها:

1-تنابغيت:يوجد هذا الموقع على بعد مرحلتين من مدينة تيهرت، ابن الصغير:المصدر السابق، ص39.

2- اسكدال:هو على مسيرة يوم و أزيد بقليل في مجمع الإباضية، ابن الصغير:المصدر نفسه، ص نفسها.

3- ابن الصغير:نفسه، ص40.

4- تساونت:توجد قرب لواتة على مسيرة أميال و هي الموضع الذي يخرج منه عيون النهر الذي يجري من قبلة تيهرت، ابن الصغير:المصدر السابق، ص40.

5- رابح بونار:المرجع السابق، ص37.

1- موقعة مانو و سقوط الدولة(273هـ/796م):

من أهم الأحداث التي عرفها جبل نفوسة على أيام أبي حاتم يوسف و التي ألحقت الهزيمة بقوات نفوسة أمام القوات الأغلبية بقيادة الأمير إبراهيم بن أحمد[1]، و ذلك في موقعة مانو بعد وفاة أبي منصور إلياس و ولاية أفلح بن العباس على نفوسة[2]، و كانت السبب المباشر لاضمحلال إمامة تيهرت، فقبائل نفوسة كانت تؤيد السلطة الرستمية و مذهبها الإباضي بشكل لا نظير له بين قبائل المغرب و لهذا السبب قام الإباضية هناك:" قام هذا الدين بسيوف نفوسة و مال مزاتة[3] ، كما قالوا أن أخبار نفوسة انتشرت لدى المسودة العباسيين في المشرق على أنهم المناصرون و القائمون لدولة الفرس الرستمية في بلاد طرابلس و تيهرت و غيرها. و ذلك بفضل المكاتبات التي كان يبعث بها إلى بغداد أهل كل من مدينتي القيروان و طرابلس.

لقد اعتبرت معركة مانوا بداية النهاية للدولة الرستمية، و كان من أسبابها:

سار إبراهيم بن أحمد من رقادة في أثر ابنه أحمد نحو طرابلس حيث اعترضته قبائل نفوسة، فيما بين قابس و طرابلس، و إذا كانت الرواية الإباضية تقول ان الأمير الأغلبي طلب النفوسيين أن يتركوا له ممرا على شاطئ البحر لا تزيد سعته عن مقدار نشر عمامته ليجوز منه إلى طرابلس[4].

فإن من الممكن أن يكون الأمر متعلقا بواحد من حتمالين:

1 – إما أن تكون الرواية الإباضية تخلط بين ما حدث قبل ذلك مع عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب عندما حاصرته الإباضية في طرابلس أيام الإمام عبد الوهاب، و انتهى الأمر بالصلح على أن يكون شاطئ البحر للأغالبة و الدواخل لعبد الوهاب

1- ابراهيم بن الاغلب: هو ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، كان واليا على القيروان لأخيه أبي الغرانيف، فلما توفي أخوه ولي مكانه سنة289هـ و قد قمع عدة ثورات أخرى عدا ثورة الإباضية، كما افتتح عددا من حصون الإفرنج و غزا صقلية، ولكنه في أواخر أيامه، احتل و قتل عددا كبيرا من أفراد عائلته و منهم اثنان من أبنائه و قد دامت ولايته 28 سنة و نصف، ابن عذارى المراكشي:المصدر السابق، ج1، ص116.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص87.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص155.

4- نفسه، ص- ص 156- 157.

2 – و إما أن يكون هدف ابراهيم بن أحمد هو الإكتفاء بتهدئة الأحوال في طرابلس التابعة له دون رغبة في التدخل في شؤون الإباضية الدواخل[1].

و المهم في الرواية أن الإباضية زعموا على ألا يسمحوا لابراهيم بالمرور بينما قرر هذا الأخير الجواز على ساحل البحر دون أن يتعرض أصحابه لنفوسة إذا تركوهم.

و رأى العقلاء من الشيوخ مثل بن أبي يونس[2]، أ يتركوا الأغالبة يجوزون و لكن الكثرة الغالبية من الشباب المتحمس رفض ذلك، و كان رد سعد مقولته الشهيرة:"خفت أن تذبح البقرة فيتبعها عجلها"[3]، يعني بالبقرة نفوسة و بالعجل قنطرارة بلده.

و هكذا اعترضت نفوسة قوات في موضع لا يذكر المؤرخون العرب اسمه، بينما يعرفه كتاب الإباضية باسم"مانو"[4].

أما عن القتال الشديد بين الفريقية، فيوصف بأنه لم يسبق مكثله في أرض المغرب و بصرف النظر عن بعض البطولات الشخصية التي أظهرها بعض الفرسان من الجانبين، فقد اشتد القتال بين الفريقين، و لحق بنفوسة إلى جانب ذلك كثير من الجراح حتى أنهم هموا بالانهزام[5].و هنا طرأت على بال أفلح بن العباس، و إلى الجبل و فارس نفوسة فكرة حث الناس على الثبات عن طريق تركيز البند أو الراية، شعار الجيش في الأرض، و هو الأمر الذي لم يفعله صاحب البنداي حامل الراية إلا على مضض، و لكنه إذا كان غرس البند في الأرض قد جعل الناس يسرعون بالالتفاف حوله للدفاع عنه، فقد جعل احتشادهم هذا هدفا سهلا للعسكر الأغلبي الذي أوقع بهم و قتل منهم الكثيرين بينما فر أفلح بن العباس عندما رأى سوء موقعه و تفشى القتل في أصحابه[6].ولا شك في أن فشل خطة

1- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج2، ص389.

2- سعد بن أبي يونس: كان عالما كبيرا و شيخا من شيوخ قنطرارة و واليها و من مشاهير أبنائها، سعد زغلول عبد الحميد:المرجع نفسه، ج2، ص نفسها.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص385.

4- موقع مانوا: إنه قصر من قصور الأولين على ساحل، أبو زكرياء يحيى: المصدر نفسه، ص387.

5- أبو زكرياء يحيى: المصدر نفسه، ص390.

6- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج2، ص390.

خصومه، إذ استلهمهم إلى أن صلى ركعتين أتبعهما بالدعاء، فبعث الله إليهم ريحا عاصفا حال بينهم و بين الشيخ، فأخذ ابنه يوسف، إذ ذاك قد كف بصره، و مضى إلى تساونت من قبائل نفزاوة[5].

و من الزاب عاد ابراهيم بن أحمد و بصحبته أسراء الثمانين من فقهاء قنطرارة إلى القيروان حيث قتلهم بأجمعهم.

و هكذا حطم ابراهيم بن أحمد بن الأغلب مقاومة الإباضية الرستميين في كل من جبل نفوسة و نفزاوة قبل أن يعود إلى القيروان.

و الحقيقة لا تتجاوز كثيرا ما يقوله كتاب الإباضية بأن موقعة مانوا كانت السبب في القاء الوهن في نفوسة و ذلك أدى إلى انقراض الدولة الرستمية و انقطاع الدعوة الإباضية، و ذلك لأن نفوسة كانوا عمدها قامت بقيامهم و انقطعت لانقطاعهم[1].

و يظهر عدل أفلح من ولاية جبل نفوسة و كأنه بدى النهاية بالنسبة للدولة الرستمية إذ يقول أبو زكرياء:"إن الوالي الجديد ابن عمه لم يمكث في الحكم إلا حوالي ثلاثة أشهر، و لم يتمكن من إحسان السيرة، فتركه الناس و رجعوا إلى أفلح[2]، و بذلك يكون قيام الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط و كيف هيأ لها القضاء على تيهرت الرستمية.

و بهذا تنتهي الدولة الرستمية عند ابن الصغير في دوامة الإضطراباتن التي عرفتها تيهرت والخلافات التي عرفها أفراد الأسرة الحاكمة على عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن أفلح، دون ذكر موقعة مانوا.

2- الدخول الفاطمي و سقوط الدولة:

في خلال السنوات الأخيرة لإمامة تيهرت خصصها أبو زكرياء لتاريخ بدأ الدعوة الشعبية في كتامة و قيام الدولة الفاطمية في المغرب و التي رأى الدرجيني أ يختزلها الإمام أبو حاتم يوسف راح ضحية مؤامرة قام بها أفراد أسرته و شارك فيها بعض الشيوخ الفقهاء مثل"أبي الخطاب وسيم ابن

1- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص91.

2- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص- ص 158- 159.

سنتين الزواغي، أحد حفدة أبي الخطاب الكبير المعافري، و ذلك سنة 294هـــ/907م، و انتهت بولاية ابن أخيه يقظان بن اليقظان.

فعندما سار أبو عبد الله الشيعي[1] الذي يعرفه كتاب الإباضية بالإيكجاني، نسبة إلى قلعة إيكجان الذي اعتصم بها في مدينة ميلة من بلاد كتامة، من رقادة في طريقه إلى سجلماسة لطلب الإمام المهدي، خرجت إليه دوسر بنت يوسف مع واحد من إخوتها تشكو إليه مقتل أبيها و تطلب منه الإنتقام من عمومتها بني أبي اليقظان، الذين غدروا به مما يفهم منه أن السيدة دوسر كانت اللمحرضة للشيعي على فتح تيهرت.

و الواضح من الرواية أنه ما إن أقبل الشيعي على تيهرت حتى خرج إليه وجود أهلها يعلنون الطاعة و يطلبون الأمان[2].

أما زعماء الجماعات المعارضة من المالكية و الواصلية و الشيعية و الصفرية نافقوه و شكوا إليه إمارة الفرس، و وعدوه العون من أنفسهم على جميع الرستكيين، و أمروا باستئصال شأفتهم، وتوهين شوكتهم[3].

مما يفهم أن المقصود بجماعة وجوه تيهرت الذين طلبوا الأمان هم من أفراد الأسرة الرستمية المالكة وأنصارهم.

و هذا لا يمنع أن يكون أبناء عمومته من أولاد يوسف و على رأسهم دوسر ابنته، فقد انتهزوا الفرصة لتحريض الشيعي عليهم، مما كان يهيء لهم النجاة من انتقامه و في نفس الوقت تحقيق الثأر لمقتل والدهم[4].

و لا أدل عل الانفصام الذي كان وقع بين الأسرة المالكة و بين شعب تيهرت، إذ أن الشيخ أبي الخطاب الذي كانت إليه الزعامة في المدينة و الذي قام بدور رئيسي في تولية يقظان، كان يغرم اليتامى و الأرامل لظلمه، و يستفتي نكاريا و يقدم في الصلاة خلفيا و في الأذان نفاثيا.

---

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص164.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص93.

3- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص 165.

4- سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ص390.

و إذا كان ذلك يعني نوعا من المهادنة من أجل التعايش السلمي، فلا شك أن هذه الفسيفساء الإباضية كانت من الدقة بحيث لا تحتمل أية مقاومة، و هذا ما يفسر استسلام المدينة دون مقاومة.

و الدليل على هذا خروج أعيان تيهرت على رأسهم ابن اليقظان لاستقبال أبي عبد الله الشيعي سواء كان بناء على طلبه أو مبادرة من المدينة، و ينص أبو زكرياء على أنه بعد حوار قصير سأل الشيعي الأمير الرستمي عن إسمه و رد فيه بخفاء على سوء السيرة و قتل أخيه أبي حاتم يوسف، إذ قال له:"و كيف قتلتم أميركم و سلبتم لأنفسكم ملككم فاطفيتم نور الإسلام بغير سبب و ألقيتم بأيديكم إلينا بغير قتال"؟و بعد ذلك أمر بقتل يقظان و أبنائه الذين نقض فيهم الحكم فقتلوا عن آخرهم[1]. و مع أن الرواية تنص أن عبد الله الشيعي دخل تيهرت بالأمان، فإنها تشير أنه غدر، فانتهت مدينة الأئمة و انتهك حرمتها و أخلا كثيرا من أهلها، و جعل أعزة أهلها أذلة، و لم يكتف أبو عبد الله الشيعي بقتل يقظان و أبناءه، بل أنه أتبع ذلك بقتل أهل بيت الإمامة من الرستميين، وأهل الملك و أهله الحرث و النسل[2]و كان من الذخائر التي وقع عليها أبو عبد الله الشيعي في تيهرت مملوءة بالكتب من مكانها، كما تقول الرواية و اخذ منها كل ما يصلح للملك و الحساب، و ألقى ببقيتها[3].

هكذا تم القضاء على الرستميين و حكمهم في تيهرت، 296هـ/909م، و لم يستطع أصدقاؤها و جيرانها أن يقدموا إليه مساعدة لظروفهم الخاصة، و لطريقة العلاقة التي كانت تربط بينهم و بين تيهرت[4] و بعد دخول الشيعي لتيهرت هربت السيدة دوسر بنت يوسف التي لم تف بالزواج منه بعد أن حقق لها أمنيتها و ثأر من بني عموميتها قاتلي أبيها، فلا بأس أن يكون العفو قد

1- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص- ص 70- 71.

2- أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص- ص 166- 167

3- إن صومعة الكتب هذه كانت مشتملة على ديوان تيهرت أي على سجلات المدينة الرستمية، أبو زكرياء يحيى: المصدر نفسه، ص167.

4- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص72.

شمل أيضا يعقوب بن أفلح عم يوسف و يقظان الذي كان له حظ المنافسة على الإمامة من قبل[1].

وبينما تقول رواية أبي زكرياء أنه خرج من تيهرت متوجها إلى وارجلان لما سمع بإقبال الإيكجاني، يذكر الدرجيني أن يعقوب بن أفلح و ابنة أخيه دوسر خرجا في خفاء إلى جهة وارجلان حتى نزلها[2].

فإذا كان الأمر كذلك يكون يعقوب قد وقف إلى جانب ابنة أخيه دوسر في طلب الثأر لأبيها، وحينئذ يصح ما نريد استنباطه من أن يكون عفو الشيعي قد شمل كلا من دوسر و يعقوب، و تكون إلى وارجلان قد تمت بموافقته، و لا يضعف من هذا الافتراض الذي نراه منسجما مع واقع الحال، ما تشير إليه الرواية التالية لأبي زكرياء و التي يقول فيها:"إنه لما سار الإيكجاني متوجها إلى تيهرت خرج يعقوب بن أفلح في خيل مع أصحابه مع عيالاتهم و أهاليهم"[3] عندما وصل يعقوب بن أفلح بعد سقوط تيهرت إلى وارجلان كان حكم الواحة الصحراوية الكبيرة إلى رجل يعرف باسم"صالح بن جنون بن يصريان" الذي خرج لاستقباله في جموع أهل وارجلان و بسبب مركزه الإجتماعي وشرفه و عمله، اقتضت أصول الآداب في ذلك العصر أن يعرضوا عليه أهل وارجلان[4].

و بضمانهم أمير "صالح بن جنون" على ما تظن أن يكون أمير عليهم، و كان من الطبيعي أن يرفض يعقوب هذا العرض الذي و إن كان كريما، لم يكن مناسبا للإمام الأسبق الذي قال للناس وهو يمتنع"لا يستتر الجمل بالغنم"[5].

و نخلص إلى أن أبو عبيد الله الشيعي استغل ذلك الانقسام الحاصل بين أبناء الأسرة المالكة[6] و قام بتخريب المدينة واستباحها حيث يقول البكري:"فوصل أبو عبد الله الشيعي إلى مدينة تاهرت فدخلها بالأمان، ثم قتل فيها من الرستميين عددا كبيرا منهم اليقظان بن أبي اليقظان و بعث برؤوسهم إلى

1- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص170.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص46.

3- أبو زكرياء يحي: المصدر السابق، ص- ص 170- 171.

4- بلحاج بن عدون قشار: وقعة مانوا و ما رافقها من أحداث www.ibadiyah.net.

5- أبو زكرياء يحي: المصدر السابق، ص173.

6- علي معمر: مختصر الإباضية، المرجع السابق، ص- ص 44- 49، بوزياني الدراجي: دول الخوارج و العلويين، المرجع السابق، ص103.

أخيه أبي العباس و طيف بها في القيروان"[1]، هذا الإضطهاد جعل الرستميين يفرون بمذهبهم إلى مناطق بعيدة و هي سدراتة ووارجلان و جربة و جبل نفوسة، و يقول ابن خلدون:"وعقد عروبة بن يوسف فاتح المغرب للشيعة على تاهرت لأبي حمد دواس بن صولات اللهيصي في غزاته إلى المغرب 298هـ/910م، فأثخن في برابرها الإباضية من لماية و ازداجة و لواتة و مكناسة و مطماطة"[2].

لم تبق تيهرت عاصمة المغرب الأوسط رغم أنها بقيت محصنة في عهد الفاطميين[3]، خاصة عندما عين مصالة بن حبوس المكناسي بعد مقتل دواس بن صولات عامل تيهرت السابق.

فقد أصبحت تيهرت القاعدة المتقدمة من أجل السيطرة على المغرب الأقصى، و حتى على الأندلس و هو ما يشير إليه بن خلدون بقوله:" لم تزل تاهرت هذه ثغر لعمال الشيعة و صنهاجة سائر أيامهم[4].

لقد ظلت تيهرت مركزا لمراقبة تحركات القبائل البربرية خاصة الزناتيين بحيث تحولت إلى مركز للتوغل في بلاد المغرب الأقصى، و ما لبثت أن أصبحت مسرحا للقتال بين الزناتيين الذين يخضعون للدولة الأموية في الأندلس و الفاطميين، و هكذا أصبحت بين يدي مغراوة، بعد أن قتل هؤلاء مصالة بن حبوس سنة 312هـ ثم فتحها القاسم بن المهدي الفاطمي لتحتلها بعد ذلك مغراوة للمرة الثانية[5] بعد وفاة أبي القاسم بن المهدي.

إن أهمية تيهرت كقاعدة حربية في عهد الخلافة الفاطمية جلب لها المتاعب و أدى إلى هلاك سكانها، فلم تعد خلال هذه المرحلة عراق المغرب كما وصفت من قبل، و هو ما لاحظه ابن حوقل خلال القرن 4هـ/10م، والذي قال عنها:"قد تغيرت تيهرت عما كانت عليه، و أهلها و جميع أقارها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم و دوام القحط و كثرة القتل و الموت"[6].

1- البكري: المصدر السابق، ص68، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص197.

2- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، المصدر السابق، ص1449، مختار حساني: المرجع السابق، ص298.

3- Bourouiba Rachid : Cités disparues, Imp. Reghaia Alger 1982, p37.

4- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، ص1451.

5- نفسه، ص1450، و أيضا: Bourouiba R : op.cit , p – p 37- 38.

6- ابن حوقل: المصدر السابق، ص78، مختار حساني: المرجع السابق، ص299.

و بعد القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد[1] استعادت الخلافة الفاطمية مدينة تيهرت.

و بهجوم بني غانية[2] على تيهرت و تهديمها، تهجر المدينة مما جعل الحسن بن محمد الوزان يقول عنها:" لم تر شيئا آخر حاليا إلا بقايا تشييدات كما لاحظته أنا شخصيا"[3].

1- يذكره ابن خلدون بابن كيراد فيقول:"و كان أبوه كيراد من أهل قسطيلة من مدائن بلد توزر، و كان يختلف إلى بلاد السودان بالتجارة و بها ولد ولده أبو يزيد و نشأ بتوزر، و تعلم القرآن و خالط النكارية من الخوارج و هم الصفرية، فمال إلى مذهبهم ثم سافر إلى تاهرت و أقام بها يعلم الصبيان... و لقب بصاحب الحمار لركوبه حمارا أشهب"، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، م1، المصدر السابق، ص- ص 1451- 1452.

2- من أعيان الملثمين المرابطين، امتلكوا جزر البليار شرق الأندلس و استقلوا بها و أعلنوا ولاءهم للدولة العباسية ثم ثاروا على الموحدين، فغزوا بجاية و مليانة و قلعة بني حماد و قسنطينة و الجزء الشرقي للدولة و هي المعروفة بالبلاد الإفريقية، محمد لعروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986، ص- ص 17- 18، و يقول عبد الرحمن بن خلدون:"و ارتحل إلى تاهرت...و استبيحت تاهرت فكان آخر العد بعمرانها، و امتلأت أيديهم من الغنائم والسبي، و انقلبوا إلى افريقية"، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، م2، ص2544، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص128، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج1، ص466، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص28.

3- حسن الوزان: المصدر السابق، ص- ص 40- 41، و أيضا: Gerard D : opcit, p247 .

الفصل الثاني

الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية بتيهرت

المبحث الأول: الحياة الإجتماعية في تيهرت

المبحث الثاني: الأنشطة الاقتصادية المتداولة

المبحث الثالث: الموارد المالية

المبحث الرابع: التجارة الداخلية و مبادلات تيهرت الخارجية

المبحث الأول: الحياة الإجتماعية في تيهرت

من ناحية البنية الاجتماعية لمدينة تيهرت، فإن المصادر التي رجعنا إليها لم تذكر أن عبد الرحمن بن رستم قام بنقل السكان المجاورين لتيهرت من أجل تعمير المدينة كما حدث في بناء أشير و القلعة، بل السكان أتوا إلى المدينة بإرادتهم و لعل الدافع لذلك رخاء و غناء المدينة[1] و حسن سيرة إمامها و عدله، و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير: "و أتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاصي الأقطار...لما يرى من رخاء البلد و سن سيرة إمامه و عدله في رعيته و أمانه عن نفسه و ماله..."[1].

لقد كثر سكان تيهرت و اختلفت فيها عناصرهم و أجناسهم، فكان فيها من لماية و زناتة و سدراتة و هوارة و لواتة و زواغة، و نفوسة الجبل، كما سكنها قوم من القيروان و الكوفة و من فاس و غيرها، و اجتمعت فيها مختلف المذاهب و الفرق اليهودية و المسيحة و غيرها[1]، حتى أنه ظهرت أحياء جديدة تمثلت في:

–حي الأجناد المهاجرين: اتخذ هذا الحي شكله البسيط ليصبح في القرن الثالث الهجري سرة المدينة نفسها.

–العدوة عبر نهر مينا التي بنتها نفوسة[1].

–منطقة القصور و الضياع و أكثرها في الضواحي حيث الجنات و البساتين.

و هذا التصنيف حسب الدكتور احسان عباس الذي يذكر أيضا أن المدينة عرفت ثلاثة مراحل أساسية من الإستيطان نلخصها فيما يلي:

–الاستيطان الحضري: يشمل المدينة و سكانها على مختلف انتماءاتهم و قصور الأثرياء منهم في الضواحي.

---

1 - المقدسي: المصدر السابق، ص229، مختار حساني: المرجع السابق، ج4، ص291.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 31- 32.

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص96، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص111، و قد تعرضنا لعناصر السكان و أصولهم العرقية في الفصل الأول، ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص135.

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص72.

-الاستيطان القبلي المستقر: و تمثله القبائل التي تحيط بالمدينة حيث يذكر البكري[1] أن هناك قبائل تقطن حول المدينة، فعد في جنوبها: لواتة و هوارة و في غربها: زواغة و في شمالها: مطماطة و زناتة و مكناسة.

-الاستيطان القبلي المتنقل: و يشتمل على القبائل التي تزور أحواز المدينة في الربيع بحثا عن الكلأ مثل قبيلة مزاتة و سدراتة، و بانقضاء فصل الربيع يفترقون مرة أخرى مع الإشارة أنهم كانوا يبعثون شيئا من الإنعاش الحيوية على أسواق تيهرت.

أما المحتوى البشري لمدينة تيهرت فهو صورة صادقة للتكوين الذي كان سائدا في المغرب في النصف الأول من القرن الثاني الهجري.

أولا– عناصر و بنية المجتمع التيهرتي:

و تتضح معالمه في انقسام السكان إلى أربعة أجناس و هي:

أ/ البربر[2]:و هم السكان الأصليون لبلاد المغرب و أقدمهم فيه، أما أصل كلمة بربر في قاموس العرب تعني اختلاط الأصوات الغير مفهومة، أي علا صوته عند الهياج، بربر فلان، أكثر الكلامة في جلبة و صاح، و بربر أي أخلط في الكلام مع غضب و نفور[3].أما المؤرخ الأوروبي بوسكي فيقول بأنها كلمة من أصل لاتيني و تعني الشخص الذي لا ثقافة له و الذي ينتمي إلى الشعوب المتخلفة التي تعيش خارج نطاق Barbarus روما[4]، و يرى بعض المؤرخين أن لفظ البربر جاءنا من اليونان، فهم الذين أطلقوا هذه التسمية على سكان الشمال الإفريقي ظنا منهم أن هذه

---

1 - البكري: المصدر السابق، ص67، مختار حساني: المرجع السابق، ج4، ص295.

2 – البربر (Barbares):إسم أطلقه اليونان ثم الرومان على الأجانب من الأمم، و البربر أيضا الشعوب الجرمانية و المغولية التي اجتاحت الإمبراطورية في القرن الثالث و الرابع و الخامس، أما البربر (Berberes) سكان بلاد البربر في إفريقية الشمالية الأصليين من الجنس الأبيض، لا يعرف من أين نزحوا، يعيشون في جبال الأطلس، اختلطوا بالفينيقيين على عهد قرطاجة ثم بالرومان ثم بالقبائل و الجيوش العربية بعد الفتح الإسلامي، ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح مصر و المغرب، المصدر السابق، ص27، و للمزيد عن البربر، ينظر عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2408.

3 – فريد داودي:الأصوات اللغوية في اللهجات البربرية القبائلية نموذجا، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2000 -2001، ص7.

4 – عمار عمورة: المرجع السابق، ص13.

التسمية تطلق على الشعوب التي لا تخضع لنفوذهم، و لا يمكن التفاهم معهم، لأنهم متمردون على سلطتهم، و أكثر من ذلكن فقد اعتبروهم شعبا متوحشا و غير متحضر، و هي كلمة عنصرية وغير لائقة و غير واقعية فرضها الاستعمار الروماني على الشعوب المستضعفة في شمال إفريقيا، ويرى هيرودوث[1] أن هذه التسمية خاطئة، أما الأصل الصحيح للتسمية فهم قطعا الساميون من أبناء مازيغ بن كنعان، و من تم فالأمازيغ هو الإسم الصحيح لسكان هذه المنطقة[2].

يضيف صاحب المقال:"أن طائفة من هؤلاء البربر قدمت المدينة المنورة و مثلت أمام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسألهم عن نسبهم فقالوا:إنما نحن منسوبون إلى مازيغ، ولما سألهم عن بلدهم قالوا:البلاد الواقعة بين خليج العرب، و يقصدون بذلك البحر الأحمر و البحر المتوسط والمحيط، و نسبوا أنفسهم إلى مازيغ و لم يذكروا بربر إطلاقا"[3].و كلمة أمازيغ جمعها أمازيغن تعني بالترقية "التوارق" الساكن بشمال إفريقيا، و تعني الرجل الحر النبيل[4].

و قد اختلف في نسبهم اختلافا كبيرا، فذهبت طائفة إلى أنهم من العرب، ثم قيل:"أوزاع من اليمن و أنهم أبناء النعمان بن حمير بن سبأ، و أنهم من غسان، تفرقوا عند السبيل العرم، و قيل أيضا من لحم و جذام، كانوا نازلين بفلسطين من الشام، إلى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلجئوا إلى مصر، فمنعهم ملوكها من نزولها، فذهبوا إلى المغرب فترلوا"[5]، و يقول أبو الفداء أنه اختلف في البربر اختلافا كثيرا فقيل أنهم من ولد فارق بن بيصر بن حام، و البربر يزعمون أنهم من ولد قيس غيلان[6]، و يقول بن خرداذبة:"أن البربر ينسبون إلى جدهم بر كما ينسب العرب إلى جدهم يعرب بن قحطان، سكنوا فلسطين منذ 670 ق.م بعد الطوفان، و أخرجهم منها النبي

1- هيرودوث: مؤرخ يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد.

2- العربي بو جلال: الأمازيغية و الشخصية الوطنية، في جريدة الخبر، العدد2049، أوت 1997، الجزائر، ص20.

3- نفسه، ص نفسها

4- صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغية، دار هومه، الجزائر، 1999، ص17، عمار عمورة:المرجع السابق، ص13.

5- القلقشندي:نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1991، ص119.

6- ابن أبي الفداء اسماعيل ابن علي:المختصر في أخبار البشر، تعليق محمود دبوب، ج1، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص118.

لواتة تنحدر قبيلتا مزاتة ومناغة ومنها قبيلة سدراتة أخت قبيلة مغراوة عن طريق الأم، قال عنها ابن خلدون:"و كان من لواتة أمة عظيمة تنتسب إلى لوا الأصغر نفزا بن لوا الأكبر بن زحيك، ولها بطون متسعة منها مزاتة وسدراتة..."[1].- لماية:هم بطون فاتن بن تمصيت إخوة مطغارة، ولهم بطون كثيرة عدة، كانوا بضواحي تيهرت، و أخذوا برأي الإباضية و دانوا به و انتحلوه[2].

أما البرانس فكانت قبائل هوارة الوحيدة التي شاركت في تأسيس الدولة الرستمية وأخذت برأي الإباضية[3].

ب/ الأفارقة: و كانوا يشكلون بوجه عام سكان المدن أو المراكز القريبة من المدن، و هم مزيج من بقايا الأمم التي احتلت بلاد المغرب، أي هم الطارئون و الدخلاء، و هم حسب الترتيب التاريخي،القرطاجيون، و هم عناصر فينيقية سامية ثم الرومان و الوندال و الروم البيزنطيون و هم عناصر آرية، ثم عنصر خليط من أولئك و هؤلاء، كان يدين معظم أفراده بالمسيحية و يأخذ بأساليب الحضارة الرومانية، و هم الأفارقة أو الأفارق، و كانوا خدما و زراعا، و مثلوا دورا مشبوها إذ قاوموا الفتح العربي الإسلامي منذ معركة سبينطة88هـ/649م[4]، و هؤلاء لا يرجع أصلهم إلى البربر، و لا تجمعهم أصول دموية واحدة و لا جد أعلى ينحدرون منهن و إنما انصهروا في الحياة الجديدة في مدن المغرب و استقروا به، و كانوا مختلطين بمن تحضر من البربر و أصبحت تجمعهم حياة مشتركة من استقرار في الأرض و ما يتصل بها من أرياض و مزارع[5].

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون:العبر، المصدر السابق، المجلد2، ص2410، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص90.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون:المصدر نفسه، ص2413، عبد الواحد ذنون طه:دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، ليبيا، 2004، ص30.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون:المصدر نفسه، ص نفسها.

[4]- رشيد بورويبة و آخرون:المرجع السابق، ص14

[5]- حسين مؤنس:فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص5، شكري فيصل:حركة الفتح الإسلامي في القرن1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص180

و قد عاش أفارقة المغرب الأوسط في المجتمع التيهرتي حياة المواطن العادي من أبناء الدولة، بل أن بعض هؤلاء الأفارقة من المسيحيين كانت لهم مترلة خاصة لدى بعض الأئمة الرستميين كأبي بكر بن أفلح[1].

3 – العرب:و هم الجند الذين وفدوا إلى بلاد المغرب في إطار الفتح الإسلامي، إلى جانب الذين انتقلوا إلى هذه البلاد بعد إتمام عملية الفتح و اتخذوا منها موطنا لهم فاستقروا فيها و أقاموا فيها.ومنهم أيضا الذين أرسلهم الخلفاء لبث تعاليم الإسلام و نشره بين سكان المغرب إلى جانب الخوارج الذين لجؤوا لنشر مبادئهم و آرائهم،إذ وجدوا في هذه الأرض منطقة خصبة لذلك.و ظل هؤلاء العرب في المجتمع التيهرتي يمثلون طبقة معروفة لدى الجميع و هي طبقة العرب[2].

4 – العجم:و هم الفرس الذين جاءوا إلى المغرب مع جيوش الخلافة لإخماد ثورات البربر، حيث ذكر النويري أن جيش محمد بن الأشعث الذي أوفده أبو جعفر المنصور ضم ثلاثين ألف فارس من أهل خرسان[3].و ظل هؤلاء العجم متميزين عن غيرهم من العرب في أحداث الدولة الرستمية في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح و أخيه بن يقظان، و قد سماهم ابن الصغير باسم العجم[4].

و لم يقتصر المجتمع التيهرتي على هذا، فقد تعداه إلى اختلاف في أنماط المعيشة فنجد ابن الصغير يقسم المجتمع إلى أهل البوادي و الحواجر[5]، و سوف نستهل ب:

---

[1]– ابن الصغير:المصدر السابق، ص36.

[2]– نفسه، ص– ص 37– 38.

[3]– النويري:نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22، تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت، ص19.

[4]– ابن الصغير:المصدر السابق، ص52.

5 - وجدت عند العرب كلمات في معنى البداوة و الحضر، فنجد في معنى البداوة: الوبر، الحدر، و في معنى الحضر نجد المدر والحجر، فالوبر هو صوف الإبل و نحوها من الحيوان، و الحدر هي الأرض المنحدرة التي لا يبنى عليها و بالتالي تعني البداوة أما المدر فهو قطع الطين المتماسك و هو المعتمد في البناء، و كذلك نفس المعنى بالنسبة للحجر، جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص247، و الحواجر حسب ابن الصغير هم سكان البادية في مواقع الأحجار و الرمال لأنه يقول: "أهل الحواجر و البوادي..."، ابن الصغير: المصدر السابق، ص54، و في لسان العرب لعلها تعني أهل الحوافر، ابن منظور: المصدر السابق، م1، ص571.

1 – أهل البدو:

كان سكان المغرب الأوسط و بالأخص مدينة تيهرت عبارة عن قبائل منتشرة في أماكن مختلفة، و يذكر ابن خلدون أن سكان البدو: "هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح، و القيام على الأنعام، و أنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات و الملابس، و المساكن و سائر الأحوال حيث أنهم يتخذون بيوتهم من الشعر و الوبر و من الشجر و الطين، و كذا الحجارة و بذلك فمن البدو نذكر الظواغن و المستقرون"[1].

* **فالقبائل الظاغنة:** حسب ابن خلدون هي تلك الأقوام الرحالة الذين ينتجعون من مكان إلى آخر، و يشير بدوره إلى لواتة القريبة من تيهرت، التي كانت تنتجع على وادي ميناس[2].

* **أما القبائل المستقرة:** فلقد بلغت درجة حضارية أعلى من القبائل الظاغنة فعرفت الاستقرار، فكانت لهم مزارع و أرضون مباركة و حرث قائم بحد ذاته[3]، و كان المستقرون يسكنون تجمعات سكنية، يطلق على الواحدة منها اسم "القرية" و كانت منتشرة في أرجاء بلاد المغرب الأوسط، كما كانت تنتشر حول المدينة الكبرى بعض القبائل مثل قبائل لواتة، و هوارة نواحي تيهرت، وكانوا يمثلون حلقة وصل بين الظواغن و أهل الحواجر[4].

و يتميز المجتمع البدوي بخصائص عديدة نميزها فيما يلي:

أن القبيلة تأتي على رأس تنظيم احتماعي للمجتمعات البدوية، و هم جماعة ينتمون إلى جد واحد مشترك انحدروا منه، و يسكنون عادة منطقة واحدة يتجمعون لمواجهة ما يستجد عليهم، من ظروف حياتية و طبيعية، فكان كل فرد يعلن ولاءه أو طاعته لهذه القبيلة، مقابل حمايته ومساعدته و توفير الأمن له، لكنه إذا قصر هو أيضا في واجبه نحوها، فكانت تخلعه و تعتبره صعلوكا، وبالتالي فهي دائمة و متينة، فيعمل على إبقاء هذه القبيلة نقية، و تحفظ كيانها، و بالتالي تتكون العصبية التي هي مصدر القوة، و التي تتمثل أساسا في الإجتماع في الرأي، و عدم الإنقسام و التنافر حفاظا

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص134.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2411.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص135.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص2430.

على السلامة العامة و الشعور بالمسؤولية المشتركة و الإستقامة و التماسك و حل النزاعات بالحسنى[1]، و كان على رأس كل قبيلة شيخ يحكمها و يدير شؤونها، و غالبا ما تكون الرئاسة وراثية و يساعده مجلس قبلي يتكون من أصحاب الحجة، و المنطق، كما كان لها ديوان أودار الضيافة الخاص، و فيه تعقد الإجتماعات و النقاشات كما تضم القبيلة عدة اجتماعات داخلية منها:

أ– الأسرة:

أي الأب و الأم ، خاصة و أن المرأة الرستمية كانت مثالا للصلاح و الثقافة والإسعاد لزوجها وأفراد أسرتها[2]، و هي أساس التنظيم الإجتماعي، و قاعدة القبيلة، و تشمل عميد الأسرة و الأبناء و الأحفاد و الأعمام و غيرهم، و يعيشون تحت سقف واحد، و يشتركون في تحمل المسؤولية وهي أوسع من الرهط[3].

ب – العشيرة:

و تتكون من اتحاد عدد من الأسر المشتركة في النسب، و ترجع إلى جد واحد و لكل أعضائها حقوق و واجبات، و يسكنون متجاورين، و لعل رئاسة هذه العشيرة تكون دينية و دنيوية ووراثية في غالب الأحيان[4].

ج – الفخذ:

و تتكون من عدة عشائر ذات مصالح مشتركة و يشترط فيها وحدة النسب لا تتجاوز الجد الخامس، و يرتبط أفرادها بالدية و الثأر، و يتشاركون في الأفراح و الإقتراح، و للفخذ رئيس يتولى تسيير أمورها كتوفير الحماية و الأمن، و لهذا الأخير علاقة بالبطن، و هو أكبر من الفخذ

---

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص– ص 250– 251، عمار عمورة: المرجع السابق، ص96.

2 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص406.

3 - الرهط: هي الأسرة التي تشمل الأب و الأبناء فقط، جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص251.

4 - نفسه، ص252.

غير إنما يشتركان في أغلب الحقوق و الواجبات[1]، و لعل هؤلاء يكونون قبيلة، و التي سبق و أن أعطينا نبذة عنها و عن طريقة عيشها و علاقة الأفراد برؤسائهم، و كيفية تولي رئاسة حكامها.

2 – أهل الحضر:

أطلق عليهم ابن الصغير أهل الحواجر لأن تقسيمه كان حسب نمط السكن[2].و لعل الازدهار الاقتصادي الذي عرفته الدولة الرستمية خلال تاريخها الطويل رغم الفتن التي هزت بعض المناطق، كمنطقة العاصمة تيهرت بسبب الاختلافات الفقهية و التنافس الاجتماعي السياسي، وقد كان لذلك الازدهار بارز الأثر و الذي ظهر جليا على المجتمع الرستمي عامة والتيهرتي خاصة، كما كان للمال و النشاط التجاري و الزراعي من أسباب الحضارة و رفع مستوى المعيشة في الدولة، الأمر الذي ترتب عنه تحولات جدرية في المجتمع و نسيجه كظهور الطبقية من أغنياء وفقراء و عبيد، و تحول أعداد من البدو و إلى المدن و سكانهم و دخولهم شريحة الحضريين[3]، وبالتالي اعتبر الاستقرار سمة المجتمع الحضري، ففي عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم تطورت تيهرت، و اتسعت خلال ثلاث سنوات، و انتعش فيها الفقير، و حسنت أحوال الناس في البلاد، فشرعوا في العمارة و البناء و غرس البساتين[4].

و كانت سياسة هذا الإمام ترمي إلى الرقي الاجتماعي و توفير الأمن لجميع رعاياه، و لعل هذا ما قام به الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب و التي انتقلت في عهده مدينة تيهرت إلى طور الزخم العمراني في كل النواحي[5]، و بالتالي تجاوزت بداوتها بما يتبعها من ظغن و ترحال، وتعددت مرحلة اعتمادها على مصادر عيشها من تربية المواشي و من غزو و نهب إلى أسلوب التجارة والحرف و لعل السمة الأخرى التي تميز هذا المجتمع الحضري هو الاختلاف السكاني في العرق

---

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص253.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص54، كما ذكر أهل الحواضر في موضع آخر عندما تحدث عن أبي اليقظان بعد عودته من المشرق بقوله: "إلا أن الضغائن بين القبائل و أهل الحواضر في الصدور"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص63.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص25.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص31.

5 - نفسه، ص55.

والدم و غير أننا نجد تعايشا بين قبائل عديدة، يسيطر عليها شعور بالإنتماء إلى الأرض و المدينة، وتقع على عاتق أفرادها جميعا مسؤولية الدفاع عنها، ضد الغزو الخارجي، بل أكثر من هذا فقد وجد من بين سكان تيهرت أيضا جنود من الجيش الأغلبي الذين لجؤوا إلى تيهرت جراء وقوع خلاف بينهم و بين أمير القيروان، فانخرطوا في الجيش الرستمي و من بينهم من كان يشتغل في حرس الإمام[1]، و بالتالي كانت تيهرت مسرحا يجمع شرائح غير متجانسة التركيب[2].

و قد لا نغفل عن سمة أخرى للمجتمع الحضري، حيث كان للإتصال الخارجي بالمشرق والأندلس و امتزاج الثقافات و الحضارات أثر واسع المدى في اكتساب كينونة جديدة لمعالم حضرية راقية[3]، و منه فالحقيقة أن المستوى المعاشي و الحضاري الذي بلغته الدولة الرستمية كان سببا في تغيير موازين الحياة و نمو الوعي الثقافي و الاجتماعي و الحضاري، و بالتالي انتقلت الدولة من البدوية القبلية المتعصبة إلى الحضرية المتفتحة المزدهرة وفق مبادئ روحية عالية و تفكير حضاري متوقد، و عمل مشترك و متكامل.

ثانيا- فئات و شرائح المجتمع:

مما لا شك فيه أن التركيبة البشرية تختلف من مجتمع لآخر، و بالتالي تتكون داخل مجتمع طبقات متباينة، و لعل هذا ما نلمسه في المجتمع البدوي و كذا الحضري و الذي سوف نتطرق إليه فنستهل بـــ:

1- طبقات المجتمع البدوي:

يعتبر أفراد القبيلة متساوين في الاستفادة من الموارد الاقتصادية المشاعة كالمراعي و الآبار و العيون، إلا أنه لما كانت هذه القبائل تقوم بعمليات الغزو و السلب، كانت هذه الأخيرة فرصة مواتية لبعض أفراد القبيلة لإبراز شجاعتهم و قوتهم و جرأتهم، و بالتالي كانت هذه الفئة تحظى بامتيازات خاصة مكافأة على ولائها و كان هؤلاء ينالون أكبر عدد من الماشية، و هكذا تتحقق لهم ملكية

---

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص96، محمد عليلي: المرجع السابق، ص36.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص255.

3 - نفسه، ص نفسها.

أكبر تنمو بمرور الزمن، و يتوارثونها خلفا عن سلف حتى قيل أنه بلغ أحدهم عشرا لآلاف من البقر و الغنم و الحمير، و هذا مثل أملاك ابن زلغين[1]، و بالتالي جعلت هذه الملكيات أصحابها يستأثرون بالموارد المشاعة و استخدام بعض أبناء القبيلة في مراقبتها و رعيها و خدمتها، و قد يلجأ إلى الاستعانة بالعبيد، و هو من الأسرى الذين ابتاعهم أسيادهم[2]، و يضيف جودت عبد الكريم أن الأمر لا يختلف للمستقرين في القرى و الأرياف، فهناك بعض القبائل التي ورثت إقطاعيات عن آبائها[3].و منه، فمن خلال دراستنا لهذا المبحث ندرك تماما، أنه لا توجد طبقة واضحة المعالم في المجتمع البدوي، و بمفهومها المتداول، و لكن يمكن أن نميز أن هناك تباين بين الفئات الاجتماعية والتي تطورت فيما بعد إلى طبقية خاصة في المجتمع الحضري.

2- طبقات المجتمع الحضري:

لعل الدارس لهذا المجتمع يميز وجود طبقتين هما العامة و الخاصة، و سنبدأ هذا المبحث بــ:

أ) طبقات العامة:

من خلال هذه الطبقة نذكر قول ابن الصغير في قوله: "و انصرف عوام[4] الناس و تخلف وجودهم"[5]، و يضيف أيضا حين تحدث عن مقتل محمد بن عرفة أنه: "ابتدر إليه العامة والخاصة"[6].

و تشمل هذه الطبقة عدة شرائح و فئات مختلفة منها:

- **الفلاحون:** و تندرج تحت هذه الجماعة فئات مختلفة يمكن إيجازها في.

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص254.

2 - نفسه، ص- ص 254- 255.

3 - نفسه، ص255.

4 - العوام و العامة: كلمتان مترادفتان، و استعمل ابن الصغير كلمة العوام عند حديثه عن أبي حاتن بقوله: "حملته العوام على درقة"، و استعمل كلمة العوام متقابلة مع الفرسان بقوله: "اجتمعت العوام و الفرسان"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 89- 91.

5 - نفسه، ص30.

6 - نفسه، ص65.

1 – أصحاب الماشية: و هم الذين يعتمدون في معيشتهم على ما تدره عليهم الحيوانات و غالبا ما تكون لديهم مراع خاصة أو يرعون في المراعي المشاعة.

2 – المزارعون: هم الفلاحون الذين يعملون في الميدان الزراعي لحسابهم أو لحساب غيرهم مقابل جزء من الإنتاج أو أجر زهيد.

و غالبا ما يكون العمل في إقطاعيات كبار الملاك الساكنين في المدن[1].

– **أهل الحرف**[2]: من المتعارف عليه أن الصبغة أو الحرفة باختلافهاـ تعطي صاحبها الشرف والرئاسة، و لعل ما زاد من رفع شأنها هو زيادة العمران و كثرة سكانه، و بالتالي زاد التطلع إلى حرف فيما وراء الكماليات، و لقد ظهرت هذه الفئة خاصة في عهد أبي حاتم، فكانت في مختلف مناطق المغرب الأوسط، و تيهرت خاصة[3].

– **صغار التجار**: و هم أصحاب الحوانيت المختلفة في المدينة، و كانوا يتعاملون مع عامة الناس على اختلاف مشاربهم و أخلاقهم و نشبهم، و كان منهم من يعتمد الغش و القسم و غيره من أجل بيع سلعته، و هذا ما جعل بعض المترهين يمتنعون عن امتهان هذه الحرفة[4].

– **الفتيان**[5]: كان لأبي عبيدة الأعرج فتى حيث يذكر في هذا الصدد ابن الصغير أن الفتية هم جماعة أو فئة اجتماعية، و قد كان للإمام أبي حاتم فتى شاب، و كان يجمع الفتيان إلى نفسه فيطعمهم ويكسيهم[6].

---

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص258.

2 - استعملها ابن الصغير متقابلة مع العوام بقوله: "لما مات أبو اليقظان قامت العوام و أهل الحرف..."، ابن الصغير: المصدر السابق، ص89.

3 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص259.

4 - نفسه، ص260.

5 - ذكرها الشماخي ب:"الفتيا" بقوله عند تعيين الإمام عبد الوهاب:"...و سألوا سائر العلماء الذين بها و اتفقت الفتية على أن الإمامة تامة..."الشماخي: المصدر السابق، ص147.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص89.

و يضيف أبو زكرياء أن الفتى كان مناظرا للواصلية حيث قال: "خرج الفتى المتناظر مع المعتزلة و وجوه المعتزلة"[1]، و بالتالي كانت الفتوة في طياتها مجموعة من الصفات، منها الكرم والنجدة و العقل و كذا الفصاحة، و إن مال بعضهم إلى اللهو و الخمر و النساء.

– **العيارون**[2]: فقد أشار ابن الصغير إلى وجود اللصوص في مدينة تيهرت، و كان أول ظهور لهم أيام حكم الإمام أبي اليقظان عهد البدخ و الترف و الانحلال السياسي، و قد ذكر ابن الصغير قصة إقدام زكرياء بن الإمام أبي اليقظان على خطف بنت من بين يدي أمها و قد طلبت من إبنها أن يقتفي أثره و يلحق بأخته فأجابها أخاف إن أردت ذلك يقتلونني أو يدسوا علي لصا من لصوصهم فيقتلني[3].

و لعل هذه الفرقة ليست في الغالب دافعها سد الرمق و إنما هم مرتزقة امتهنت اللصوصية.

– **العبيد:** كان للتجارة أثر في انتشار العبيد، و كانوا يأتون بهم من السودان خاصة و منه فقد انتقلوا من السودان إلى الديار الإسلامية، و قد ذكر عنهم الدرجيني، و أشار إلى وجودهم حيث أنه عندما جاء الوفد إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم وجدوه يعمل بيده في السقف و العبد يناوله الطين[4]، و حين قدم الوفد الثاني إلى الإمام نفسه، وجد العبيد و الخدام قد تكاثر عددهم[5].

كما كان للإمام عبد الوهاب عدد منهم حيث أن هذا الأخير وعد من يبشره من عبيده بقدوم وفد جبل نفوسة بالحربة[6] و كانت طبقة العبيد تتكون من السود و الصقالبة[7].

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص67.

2 - هم اللصوص، الغوغاء، الأنذال، جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص258.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص79.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص42، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص29.

5 - ابن الصغير: نفسه، ص33.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص59.

7 - ذكر ابن الصغير أن قاضي تيهرت قال:"فتحت الباب فإذا أنا بجارية منبهرة و معها صقلبي..."، ابن الصغير: المصدر السابق، ص43.

كما كان للعرب و الجند عبيد، و لم يقتصر وجودهم على تيهرت، و عليه فقد شكلوا شريحة من شرائح المجتمع الرستمي، و قد عملوا في مختلف الأعمال، خدما وجواري، و منهن من اتخذن للمتعة، و استخدم العبيد منهم في البناء و التجارة و الحدادة وغيرها[1].

و بهذا نكون قد أعطينا ملخصا موجزا لأهم طبقات المجتمع العامة.

و سوف نتعرض إلى الطبقة الثانية و هي:

ب) الطبقة الخاصة:

يمثل الإمام الرستمي قمة الهرم، يليه أعوانه من الوزراء و رجال الدين و قادة الجند المرتبطين بالسلطة مثال كبار التجار و الإقطاعيين، و تظهر في هذه الطبقة الشرائح و الفئات التالية:

– **فئة الرؤساء:** تجمع هذه الفئة كبار الأئمة و الأمراء و الولاة، فذكر ابن الصغير عن الإمام عبد الوهاب أنه جمع رجاله، و رؤساء قبائله، فاستشارهم[2]، و كانوا يستشارون في الأمور السياسية والعسكرية منها، و قد ذكر هذا المصطلح بمعية مصطلح (المشايخ).

– **فئة المشايخ:** كان للمشايخ نفس مهام الرؤساء حيث أنهم موجودون في تيهرت حيث قال ابن الصغير أن مشايخ البلد من الإباضية قد استولوا على...إباضية و غير إباضية جمعهم أبو حاتم واستشارهم[3].

و بهذا كانت هاتان الفئتان محل استشارة الإمام.

– **فئة وجوه البلد:** تعددت الوجوه في هذا العهد، بحيث كانت منفصلة عن فئة المشايخ و الرؤساء، فذكر ابن الصغير: "وجوه الإباضية و وجوه العرب و وجوه التجار و وجوه الناس و وجوه أهل البلد و وجوه أهل المدينة و حتى وجوه أهل العجم"[4]، و بالتالي كانت الوجوه هم أعضاء مجلس الجماعة، و هم أهل الحل و العقد، و نظرا لوجاهتهم، فقد فرضوا احترامهم على الجماعة التي ينتمون إليها بعيدين عن التعصب و القبيلة.

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص270.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 44- 54.

3 - نفسه، ص30.

4 - نفسه، ص- ص 30- 31.

– **المقدمون:** لعل وجود هذه الفئة كان في الدولة الرستمية حيث ذكر ابن الصغير أن بتيهرت مقدم خاص بهم و هو الإمام نفسه، كما ذكر أيضا أن وفود نفوسة الجبل أتوه إلى تيهرت ليقدم عليهم أميرا من أنفسهم، كان من مقدميهم أفلح بن العباس و الذي كان عاملا للإمام أبي اليقظان على جبل نفوسة، و كان يختار المقدم من طرف الإمام[1]، و لعل مدلول المقدم إن دل على شيء إنما يدل على قادة أجنحة الجيش في المعركة كقائد للميسرة و الميمنة و هو أقل مرتبة من القائد العام للجيش[2].

– **فئة الحجاب:** لما وصل أبو حاتم إماما على تيهرت، أراد أن يبقى بابه مفتوحا أمام رعيته لكنهم أبوا ذلك و أرادوا أن يجعلوا له حاجبا و هيبة[3]، و مهمة الحاجب هي حجب الإمام عن رعاياه و العمل كآذن على الباب، و كان يتمتع بمكانة مرموقة، باعتباره وسيطا بين الإمام ورعيته[4]، و لم تذكر في المصادر أسماؤهم و لا رواتبهم أو غير ذلك.

– **البطانة:** اتخذ الرستميون البطانة، فقد ذكر ابن الصغير أن الإمام عبد الوهاب دخل عليه وجوه رجاله و قواته و أهل بطانته[5]، و كان الجند هم بطانة السلطان، و قد تعدى أمر البطانة إلى كبار الشخصيات و هذا ما لاحظناه عند محمد بن عرفة.

– **الحاشية:** هي فئة مميزة وجدت في تيهرت و هي تلك الجماعات التي تصاحب الإمام فتعطيه الهيبة، و هي تذود عن شخصيته و بالتالي لها علاقة بالسلطان[6].

– **الحشم:** ظهرت هذه الفئة في تيهرت منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم، حيث أنها جزء من جند السلطان، و قد كان الإمام يقتطع جزء من مال الجزية و الخراج لنفسه و لحشمه[7].

---

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص87، كما ذكر أن للعجم مقدما يقال له ابن وردة، ابن الصغير، نفسه، ص54.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص273.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص92، و يذكر أيضا: "و كان محمد بن عرفة إذا أتى باب أبي بكر لم يحجب"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص64.

4 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص274.

5 - ذكر ابن الصغير: "و كانت الأجناد بطانة السلطان و أولاده و حشمه"، ابن الصغير، المصدر السابق، ص54.

6 - نفسه، ص68.

7 - نفسه، ص36.

– **الحرس**: يعتبر الحرس فئة مستقلة، مهمتها حراسة الإمام و أسرته و حراسة المدينة و أبوابها، وهم أصحاب الحراسة الليلية[1]، و لعل ابن الصغير ذكر عن حادثة حبس الحرس لشاب خرج في وقت متأخر حيث قال: "فأخذه صاحب حرسك و حبسه"[2].

– **الشرطة**: ظهر منصب "صاحب الشرطة" منذ عهد الإمام عبد الرحمن، و كان يقوم باختياره وما دل على وجودهم في تلك الفترة، قول ابن الصغير أن:"أصحاب شرطته قائمون كما يجب"[3]، و لعل الفوضى التي وقعت في تلك الفترة و في عهد الإمام عبد الوهاب غير مهام صاحب الشرطة و اشتكى منه جماعة من المدينة، حيث اتصف أحدهم بالفسق و قد زاد ضعفه أيضا في عهد الإمام أفلح، فكان لا يجرؤ حتى على الدخول في أسواق تيهرت هيبة من صاحبه[4]، و بالتالي كان من الصعب إيجاد الشخصية التي تنال ثقة الجميع، حيث استشار مشايخ البلد من إباضية فيما يولوه من الشرطة، قال قوم "زكار" و قال قوم "ابراهيم بن مسكين" فولاهما الإثنين[5]، و كان لصاحب الشرطة أعوان يساعدونه.

–**القضاة**: لم تستدع الضرورة إلى إيجاد القاضي في أيام الدول الرستمية بحيث كان الإمام عبد الرحمن هو الذي يحمل عبأ هذه المسؤولية، و قد تولى القضاء في سرت في عهد الإمام أبي الخطاب[6]، و قد بلغ القضاء درجة عالية في الفقه و الفقهاء، و قد كان يشترط في القاضي شروط لخصها الإمام عبد الوهاب في رسالته إلى أهل طرابلس بقوله. "لا ينبغي للقاضي و المفتي أن يقضي حتى تتوفر فيه الخصال الخمس، أن يكون عالما بالكتاب و السنة، كافا عن أربع: أن يرتشي حليما عن الخصم يتحكم في الخصمين إن تخاصما أو تشاجرا بين يديه لا تأخذه في لومة لائم و ذوي

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص 275.
2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص83.
3 - نفسه، ص نفسها.
4 - نفسه، ص84.
5 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص276.
6 - نفسه، ص- ص 276- 277.

الرأي و العلم و العقل"[1] فإذا توفرت فيه هذه الشروط وجب فيه القضاء، و لعل من قضاة تيهرت محكم الهواري الذي كان محكما حقا شديدا حتى على الأمراء الرستميين أنفسهم، و كذلك محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ، و ابنه عبد الله الذين توليا القضاء في الظروف التي كانت تمر بها الدولة الرستمية بأصعب مراحلها[2].

– فئة الشراة[3]: كانوا رقباء على الإمام في أحكامه و صدقاته و أعشاره، فإذا رأوا فيه اعوجاجا قوموه و إذا ارتابوا فيه امتحنوه، فكانت بمثابة السلطة العليا، و هم كما عرفهم سليمان الباروني:"و هم جماعة عاهدوا الله على إنكار المنكر و الأمر بالمعروف، و قد امتحنوا الإمام أفلح بتولية محكم الهواري القضاء"[4].

– الجنود: لقد كانت البدايات الأولى لظهور الجيش في تيهرت باشتراك الإمام عبد الرحمن بن رستم في حصار طبنة 154هـ، حيث كان يهتم بأمور الجند من كراع و سلاح، و نظرا لتعدد خصوم الإمام عبد الوهاب، زاد الإهتمام به حيث أنه اجتمعت له من الجيوش و الحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله، كما أن ألف ألف فرس أبلق، و يضيف ابن الصغير أن هذا الإمام خرج بعساكره من المدينة في جموع لا يعلم عددها إلا الله[5]، و نظرا للفتن الداخلية في تيهرت، فقد كانت الجماعات و القبائل المتنازعة تقوم بدور الجيش مثل حرب الإمام عبد الوهاب مع بني الأوس، و كان الجيش ينقسم إلى قسمين، قسم دائم و هو القواد و بعد الجنود، و القسم الثاني جيش إحتياطي يمارسون أعمالهم الخاصة في وقت السلم، لكنهم جنود وقت الحرب و كان يتقاضى الأول عطاءه من بيت المال[6].

---

1 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص325.

2 - فتنة محمد بن عرفة التي كانت في عهد أبي اليقظان، ابن الصغير: المصدر السابق، ص83.

3 - ذكرهم الشماخي ب: الأخيار حين قال:"فاجتمع إليه الأخيار أن يولي عليهم من يستحق، فاتفق رأيهم على محكم الهواري"، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص192.

4 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 275- 276، و قد ذكر ذلك ابن الصغير بصورة مفصلة، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 57- 61، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص192.

5 - ابن الصغير: نفسه، ص46.

6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص283.

– **أهل العلم:** ظهر عدد كبير من العلماء و الأدباء على اختلاف مناهجهم في الدولة الرستمية، ومنهم ابن الصغير لشأنه الكبير في الفقه[1]، و كذا محمود بن بكر الذي كان يرد على الفرق في مقالاتهم، و يؤلف الكتب في الرد على مخالفيهم، و عبد الله اللمطي الذي تصدى للمعتزلة وناظرهم، بالإضافة إلى أبي عبد الله الأعرج الذي كان مرجعا في الفقه و علم الكلام، و كذا عبد العزيز بن الأوز، و كان له فقه بارع و رحلة نحو المشرق[2]، بالإضافة إلى الخطباء كابن أبي ادريس، و أحمد النية، و ابن القباس ابن فرحون، و عثمان بن الصفار، و أحمد ابن منصور، و من الشعراء نجد بكر بن حماد التيهرتي و رحلته إلى المشرق، و لعل من المحدثين نجد أبا الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التيهرتي "البزاز"، و من العلماء نجد مثلا أخت الإمام أفلح التي بلغت صيتا في التنجيم، و كذا ايهودا بن قريش التيهرتي الذي كان يحسن اللغات البربرية و الفارسية و الأرامية[3]، و من الأدباء، و كان من المفكرين الذين شاركوا في التقدم العلمي و الفكري التيهرتي.

– **فئة كبار التجار:** ظهرت هذه الفئة بتيهرت بشكل كبير و واضح خاصة في عهد الإمام أفلح، حيث ابتنى القصور، بفضل الثراء الذي بلغه أهل التجارة، و أمثال ذلك امتلاك أحدهم لسوق خاص، و هو ابن وردة[4]، و أيضا كان للقوافل التي خرج إليها أبو حاتم لحمايتها، و التي كانت قادمة من المشرق بأموال لا تحصى كانت لتجار كبار[5]، و كان هؤلاء التجار يقومون بفعل الخير وتقديم الصدقات و معونات المعوزين و الضيوف و الطلبة، و بناء المساجد، كما كانت لهم ثقافة واسعة اكتسبوها من خلال رحلاتهم التجارية[6].

– **كبار الملاك:** كانت سياسة أحياء الموات التي بدأت في عهد الإمام عبد الرحمن أثر واسع في تكوين طبقة اقطاعية منهم محمد بن حماد الذي كان له منزل على بعد أميال من المدينة يقال له

1 - وداد القاضي: المرجع السابق، ص- ص 45- 39.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص284.

3 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص- ص 241- 249.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 27- 54.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص287.

6 - نفسه، ص288.

المثلث، و قد جمع الأشجار و الأنهار و النخيل و القصور[1] و قد كان بعض كبار الملاك من قبيلة مزاتة، و هذا ما دل عليه قول الإمام عبد الوهاب: "ما قام هذا الدين إلا بسيوف نفوسة و أموال مزاتة"[2]، و كان محمد بن جرني و ابن زلغين ينتميان إلى هذه القبيلة، و هما اللذان قال فيهما الإمام: "لو لم أكن إلا أنا و ابن جرني و ابن زلغين لأغنينا بيت مال المسلمين، لما علينا من الحقوق الشرعية"[3]، و يذكر الشماخي أن الإمام عبد الوهاب قال:"لولا أنا و محمد بن جرني و ابن زلغين لخرب بين المسلمين، أنا بالذهب و محمد بن جرني بالحرث و ابن زلقين بالأنعام"[4]

– **الموالي:** ظهر الموالي في مختلف أنحاء المغرب الأوسط عامة و تيهرت خصوصا، حيث أشار ابن الصغير إلى وجودهم عند الإمام أبي بكر أثناء الحرب التي دارت بينه و بين أنصار محمد بن عرفة، فقال العجم: "قد أمكننا من العرب و الجند و العبيد من السودان في البلاد، فكان المسلمون منهم يتولون قبيلة لأنهم بعيدون عن التعصب لأي من البربر أو العرب"[5]، و منه يمكن القول أن الفئات التي سبق ذكرها سواء العامة أو الخاصة تشكل نسيجا غير متجانس التركيب الإجتماعي فيتألف من شرائح اجتماعية متمايزة بعضها ينتمي إلى الطبقة العامة و البعض الآخر إلى الطبقة الخاصة، وهذا ما تسبب في الفتن و الحروب التي شهدتها البلاد، و التي تفاقمت بمر الزمن و عادت سببا من أسباب سقوط الدولة الرستمية.

ثالثا– الأحوال العامة للمجتمع التيهرتي:

لا شك أن انتشار الإسلام بمبادئه و قيمه السمحة، بين سكان المغرب الإسلامي، و اندماج عناصر السكان المختلفة فيه، و ظهور الفئات الاجتماعية المتباينة قد وفر الجو لتطور العادات والتقاليد الاجتماعية على أساس الحضارة الإسلامية و وفق المنظور الديني و المذهبي المتبع[6].

---

1 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص56.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص205.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص47.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص205.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص291.

6 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص264.

إن قلة المصادر و ندرتها من جهة و سعة أشكال الحياة الإجتماعية و تنوعها و تعقيدها في بعض الأحيان من جهة أخرى يصعب علينا الإلمام بأحوال و خصائص المجتمع التيهرتي و الوصول إلى توضيح جميع جوانبها توضيحا دقيقا، و رغم تطور البحث التاريخي، فإننا لا نملك معلومات كثيرة عن نمط الحياة التي كان يعيشها سكان تيهرت و كيف كانوا يتغذون و يكتسون و كيف كان الأثاث عندهم[1].

لقد دلت المصادر التاريخية على القليل من هذه الأحوال و الميزات التي ميزت المجتمع التيهرتي سنذكر منها:

1- العادات و التقاليد:

إن مظاهر الأبهة و الفخامة و الترف لم تظهر على الأئمة الرستميين، بل اتصفوا بالتواضع خاصة الأئمة الأوائل، و هذا ما دلتنا عليه أقوال ابن الصغير من خلال مجيء إباضية المشرق سواء في المرة الأولى أو الثانية حيث وجدوا في هذه المرة الأمور و قد تبدلت و أحوال المدينة و الأشياء قد حالت...إلا صاحبهم (الإمام عبد الرحمن) حيث لقوه على ما عرفوا عليه من التواضع ...ما تغير ولا تبدل[2].

و كان الإمام أفلح على شجاعة و فروسية، متواضعا كل التواضع، فمثلا عندما زاره وفد من علماء جبل نفوسة، في أيام إمامته و عهود قوته، فدعاهم إلى الطعام على مائدته، فوقف عليهم يخدمهم بنفسه، و كان المصباح في يده يحمله لهم و هم يأكلون، فأرادوا أن يمتحنوا تواضعه، فمد إليه أحدهم لقمة مما يأكلون، فتلقى اللقمة بكلتا يديه كما يفعل العبد المملوك و شكر من أعطاه اللقمة و أكلها، و ذلك من تواضعه و بعده عن تجبر الملوك[3]، كما تميز الأئمة الرستميون بصفة الورع و العفة خاصة في أموال الدولة وممتلكات الناس حيث ذكر لنا ابن الصغير قصة أبي اليقظان مع خادمه أبي سابق الذي كان يتولى علف فرسه، أنه في يوم خرج ليأتي له بعلف من عند

1 - لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص93، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص110.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص33.

3 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص192، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص533.

حريف[1]، و عندما وجده مغلق الباب فتح بيت المال و أخذ منه علف فرس أبي اليقظان، و لما علم الإمام قال له: "هاه يا أبا سابق، و الله لا قام محمد و لا أكل و لا شرب حتى تمضي و ترد في بيت المال ما أخذته منه، وبعد ما فعل ما أمره قال له: "أمنت، أما الآن فاجلس"[2].

و كان من تقاليد الدولة الرستمية إكرام الضيف، حتى إن الرستميين كانوا يخصصون دارا للضيوف[3] تكون متصلة بمسكنهم، و هذه الدار تشتمل على كل ما يحتاجه الضيف أثناء إقامته، ولا يعتنون بالضيف وحده، بل يعدون المرابط لدوابهم و يكرمونها بالعلف، و يقتنون الثياب الكثيرة ليلبس منها الضيف، و قد ذكر الباروني ما يوضح ذلك الكرم و الإعتناء بالضيف بقوله: "بينما كان الإمام عبد الوهاب عند سفره إلى الحج و نزوله بجبل نفوسة يسير بين المنازل و القرى إذ أدركه المطر، و اشتد البرد و كان ذلك بالقرب من قرية ويغور[4]، فقصد الإمام و معه صحبه الكثيرون دار العلامة مهدي النفوسي، فوجدها دار عابد زاهد لا غطاء و لا وطاء، فأقبل الشيخ فرج ابن خالة مهدي و كان موسرا، فطلب منه الشيخ نقل الإمام و من معه إليه فساعفه، و في الحال حضرت الخدم و هيأ لهم و لدوابهم ما يكفيهم من المحلات، و خصص لكل واحد منهم فراشا و وسادة و غطاء، و بدلها ثياب نظيفة طاهرة، و نشر أثوابهم المبلولة بالمطر و قدم لكل واحد كانونا من الجمر أمامه، و أحضر لهم في الحال ما كفلهم من أنواع الطعام الفاخر، و أكرم دوابهم بما لزم من العلف و الشعير، و بسط عليهم مما لديه من الخير ما جعلهم في راحة تامة"[5].

و بما أن محمد علي دبوز ربط حضارة الدولة الرستمية بحضارة وارجلان و سدراتة بقوله: "إننا فقدنا آثارا لحضارة الدولة الرستمية في الشمال...فإن الله قد حفظ لنا كثيرا من حضارة هذه الدولة في جنوبها بوارجلان و سدراتة...هذه الأخيرة التي أصبحت العاصمة، و هي بنت تيهرت

---

1 - أي صاحب حرفة، و هو الشخص الذي تعود أن يشتري عنه العلف.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 88- 89، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص- ص 589- 590.

3 - و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير عن أبي اليقظان: "أتته وفود نفوسة، فأنزلهم في دار الضيافة"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص85.

4 - قرية ويغور: الواقعة فوق جبل مدينة شروس و هي قرية جميلة المنظر، تدل أطلالها و رسومها العتيقة على اتقان صنعة بنائها، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص182.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص73، سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص- ص 182- 183.

ومظهر تام لها، تحمل طابعها في الحضارة و تحذو حذوها في كل شيء"[1]، فإنه يضيف عادة أخرى تتمثل في كون الرستميين كانوا يحيون حياة استقلالية هنيئة كريمة، لكل أسرة دار تملكها تتكون من طبقتين أو أكثر لا يشاركها فيها غيرها، و هذه الحياة الاستقلالية في الديار الخاصة الجميلة الواسعة و الصحية المصونة لا زالت موجودة بوادي ميزاب في جنوب الجزائر[2] ، كما اعتنا الرستميون بالنظافة في كل نواحيها لأنها مصدر للصحة و العافية و كذا الإيمان، فاتخذ الأغنياء والفقراء الحمامات التي أكد البكري وجودها في تيهرت يسمي منها اثني عشر حماما[3].

و قد ذكر ابن الصغير طهارة الإمام يعقوب بن أفلح بقوله: "و كان وضوؤه طاهرا في الموضع الذي يكون فيه"[4].

2- الألبسة و المأكولات:

كانت تيهرت جميلة في مبانيها، جميلة في ناسها، فوجوههم تسيل بالملاحة، و قدودهم وألبستهم تفيض بالحسن[5].

لقد دلت المصادر التاريخية أن الإمام عبد الرحمن بن رستم كان تغذى بقرص مسخنة ملتوتة بسمن و بشيء من الملح، و كان ينام على حصير فوقه جلد و وسادة ينام عليها و سيف ورمح و فرس[6]، و أن عبد الوهاب بنى الجفان و أطعم فيها، هذه الجفان أو الأواني استعملها أيضا جباة الضرائب و عمال الزكاة في إخراج الصدقات[7]، و أن الإمام يعقوب كان قوته اللبن[8]، حيث

---

1 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص546.

2 - نفسه، ج3، ص554.

3 - البكري: المصدر السابق، ص68.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص98، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص359.

5 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص283، سليمان الباروني: نفسه، ج2، ص329.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص29، لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص94، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص140.

7 - ابن الصغير: نفسه، ص– ص 53- 35.

8 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص110، لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص94، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص359.

كانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه في إناء جديد، فإذا امتلأ شربه أجمع، و كانت له أخلاق في لباسه و ركوبه تخرج عن طبع البشر، حجزه سراويله في جنبه و ركوبه فرسه من بين يديه، و كان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب قبله و لا بعده، به يضرب المثل إلى اليوم[1].

و إنه كان لأبي اليقظان سرداق أتي به من العراق[2]، و أنه كان يوزع على الفقراء حبوبا وزيتا و أكسية و جباب من صوف و فراء[3]، و من هنا نستنتج أن سكان تيهرت لبسوا أكسية وجباب من الصوف لوفرة الأغنام حيث ذكر ابن الصغير: "أن الإمام عبد الرحمن بن رستم كان يقوم بإحصاء ما في الأهراء[4]، و من الطعام ثم أمر بجميع ما يفي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفا و جبابا صوفا و فراء و زيتا"[5]، أما ألوان الطعام فيما أن القبائل كانت تمتهن الرعي حيث امتلكت مراعي غنية بالكلأ[6]، فبدون شك أنها اتخذت من لحوم الأغنام و الأبقار و الإبل وألبانها طعاما، إضافة إلى السمن والعسل و الفواكه و قد دلت لنا المصادر على وجودها بكثرة في تيهرت.

و يضيف محمد علي دبوز أن ألبسة التيهرتيين هي نفسها ألبسة أهل المغرب الأوسط عامة و منها الجبة، و السراويل[7] العربية، كما كانوا يتخذون العمائم[8] الجميلة البيضاء و الصفراء

---

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص98، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص359، و بخصوص الفرس الذي كان يملكه يعقوب و الذي هرب به من قبضة العبيديين سنة 296هـ إلى وارجلان، ذكرها المصادر الإباضية مثل أبي زكرياء: المصدر السابق، ص124، الدرجيني: المصدر السابق، ص104، سليمان الباروني: نفسه، ص نفسها.

2 - ابن الصغير: نفسه، ص76.

3 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص110، لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص94.

4 - الأهراء: جمع هري و هو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان ابن منظور: المصدر السابق، م3، ص801.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص38.

6 - و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير: "كانوا ينتجعون أوطانهم إلى تاهرت و أحوازها لما حولها من الكلأ"، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص41.

7 - و هذا ما نستنتجه في ذكر الشماخي للإمام عبد الوهاب عندما أتته الكتب من المشرق بقوله:"و قيل أنه كان يجرد ثيابه إلا السراويل"، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162.

8 - ذكر أبو زكرياء:"العمائم بقوله عن الإمام عبد الوهاب بقوله: بلغنا أنه سمر ذات ليلة هو و أخوه...و كانا يقيدان مصباحا يجعل له عبد الوهاب الفتائل من عمامته..."و ذكر أيضا:"الشاشية في سرد المناظرة بين المهدي و الفتى المعتزلي:"فلما غلبه المهدي، أخذ الشاشية فنزعها عن رأسه"، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص- ص 65- 71.

المزركشة و السوداء و كذا البرنوس، و هي أجمل نبرة إسلامية و أحلها و هي أجمل لباس أهل المشرق[1].

و كانت المرأة الرستمية كغيرها من نساء ذلك الوقت ترغب في احراز كل أنواع الحلي الذهبية والفضية و خاصة أن تيهرت كانت لها علاقات تجارية واسعة مع السودان الغربي أين يتوفر الذهب، فقد وصف مثلا الإدريسي لباس أهل مدينة كوكو: "و لباس عامة أهل كوكو الجلود، وتجارهم يلبسون الجبب و الأكسية و على رؤوسهم الكرازي و حليهم الذهب..."[2]، و لا شك أنهن كانت تتقلدن القلائد و الأسورة و الخواتم و الأقراط و تتزين بها باعتبار المرأة بغريزتها تحرص على جمال مظهرها و حسن أناقتها، و الرستميات جميلات، يذكر محمد علي دبوز: "و مع جمال البشرة في النساء الأنوثة، و مع قوة الأنوثة حياء الدين الذي هو رأس الجمال و سبب البهاء في المرأة"[3].

و كان الجنود يحملون أعلاما خافقة و يلبسون الخوذ و الدروع و يضعون فوق رؤوسهم البيضة[4]، و أسلحتهم تشتمل على سيوف و رماح و درق[5].

3- الاحتفالات:

إن انتماء الدولة الرستمية للحضارة الإسلامية جعلها تعطي اهتماما لبعض الاحتفالات الدينية و منها عيد الأضحى و عيد الفطر، إضافة إلى الاحتفالات العسكرية و هذا استعدادا لمعركة و ما يصحب ذلك من مظاهر الفرح التي كانت تعم السكان، فقد كان الجنود مثلا يعبرون عن الفرح بضرب الطبول لحشد و جمع الجنود[6].

---

1 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص556.

2 - الإدريسي: المصدر السابق، ص45.

3 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص- ص 283- 284.

4 - البيضة: لباس الرأس الحديدي كالذي يلبسه الجند الآن، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص367.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص73، عمار عمورة: المرجع السابق، ص94، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص109.

6 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع نفسه، ج2، ص109، عمار عمورة: المرجع السابق، ص94.

و قد اعتنت الدولة الرستمية بتعليم أبنائها التربية العسكرية و تعلم الفروسية، فكان أحسن ألعاب الشباب في أعيادهم و أفراحهم سباق الخيل و ألعاب الفروسية، حتى أن المعتزلة طلبوا من أيوب بن العباس[1] أن يعلم أبناءهم أساليب الحرب و فنون الفروسية[2].

و كان للدولة الرستمية غناؤها، تقيم حفلات أعراسها و أعياد و ليالي سمرها، و لكن غناءها نظيف طاهر لا يخالف الدين، فأكثره كان في تمجيد البطولات و مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة[3]، و كانت لهم أغان شعبية بالبربرية و أخرى بالعربية الفصحى يتغنون فيها بالشعر الفصيح، لا يزال هذا النوع من الغناء في وادي ميزاب إلى اليوم، و هو من تركة الدولة الرستمية[4].

لكن للأسف هذه الآثار و غيرها بالخصوص الأحوال الصحية و كيف كان التيهرتيون يواجهون الأمراض و كذا الكوارث منها الجفاف التي جاءت على لسان ابن الصغير لم نجد لها أي ذكر في المصادر الإباضية أو غير الإباضية.

المبحث الثاني: الأنشطة الاقتصادية المتداولة

أولا- الزراعة و ازدهارها:

لقد عرفت تيهرت الرستمية أوائل القرن الثالث هجري التاسع ميلادي، مرحلة استقرار وهدوء، و هذا ما كفل ازدهار الزراعة بها[5] حيث أنه عندما هدأت الأوضاع السياسية في البلاد، و مال الناس إلى الاستقرار و الطمأنينة، حتى عرف المغرب نتيجة لذلك نهوضا اقتصاديا سريعا

---

1 - فارس المغرب لشجاعته و بداعته في أساليب الحروب و الفروسية، كان إذا ركب للحرب و النزال رمى في الجو بحربته وسنان رمحه، و كانت تزن ثمانية عشر رطلا، فتعلو حتى تكاد تغيب عن الأنظار فيهيئ لها رمحه فتنزل فيه مستوية متمكنة لا تحتاج إلى تركيب، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص72، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص63، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 167.

2 - أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص نفسها، و عن قصة استدعاء المعتزلة لأبي العباس، و حين أبهرهم ما رأوا منه...، سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص168.

3 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص556.

4 - نفسه، ج3، ص557.

5- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص102، الأوضاع الإقتصادية: المرجع السابق، ص35.

وتطورا ملموسا و ظهرت معالمه للعيان، فقد حظيت أقاليم الدولة الرستمية خاصة العاصمة تيهرت باهتمام الجغرافيين الذين عاصروا تلك الفترة[1] حيث كانت تيهرت مقرا لحياة اقتصادية مزدهرة، فقد ذكر ابن الصغير أن نمو المدينة كان سريعا في ولاية الإمام عبد الرحمن بن رستم و الإمام أفلح حيث قال: " كان افلح قد عمر في عمرانه ما لم يعمر أحد من قبله ... فأطعم فيها أيام الجفاف، و عم الرخاء في عصره، و كثرت الأموال و المستغلات... حتى ابتنى الضياع خارج المدينة وأجروا الأنهار "[2]. وقال ابن عذارى في هذا الصدد أنها " كان حولها بساتين من كل أنواع الثمار. وكثيرة الأشجار، و هي شديدة البرودة و الأمطار"[3]. و لقد ساعد تيهرت الرستمية عدة عوامل نذكر منها موقعها الاستراتيجي الممتاز، فقد كانت نقطة التقاء القوافل القادمة إليها من كل البلاد العربية، كما ساعدها أيضا كثرة المنابع، و خصوبة ضواحيها[4].

كما كان للري[5] دور كبير في رفع مردودية الإنتاج، فقد اعتمد الفلاحون على مياه الأنهار و الوديان، و الأعين، و الآبار خاصة أن تيهرت تقع على ثلاثة أنهار[6] و أقام الحكام في تيهرت خزانات للماء و أحواضا، و كانت محكمة التصميم و الهندسة، بحيث يحافظ على الحياة في أيام الصيف البخيلة الأمطار، و أثناء الجفاف، و توصل إلى المناطق المرتفعة في أحواز تيهرت وهي موجودة بكثرة[7] و نظرا للضروريات اليومية فقد فكروا في هذا فقد شقوا القنوات وأوصلوها بالدور و البساتين، و وضعوا أنابيب لهذا الغرض[8] و هذا ما ذكره ابن الصغير فيقول ثم " شرعوا

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 53.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53.

3- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 198، و يصفها المقديسي بأنها: " التفت بها الأشجار و غابت في البساتين" المقديسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص 229

4- رشيد بورببة و آخرون: المرجع السابق، ص 110.

5- و يقول الإدريسي: " و لهم عن هذه المياه بساتين و أشجار تحمل ضروبا من الفاكهة الحسنة و بالجملة فهي بقعة حسنة " ينظر الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

6- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 198.

7- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 156.

8- و يقول سلمان كروني: " إذ لا توجد غالبا في ذلك الوقت أنابيب من حديد، و ربما كانت من الفخار المغلي".سلمان الكروني: المرجع السابق، ج2، ص 22.

في العمارات... و إحياء الموات و غرس البساتين و إجراء الأنهار و شقوا الترع"[1]. و قول الإدريسي: " و بمدينة تيهرت مياه متدفقة و عيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها"[2].

كما كان للاستقرار السياسي البعيد عن الثورات المذهبية و النزاعات القومية، أثر كبير في دفع سير عجلة الازدهار، و الرخاء الزراعي و التقدم الاقتصادي[3] الذي عم بالفائدة على السكان الآهلين في تيهرت و في كامل الدولة الرستمية.

و قد كانت الفلاحة في رقي بحيث أعيدت إحياء موات الأرض، و اتخذت البساتين على ضفاف وادي تيهرت[4] و لقد كانت لها وديان تنفجر منها عيون، و أهمها وادي الشلف، الذي يتفرع منه وادي مينة[5]، و يمتد مجراه حتى يصل تيهرت من جهة الجنوب، ومنها وادي عين سوفجج، و هو وادي ينبع من عين بجبل سوفجج و يتجه شرقا، فيلتقي بوادي الفرعة، ثم بوادي الوحش، و يتألف من ذلك واد يمر جنوبي مدينة شلالة و يلتقي بوادي سوفجج من الشمال واد آخر يسمى "قسني". بالإضافة إلى الأمطار الغزيرة التي كان لها أثر في تكوين السهول الخصبة في المغرب الأوسط مثل سهول أسرسو في جنوب تيهرت، و سهول وادي شلف، و سهول الساحل[6] أما مناخها فيذكر اليعقوبي، أنها تمتاز بالبرد الشديد، و فيها رياح قوية، و شمس توقد و تحرق.

و لم تكن تيهرت مقتصرة على زراعة البساتين، و ما تحتويه من الأشجار المختلفة و إنما هي منطقة زراعية خاصة لزراعة الحبوب لكثرة مياهها[7] و برودة مناخها و وقوعها قرب التلال الصالحة لزراعة تلك الغلال، و ما دل على وفرة الإنتاج الزراعي و لا سيما الحبوب ما ذكره بن

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31.

2- الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

3- G. Marçais: la berberie musulmane, Op, cit, p 104.

4- عثمان لكعاك: المرجع السابق، ص 123.

5 ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 280، رشيد بورويبة: المرجع السابق،ج2، ص576.

6- محمد علي ديوز: المرجع السابق، ج3، ص 257-258، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص576.

7- الإصطخري: المصدر السابق، ص 34.

الصغير أن من بين أبواب تيهرت باب يعرف باسم المطاحن[1] لطحن الحبوب و قد اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بحاصلاتها الزراعية المتنوعة و الوفيرة، فكانت البساتين و المزارع تحتوي على:

❖ **القمح و الشعير:** لقد كانت أكثر الزراعات المنتشرة، لأنها المادة الغذائية الرئيسية فمنها كان خبزهم، كما أنها لا تحتاج إلى أمطار غزيرة، و لا تتطلب الري بشكل كبير و هذا ما يسهل زراعتها في كل مكان، و مما ساعد على زراعتها بكثرة، إمكانية تخزينها حيث أن المدة تتجاوز المائة سنة في مطامير[2] تحت الأرض[3]، و مما يدل على غزارة المنتوج تلك القصة التي ينقلها الدرجيني عن العالم أبي مرداس مهاصر الذي توجه نحو تيهرت بقوله" أنه كان إذا قدم تاهرت فحصد الناس زروعهم، ولقط اللقاطون السنابل التي تبقى بعد اللقاطين، و رعي المواشي تعقبهم أبو مرداس فيلقط ما يقوم بقوت عام، فيعتقد أن الذي بقي بعد اللقاطين و رعي المواشي إنما هو متروك"[4].

❖ **البقول:** كانت هذه المزروعات تعم المغرب الأوسط، فنجد منها اللفت، و الجزر و الفجل و الثوم، و البصل و الكراث، و الكرنب، و القرنبيط، و السلق، و الخس و غيرها. و يضيف جودت نقلا عن أبي فضل الله العمري، نفس الخضر بالإضافة إلى الباذنجان و الملوخيا و الخيار، واللوبيا، و غيرها[5].

❖ **الفواكه:** كانت توجد بالمغرب الأوسط و خاصة تيهرت فواكه مختلفة مثل: الرّمان والإجاص و المشمش و العنب، و غيرها، و لعل من أهمها السفرجل: حيث اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بالسفرجل، فأشاد الرحالة بجودته، و يبدوا أن تيهرت فاقت سواها في سفرجلها فكان يفوق طعمه سفرجل الآفاق حسا و طعما و رائحة[6] و يعود الاهتمام به، إلى أكله طازجا،

---

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53.

2- المطامير: هي أجواف عميقة تحت الأرض و تخزن فيها الحبوب، و لابد من توفر بعض الشروط في هذا المخازن فيكون ناشفا من البلل و النداوة، و إن كانت الأرضية مبلطة فذلك أحسن، أنظر: جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 41.

3- جودت عبد الكريم: نفسه، ص41، ص 42.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 293.

5- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 42.

1- البكري: المصدر السابق، ص66، القزويني، المصدر السابق، ج1، ص 813، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص 576.

ويستعمل في صنع المعاجين و المربى، فكانت تيهرت تملك الفواكه الحسنة و السفرجل الذي ليس له نظير[1] فكانت مدينة واسعة البرية و الزروع و المياه[2].

❖ **الزيتون:** شجرة مباركة نزل ذكرها في القرآن الكريم[3] و لها أهمية، فحبه يعصر و يستعمل طعاما و يستغمل للإضاءة، و علاجا لقوله صلى الله عليه و سلم: " إئتدموا بالزيت و ادهنوا بـه فإنه شجرة مباركة".

و كان الزيت يحفظ في قلال أو زقاق من جلود الأغنام، و يذكر الدرجيني إنها كانت تحفظ في الخوابي[4].

❖ **نباتات أخرى:** و منها الغابات التي كانت تشمل على أنواع مختلفة مثل السرو والصنوبر والبلوط و العرعار، و لعل الاهتمام بالغابات إما نتيجة الطلب المتزايد على الأخشاب، التي تدخل في صناعات عديدة خاصة الخشبية، و صنع الفحم كوقود[5] بالإضافة إلى نباتات و التي نميز منها نوعين:

أ. **النباتات الطبية:** حيث كانت تنمو بتيهرت نباتات تستعمل لأغراض طبية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: شرس يدعى شوكة مغلية، و تفيد في إدرار البول، و تفتيت الحصى و تسكين آلام الأسنان و كذلك نجد جوز مائل. و شجرة المرقد عند عامة المغرب و الأندلس، و يستعمل مخدرا و مسكنا و مسكرا، كما توجد نباتات قاتلة مثل خمالاون مالس، التي تستعمل في قتل الحيوانات المتوحشة[6].

ب. **النباتات الزراعية:** نجد منها: الكتان الذي كانت زراعته واسعة في تيهرت و كانت بوفرة لاستعمالها في صنع الملابس والأنسجة ضف إلى ذلك أيضا زراعة القطن لما لها من نفس الاستعمالات، ضف إلى ذلك مجموعة من النباتات الأخرى، كالنيلة و الحلفاء و الحناء، و غيرها[7].

1- القلقشندي: صبح الأعشى، المصدر السابق، ج 5، ص 111.

2- الاصطخري: المصدر السابق، ص 34.

3- سورة النور: الآية 35.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 164.

5- ابن عذاري: المصدر السابق، ص 196.

6- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص50.

7- مبارك الميلي: المرجع السابق، ج2، ص 76.

ثانيا- الرعي و نظمه:

قال تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[1]

لقد كانت لتربية الحيوان منافع كثيرة، فقد كانت تربية الماشية تسير جنبا إلى جنب مع الزراعة فكلاهما وجهان لعملة واحدة من الرخاء الاقتصادي، و قد عرفت تيهرت في العهد الرستمي هذا النشاط، و وصف اليعقوبي بعض المناطق الرستمية قوله أنها " بلد زرع و ضرع"[2] وقد استعملت هذه في أمور شتى، فكانت جلودها تستعمل في صناعة القرب، و توضع أيضا تحت المطحنة، كما يستفاد من حليبها و أوبارها في صناعة الملابس، و الخيام و الأغطية و استعملت الحيوانات للحمل، و النقل و الركوب، و في الحرب، و تعتبر أيضا مالا كالمهر مثلا و منها نذكر فرس يعقوب بن أفلح الذي يضرب به المثل في المغرب لما فيه من صفات الهيبة و الحرب[3].

و تعود أسباب تربية الحيوانات الناجحة إلى توفر الأمن، و التفقد الدائم من طرف المالك ووجود أعوان خبيرين بسياستها و ادخار ما تحتاجه من أعلاف كما ساعد أيضا المناخ من أمطار و زراعة خاصة في القرن الثالث، فقد كانت هذه المناطق كثيرة الغنم أو الماشية طيبة المراعي[4] ولعل مجموع هذه الحيوانات نذكر الخيول و البغال و الأغنام، و الأبقار، و الإبل، و كذا تربية النحل، نظرا لأهميته في علاج بعض الأمراض. و يذكر ابن حوقل عن تيهرت أنها: " أصبحت أحد معادن الدواب و الماشية و الغنم و البغال و البراذين الفراهية، و يكثر عندهم العسل و السمن و ضروب الغلات"[5]

1- سورة النحل: الآية 05.

2- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 104، ص 108. ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

3- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 124.

4- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 65، و يقول الإدريسي: " و أما البقر و الغنم فكثير بها جدا"، الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

5- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص22.

و تجدر الإشارة إلى توفر الأغنام في تيهرت، حيث ذكر الشماخي أنه كان لـــ: " لبيب بن زلعين أحد ملاك الماشية ثلاثون ألف ناقة و ثلاثة مائة شاة، واثنا عشر حمار، و كان رعاته من العبيد"[1].

و لعل ما دل على هذا القول الإمام عبد الوهاب: " لولا أنا و محمد بن جرني بـــالحرث، وابن زلعين بالأنعام"[2].

فقد كانت المدن الرستمية و خاصة بتيهرت تموج بالمواشي و الخيول، و كانت غالبية أهلها يشتغلون بالرعي[3]، و لم تقتصر الرعي على القبائل المتنقلة، فحسب، بل تعدت بحكم وفرة المراعي الصالحة إلى الحكام و الأئمة الرستمين، فنجد من بين ملاكها أبي اليقطان و أبي حـــاتم، فكـــانوا يملكون الدواب و المواشي لمملكة تيهرت، و يكثر بها الغنم و الخيل و البقر و كان رعـــاتهم مـــن العبيد[4] و كان ليعقوب بن أفلح بقرات يحلبها و يشربها و يقوم عليها ثلاثا[5]. وقد يتولى صـــاحب الحيوانات الخروج بها إلى المراعي، يمكث بها هناك نهارا أو بعضه، مصطحبا معـــه زاده و عصـــاه، ويعود وقت الغروب، و كان أحيانا يكلف أصحاب الحيوانات أجيرا راعيا، و قد يكلف بمهـــام أخرى خارجة عن نطاق الرعي، و الراعي السمع و الطاعة[6]، و يمكن أن تكون الأراضي خاصة، فيرسل مالك الأرض حيواناته، لترعى في أرضه، و قد تكون عامة مشاعة تخرج كل راع بمواشـــيه إليها على حدى، و اتبع أيضا نظاما على طريقة البربر يسمى: " المشتى" و فيها يتعهد القبيلـــة أو مجموعة من السكان إلى راع مسؤول، يساعده عدد من الرعاة، و هم على معرفة أو دراية عامـــة

---

1 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص159، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص81.

2- الشماخي: نفسه، ص 161، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص234.

3- رابح بونار: المرجع السابق، ص 43.

4- ابن صغير: المصدر السابق، ص 54.

5- نفسه، ص 98.

6- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 71.

بالمراعي، و قد كانت تدفع أجرة الراعي بدينارين[1] في السنة[2] كما كان للجمال والخيول أثر واسع في اقتحام الصحراء و أعماقها[3]، بحيث كانت الوسيلة الأولى في نقل الذهب، ونقل القوافل القادمة من السودان باتجاه تيهرت، و غيرها من العواصم التجارية في المغرب الإسلامي، و بهذا كان الرعي النشاط الأساسي لسكان الصحراء بحيث كانوا يسيرون بقوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾[4]

و قد كانت قطعان الغنم و الجمال كثيرة، ينتقل وراءها البدو صيفا نحو الشمال و يرجعون إلى الصحراء في فصل الشتاء عندما تكثر الأمطار و الثلوج، التي تؤثر سلبا على الحيوانات خاصة حديثة الولادة[5].

و هكذا قد ينتجع الرحل في فصل الصيف، و يبدلون محصول ماشيتهم الجنوب التل و كان رؤساؤهم يبادرون عند وصولهم الاتصال بأعيان المدينة، ثم يرجعون إلى موضع خيامهم حتى الرحيل[6].

و على إثر هذا يمكن القول أن تيهرت الرستمية، عرفت نشاطا واسعا في الزراعة، و قد ساعدها في ذلك مجموعة عوامل في مقدمتها، اتساع رقعتها و مناخها و كان لهذا الازدهار الزراعي، و الرعوي أثره البارز في النشاط الحرفي.

1- يعرف ابن خلدون الدينار و الدرهم بقوله: " و ذلك أن الدينار و الدرهم مختلفا السكة في المقدار و الموازين بالآفاق والأمطار و سائر الأعمال، فالدرهم هو سبعة أعشار الدينار"، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 268.

2- جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص 72.

3- حيث يقول ابن الصغير: " و عجب ملك السودان ما أراه... و فروسيته إذا ركب الخيل..." ينظر ابن الصغير، المصدر السابق، ص 31، و يقول ابن خلدون أن " الإبل أعانت العرب على التوحش في القفر، و الأعراق في البدو"، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 408.

4- سورة طه: الآيتان 53، 54.

5- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 157.

6- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 42، ص 43.

ثالثا- الحرف و ازدهارها:

لعل الملاحظ من خلال دراستنا قلة المصادر المراجع التي تدرس الجوانب الصناعية في مدينة تيهرت إلا النزر القليل فمثلا نجد ابن الصغير يذكر أهل الحروف[1] و هذا دليل على وجود حروف يدوية بسيطة[2] و بالتالي نشطت المهن و الحرف لهذه المدينة الصحراوية[3] و كانت هـذه الأخـيرة مشتركة بين بربرية و فارسية و عربية و رومانية[4] و بهذا لا يستبعد بأن يكون بتيهرت أعداد مـن الحرفيين النجارين[5] و الحدادين و الخياطين[6] و الطحانين و الدباغين و غيرها من الصنائع المشهورة آنذاك، حيث يذكر ابن الصغير: " و اتسعوا في البلاد، و تفسحوا فيها، و أتتهم الوفود، و الرفاق من كل الأمصار، و أقاصي الأقطار"[7] و قد عرفت الحرف تطورا كبيرا و خاصة في عهـد عبـد الرحمن لعموم الأمن و الاستقرار فظهرت صناعة الأقمشة الكتانية و القطنية و المصنوعات الجلدية والدروع وأنواع أخرى من الأسلحة، و كانت أكثر الجهات تقدما هي الركن الجنوبي الشـرقي المواجهة للبحر، و المقابلة لبلاد المغرب، و افريقية[8].

و لعل الصناعة تختلف من وسط لآخر باختلاف التطور، فإننا نجد صنائع المجتمع الحضري تختلف عن المجتمع البدوي، فنجد مثلا صناعات هذا الأخير ترتكز على توفير الطعام، و الملـبس والخيام، و بعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن للناس، و بالتالي فهي تعتمد على مـا هـو

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 75.

2- جودت عبد الكريم: العلاقات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 36.

3- رابح بونار: المرجع السابق، ص 43.

4- عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص 123.

5- يعرفها عبد الرحمن بن خلدون بقوله: " هذه الصناعة من ضروريات العمران و مادتها الخشب... و لها منافع كثيرة لأهل البدو والحضر"، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 414.

6- يعرفها ابن خلدون بالحياكة و الخياطة و يقول: " و هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه أو الدفء "، عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص 416.

7- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31، عمار عمورة: المرجع السابق، ص 95.

8- عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 105.

أساسي و ضروري، و منه كان التصنيع في هذا المجتمع ضيق فنجد النجار و الحداد و الخياط والحائك و غيرها[1].

و من بين الصناعات حسب طبيعة البلاد، الصناديق الخشبية و الأسرة و الخزائن البسيطة والأبواب، كما كانوا يهذبون الخشب لاستعماله في بناء القصور و البيوت و لعل الأمر يختلف بالنسبة للمجتمع الحضري، حيث أنه عندما كثر السكان[2] زاد تطلعهم إلى ما وراء الضروري، تقدم نحو حياة التقدم و البذخ و الترف و بالتالي زاد النشاط الصناعي، و يذكر ابن خلدون " إذا زخر بحر العمران، و طلبت فيه الكماليات، كان من جملتها التأنق في الصنائع و استحداثها، وبالتالي تزايدت صنائع أخرى معها، مما تدعوا إليه عوائد الترف و أحواله من زجاج و دباغ وجزار و صائغ و دهان و طباخ"[3] و نظرا لتزايد الرقي و العمران، ظهرت حرف أخرى كالدهان و الحمامي و الطباخ و الشماع و كذا معلم الغناء و الرقص و قرع الطبول، و أصبحت تيهرت إحدى المراكز الصناعية الكبيرة و التي تسمى " بقصبة الإقليم"، و قد تحولت الصناعة من بدوية إلى مدنية، و لعل من الضروري لهذه الصناعات أن يتخذ الصانعون مكانا يديره بنفسه، و أحيانا يكون في بيته، و مجموعة من المتدربين و الصبيان، و يكون هو المسؤول أي " المعلم" وهم الأجراء، و أحيانا يستلزم الأمر أن يكون جميعا شركاء و كان الصانعون يرتدون أزياء خاصة بصناعتهم[4].

و من العوامل التي ساعدت على ازدهار الصناعة، أجملها في اتساع العمران و السكان وبالتالي كثرة الطلب على السلع، كما كان لتوفر المواد الصناعية، سواء الحيوانية أو النباتية أثرا واسعا في ازدهار الصناعة، و كان من أهم الصناعات البارزة في تيهرت:

1- جودت عبد الكريم: العلاقات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 77، ص 78.
2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 54.
3- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 381.
4- جودت عبد الكريم: العلاقات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 80.

أ. **الصناعة النسيجية:** المعتمدة أساسا على انتاج الصوف و الكتان و الحرير، و ينتج منها أنــواع عدة من الملابس و الفراش و الستائر و الفوط، و التي كانت المرأة تقــوم بصــناعتها في البيــت وتوظف معها الجواري[1] ، و لعل هذه الصناعة كانت منتشرة في تيهرت، حيث ذكر ابن الصــغير أن عبد الرحمن بن رستم كان يجمع ما بقي من الصدقات، و يشتري بها أكسية صــوفا و جبابــا صوفا وفراءا[2].

و قد كانت المنسوجات مختلفة الأشكال و الألوان، و عرفت تيهرت صناعة الخز، و هــي مصنوعة من الصوف و الحرير، و يبدو أن هذا النسيج كان قيما، و لعل أشهر صناع هذه الحرفة احمد بن فتح المعروف بابن الخزاز التيهرتي، و كانت تصنع منه القلنسوة و الجبة، و كان يعتمد في ذلك على أدوات خاصة مثل المناسج و المغازل و الأنوال من آلات الغزل[3].

ب. **الصناعات المعدنية:** لا شك أن تيهرت قد عرفت صناعة معدنية متنامية تتماشــى مــع ازدهار المدينة، لا سيما في مجال الأسلحة، حيث أن هذه الصناعات تحتاج إلى المواد الخام و مــواد الخشب، فقد كان الحديد ضروريا لكل دار و لكل شخص خاصة لصناعة السيوف، فنجد أنــه رغم بساطة عبد الرحمن بن رستم، فإن بيته لم يخل من السيف[4] و كان سكان تيهرت يتفننون في صناعته، ضف إلى صناعة الأبواب فقد اتخذ الإمام أفلح بابا من حديد[5] كما استعمل منه الملاعق و الكلاليب و أمواس الحلاقة و المواقد و السلاسل[6] ضف إلى التحف المعدنية[7] أما الذهب و الفضة فقد كانا متوفران حيث أن القوافل المتجهة إلى بلاد السودان الغربي كفيلة بتوفيرهما، و قد كانت لهما استعمالات متعددة، فتصنع نقودا و دنانير و تصنع منها حلي للنساء من أقراط، و أســاور و عقود و دبابيس تزين الصدر و خواتم و خلاخيل، كما صنعت منها الأقداح و غير أن اســتعماله كان مقتصرا على الأثرياء و كان الممتهن لهذه الحرفة يسمى بالصائغ،

1- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 206.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

3- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 98.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29.

5- نفسه، ص 53.

6- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 101.

7- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 577.

بالإضافة إلى الصناعات المعدنية السابقة نجد الرصاص و النحاس و غيرهما من المعادن[1].

ج. الصناعة الفخارية: لعل من أبرز ما خلفته الصناعة في العهد الرستمي هو الأواني الفخارية أو الخزفية التي عثر عليها جورج مارسيه، و دوسس لامار في خرائب تيهرت سنة 1941 و انتهيا إلى أن تيهرت كانت تضم أفرانا للفخار، فقد وجدوا قطعتان من بقايا فرن رستمي و كذا القلل والصحون، و جزء من جرة كبيرة و كانت قليلة الزركشة[2].

د.الصناعة التحويلية: اشتملت بلاد أهل تيهرت على الأرحاء، فقد ذكر لنا ابن الصغير أن الرستميين شرعوا في اتخاذ الرحى و المستغلات[3] و خاصة في عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حيث قال: "... تغيرت المدينة... و نصبت الأرحاء..."[4] و اتخذت لطحن القمح والشعير، و نظرا للازدهار الفلاحي في المنطقة، و لعل هذه الصناعة كانت مرتبطة ارتباطا بالخباز و الغرابلي[5].

كما ظهرت مهن أخرى كالطباخ، الذي يستعمل عند الطبقة الراقية، و العطار الذي يقوم بصناعة العطور باعتماده على أزهار الريحان، ضف إلى ذلك صناعة الخمر، فقد ذكر ابن الصغير أن تيهرت قد فسدت، و فسد أهلها من ترك الحروب، و اتخذوا للمسكر أسواقا[6].

ه. الصناعة الجلدية: لقد كانت للثروة الحيوانية أثر و اسع المدى في ظهور بعض المهن، فقد قال ابن الصغير في هذا الصدد أن بتيهرت يوجد القصابين واللبانين، بالإضافة إلى ظهور الدباغة و هي صناعة تحويلية حيث يعتمد على جلود الماشية و تحول إلى نعال و سروج و أغطية، و كذا الطبول و الدفوف، و أدوات حافظة للحليب و السمن وكذلك استخدمت حصيرا[7].

و. الصناعات الخشبية: لعل من بين الصناعات المرتبطة بطبيعة منطقة تيهرت صناعة الخشب، إذ تتوفر هذه المنطقة على ثروة غابية كبيرة، حيث أنها تتوسط غابة كثيفة الأشجار، وبالتالي كان

1- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 103.

2- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص G, Marçais et L, dessus: Tahert Tagdamt, op, cit p.p 26-56, /172.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 31.

4- نفسه، ص 33.

5- الغرابلي: هو المتخصص في صناعة أداة لإعداد الخبز و هو الغربال، أنظر: هامش جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 101.

6- جودت عبد الكريم: نفسه، ص 112.

7- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29.

النجارون يصنعون مختلف الآلات، و الأدوات المستعملة آنذاك كالصناديق و الأسرة و الخزائن والقوارب الضرورية للملاحة النهرية[1].

و لعل من بين المهن الأخرى التي كانت تمارس في تيهرت نجد البناء و كذا الحمامي و هذا نفهمه من قول ابن عذاري:"أن في مدينة تيهرت حمامات كثيرة يسمى منها اثنا عشر حماما"[2] هذا إلى جانب عدد من الأعمال و المهن و الصناعات التي يصعب حصرها، ذكرنا بعضها على سبيل المثال لا الإجمال.

و على العموم كانت بتيهرت خصوصا، صناعة مزدهرة تعتمد على أدوات مختلفة غمرت الأسواق و مهدت بذلك الطريق لازدهار التجارة سواء الداخلية أو الخارجية.

المبحث الثالث: الموارد المالية.

تهتم الدولة الإسلامية، بمواردها المالية التي تدر عليها أموالا توودعها في بيت يعرف ببيت مال المسلمين، أو بيت المال، و قد كان في الدولة الرستمية، بيوت أموال محلية عديدة، و بيت مال مركزي مقره العاصمة تيهرت[3] و قد تعددت هذه البيوت في عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حيث يذكر ابن الصغير:" ... و بيوت أمواله ممتلأة".[4]

و كان الاهتمام بأمر جباية الأموال، تختلف من دولة إلى أخرى، و من طور إلى آخر فالدولة في طورها الأول – طور التأسيس- لا تكون بحاجة إلى المال، مثلما يكون الأمر في طورها الأخير – طور الترف و الرفاهية-، كما يختلف الحاجة إلى المال باختلاف الدول و سياستها، فإن حاجة الدولة الرستمية كدولة داخلية، ليست لها سياسة توسعية، و بحسب حاجتها تتنوع مواردها، فقد تكتفي بالموارد الشرعية.

1- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 98، ص 99.
2- ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 125.
3- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص237.
4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 35.

شرطته، و القائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم ثم إن فضل فضل صرفه في مصالح المسلمين"[1]، وقد كان الإباضيون لا يرون أن نخرج الزكاة من بلد إلى آخر و أهل بلدها أحق بها، و لو كانوا فساقا[2] و لعل مدلول الزكاة إنما هو مرتبط بالصدقات حيث قال تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾[3] و نظرا للازدهار التجاري والصناعي و الزراعي، و نظرا لتوفر الذهب فقد فرضت على النساء التصدق من حليهن، فقد كانت بهذا دور الزكاة ممتلأة بمختلف الموارد و الزكوات و الصدقات، غير أن المصادر لم تشر مبالغ الزكاة و الصدقة التي تدخل بيت المال.

2- الجزية:

قال تعالى: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾[4] لقد فرضت الجزية مقابل حمايتهم، و هي أشبه بضريبة للدفاع الوطني، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح، و كانت تجبى من أحرار أهل الذمة و الرجال البالغين، و لا يدفعها الأطفال و لا النساء و لا العبيد و لا ذووا العاهات كالمقعدين و المجانين[5] و جبى الرستميون الجزية، يذكر ابن الصغير أن الإمام عبد الرحمن بن رستم، كان ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية[6] و إنما يدل هذا على وجود أهل الذمة بتيهرت و قد يطلق على الجزية مصطلح " الجوالي" و هما كلمتان مترادفتان، غير أن ابن الصغير لم يذكر مبلغ الجزية، و لا عدد أهل الذمة، ولهذا كانت موردا شرعيا يضاف إلى قائمة الموارد المالية لتيهرت.

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 35- 36.

2-جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 393.

3- سورة التوبة: الآية 103.

4- سورة التوبة: الآية 29.

5- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 396.

6- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

3- الخراج:

هو مورد شرعي من موارد بيت المال الرستمي، و قد كان أول من ابتدأ جبايته الإمام عبد الرحمن بن رستم، حيث ذكر ابن الصغير، أن الإمام عبد الرحمن كان ينظر إلى ما اجتمع من مال... و خراج الأرضين، و ما أشبه ذلك[1]، و كانت أموال الخراج، لا تبقى في المواطن التي جبيت فيها، و إنما تنتقل إلى بيت المال بتيهرت، و هذا ما نستنتجه من ذكر اليعقوبي أن أهل جبل نفوسه، لا يؤدون خراجا إلى السلطان، و لا يعطون طاعة إلا إلى رئيس لهم بتيهرت[2]، و كانت الجباية سنوية، بعدما ينتهي الناس من جمع محصولهم[3]، و هذا ما نفهمه من قول ابن الصغير:"فيقطع لنفسه و حشمه...ما يكفيهم في سنتهم"[4].

4- العشور:

هي ضريبة، و رسوم تؤخذ على الأراضي التي يزرعها المسلمون و على أموال و عروض تجارة أهل الحروب و أهل الذمة، و يذكر ابن الصغير أن أهل الصدقة على صدقاتهم، يخرجون في أواني الطعام، فيقبضون أعشارهم[5] و كان الرستميون يجبونها على المحاصيل الزراعية، وإن اختلف بعض العلماء في المحاصيل التي تفرض عليها العشر. و لعل جباية العشور على أهل الذمة قليلة، إن لم نقل منعدمة، و ذلك لأن تيهرت منطقة داخلية، و بالتالي تقلل العشور المجبية من أهل الذمة. ويضيف جودت عبد الكريم أن الرستميين، واصلوا جباية العشور على الحاصلات الزراعية،

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 37.

2- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 196.

3- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 398.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36.

5- ابن الصغير: نفسه، ص 35، و عن كيفية توزيع الإمام الأعشار قال ابن الصغير: " يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في حلال كل... من أهل الشاة و البعير، يقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون و لا يظلمون، فإذا حضر جميع ذلك صرف الطعام إلى الفقراء، و يبعث الشاة و البعير، فإذا صارت أموالا دفع منها إلى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم، ثم نظر في باق سائر المال، فإذا عرف مبلغه أمر بإحصاء من في البلد و فيما حول البلد، ثم أمر بإحصاء الفقراء و المساكين، فإذا علم عددهم أمر بإحصاء ما في الاهداء من الطعام، ثم أمر بجمع ما بقي منه مال الصدقة فاشترى منه أكسبة صوفا و فراء ، ثم دفع في كل بيت بقدر ذلك، و يؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه"، ينظر ابن الصغير، المصدر السابق، ص 22.

ويذكر أن الشراة لم تكن تطعن الإمام أفلح في شيء من أحكامه و لا في صدقاته و لا في أعشاره. و لعلنا لا نجد أي تقدير لمبلغ هذه الضرائب، و لا حتى طريقة جبايتها[1].

و يضاف إلى جملة هذه الموارد الشرعية التي تدخل في بيت مال تيهرت، نجد أنه كان تدخله أموال عن طريق الوصايا، فقد كان أبومرداس مهاصر السدراتي، إذ أراد زيارة تيهرت أخذ الوصايا من أهل الدعوة من أهل الجبل – جبل المسلمين نفوسة- فيرفعها إلى تيهرت لنفع بيت مال المسلمين و لنفع أرباب الوصايا[2].

و منه يمكن القول أن العشور تشكل أحد أهم الموارد المالية التي كانت تيهرت تسدد من احتياجاتها.

ثانيا- نظام الجباية:

كان يتولى الإشراف على جباية الأموال و إنفاقها موظف يعرف في العهد الرستمي " بصاحب بيت المال"، و كانت الأموال تودع بيت المال أو بيت مال المسلمين، و يبدو أن صاحب بيت المال يشمل جمع الموارد المالية[3]، حيث كانت وظائف الدولة في أيدي ثلاثة موظفين، هم صاحب الشرطة أو القاضي و صاحب بيت المال[4] و كان هذا الأخير يعمل بمعية عدد من الموظفين منهم السعادة و العاملين عليها، و كان للخراج ديوان خاص، و لعل الإمام عبد الرحمن كان يفضل أموال الجزية و الخراج على أموال الزكاة، كما أن الإمام له السلطة الكلية في تعيين العامل، حيث عين الإمام أبو اليقطان أفلح بن العباس عاملا على نفوسة[5] و أيضا من بين العمال سلام بن عمر اللواتي عاملا للإمام عبد الوهاب على سرت، و أبي يونس وسيم النفوسي على قنطرارة[6]. ويبدوا أن الرستميين كان لهم نفوذ اقتصادي على هذه المناطق، حيث أن الإمام عبد الوهاب،

1- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 402، ص 403.

2- انفسه، ص 413.

3- نفسه، ص 414.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 35.

5- نفسه، ص 86.

6- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 163، صالح باجية: المرجع السابق، ص 81.

اقتطع أرضا للخارجين عليه في جبل نفوسة، في منطقة الساحل و كتب عليها " اغرسوا فيه بأمرنا، و احرثوا فيه بإذننا"[1] و كانت هذه المناصب المالية هامة و حساسة، فهي بحاجة إلى شخصية قوية الإيمان و الإدارة، لا يضعف أمام الأحوال المكدسة، فتحدث بعض الاختلاسات مثلما يظهر في العهد الرستمي، حيث ذكر ابن الصغير قائلا من مقدمي مزاتة و سدراتة إلى رؤساء قبائلهم، و طعنهم في استقامة و أمانة أصحاب المال في عهد الإمام عبد الوهاب، فقالوا: "صاحب بيت مالنا خائن، و صاحب شرطتنا جائر، و إمامنا لا يغير من ذلك شيئا"[2] أما عن أسلوب الجباية، فقد سبق الإشارة إليه، إلا أن أهل الصدقة و السعة، كانوا يخرجون ليجيبوا الأموال المستحقة في العهد الرستمي و قد كان القائمون على جباية الأموال رجال من البربر، إذ أنهم عصب الدولة.

و لقد كان أهل البادية يمتنعون عن دفع هذه الضرائب، لغلبة الطابع القبلي عندهم فلم يكونوا يألفون دفع مثل هذه الضرائب[3].

ثالثا– نظام النفقات:

لعل كل بيت مال يتغذى من الموارد المالية المختلفة، التي تدخل خزينة تيهرت و بطرق شتى، و بموارد متباينة، تعتبر الممول الرئيسي لتيهرت التي تأخذ منها نصيب تصرف في أمور مختلفة، و منه يمكن حصر النفقات في رواتب الموظفين من حشم و قضاة وشرطة و قائمين بأمور الدولة عامة، إضافة إلى أجر الإمام نفسه و الذي كانت تدفع مرة واحدة في السنة[4] فقد كان للدولة، موظفون يقومون بإدارة شؤونها، فهناك قضاة و أعوانهم، و كان لتيهرت ديوان خاص

1– جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 417.

2– ابن الصغير: المصدر السابق، ص 41.

3– جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 418.

4– ابن الصغير: المصدر السابق، ص 23، إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 243.

بالقضاة، فاشتروا له خدما و أجروا عليه من بيت المال قوته[1] كما كان لـه أعـوان وأصـحاب دواوين مختلفة[2] و كلهم يتقاضون رواتب على أعمالهم.

كما كانت ظروف الحياة تلزم على الرستميين حشد كبير من المقاتلين، فقد عد الإمام عبد الوهاب في عسكره ألف فرس، و كان الإمام أبو حاتم، قد أخرجه أبوه على يد جيش، و هـؤلاء يكلفون بيت المال أموالا ضخمة[3]، فكانوا يدفعون لهم رواتبهم، و يؤمنون لهم المـؤن و العتـاد الحربي، إلى جانب نفقات المتطوعين، كما أنهم أيضا كانوا يتكفلون بأسر الجنود[4]، و يضـاف إلى جملة هذه النفقات، تلك التي تصرف في مصالح المسلمين عامـة كبنـاء المسـاجد و الأسـواق والحمامات وإصلاح الطرق و الجسور، و مد القنوات و إصلاحها بل و بناء المـدن، و بيـوت الضيافة، والإنفاق على طلبة العلم[5] و لعل الازدهار الاقتصادي الذي عرفته تيهرت، كان من شأنه أن يغذي كلا من دار الزكاة، و بيوت الأموال في الدولة الرستمية عموما، و لم تكـن النفقـات كبيرة بحجم الموارد، لذلك فجزء منها يصرف في الصالح العام[6]، و لعل هذا ما يفسر ذلك الرخاء الذي شهدته تيهرت الرستمية والازدهار الذي واكبها خلال كل مراحل حكمها، و كانت كل دار زكاة، و بيوت مال، ومواردها و نفقاتها مؤسسة وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية.

1- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 42.

2- من بين الدواوين: ديوان المظالم، ديوان الكشف، ديوان العطاء، ديوان الضياع، ديوان البريد، و غيرها، أنظر: هامش جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 422.

3- جودت عبد الكريم: نفسه، ص 422.

4- نفسه، ص 423.

5- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 243.

6- نفسه، ص 245.

المبحث الرابع: التجارة الداخلية و مبادلات تيهرت الخارجية

أولا- التجارة الداخلية:

تعد تيهرت إحدى محطات العالم الاقتصادية الكبرى، فهي واسعة الأخذ و العطاء، فكانت الحبوب و الأزهار بأنواعها تزرع بأرضها، و الأسواق ملأى بمختلف البضائع و المصنوعات[1] وبالتالي كانت بها تجارة داخلية مزدهرة و لعل ما ساعد على ذلك هو تشابك مجموعة من العوامل، نوجزها فيما يلي:

إن موقع تيهرت هو منشأ ازدهارها، بحيث تعد نقطة التقاء القوافل القادمة إليها من كل بلاد العالم العربي، و كانت نقطة اتصال بين البدو و الرعاة، و بين المقيمين بالمدن، ضف إلى ذلك كثرة منابعها و خصوبة أراضيها و ضواحيها[2].

كما أسهم الأئمة الرستميين، و حرصهم على التجارة في ازدهارها، فقد كان الإمام عبد الوهاب تاجرا، و كذا أبو حاتم، فقد كان يخرج ليجر القوافل الآتية من المشرق[3].

و كم كان لتعداد الحرف أثر واسع، فكانت الحاجيات مختلفة من حرفي إلى آخر، و لهذا استدعت الضرورة إلى التبادل فيما بينهم،و ذلك في أسواق منظمة، و مراقبة من طرف المحتسب[4].
و لعل الأمن و الاستقرار الذي كان سائدا آنذاك هو العامل الرئيسي لنمو التجارة وازدهارها وكان من أبرز البضائع التي تتبادل بين مدن تيهرت و أسواقها بضائع الشمال ببضائع الجنوب، والعكس هي التي كان يقوم بها الرعاة البدو، باستبدال ما لديهم من الغنم والصوف والجلود

1- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 175، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 13.
2- رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص 110.
3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 91.
4- ترجع التسمية إلى الحسبة: و هي خطة دينية جامعة بين الشرع و السياسة، تنظم سير المعاملات بين التجار و الحرفيين، أنظر: موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 255، و قد عرفها أيضا ابن خلدون: أنها وظيفة دينية تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر، و تعتبر الإمام أبي اليقظان بن الأفلح مؤسس نظام الحسبة في الدولة الرستمية و يطلق على المحتسب آنذاك -المشرف- أنظر: موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، المرجع السابق، ص 16.

والشحم وغيرها، ببضائع العاصمة من حبوب و قمح و بعض المواد الضرورية كالملح والسكر والزيت أو الألبسة والأفرشة المجلوبة من بلاد الأندلس و السودان أو من مدن الغرب والمشرق[1].

و مما لا ريب فيه أن التجارة كانت تؤدى في نطاق الأسواق، حيث أنها كانت تقام أين توجد التجمعات السكانية، كما كانت لكل قبيلة أو قبائل سوق محلية، و تقام في نطاق دائرة أمير يكون قادرا على الحماية و الأمن، و غالبا ما يحمل السوق اسمه. كما أن وظيفة السوق تتعدى التجارة، فله وظائف اجتماعية، و ثقافية و دينية و غيرها و تستعمل في السوق عدة أنظمة من أجل تنظيمه و منع الاحتكار و الاستغلال و منها[2]:

1- نظام النقود: يذكر ابراهيم بحاز أن الإشارات إلى العملة الرسمية قليلة، خاصة في تيهرت لكننا نجد ابن الصغير يشير إلى العملة في قوله عن الإمام يعقوب بن أفلح، كان نزيه النفس ما جس بيده دينارا ولا درهما[3] و هما عملتان متداولتان في العالم الإسلامي[4] و لعل العملة كانت تضرب ذهبا لقول أبي اليقطان:

و كم ضربوا ذهبا سكة　　　　رأينا له قطعة كأثر

و يضيف عبد الرحمن الجيلالي، أن لتيهرت الإباضية سكة[5] مضروبة باسمها[6] و هذا ما أكده محمد الطمار بحيث قال أن أهل تيهرت ضربوا في بلادهم سكة باسم بلادهم الإباضية[7] وضربت

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 178.

2- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 149.

3- حدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن الدينار الإسلامي كان يساوي الدينار البيزنطي، و كان هذا الأخير يساوي 4،25 غراما ذهبا أما الدرهم الإسلامي يساوي 14 قيراطا و بالتالي الدينار يعادل عشرين درهما، أنظر: ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 267، إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 182.

4- إبراهيم بحاز: نفسه، ص 183.

5- السكة: هي الختم على الدنانير و الدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيها صور أو كلمات مقلوبة، ينظر عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 266.

6- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص121.

7- محمد عمرو الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 97.

هذه النقود في عهد الإمام عبد الرحمن، حيث ضربت من قبل الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، و كتب عليها في الوجه الأول:

ضرب هذا الفلس بافريقية، و على الوجه الآخر ستة و اثنين و أربعين و مائة، و لهذه الدلائل يمكن أن يثبت أن لتيهرت عملة يتعاملون بها[1].

2- المكاييل و الأوزان: استعملت الأوزان و الوحدات الضرورية لتسهيل عملية التعامل بين التجار، و لعل من بين هذه المكاييل و الأوزان التيهرتية نجد: المدّ[2]: و الذي يكتالون به القمح وغيره من الحبوب و الذي يعادل خمسة أقفزة[3] و نصف قرطبية[4] أما قنطار الزيت، و غيره، فهو عندهم قنطاران غير ثلث بالوزن العادي، أما رطل اللحم فهو بمثابة خمسة أرطال[5]، بالمقارنة مع مكاييل قرطبة، هذا بالنسبة للمواد الضرورية، ذات الأشغال اليومي و التي تنتج في تيهرت وضواحيها، و هي بخسة الثمن لوفرتها، فهي لا تباع بالمكيال العادي و إنما بالزيادة أضعافا، أما المواد الغذائية المستوردة كالفلفل و البهارات فهي تكتال بالمكيال العادي و هو قنطار عدل لا أكثر ولا أقل، لأن المادة مطلوبة بكثرة، لا تكون موجودة باستمرار في المدينة فيبقى كيلها ثابتا، وباختلاف المناطق و المدن تختلف المقادير و المكاييل من واحدة إلى أخرى[6] و منه ساعدت هذه الأوزان على تسهيل عملية التبادل التجاري داخل المدينة على الرغم من اختلافها، و هذا لا يتوافق مع التجارة الخارجية، وقد كان المحتسب هو الذي يقوم بعملية الفصل بيت التجار في حال حدوث تجاوزات أو شيء من هذا القبيل، فيأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، مصداقا لقوله تعالى:

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 183، ص 186.

2- ذكر البكري " أن مدهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة و نصف قرطبية"، البكري، المصدر السابق، ص 69، و ذكر ابن الأثير أنه في سنة 207 هـ أثناء المجاعة في الأندلس بلغ المد في بعض البلاد ثلاثين دينارا، ينظر، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص 205، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 81.

3- القفيز: يستعمل لكيل السوائل كالزيت و كذلك الحبوب، أنظر: جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 185، و حول المكاييل و الموازين ينظر: موسى لقبال: الحسبة، المرجع السابق، ص 73-78.

4- نسبة إلى الكيل القرطبي، أنظر: جودت عبد الكريم:نفسه، ص 185، العالقات الخارجية، المرجع السابق، ص 121.

5- البكري: المصدر السابق، ص 69.

6- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 184.

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

و لقد اشتهرت تيهرت بتجارتها، فنظم الرستميون الأسواق، و جعلوا لكل حرفة سوقا، وعينوا المحتسبين فعمرت أسواقها[2].

ثانيا- التجارة الخارجية و مبادلات تيهرت التجارية:

أصبحت تيهرت الخصبة عاصمة الرستميين مزدهرة ازدهارا كبيرا حتى صارت مجمعا للتجارة و الشهرة العالمية، إذ سميت " بالعراق الصغير" أو عراق المغرب أو بلخ المغرب[3] تشبها ببلاد العراق الصاخبة بمختلف الأجناس و الملل[4]، فاتسع نطاقها و أمنت طرقها، و تحولت قراها إلى مدن ومراكز عامرة بالتجارة و أصحاب الأموال و الأسواق، و عرجت عليها طرق التجارة الزاهية، من شمال إلى جنوب، أو من شرق إلى غرب[5] فكانت من مصر و إفريقية و المغرب [6].

و قد لعبت الإباضية دورا كبيرا في إنعاش التجارة في المغرب الأوسط، و ببلاد الصحراء فضمنت جماعات كبيرة من التجار الذين وجدوا الأمن في ظل الأئمة[7]، و لهذا تحولت تيهرت إلى مركز تجاري نشيط خلال القرنيين الثالث الهجري و التاسع الميلادي، بحيث كانت قوافل التجار تدخل من تيهرت و تخرج جنوبا حتى واحة الأغواط في جنوب الجزائر الحالية، و من ثم يتجه بعضها شرقا إلى فزان[8] و من ثم إلى جبل نفوسة و طرابلس و يتجه بعضها إلى وارجلان، التي تعد

1- سورة آل عمران: الآية 104.

-3 G. Marçais: la berberie musulmane, op, cit, p 104

3- سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 10.

4- حسن أحمد محمود و منى حسن محمود: تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط1، دار الفكر العربي، بورسعيد، القاهرة، 1999، ص 121.

5- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، المرجع السابق، ص 332.

6- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 35.

7- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص 120.

8- و هم قوم يغلب عليهم اللون الأسود، و الفزّان ولاية فيها نخل و تمر كثير، أنظر: اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 184.

مركزا تجاريا على أبواب الصحراء الكبرى[1] ، كما كانت القوافل التجارية، تصل إليها من فاس والقيروان و سيجلماسة و بلاد كوكو في شمال السودان.

لقد نشطت الحركة التجارية في تيهرت و توسعت علاقاتها في اتجاهات عديدة، نذكر منها:

1- العلاقة مع القيروان: لقد ازدهرت القيروان اقتصاديا خاصة في عهد الأغالبة[2] حيث انتشرت الزراعة، من حبوب خاصة القمح[3] و زيتون و نخيل و استخراج المعادن مثل الفضة و الزجاج والنسيج، هذه العوامل جعلت القيروان تلعب دورا بارزا في الحركة التجارية المغربية[4] و في نفس الوقت تمتعت تيهرت بموقع تجاري هام[5] و كان هذا مشجعا لممارسة التجارة فسارت القوافل من القيروان إلى تيهرت أو مرورا بها نحو سجلماسة ، كما مارست المدينتان تجارة برية مارست أيضا تجارة بحرية حيث كان للقيروان أسطولها التجاري، و لتيهرت مراكب ترسو بمرسى فروخ[6] وكان التجار يسلكون ثلاثة طرق مختلفة:

الطريق الأول: هو الطريق البحري فكانت القوافل تنقل السلع من تيهرت إلى تنس و منها إلى برقة ثم إلى ميناء تونس ثم تقوم القوافل البرية بنقلها إلى داخل إفريقية كالقيروان[7].

1- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 577.

2- حسن محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط1، مطبعة المدني، ص 418.

3- المقدسي: المصدر السابق، ص 227.

4- حيث يذكر صاحب الاستبصار: "أن قوافلها سارت إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي و السودان"، ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 224.

5- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 115.

6- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 353، و يقع هذا الميناء بين مستغانم و ارزيو و يعرف حاليا بمرسى الحجاج، ينظر: عبد العزيز فيلالي: العلاقات بين الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 100.

7- و يقول اليعقوبي: " كانت هذه المراكب تسير مسحلة غير موغلة " ينظر اليعقوبي: البلدان، المصدر نفسه، ص نفسها، ويذكر أن هذا الطريق لا يسلكه إلا الأقوياء ممن لا يخشى ركوب البحر بحيث كانوا عرضة لأخطار القرصنة." ينظر المالكي: المصدر السابق، ص 348.

الطريق الثاني: يخترق منطقة الهضاب العليا إلى الزاب ثم إلى القيروان عبر جبال الأوراس و عبر مدينة سطيف و تستغرق الرحلة مسير شهر على الإبل[1].

أما الطريق الثالث: يخرج من تيهرت إلى ورجلاى عبر جبال عمور و من ثم إلى القيروان و هو طريق صحراوي حافل بالمتاعب. و هكذا فإن المدينتان كانت ترتبط بعلاقات تجارية مباشرة أو غير مباشرة[2] و كانت تيهرت تصدر من المنتوجات الزراعية مثل:

السمسم و الزعفران و الكتان و الفواكه المجففة و الحبوب و العسل و الحيوانات كالأغنام[3] مصنعة من الصوف و الجلود أما الواردات من القيروان منها: الفستق من قفصة و الزيتون و مواد مصنعة مثل الآلات الحديدية و السيوف و سروج الخيل و المنسوجات الحريرية[4].

2- العلاقة بالأندلس: كانت العلاقة السياسية طيبة بين أمراء بني أمية في قرطبة[5] و الأئمة الرستميين و هذا يرجع بالدرجة الأولى لأن عدوهم واحد هو الدولة العباسية لذلك قامت بين الأندلس و تيهرت علاقات و تجارية و كانت السفن تتردد بين وهران و ألميرية[6] كما أن تيهرت كانت تضم جالية أندلسية كبيرة فحتى عبد الرحمن ابن رستم عين مجلس للشورى كان منهم مسعود الأندلسي و عثمان ابن مروان الأندلسي[7] و هذا دليل على وجود الجالية الأندلسية.

و كان التجار يسلكون طريقين إلى الأندلس طريق أول بري من تيهرت إلى طنجة و سبتة

1- و هناك فرع آخر يتجه من سطيف إلى بسكرة و منها إلى القيروان عبر بلاد الجريد، و يذكر القاضي النعمان أن هذا الطريق سلكه المهدي إلى سلجماسة، ينظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 152-129.

2- أي تتم في مراكز تجارية أخرى مثل زويلة و سجلماسة، و يكون التبادل بسلع محلية أو مستوردة أي قيام كل منها بدور الوسيط التجاري، ينظر أرشيبالد: المرجع السابق، ص 188.

3- الحبيب الجنحاني: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد 40-43، تونس 1975، ص35- 40.

4- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 118، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 418.

5 - مدينة عظيمة مشيدة على أطراف الوادي الكبير الجامع لأودية الأندلس، و هي قاعدة الأندلس و دار الخلافة الأموية ومدينة العلم و العلماء، ينظر، ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، تحقيق احسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص33.

6- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 569، أهم مدن ألميرية: ألميرية، برجة، بيرة، لسان الدين بن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، ص- ص 13- 15.

7- محمد ابن عميرة، المرجع السابق، ص 118.

مرورا بمدينة تلمسان[1] و من ثم إلى الأندلس عبر مضيق جبل طارق[2] أما الطريق الثاني فهو طريق بحري حيث تنقل السلع من تيهرت إلى موانئ وهران و تنس و مرسى الحجاج و مرسى فروخ ومنها بحرا إلى الأندلس[3] فقد كان الطريق البحري هو المساعد في اتصال تيهرت بالأندلس عن طريق ميناء فروخ على البحر الذي يواجه موانئ شاطية و تدمير[4] و مرسى أقلة الأندلسية[5] كما يذكر ابن حوقل أن تنس كان يقصدها الأندلسيون بمراكبهم و يقصدونها بمتاجرهم و ينهضون منها إلى ما سواها[6] ومن صادرات الأندلس إلى تيهرت: الحديد، الرصاص، النحاس، قصب السكر، الحرير، الياقوت الأحمر، الزئبق، القطن و هناك من يضيف الخدم الصقالبة و الجواري الروميات و الأندلسيات[7].

و كانت هذه السلع تستقر في تيهرت أو تنتقل إلى مناطق أخرى باعتبار أن تيهرت كانت مركزا تجاريا، أما صادرات تيهرت إلى الأندلس فقد تمثلت في مواد غذائية خاصة الحبوب، الغلال[8]، الأغنام[9] و الخيول و المنسوجات الصوفية و التمور و بعض سلع بلاد السودان كالعبيد والعاج[10] و هكذا فقد ازدهرت التجارة بين المنطقتين خاصة و أن تيهرت كانت تقع على الطريق الرابط بين الأندلس و الشرق و هذا ما زاد في أهميتها الاقتصادية بالنسبة للأندلس و في مساهمتها في الحركة التجارية عموما.

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 88.

2- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 153، و سمي أيضا بجبل الفتح، لسان الدين: المصدر السابق، ص263.

3- جودت عبد الكريم: نفسه، ص 155.

4- كورة بالأندلس: و هي شرقي قرطبة، سميت باسم ملكتها، تبعد عن قرطبة مسيرة سبعة أيام بالنسبة للراكب، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 193، الإدريسي: المصدر السابق، ص281.

5- محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص 207.

6- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77.

7- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص 92، ص 153.

8- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 78، و يقول صاحب الاستبصار عن مدينة تنس بأنها: " ... منها يحمل الطعام إلى الأندلس" ينظر مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 127، الحبيب الجيلاني: المرجع السابق، ص 38.

9- مؤلف مجهول: نفسه، ص 178.

10 عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص 577، و أيضا، CH. Bekri: le royaume Rositomide : op. cit, p 17.

3- العلاقة التجارية بين تيهرت و سجلماسة: كانت العلاقة السياسية بين تيهرت وسجلماسة طيبة حسنة تربطها المصاهرة كما كانت العلاقة التجارية مزدهرة بفضل الطريق الذي يربط تيهرت بتلمسان ثم سجلماسة و هناك طريق آخر مباشر من تيهرت إلى فاس ثم سجلماسة[1]. و رغم أن سجلماسة كانت فقيرة زراعيا إلا أن وقوعها في الطريق من المغرب الإسلامي إلى السودان جلب إليها سلع الشرق و منتجات الغرب، و هكذا فقد ربطت سجلماسة بتيهرت علاقة تجارية نشيطة أثمرت بالنسبة للطرفين فعاشت سجلماسة في جو يسوده الأمن و الاستقرار و ضمنت تدفق التجار إليها باعتبارها محطة على الطريق التجاري نحو السودان كما ضمنت تيهرت الأمن لطرقها التجارية نحو السودان أيضا[2].

4- العلاقة مع ببلاد السودان: ارتبطت تيهرت بالسودان اتصالا تجاريا و ذلك عن طريق القوافل التجارية نحو أقطار السودان الوسطى و الغربية و الشرقية فتصل إلى ساحل الذهب وساحل العاج و تشاد و النيجر و نيجيريا و بلاد الداهومي و غانا و غينيا و مالي و ليبيرية[3].

و كان هذا الارتباط عبر طريقين رئيسيين:

الأول طريق غربي، عبر سجلماسة[4] و الثاني شرقي عبر ورجلان و كانت هذه الطريق من أصعب الطرق التجارية لوقوعها في منطقة حارة جافة لذلك كان السفر في أوقات معينة و هي فصل الشتاء[5] و هناك العديد ممن أشاروا إلى معانات المسافرين إلى السودان من شدة الحر، حيث ذكر كل من القزويني و الحموي و البكري حكاية السودان بقولهم: " دخل أعرابي من اليمن يقال له

1- الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 41، أبو الفداء: المصدر السابق، ص 123، و يذكر ابن أبي زرع أن هذا الطريق كان متعبا مما دفع الإمام إدريس إلى بناء باب الفوارة، من جهة القبلة للجزء الأندلسي من فاس، و منها يخرج إلى سجلماسة" ينظر ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 20.

2- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 230.

3- هذه الأسماء جديدة أغلبها استعماري أما في الكتب القديمة فلا نجد فيها إلا اسما واحدا لهذا القطر و هو السودان، ينظر محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 346.

4- ذكر اليعقوبي أن الطريق تبدأ " من سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان" ينظر اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 360، و يؤكد ذلك الحموي بقوله: " أن التجار تسافر من سجلماسة إلى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة" ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج2 ، ص 361، كما ذكر صاحب الاستبصار أنه بين " سجلماسة و غانة صحراء مسيرة شهرين في رمال و جبال غير عامرة قليلة الماء " ينظر مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص 201.

5- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 103.

أبو هلال تاهرت ثم خرج منها إلى أرض السودان مع ركب التجار، فأتى عليه يوم له وهج و حر شديد و سموم في تلك الرمال فنظر إلى الشمس مصحرة راكدة فقال: " أما و الله لقد غـــرزت في هذه الرمال لطالما رأيتك ذليلة بتيهرت"[1].

و كان تجار تيهرت يصدرون إلى السودان المنتوجات الصوفية و القطنية و الكتانية و أواني الزجاج و الملح و يستوردون من السودان الذهب و العاج و جلود الحيوانات[2] و كذا العبيد من أجل جعلهم خدما[3]، حيث كانت تيهرت الرستمية تسيطر على معظم منافذ الطرق المؤدية إلى السودان، و قد امتلكت تيهرت عددا من القواعد الصحراوية التي تقع على طرق التجارة مع بلاد السودان خاصة وارجلان التي ارتبطت بها ارتباطا وثيقا و السفر منها إلى هذه البلاد كان كثيرا يقول ابن سعيد:"و السفر منها (وارجلان) في الصحراء إلى بلاد السودان كثير"[4].وكان تجار تيهرت يحملون المنسوجات الصوفية و القطنية و الكتانية و أواني الزجاج، و الفخار والخزف ذي البرنق المعدني، و الملح إلى بلاد السودان لندرته عندهم فيبيعونه هناك بأسعار مرتفعة للغاية، ويعودون محملين بالذهب و العاج و جلود الحيوانات و كان أهل ورجلان يقودون هذه القوافل التجارية إلى بلاد السودان[5].

و أشهر ممالك السودان التي كانت لها علاقة وثيقة بأئمة تيهرت، مملكة كوكو التي تقع في شرق نيل غانا الذي ينبع من بحيرة كوري (تشاد)[6]، و هي مملكة تبعد عن تيهرت

1- القزويني: المصدر السابق، ص 169، الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 813، البكري: المصدر السابق، ص 67، للمزيد عن هذه الحكاية ينظر: سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص ص 30-31.

2- مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 75.

3- يقول جودت عبد الكريم أن ثمن العبيد كان رخيصا لكثرة عددهم و أن قيمة العبد لم تصل قيمة حصان، ينظر جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 226.

4 - ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1970، ص126.

5- الإدريسي: المصدر السابق، ص120، محمد علي دبوز:المرجع السابق، ج3، ص347.

6 - ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص93.

مسافة ثلاثة أشهر سيرا تقريبا[1]، و قام لها محمد بن عرفة و قد أعجب الملك بعظمة هذا السفير الرستمي الذي جاء يحمل هدايا أفلح بن عبد الوهاب.و قد علق ابن الصغير عن إعجاب الملك السفير، فقال:"و عجب ملك السودان ما أراه من هيبته و جماله و فروسيته إذ ركب الخيل فهز بيده (محمد بن عرفة) و قال له ملك السودان كلمة بالسودانية معناها أنت حسن الوجه و الهيبة والفعال[2].

و قد ظهرت آثار الإتصال بين تجار تيهرت و أهالي هذه البلاد واضحة في سلوكهم و ملبسهم و طرق معيشتهم و تجارهم، و أهل كوكو يلبسون القداوير (الجبب) و الأكنيسة وعلى رؤوسهم الكرازي و حليهم الذهب و خاصتهم يلبسون الأزر و هم يداخلون التجار و يجالسونهم ويبضعونهم بالبضائع على جهة المقايضة[3].

و كما حمل تجار تيهرت هذه الألوان الحضارية، حملوا معهم الإسلام إلى هذه الجهات، وكثيرا ما كان يرافق القوافل التجارية عدد من فقهاء المسلمين الذين خالطوا أهل بلاد السودان وتركوا فيهم آثارا بعيدة المدى، و بطبيعة الحال كان الأثر الذي تركه التجار المسلمون في نفوس الأهالي أكثر بكثير من المذهب الذي كانوا يحصلون عليه، و تعتبر جهود هؤلاء الفقهاء الأسس التي قامت عليها دولة مالي الإسلامية التي كان غالبية سكانها مسلمين لهم مساجدهم و فقهاؤهم.

1 - الإدريسي: المصدر السابق، ص- ص 44- 45، صلاح الدين المنجي: المرجع السابق، ص- ص103- 110.

2- ابن الصغير:المصدر السابق، ص31، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص240.

3- الإدريسي: المصدر السابق، ص45، سليمان الباروني: نفسه، ص نفسها، جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص- ص 248- 249.

و قد ظهرت في هذه المناطق بعض المؤثرات الإباضية التي تركها تجار الإباضية تمثلت في بعض ممن شاهدهم ابن بطوطة من إباضية الخوارج في بلاد السودان[1]، و صاحب انتشار الإسلام اللغة العربية، فكان الكثير ممن يتكلمون أو يجيدون الحديث باللغة العربية إلى جانب لغتهم الخاصة[2].

ارتبطت تيهرت أيضا بعلاقات تجارية مع مصر خاصة و أن حدود الرستميين كانت تصل شرقا إلى سرت و وجد في مصر الكثير من الإباضية و قد أعجبت مصر بحضارة الرستمين و عدل أئمة تيهرت، لذلك فقد تدفقت القوافل التجارية نحوها محملة بالسلع الرستمية[3] ، و من جهتها كانت قوافل تيهرت التجارية تجوب صحراء سرت ذهابا و إيابا بين المدن الرستمية في المغربين، الأوسط و الأدنى و بين مصر محملة بالسلع، و قد كانت هذه القوافل تؤمن من طرف الأئمة الرستميين، فكانوا يرسلون إليها قادة يجيرونها، مثلما قام به أبو حاتم لحماية قوافل آتية من المشرق[4] و قد كانت القوافل التجارية تأتي من بغداد و البصرة إلى بلاد المغرب، مارة بالأنبار و هيت والرقة و حران و الرها و حلب ودمشق و الإسكندرية، و منها إلى برقة ثم إلى تيهرت فباقي المدن الرستمية.

ثالثا- نظام المبادلات التجارية:

و قد استخدمت تيهرت الرستمية عددا من النظم في تجارتها الخارجية نميز منها:

1-النقود: خدمت النقود الحركة التجارية و سهلت عملية التبادل التجاري و لم يكن اختلافها بين الدول الإسلامية عائقا، إذ أن نفوذ دولة ما كانت مقبولة في الدول الأخرى، و لعل ما يؤكد هذا هو تلك النقود التي بعث بها محمد بن عبد الرحمن أمير قرطبة، و التي قدرت بمائة ألف درهم، إلى الإمام أفلح بن عبد الوهاب[5] و كذلك دفع زيادة الله الأغلبي بكيس فيه ألف دينار إلى الخليفة المأمون، و كانت هذه الدنانير مضروبة باسم — إدريس—.

1 - ابن بطوطة: المصدر السابق، ص67.

2- محمد عيسى الحريري:المرجع السابق، ص213، صلاح الدين المنجد: المرجع السابق، ص62.

3- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص 573، محمد عمرو الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 99.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص91.

5- ماريا حبسوس: المرجع السابق، ص 71.

و بهذا فلعل المرجح في مسألة قبول النقود الأجنبية، اختلاف السكة في الوزن، فالتجار كانوا يحبذون وزنا لا عددا، و كان لزاما على التاجر، أن يحمل نقوده معه في ترحاله، و هذا ما يعرضه للغزو و قطاع الطرق، إلا أن هذا الأمر خفت حدته بوجود الصيارفة[1].

2-الصيارفة: أشار ابن الصغير إلى وجود الصيارفة في تيهرت و منهم أبو محمد الصيرفي في القرن الثالث، و هي دلالة كافية و شافية على وجودهم بتيهرت، و الأوساط التجارية[2] حيث أن المصرفي كان له ضلع كبير فهذه المهنة – الصرف و الصيرفة- تدل على وفرة السائل النقدي وتنوعه، الأمر الذي يطلبه صيارفة لاستبدال العملات ببعضها البعض، أو تقييم أوزان بعضها الآخر، و فرز المغشوش منها عن صحيحها[3] و هذا يمثل أرقى مظاهر النشاط التجاري و التقدم الاقتصادي و قد استفادت تيهرت خاصة و الرستميون عامة اقتصاديا و اجتماعيا من تجارتهم مع السودان خاصة أنهم أفادوا العالم الإسلامي، و ساهموا في تزويده بالمعدن الثمين و بهذا جنى الرستميون أطيب الثمار، حينئذ ذكر ابن الصغير، أن سكان تيهرت علت وجوههم سماء الحضارة و الرفاهية، و بدت في محياهم آثار النعمة و الغنى و لعل ما زاد في هذا الازدهار الاقتصادي، هو صك الأئمة الرستميين للعملة[4]، و مساهمتها في إنعاش الأحوال الاقتصادية، ضف إلى موقعها الجغرافي، إذ تعتبر جسرا و معبرا و ملتقى القوافل التجارية[5] من جميع الجهات، حيث أنها كانت تستورد السلع والبضائع من بلاد معينة، لتصدرها إلى بلاد أخرى، فلم يكن الذهب المجلوب من بلاد السودان، يستقر كله في تيهرت و المغرب الأوسط و مثله العبيد، بل كان يعاد تصدير بعضه إلى الخارج، وتتحقق فوائد و أرباح من وراء ذلك.[6]

إن ما تستشفه من خلال تعرضنا لمظاهر العلاقات و المبادلات التجارية بين تيهرت والدول المجاورة لها هو على الرغم من سوء العلاقات السياسية بين تيهرت و سجلماسة، و بين بغداد والقيروان و فاس، إلا أن قوافل التجار كانت تجتاز بلاد المغرب إلى سجلماسة التي غصت

1- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 236.

2- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 38، ص 39.

3- نفسه، ص 39.

4- نفسه، ص 39.

5- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 212.

6- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص 245.

بالعراقيين من بغداد و الكوفة و البصرة، و كانت هذه القوافل تحمل السلع إلى هذه البلدان، ثم تعود محملة بالمتاجر السودانية في صحبة أهل سجلماسة و بالتالي انتقل إلى تيهرت أهل الأموال والتجار من مصر و افريقية و المغرب[1] و وفد إليها جماعة من الأندلسيين، و سكنها التجار المسيحيين[2] ، و المسلمون و اليهود و أصحاب المذاهب و السنية و المعتزلة و غيرهم[3] بحيث أقاموا فيها، فكانت لهم منازلهم و مساجدهم و فنادقهم و أسواقهم[4].

لقد كانت لتيهرت قوافل منظمة إلى السودان، و غيرها من الأقطـار الشـرقية كمصـر وغيرها، تذهب معبأة بالصادرات و ترجع مثقلة بالواردات[5] ، و كانت تيهرت موصولة بشـبكة من الطرق التجارية لكل الجهات، فازدهرت التجارة و الصناعة فيها كل الازدهـار، فأهملـت القيروان و غيرها من قواعد المغرب فصارت هي السوق العالمية في افريقية[6].

و بهذا عرفت التجارة الخارجية ازدهارا واسعا عاد على تيهرت و الدولة الرستمية عموما بالرخاء الاقتصادي و الاستقرار و الرقي التجاري.

1- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص 35.

2 - A. laraoui: l'histoire du maghreb, op. cit, p 104.

3- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 35.

4- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 207.

5- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص 281.

6- نفسه، ج3، ص نفسها.

الفصل الثالث

المظاهر العمرانية و الفكرية في تيهرت الرستمية

المبحث الأول: خطط المدينة و تطورها

المبحث الثاني: البنية العمرانية لمدينة تيهرت

المبحث الثالث: الحياة الدينية و الفكرية في تيهرت

المبحث الرابع: معالم تأثر و تأثير تيهرت الحضاري

المبحث الأول: خطط المدينة و تطورها

أولا- تطور مدينة تيهرت قبل العهد الرستمي:

مرت مدينة تيهرت بمراحل عديدة منذ نشأتها، وعبر مراحل تاريخها القديم والوسيط لأن تيهرت من أقدم مدن المغرب الأوسط، عرفت الاستقرار البشري منذ العصور القديمة[1]، ويتضح ذلك من خلال الحفريات و الأبحاث التي أجريت عليها من قبل بعض الباحثين الغربيين على وجه الخصوص، ومنها:

*حفرية جورج مارسيه و دوسوس لامار[2]:

لقد قاما بها عام 1941 و أسفرت عن اكتشاف مباني و مطامير و قطع فخارية وخزانات للمياه، كما أعطت لنا تخطيطا لقصبة الأمير، إلا أنها كانت أبحاثا سطحية لم تكن نتائجها كبيرة من الناحيتين التاريخية و الأثرية حيث اتجهت إلى وصف و جرد ما عثر عليه.

*حفرية كدنا[3] Cadenat:

عرفت هذه الحفرية جدية أكثر وشمولية، قام بها كدنا سنة 1979 وعمد إلى سبر في مناطق مختلفة من الموقع، بعدد 5 أسبار شمل إثنان منها الجانب المعماري، حيث أعطى لنا تخطيطا لما تحصل عليه من بقايا معمارية بينما شمل الثلاث الباقية الجانب الصناعي، أي الأفران والقطع الفخارية مع بعض من الأدوات التي عثر عليها وكمية قليلة من النقود، وكانت دراسته أكثر دقة حيث حاول دراسة كل نوع على حدى من مبان إلى فخار وزجاج وحلي، و لكونه مختصا في مراحل ما قبل التاريخ فلم يتمكن هذا الباحث من إعطاء تحليل كاف، و اقتصر على الوصف والإحصاء فقط.

---

1 - مختار حساني: المرجع السابق، ص285.

2 - G.Marcais et L.Dessus : Tahert Tagdamt, Revue Africaine, tome XI , 9eme année, Alger, 1946, p – p 26- 56.

3 - P.Cadenat : recherche à Tihert Tagdemt, Bulletin d'archeologie Algerienne, T. VII, 1977- 1979, p – p 393- 463.

*حفرية تريبزي[1] Tribuzi:

قام بها سنة 1979 ضمن أبحاث عن الأماكن المحصنة في الجزائر في القرون الوسطى، فكانت تيهرت أول موقع حظي بهذه الأبحاث، وكانت هذه الحفرية أكثر دقة و موضوعية من سابقاتها لاستعمالها الوسائل الحديثة و تحديد موضوع البحث الذي اقتصر على العمارة الرستمية في تيهرت الرستمية، اعتمد الباحثون في هذه الحفرية على الخرائط و الصور الجيولوجية، فتوصلوا إلى تحديد القصبة معماريا وإعطاء وصف لكل جانب مع وضع بعض الفرضيات بالنسبة للأسوار والمواد المستعملة، ولقد أعطتنا هذه الحفرية معلومات مهمة عن هذا الموقع، خاصة الجانب العسكري[2].

وهذا ما جعل بعض الرحالة يرجعونها إلى عصر العماليق من خلال بقايا لعظام بني آدم طول قصبة الساق 6 أشبار دون المفاصل، وبها رؤوس تحتوي على بعض الأضراس، الضرس منها أكبر من ثلاثة أشبار و وزنها ثلاثة أرطال[3]، وعلى الرغم مما نجده في هذا النص من مبالغة في وصف تلك العظام، إلا أنه يؤكد لنا أن تيهرت عرفت استقرارا للسكان منذ العصور القديمة، فقد تم اكتشاف نقوش صخرية و هي بقايا قطع قديمة على امتداد نهر واصل أو نهر مرجيجة وكدية بوغرارة وسيدي الحسني تعود للعصر الحجري القديم[4]، كما تم اكتشاف قطع قديمة استعملت لأغراض متعددة منها الكاشطات و النحاتات و أدوات الصيد إضافة إلى بقايا الإنسان البدائية في عدة مناطق كسيدي الحسني، قرطوفة، دحموني تعود للعصر الحجري الوسيط[5]، وتم أيضا اكتشاف منحوتات صخرية بكاف بوبكر تعود للعصر الحجري الأخير (أو الحديث8000 ق.م)[6].

فالآثار القديمة التي تم اكتشافها تعود إلى العهد النيوليتيكي وهي عبارة عن نقوش على الصخور على بعد بضع كيلومترات شرق المدينة والتي تشبه النقوش التي وجدت في فزان جنوب

---

1 - S.Tribuzi et autres : Les places fortes de L'Algerie mediévale, centre de recherche en architecture et en urbanisme, Alger, 1978- 1979.

2 - و للإشارة فإن موقع تيهرت عرف بعض المحاولات للبحث، إلا أنها ارتبطت أكثر بالفخار لاتجاه الباحثين في دراسة الفخار دون الآثار الأخرى.

3 - مختار حساني: المرجع السابق، ص285.

4 - الموقع الإلكتروني: 2004/2005 www.univ- tiaret.org

5 - الموقع الإلكتروني نفسه.

6 - أحمد سليماني: المرجع السابق، ص185.

المغرب، وهي عبارة عن صور لحيوانات منقرضة حاليا، أو انتقلت لمناطق أخرى، و تجمعات بشرية تعبر عن طقوس دينية اعتقادية بدائية[1]، وفي منطقة قرطوفة على حافة الطريق إلى مستغانم، يوجد أحد أهم المواقع الأثرية، وهو عبارة عن صخرة ضخمة مسطحة بها ثلاثة أحواض تتصل فيما بينها بسواق يطلق عليها صخرة القربان أو النصب الحجري القديم[2].و من أهم العهود التي عاشتها تيهرت قبل الرستميين:

أ/العهد الروماني:

أما الرومان فحصنوا الموقع و أسسوا فيه قلعة في أعالي المدينة، سميت تينغارتيا الذي يعتقد أنه كان مقاطعة أسقفية بين القرنين الرابع و الخامس الميلاديين، و كان الرومان يسيطرون على هذه المناطق و المواقع الحساسة لتكون نقطة لانطلاق توسعاتهم العسكرية[3]، لأنها من المراكز الهامة و الحصون المنيعة، فكانت تتميز بعلو أسوارها، وهذا ما حال دون السيطرة عليها من قبل عقبة بن نافع في المرة الأولى[4].

وفي بداية القرن الثالث الميلادي و بالضبط في عهد الإمبراطور سيبتيم سيفير[5] تحققت السيطرة الرومانية و ما يؤكد ذلك، اللوحة الحجرية التي تحمل كتابات رومانية تعبر عن إهداء إلى إله الرومان من طرف فيروس[6].

و في بداية القرن الخامس الميلادي كان الإجتياح الوندالي لشمال إفريقيا، ورغم عدم وجود أدلة على هذا الإجتياح للمنطقة، لكن من المؤكد أن هذا التحول لم يكن بدون آثار

1 - حبيب خنفار: المرجع السابق، ص4.

2 - نفسه، ص نفسها.

3 - M.Fabre : note sur la ville romain de tiaret, société géographique d'archéologie la province d'oran, fondée en 1878, tome22, 1902, p.46.

4 - مختار حساني: المرجع السابق، ص285.

5 - هو امبراطور روماني، حكم في الفترة ما بين 161م- 180م، لقب بالإمبراطور الفيلسوف لتأليفه (التأملات الفلسفية) أو (مناجاة النفس)، عبد اللطيف أحمد علي: الإمبراطورية الرومانية، طبعت بمكتب كريديه إخوان، 1976 ، ص 317.

6 - إسمه ليكويس فيروس و شقيق سيبتيم سيفير بالتبني و عهد إليه بقيادة الحرب ضد بارثيا، عبد اللطيف أحمد علي: المرجع نفسه، ص319.

تدميرية و تخريبية لهذا الإقليم[1]، و في منتصف هذا القرن (533م) تمكن اليونانيون من طرد الوندال في عهد بيليسير[2]، و لكنهم لم يحكموا سيطرتهم على المنطقة مما سمح بظهور ممالك بربرية و التي ما زالت قبورهم بالمرتفعات القريبة من تيهرت هي التي تعرف بالأجدار[3].

و أهم ما توصلت إليه الباحثة فاطمة قدرية قادرة، أن في القرن الخامس الميلادي كانت حدود السيطرة الوندالية و البيزنطية مجهولة و غير محددة و محدودة، خاصة بعد تراجع السيطرة الرومانية و استقلال مناطق كثيرة مثل نوميديا الغربية و موريتانيا في سطيف و موريتانيا القيصرية و أغلب منطقة تينجيتان، كانت خارج السيطرة الوندالية[4].

و من المؤرخين الذين تحدثوا عن الممالك البربرية المؤرخ بروكوب[5] الذي أرخ للحملات التي قام بها البيزنطيون ضد القبائل البربرية بعد نهاية التواجد الوندالي، و حسب المؤرخ بروكوب فإن المملكة التي عرفت إنجازات معمارية هي مملكة ورسنيس أي الأجدار حاليا و كانت تحت حكم ماستيناس أو ماستيغاس[6]، و جاء بإسم ماسيناس قائد قبائل موريطانيا[7].

و يجمع الكثير من الباحثين على أن مدينة فرندة[8] كانت حصنا رومانيا إلى جانب قلعة

---

1 - حبيب خنفار: المرجع السابق، ص6.

2 - هو جنرال بيزنطي: كان قائدا للجيش في عهد جوستينيان الأول الذي أرسله على رأس حملة عسكرية سنة 533م إلى شمال إفريقية ضد الوندال، عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص319.

3 - على بعد 15كلم شرق مدينة فردة، و هي مشتقة من الجدار أو الجدران، و أول من استعمل هذه التسمية هم المكتشفون العسكريون الفرنسيون منذ سنة 1843، ينظر: Fatima Kadaria Kadra : les djedars Monuments Funéraire berbères de la région de frenda O.P.U.1983.p8.

4 - Ibid, p – p 7- 8.

5 - هو مؤرخ بيزنطي إسمه بروكوبيوس، عاش ما بين500 و 562م، مؤلف كتاب"تاريخ حروب جوستنيان"، ينظر: G.pascal : Nouvelle Encyclopédie Bordas, T.2,Ed, Bordas, paris, 1985, p4472.

6 - F.Kadaria Kadra : op.cit, p – p 354- 355.

7 - Ernest Mercier : histoire de L'afrique septentrionale (berbéris) depuis les temps les plus recules jusqu a la conquete Française, T1, Ed Ernest leroux, 1888, p 151.

8 - فرندة: تقع على بعد 45كلم غرب تيهرت، و هي كلمة بربرية مركبة من "إفرن" بمعنى اختبئ و كلمة "دا" بمعنى هنا أي اختبؤوا هنا أو تعود إلى كلمة "إفري" بمعنى المغارة أو المغارات، حبيب خنفار: المرجع السابق، ص9.

تاوغزوت[1] و حصون أخرى في إطار استراتيجية دفاعية عن مدينة سبيبة[2] الرومانية القديمة.

ب/العهد الإسلامي:

وصل الإسلام إلى المنطقة على يد الصحابي الجليل عقبة بن نافع –رضي الله عنه– بعد استعادة ولايته سنة 62هـ/682م، حيث صمم العزم على إتمام الفتح، فتوغل في شمال شرق البلاد و استولى على لميس ثم بغايا، ثم تيهرت[3]، و يقول الشيخ الدباغ في هذا الصدد:"و كان بها حصن بيزنطي قديم اقتتل فيه العرب و الروم و الأفارقة و انتصر المسلمون و فتحت تاهرت و نزل بها الصحابي الجليل عقبة بن نافع و منها اتجه نحو تلمسان و المغرب الأقصى"[4].

و من بين الذين تعرضوا لهذه المعركة، المالكي الذي قال:"أنه عندما وصل عقبة من تيهرت استغاث الروم بالبربر فأجابوهم و ناصروهم"[5]، و عندما توافدت قواهم على حصون البيزنطيين، قام عقبة بن نافع و قال:"إن أشرافكم و أخياركم الذين رضي الله تعالى عنهم و انزل فيهم كتابه بايعوا إلى يوم القيامة و هم أشرافكم و السابقون منهم إلى البيعة باعوا أنفسهم من رب العالمين بيعة رابحة و أنتم اليوم في دار غربة، و إنما بايعتم رب العالمين و قد نظر إليكم من مكانكم و لم تبلغوا هذه البلاد إلا طلبا لرضاه و اعتزازا لدينه بها أبشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم و أذل إن شاء الله تعالى"[6].

أما الرقيق القيرواني فيستعرض أحداث هذه المعركة بقوله:"لما بلغ الروم خبره (أي مقدم عقبة بن نافع) استعانوا بالبربر فأعانوهم و نصروهم غير أنهم لم يكن لهم بقتالهم من طاقة فولوا

---

1 - تاوغزوت: من أهم المعالم الأثرية في المنطقة، استعملها الرومان كحصن أو قلعة في عهد الإمبراطور سيبتيم سيفير وكانت خلوة بن خلدون فيما بعد، ينظر، عبد اللطيف أحمد علي: المرجع السابق، ص321.

2 - هي "عين سبيبة": كانت أحد الطرق الحدودية المتقدمة للرومان، تمر من جنوب منطقة بوغار في المدية حتى كولوماناتا حاليا سيدي الحسني في شمال شرق تيارت و تمر جنوب هذه المدينة إلى نواحي فرندة أين يوجد حصن عين سبيبة أو أوبيدوم سان و معناها المكان المحصن أو المدينة المحصنة، ينظر، حبيب خنفار: المرجع السابق، ص10.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص123، عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص128.

4 - الدباغ: المصدر السابق، ج1، ص35، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص130.

5 - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص26.

6 - نفسه، ج2، ص136.

هاربين فقتلهم قتلا ذريعا و فر جميع الروم من المدينة (أي تاهرت) و قتلوا حيث أدركوا"[1].

إن وجود تجمعات سكانية رومانية قبل مجيء العرب الفاتحين دفع بعض المؤرخين إلى ترجيح وجود إمارات بها مثلما ادعى المؤرخ "كاركوبينو" وجود أسرة حكمت ناحية تيهرت في القرنين 5 و 6 الميلاديين و التي استدل على اعتناقها النصرانية بمعالم ثلاثة عشر جدارا (أي قبرا) في التعبير المحلي[2]، و لقد كانت تابعة لإمارة وهران التي تعتبر تيهرت امتدادا لها، ذلك أن تلك الأجدار كانت بها علامات تدل على نصرانية أهل ذلك الزمان حيث تحمل إسم الماصونة و هذا الإسم قريب من ماسينيسن و يحتمل أن يكون قد أصبح لقبا بعد أن كان إسم شخص[3].

نستنتج أن مدينة تيهرت عرفت استقرار الإنسان منذ أقدم العصور ابتداءا من ما قبل التاريخ من خلال الصور الجدارية لكاف بوبكر إلى الفترة الإسلامية مرورا بالفترة القديمة من خلال آثار سيدي الحسني، عين السبيبة...تاركة لنا مواقع عديدة ترجع إلى هذه الفترات، و لقد اعتبرت فترة الفتح الإسلامي هي الفترة الحاسمة في بروز المنطقة على مسرح الأحداث بشكل لافت إلى تاريخ هذه المنطقة.

ثانيا- أصل التسمية و معانيها:

لقد عرفت مدينة تيهرت[4] تسميات عديدة تناقلتها المصادر التاريخية و المراجع من أهمها اسم تيهرت[5] و هو السائد في معظم المصادر، و نجد أيضا اسم المعصومة و القصبة، و أطلق عليها

---

1 - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص- ص 43- 44.

2 - عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط5، 2000، ص51.

3 - نفسه، ص113.

4 - لقد اختلف المؤرخون في كتابة هذا الإسم فهناك من يكتب "تاهرت" كالبلاذري و اليعقوبي و ابن حوقل و الإدريسي و ياقوت الحموي و ابن خلدون، بينما يرى البعض أنه من الأصح كتابتها "تيهرت" و من أشهرهم البكري و ابن الصغير الذي عاش في الدولة الرستمية، يقول أبو الفداء في ذلك:"و في خط ابن سعيد عوض الألف ياء مثناة من تحت و هو الأصح عندي لأن ابن سعيد المغربي فاضل"، تقويم البلدان، تصحيح رينود و آخرين، دار الطباعة السلطانية، ص138، باريس، 1840، أما جورج مارسيه و دوسوس لامار فيرجحان إسم "تاهرت".من خلال هذا العرض و باعتبار ابن الصغير من المصادر الأولى للدولة الرستمية، نرجح أن يكون إذن اسم "تيهرت" أصح من اسم "تاهرت".

5 - أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص88.

أيضا اسم أم العسكر[1] و العسكر المبارك، و قلعة عبد الرحمن أما في فترة عبد الوهاب بن عبد الرحمن فسميت بالعسكرية[2]، و يقول الشماخي:"و كانت تيهرت مدينة عظيمة بناها عبد الرحمن بن رستم في موضع مربع، لذا سميت تاقدمت و تفسيرها الدف"[3]

نشير إلى أن اسم تيهرت الذي عرفت به المدينة اختلف الباحثون في أصله و معناه الحقيقي، و تضارب العلماء في مصدره و إلى أية لغة يمكن ارجاعه، فذهب الباحثان إليس راكلس و ماك كرتي[4] أن تيهرت كلمة بربرية و تعني بالنسبة له "محطة" و قد يكون لهذا التعريف صلة بوجود محطة قطار تعود للفترة الإستعمارية أو لكونها مثلت محطة و ملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف الإتجاهات من تونس شرقا و من فاس و تلمسان و غيرها غربا و الصحراء جنوبا، ولا شك أن تيهرت لعبت هذين الدورين منذ العهد الروماني فالرستمي حتى يومنا هذا، و هما يشيران بوضوح إلى دور تيهرت التجاري بين الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب[5]، بينما الأب دوفوكو[6]، فيرى أن كلمة تيهرت جذرها بربري وهو "إهر و يعني "سد الفتحة" في حين يلاحظ بلكران[7] أن كثيرا من أسماء مدن الجزائر هي مؤنث لأسماء حيوانات فاسم الأسد يوجد في البربرية في حالتين جذرهما (آر) و بجمع (إرن) - (إرد) وبجمع (إردن) تأنيثه (ترت) أو تيهرت قد يكون لهذا التفسير علاقة مع الأسطورة التي تذكر أن عند تحضير الأرض للبناء "نادى مناد بسباعها ووحوشها و هوامها أن أخرجوا فإنا أردنا عمارة هذه الأرض فأجلوها ثلاثة أيام[8]، و بلغنا أنهم رأوا وحوشها تحمل أولادها خارجة بها منها و قيل رأو لبؤة حاملة أولادها خارجة منها فقد يكون لهذه الأسطورة أثرها في تفسير بلكرن خاصة إذا علمنا أنه التفسير المتداول بين الناس حاليا في المنطقة و غيرها لذا رجحنا هذا التفسير عن غيره، لكن مهما يكن من أمر فإن المدينة عرفت

---

1 - G.Dangel : op.cit, p246.

2 - Ibid : p246.

3 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص- ص 146- 147.

4 - أنظر (نقلا عن الباحثين): Brahim Zerrouki : L'imama de tahert, p28.

5 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص90، علي كبريت: المرجع السابق، ج1، ص61.

6 - أنظر نقلا عن (Père de Foucault): Brahim Zerrouki : Idem

7 - Pellegrin.A : Essai Sur Les Noms des Lieux D'Algerie, p 49.

8 - أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص53.

شهرتها بعمارتها و ازدهارها لا بما تحمله من معان لأسمائها، فابن خلدون مثلا ذكرها بتاهرت دون أن يعلق على هذه الصيغة و كذلك الأمير عبد القادر ما عدا مرتين باسم تيارت[1]، أما ابراهيم بحاز و هو من المحدثين فيرى أن الصيغة الصحيحة هي تيهرت و أنها حرفت بمرور الزمن[2].

ثالثا- بناء المدينة تيهرت:

عرف المغرب وضعية سياسية حادة فرضت على الإباضية إقامة مدينة تكون حرزا و حصنا لهم، فخرجت طائفة من مختصي علم الأرض ليرتادوا موضعا صالحا لإنشاء هذا المشروع الكبير المتمثل في بناء مدينة خاصة بهم فاختارت موضع تيهرت، و لا يوجد هناك تاريخ محدد لبناء هذه المدينة، رغم أن بعض المصادر قد جعلت من سنة 144هـ[3] ابتداء بنائها، و ذكر الرقيق القيرواني أن عبد الرحمن قد وصل تيهرت منهزما ما إثر حصار طبنة[4] سنة 154هـ/771م[5]، و هذا يعني إما أنها كانت قائمة في هذا التاريخ أو أنه يقصد أن عبد الرحمن قد وصل إلى حيث قامت

1 - تيارت: هي تسمية حديثة بدأ في استعمالها منذ الفترة الإستعمارية الحديثة و هي نطق لهجي جاء من الكتابة الفرنسية للكلمة حيث كانت على النحو التالي (Tiharet)، و حيث أن (H) لا تنطق عند الفرنسيين، لذا كان نطقها لديهم تيارت، فأخذ الجزائريون عنهم هذا النطق بسبب المعاملات الإدارية و الإستعمارية و الكتابات على الألواح و الإعلانات، ينظر، علي كبريت: المرجع السابق، ص61، حبيب خنفار: المرجع السابق، ص3، و يذكر الباروني أنه رأى عملة نحاسية صغيرة لا إتقان في نقوشها فوقها ورقة فيها هكذا (تاقدامت1255) و بجنبها ورقة أخرى فيها إسم الأمير عبد القادر... و قد بنى بتيهرت بعض بناء لما نوى أن يجعلها مركزا لحكومته، و لم يطل أمره و لعله ضرب تلك العملة، ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص36.

2 - ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص81 ، أحمد بوزيان، تيارت عاصمة الدولة في عهد الرستميين، عهد بني توجين، عهد الأمير عبد القادر، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص- ص 12- 13.

3 - حيث يقول البكري: في صفر سنة أربعة و أربعين و مئة هرب عبد الرحمن بأهله...و اتفقوا على تقديمه و بنيان مدينة تجمعهم، فنزلوا موضع تاهرت اليوم"، البكري، المصدر السابق، ص68.

4 - طبنة: هي أعظم مدن الزاب القديمة، سكنها أخلاط من قريش و العرب و العجم و الأفارقة و الروم، و كان أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي هو الذي جدد بناءها حوالي سنة 153هـ، ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق، ج5، ص31، اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص89.

5 - ابراهيم الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص143.

تيهرت فيما بعد[1]، لكن المؤكد أن هذه المدينة تأسست في سنة 160هـ، أي السنة التي تم فيها انتخاب عبد الرحمن بن رستم إمام على رأس الدولة الرستمية[2].

و كانت المنطقة كما تشير إليها المصادر عبارة عن رياض لا عمارة فيه[3]، فحضر الموقع للبناء حيث تسرد علينا المصادر الإباضية أسطورة ارتبطت ببناء مدينة شأنها شأن المدن الإسلامية في تلك الفترة و هي قصة عجيبة أشبه بقصة عقبة بن نافع[4] في بناء القيروان، حيث كان موعدها موضعها مليئا بالأشجار الكثيفة يسكنها أنواع السباع و الوحوش[5]، حيث يذكر الدرجيني أنهم لما أرادوا عمارتها أمروا مناديا ينادي بسباعها و وحوشها و هوامها أن اخرجوا فإنا أردنا عمارة هذه الأرض فأجلوها ثلاثة أيام و بلغنا أنهم رأوا وحوشها تحمل أولادها خارجة بها منها[6].

هذه الرواية تشبه إلى حد كبير أسطورة بناء القيروان ، و الأمر المقبول أن الإباضيين قاموا بتنظيف المكان فأشعلوا النيران من أجل حرق الأعشاب و الأشجار و ربما كان ذلك سببا معقولا لهروب السباع والحيوانات المفترسة، فأحرقت الأشجار و جعلوا في جذورها الحيس فجاءتها الخنازير ليلا مقتلعة لتلك الجذور من أجل أكل الحيس، و هكذا حضرت أرضا لعمارتها[7].و ينفرد البكري دون غيره بذكر أن الإباضية في أول الأمر قرروا عمارة تيهرت العليا أو القديمة، إما

---

1 - و هذا ما نفهمه من خلال كلام البكري:"...و نزل عبد الرحمن موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقالت البربر: نزل تاهرت وتفسيره الدف لتربيعه"، أي أن إسم تيهرت لم يكن موجودا قبل نزول الإمام بهذا المكان بل كان إسما لتيهرت القديمة، البكري: المصدر السابق، ص68، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص36.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 40- 41.

3 - البكري: المصدر السابق، ص- ص 67- 68.

4 - عقبة بن نافع: هو عقبة بن نافع الفهري، بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف مقاتل فافتتحها و اختط القيروان، وكان موضعها غيضة لا ترام من السباع و الحيات، فدعى الله تعالى فبدؤوا يخرجون منها بأولادهم من الأوكار و من ثم قام ببنائها وبقي فيها حتى غزا أقواما من البربر و الروم فقتل شهيدا رضي الله عنه، ابن الكثير: البداية و النهاية، المصدر السابق، ج8، ص217.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص139، محمود السيد: المرجع السابق، ص147، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص37، أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص20، و أيضا: Abdallah laroui : L'histoire du magreb (un essai de synthese) tome1, petite collection maspero, paris 1976, p104.

6 - الدرجيني: المصدر السابق، ص140، أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص39، الشماخي: نفسه، ص نفسها.

7 - البكري: المصدر السابق، ص67.

لتوسيعها أو تحصينها، فكانوا كلما بنوا ليلا وجدوه قد تهدم في الصباح فعزفوا عن ذلك الموضع و توجهوا إلى تيهرت السفلى أو الحديثة على خمسة أميال جنوب غرب القديمة[1]، و هكذا أجاب البكري عن تساؤلات عديدة عن سبب عزوف بن رستم عن تيهرت القديمة خاصة و أنها توفر له وقتا أقل و موقعا محصنا.و لما استوت الأرض فكروا في البداية في تأسيس المسجد الجامع فاقترعوا لذلك أربعة مواضع و شرعوا في بنائه[2]، ثم أختطوا المدينة دورا و قصورا و بيوتا[3].

فكان المسجد من أربع بلطات و قطعوا خشبه من تلك الشعراء[4]، و قاموا ببناء المدينة من الخشب و الطين و غرس البساتين و إجراء الأنهار و غير ذلك[5]، و اتسعوا في البلاد و تفسحوا فيها، و أتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاصي الأقطار ، فقلما ينزل بهم أحد من الغرباء[6] إلا استوطن معهم، و ابتنى عندهم لما يرى عندهم من رخاء البلد و حسن سيرة الإمام وعدله في رعيته و أماناته على نفسه، و لعل ما دل على ذلك الديار من مختلف الربوع، فنجد هذه الدار لفلان كوفي و أخرى لفلان بصري و تلك لفلان قروي[7]، و لهذا أصبحت في فترة وجيزة مدينة عامرة بالناس متجهة نحو التطور و الازدهار.

و ما يلاحظ عدم وجود دار الإمارة حيث أن الوفد البصري عندما قدم إلى المدينة حاملا الإعانات، استقبله عبد الرحمن بن رستم بالجامع عوض دار الإمارة[8]، و لكن إذا تصفحنا المصادر

---

1 - البكري: حيث نجد عنده أقدم نص عن بناء مدينة تيهرت يقول فيه:"إن الإباضية في أول الأمر توجهوا إلى تيهرت القديمة أو العليا، و لما أرادوا بناءها من جديد وضعوا صورا لها فكانوا كلما بنوا شيئا في الليل وجدوه قد تهدم في الصباح، فقاموا ببناء تيهرت الحديثة التي تقع على بعد خمسة أميال من القديمة غربا"، البكري: المصدر السابق، ص67.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص139، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي: المرجع السابق، ج2، ص298، الباروني: المرجع السابق، ص37.

3 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص196، ابن الصغير: المصدر السابق، ص29، الشماخي: نفسه، ص نفسها.

4 - الشعراء: شجر الحمض و هو كل شجر مالح أو مر في طعمه و ضرب من الخوخ جمعها كواحد، فقول لا شعراء فيه أي لا شجر فيه، ينظر هامش سليمان البارونيك المرجع السابق، ج2، ص36.

5 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص32.

6 - محمد برمضان شاوش و بن حمدان الغوتي: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر من الفتح العربي إلى عصرنا، ج1، حي داود بريكسي للإشهار، الكيفان، ط1، تلمسان 2001، ص26.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص13.

8 - نفسه، ص29.

التاريخية، نجد أن هناك بعض المؤسسات التي عرفتها المدينة كالقصبة المشرفة على السوق المسماة "بالمعصومة"[1]، بينما ذكر هذا الاسم في بعض المصادر على أنه اسم المكتبة، إلا أن اليعقوبي و بن الصغير المؤرخان القريبان من الدولة الرستمية لم يذكرا اسم المعصومة و لا القصبة و هذا ربما راجع لمجيء هاتين المؤسستين في وقت لاحق.

إن بناء مدينة تيهرت عرف إشكالية مفادها: هل بنيت على أرض بكر أو فوق بقايا رومانية؟ و ذلك على الأقل حسب آراء المستشرقين الذين يرون أن المدينة موجودة على آثار رومانية أو أنها بنيت على آثار مترل ريفي روماني في المنطقة، و ذهب ليون روش إلى القول أن قصبة الأمير عبد القادر بنيت على أنقاض آثار رومانية بينما سجين الأمير N.M de france [2] لم يذكر أن الأمير بنى على آثار رومانية و هذا ما لا يهمله إذا صح ذلك الكلام، و ما يمكن قوله أن كل المصادر التاريخية تذكر أن الموقع كان عبارة عن غابة أو رياض لا عمارة فيه، و تحضير الأرضية بحرق الغابة و نزع جذورها و بناء أول مؤسسة في المدينة و هي المسجد.

أما الشيء الذي أدى بالمستشرقين إلى هذا الإدعاء فلكون المنطقة تزخر بمواقع أثرية رومانية ومنها تيهرت القديمة، بينما تيهرت الحديثة أو "تاقدامت"[3] ليس بها بقايا رومانية، لذا نعتقد أن هناك خلطا بين المدينتين، و أمام ضعف أدلة الباحثين المستشرقين و إجماع المصادر المتوفرة لدينا نتأكد بأن عبد الرحمن بن رستم بنى على أرض محضرة، ليكون بها ثاني مدينة إسلامية بالمنطقة بعد القيروان و التي أخذت شهرتها و مكانتها عبر مر العصور لتستقطب إليها القريب و البعيد من كل حدب وصوب.

---

1 - البكري: المصدر السابق، ص68، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص27.

2 - نقلا عن ليون روش: G.dangel : op.cit, p – p 242- 243.

3 - تاقدامت: أي قديمة و عتيقة على حد قول الحسن الوزان:"مدينة –تاقدمت– قديمة جدا"، حسن الوزان: المصدر السابق، ص– ص 40- 41.

رابعا- أهمية موقع تيهرت و أسباب اختياره:

لقد طرح العديد من المؤرخين عدة أسئلة لم تجد لديهم الرد اللازم عليها و المتعلقة أساسا بأسباب اختيار عبد الرحمن بن رستم لتيهرت دون غيرها من المدن، و يمكننا أن نتساءل لماذا أهمل عبد الرحمن بن رستم المدينة العتيقة الواقعة قريبا من تيارت الحالية و التي كانت محصنة بقلعة و بجدارين ضخمين، و كانت تتمتع بموقع حصين ممتاز ليستقر على مسافة ثمانية كيلومترات غربي المدينة القديمة؟ فهل اختار الأمير الرستمي الأول موقعا بكرا جديدا لم يسبق إليه يؤسس فيه عاصمة آملا في تخليد ذكراه كما صنع سلفه من قبل عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان، وإدريس الأول المختط لمدينة فاس[1]، إضافة إلى ذلك أن المدينة القديمة عتيقة ليست على الهندسة الإسلامية البارعة و أن إصلاح العتيق يكون أكثر تعبا و إرهاقا من إنشاء الحديث[2]، أم كما ظن جورج مارسيه أن هذا الإختيار سببه إنشغال البال بهدف عملي هو أشبه باهتمام المهندسين المعماريين البناة للمدن الحديثة، و هو بشكل خاص أقرب إلى رغبة المسلمين المعنيين بتشييد المدن، و هي رغبة التقرب إلى الماء و تزويد سكان الحواضر، حيث كانت تيهرت غنية بالماء، و هذا ما أكدته جل المصادر التاريخية، فمثلا البكري يذكر ذلك في الفقرة التالية:"و هي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة و هو في قبليها، و نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش و منه شرب أهلها و أرضها و هو في شرقيها"[3]، و يقول اليعقوبي:"تاهرت مدينة كبيرة آهلة بين جبال وأودية...و شرب أهلها من أنهار و عيون"[4].

أما صاحب الإستبصار فيقول:"و هي على نهر يأتيها من الغرب يسمى منة و لها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس"[5]، و يقول الإدريسي:"و بمدينة تاهرت الحديثة مياه متدفقة، وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها، و لهم على هذه المياه بساتين و أشجار"[6].

1 - رشيد بوروية و آخرون: المرجع السابق، ج2، ص79.

2 - مختار حساني: المرجع السابق، ص287.

3 - البكري: المصدر السابق، ص- ص 66- 67.

4 - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص149.

5 - مؤلف مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص66.

6 - الإدريسي: المصدر السابق، ص87، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3،ص 274.

لقد ساهمت جملة من العوامل الجيولوجية و المناخية و الإجتماعية و الإقتصادية و حتى السياسية و المذهبية في اختيار موضع تيهرت دون غيره نجملها فيما يلي:

*يأتي في مقدمة تلك العوامل أن المنطقة عرفت نموا و استقرارا للسكان منذ العصور القديمة، ضف إلى ذلك أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها، فرغم أن تيهرت تقع على رأس الطريق الذي يصل منطقة التلول بأسافل وادي الشلف[1] المؤدي إلى البحر، و رغم أنها مغلقة في أعلى منطقة جبلية "تلول منداس" إلا أنها تقع على السفح الجنوبي للجبل "جبل جزول"[2] بمعنى أنها توجه أنظارها نحو الداخل و تدير ظهرها إلى البحر و هذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب و ترجو أن تعيش في أمان، كما أن موقعها ما بين جبال الأطلس جعلها تهيمن على بلاد المغرب من جهاتها الأربع[3]، فهي بعيدة عن القيروان تفصل بينهما منطقة الزاب و جبال الأوراس، و هي بمأمن من ضربات الأسطول البيزنطي لبعدها عن الساحل[4]

*و من خصائص هذا المكان أنه يمتاز بلطف و نقاوة الهواء، و خصوبة الأراضي، كما انه قابل للعمارة، مأمون عن العدو و هي شروط المدينة التي ستكون حصنا للإسلام[5]، كما أنه يتوسط التل و الصحراء، ففيه من التل خصبة و لطافة جوه، و فيه من الصحراء جوها الصحي ومناخها النقي، و الصحراء هي طريقها إلى السودان تلك الأقطار الواسعة التي ستنشر فيها الإسلام و تنقل إليها الحضارة و تتاجر مع أهلها، إن هذا المكان يتوسط الشمال و الجنوب، مما يورث لتيهرت وللدولة كلها خصائص الشمال الجميلة و ميزات الصحراء العظيمة[6].

1 - اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص197، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص20.

2 - جزول أو كزول: نسبة إلى قبيلة بربرية تدعى كزولة أو جزولة و أهم مواطنهم أرض السوس و موزعون بين القبائل في المغرب الأوسط و ينسب إليهم جبل كزول القريب من تيهرت، ينظر، بوزياني الدراجي: القبائل البربرية، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2000، ص- ص 167- 171، سعد زغلول: المرجع السابق، ج2، ص 291، ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، م2، ص

3 - عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص166، مختار حساني: المرجع السابق، ص286.

4 - آرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في البحر الأبيض المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مطبعة مصر، القاهرة،ص162.

5 - ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص30، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 5- 6.

6 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص266.

*لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى قبيلة لماية، كان بدافع مذهبي إذ تعد لماية من أهم القبائل الإباضية في المغرب الأوسط آنذاك، كما كان يرغب عبد الرحمن بن رستم من خلال اختياره لهذا الموقع في السيطرة و التحكم في القبائل الصحراوية البدوية[1]، خاصة و أن تيهرت تقع في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة[2].

*وقوع تيهرت على طريق القوافل التجارية المارة من و إلى المشرق و السودان، لعب دورا في اختيارها، فهي تتوسط قبائل الناحية مما جعل منها سوقا تقصدها القبائل و تصلها القوافل التجارية التي تربط الواحات الصحراوية بموانئ الساحل[3].

*تمتاز المنطقة بتربتها الحمراء بأسفل الجبل و بالحجارة الكلسية البيضاء و الرملية، مما يساعد على تمركز المياه الباطنية، كما يوفر أراض خصبة و غنية تساعد على الزراعة و الرعي لتوفر المياه، و يتسم مناخ تيهرت ببرودة و ضباب كثيف في الشتاء و جو معتدل في الصيف، حيث يصف اليعقوبي مناخها بقوله:"أنها تمتاز بالبرد الشديد و فيها رياح قوية، و الشمس توقد وتحرق"[4]، و من خلال الأبيات الشعرية لبكر بن حماد الشاعر التيهرتي (ت.296هـ) نستنتج برودة الطقس و قلة ظهور الشمس حيث قال:

ما أخشن البرد و ريعانه   و أطرف الشمس بتاهرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت   كأنها تنتشر من تحت

فنحن في بحر بلا لجى   تجري بنا الريح على السمت

نفرح بالشمس إذا بدت   كفرحة الذمي بالسبت[5]

و مما يؤكد أن المناخ كان ممطرا و مثلجا أعطى للمنطقة ميزة خاصة، حتى نرى رجلا من

---

1 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص89، بوزياني الدراجي: القبائل، المرجع السابق، ص105.

2 - Ch.Bekri : Le karigisme, op.cit, p – p 64- 65.

3 - لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص41، مختار حساني: المرجع السابق، ص286.

4 - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: المصدر السابق، ص109.

5 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص144، Ch.Bekri: Le royaume, op.cit, p157.

تيهرت، لما كان بالحجاز قال مخاطبا للشمس:"أحرقي ما شئت فو الله إنك بتاهرت لذليلة"[1]، و يقول القزويني:"...كثرة الأمطار و الأنداء و الضباب و شدة البرد قلما ترى الشمس بها"[2]

أما عن عدم تمسك الإمام الرستمي بالمدينة القديمة التي كانت عامرة قبل بناء المدينة الحديثة، فيرجع بالدرجة الأولى إلى مقاومة سكانها له و هو ما يتأكد من قول البكري الذي أشار بأنه توجه إلى تيهرت القديمة أو العليا، فكان كلما بنى شيئا في الليل وجده قد انهار في الصباح، فعزف عن ذلك الموضع و انتقل إلى تيهرت الحديثة[3]، و من خلال هذا النص يتبين أن سكان المدينة عارضوا البناء و أن عبد الرحمن بن رستم فضل عدم المواجهة للحفاظ على الأنصار في بداية تأسيس دولته، واتفق معهم على أخذ خراج السوق[4]، حيث يذكر محمد دبوز:"أن أهل المدينة القديمة قد علموا أن مدينتهم ستصبح عاصمة الدولة، و بذلك تفتح أبوابها لكل الطوائف، فرفضوا هذا الوضع و أن عبد الرحمن لم يرغم هؤلاء على بيعهم أرضهم[5].

و هكذا كانت هذه العوامل دافعا و حافزا لعبد الرحمن بن رستم و أصحابه في اختيار تيهرت عاصمة لدولتهم المنتظرة، و التي أصبحت حرزا و حصنا لجماعة المسلمين و سميت بأم العسكر و العسكر المبارك[6].

---

1 - البكري: المصدر السابق، ص67، الحموي: المصدر السابق، ج1، ص813.

2 - القزويني: آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر بيروت، د.ت، ص169، و يذكر أيضا حكاية السودان التي مفادها:"دخل أعرابي من اليمن تاخرت ثم خرج إلى أرض السودان فنظر إلى الشمس مضحية...فقال مشيرا إليها، أما و الله لإن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت"، ينظر، القزويني: المصدر نفسه، ص نفسها، الحموي: المصدر نفسه، ج1، ص813، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 30- 31.

3 - البكري: المصدر نفسه، ص66، مختار حساني: المرجع السابق، ص287.

4 - ذكر الشماخي:"فاتفق رأي المسلمين على بنائها فجعلوا لأهلها عليها خراجا معلوما، يأخذونه من غلتها"، الشماخي:المصدر السابق، ج1، ص146.

5 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص- ص 266- 267.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص54، لخضر سيفر: المرجع السابق، ج1، ص42.

المبحث الثاني: البنية العمرانية لمدينة تيهرت

إن التحليل المورفولوجي للمخطط العمراني لمدينة ما، يتطلب الإختصاص الدقيق في ميدان العمران و الآثار، و يعتمد أيضا على نتائج التنقيبات و الحفريات التي يقوم بها الأثريون و المهندسون، ولندرة المعطيات في هذا المجال، سنحاول دراسة المخطط العمراني لتيهرت و بنيتها الداخلية بالاعتماد على نتائج بعض الدراسات و الحفريات و إن كانت نتائجها ما زالت قليلة و محدودة، وكذا اللجوء إلى النصوص التاريخية و التي هي الأخرى لا تعطينا النتائج الدقيقة خاصة فيما يتعلق بتحديد أماكن الأحياء و الدروب و الأزقة و القصور بسبب اندثار و زوال معالمها العمرانية، ويمكن تقسيم الآثار العمرانية من منشآت و مرافق عمومية إلى عمارة دينية و مدنية و حربية.

أولا– العمارة الدينية:

إن جورج مارسيه في بحثه الوجيز في الفن الإسلامي ربط تطور العمارة الإسلامية بالتطور السياسي و الحضاري، حيث اعتبرها مظهرا من مظاهر هذا التطور الذي شهده العالم الإسلامي[1].
و تتميز المدينة الإسلامية عموما، سواء في بلاد المشرق أو في بلاد المغرب بسمات مشتركة بغض النظر، عن المميزات التي تفرضها البيئة الطبيعية، و التقاليد المحلية، لأن تشييد المدينة الإسلامية مرتبط بضوابط و شروط معمارية أساسية، و ضرورة توفر بعض المعالم العمرانية على رأسها المسجد الذي يعتبر النواة الأولى للعمران، و يقع في وسط المدينة، و هو مكان لأداء فريضة الصلاة، و مقر لاجتماع سكان المدينة، لتداول أمورهم الإجتماعية و الإقصادية و تعليم أبنائهم مختلف العلوم العقلية و النقلية[2].

لقد كان ظهور المسجد فبل ظهور المدارس و الزوايا في المغرب الإسلامي عموما حيث كان هو المؤسسة التي تستقبل الطلبة و المصلين في حلقات دراسية داخل المسجد، فكان بذلك عبارة عن جامعة أو معهد بالإضافة إلى كونه مقرا للعبادة تلقى فيه دروس الوعظ و الإرشاد وتعقد فيه حلقات البحث، وتنظم فيه المناظرات العلمية، و الحوارات الفقهية، و المطارحات الأدبية

1 - G.Marçais :l'art en Algerie, op.cit, p – p 81- 82.
2 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص106.

واللغوية ودروس الوعظ و الإرشاد و الإفتاء، و يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة و الخاصة، كما كانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية في للدولة، و يجتمع فيه الأولياء لتدبير زواج بناهم و أبنائهم، و تمضى فيه العقود التجارية و تؤخذ إليه الجنائز قبل الدفن للصلاة عليها[1].

فالمساجد حسب تصنيف أرنست كونل[2] تتميز بالأصالة و الوضوح و التطابق التام مع روح الإسلام الشاملة و الواضحة، فهو ساحة نظيفة مستوية ظاهرة يحيط بها سور وظيفته تعيين حدود المكان المخصص للصلاة[3].

لقد خضعت المدينة تيهرت إلى مخطط عمراني طبقت فيه أحكام الشريعة الإسلامية و قانون العمارة الإسلامية على غرار المدن الإسلامية، لهذا فأول ما شيد فيها هو المسجد الجامع الذي تم اختيار مكانه عن طريق القرعة، و يذكر أبو زكرياء يحيى في هذا الصدد:"قصدوا إلى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شيء، فانتخبوا أربعة أماكن و رموا القرعة عليها، فجاءت على المكان الذي أصلحوه للصلاة أيام إقامتهم في تنقية الأشجار[4].

و يذكر ابن حوقل:"تيهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة و الأخرى محدثة، و القديمة ذات سور و بها جامع، و في المحدثة أيضا جامع"[5]، و يقول المقدسي:"تاهرت اسم لقصبة...لها جامعان عن ثلثي البلد قد بني بالحجارة و الجير"[6]، و يقول ابن عذارى:"فترلوا بموضع تيهرت...فبنوا مسجدا من أربع بلاطات"[7].

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16- 20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص34، هوارية بكاي: العلاقات الثقافية بين الدولة المرينية و الدولة الزيانية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2007- 2008، ص42.

2 - يعتبر من أبرز التصنيفات للطراز المعماري الإسلامي و قد أورده في كتابه المختصر "فنون الإسلام" ترجمه إلى العربية أحمد موسى، حبيب خنفار: المرجع السابق، ص 123.

3 - حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، يناير، 1981، ص83.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص139.

5 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

6 - المقدسي: المصدر السابق، ص127.

7 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص203.

أما مواد البناء التي استعملت في أول الأمر، فكانت عبارة عن خشب الشعراء[1] الذي جلب من غابات المنطقة و طين كان يمد به الخادم إلى ابن رستم لإصلاح الشقوق عند وصول الوفد إلى المدينة، و هذا ماذكره ابن الصغير أن وفد البصرة قد وجد بباب عبد الرحمن "غلاما يعجن طينا ورجلا على سطح يصلح شقاقا فيه، و الغلام يناوله ما يصلح به"[2].

و هذا يدل على بساطة المواد المستعملة و فقر الدولة عند إنشائها، و سياسة عبد الرحمن القائمة على التواضع و التقشف، أما عن التخطيط للجامع فيذكر البكري أنه ظل على حالة إلى أيامه أو إلى أيام محمد بن يوسف الذي ينقل هو عنه مكونا من أربعة بلاطات[3]، و ما نلاحظه أن الرستميين خرجوا عن قاعدة بناء دار الإمارة بعد المسجد الجامع، فقد بنوا هذا المسجد حقا، لكن ابن الصغير لا يشير إلى وجود دار الإمارة في تيهرت حيث ذكر أن عبد الرحمن بن رستم كان يصرف أمور الرستميين في الجامع[4].

و بجانب مسجدها الجامع الموجود في المدينة، وجدت أيضا مساجد أخرى في الأحياء، وينسب بعضها إلى الأقليات التي استقرت بتيهرت، و منها على سبيل المثال مسجد القرويين ومسجد الكوفيين و هذا ما يفهم من قول بن الصغير:"...فكان مسجد للقرويين و للكوفيين ومسجد للبصريين"[5].

و يقول جودت عبد الكريم أنه بما أن كل جماعة كانت تسكن منفصلة عن الأخرى، كان لها مسجدها الخاص بها[6]، إن المساجد كانت متعددة و كثيرة، و هذا نفهمه من قول أبي زكرياء:"فشرعوا في تأسيسها و اختطوها بيوتا و قصورا و أسواقا و مساجد"[7].

---

1 - ذكر البكري أنهم بنوا في ذلك المكان مسجدا و قطعوا خشبه من تلك الشعراء، البكري، المصدر السابق، ص66.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص11، أبو زكرياء المصدر السابق، ص54.

3 - البكري: المصدر السابق، ص68.

4 - حين قدم وفد من البصرة قال لهم عبد الرحمن:"نخرج إلى المسجد الجامع، نصلي و الناس، و نعلمهم بما جئتم به، و تم ذلك"، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص12.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص32، أحمد سليماني: المرجع السابق، ص83.

6 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص33.

7 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53.

كما أن الفرق الدينية التي وجدت في تيهرت كان لكل منها مسجدها و علماؤها وحلقات دروسها، فقد ذكر ابن الصغير:"...من أتى إلى حلقات الإباضية ناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلقات غيرهم كان سبيله ذلك"، و قد وجد في تيهرت الأحناف، خاصة في عهد عبد الرحمن بن رستم، و غالبيتهم من اهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم سموه مسجد الكوفيين[1].

إن العمارة الدينية تشمل إلى جانب المساجد و الجوامع المدارس، و التي تبنى عادة خارج المسجد، و قد تأخر ظهورها في بلاد المغرب إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري[2]، لهذا لم نجد لها أثرا في تيهرت في جل المصادر، خاصة و أن مدلول المدرسة يختلف عن مدلول الأماكن التعليمية و الدينية السابقة لها كالمساجد و الكتاتيب و الرباط، و هو مفهوم ظهر مع ظهور المدرسة الشرقية في منتصف القرن الخامس الهجري في خرسان[3].

فهي عبارة عن بناية مستقلة عن أي بناية عمومية كالمسجد و القصر و غيرها[4].

و يمكن اعتبار العمائر الجنائزية من ضمن العمارة الدينية مثل المقابر و المدافن خاصة و أنه في تيهرت وجد مصلى خاص بالجنائز و هذا نفهمه من قول ابن الصغير عند حديثه عن أبي اليقظان، فيقول "وقد جلس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي، و رأيته يوما ثانيا في مصلى الجنائز، و قد رميت له وسادة من أدم، فجلس ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس"[5].

و قد أكد المستشرق كدنا[6] وجود مقبرة في الجهة الغربية من المدينة من خلال وجود مجموعة من الأحجار مندثرة هنا و هناك و منتظمة الإتجاه، إلا أننا نعلم أن المقبرة في المدينة

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص13، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص78.

2 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص141.

3 - D.Sourdel : reflexims sur la diffusion de la madrasa en orient du 11eme et 12eme siècle in l'enseignement en islam et on orient en moyen age, Colloques internationnaux de la Napoule, paris 1977, p165.

4 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص141.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص80.

6 - P.Cardenat : Recherche à Tihert, op.cit, p397.

الإسلامية موقعها يكون خارج المدينة، لهذا إذا أخذنا برأي "كدنا" فإننا نقول أنه أخذ توسع المدينة على حسابها، فارتبطت بالمساكن في الفترات اللاحقة من تطور المدينة، و هناك أيضا افتراض آخر لموقع آخر يرجح أنه كان مقبرة، و هو في الجهة الشمالية عند نهاية المنحدر في منبع إحدى العيون التي يمكن أن تكون عين "تاتش" التي ذكرتها المصادر التاريخية، و يتضمن هذا الموقع أحجارا مرتبة غير مبنية وضعت على هيئة القبور الصحراوية يرجح أن تكون مقبرة الأئمة لصغرها بالنسبة للمجتمع التيهرتي، و لا يوجد في هذه المقبرة أية كتابة تبرز أنها مقبرة الأئمة، و إن كان هذا صحيحا فإنه يعطينا فكرة عن عدم اهتمام الأئمة بقبورهم و تجميلها، و هو ما كان يحدث عند بعض الأسر، خاصة الغنية منها، و مازالت لحد الآن في تلمسان و قسنطينة، و هذه الظاهرة غريبة عن الإسلام.

ثانيا– العمارة المدنية:

و تشمل عدة معالم عمرانية و مرافق عمومية، و منها ما هو متعلق بالعمائر السكنية، مثل القصبة و الدور و القصور و الضياع، و منها ما هو متعلق بالنظافة و الصحة كالحمامات، و منها ما يتعلق بالتجارة و المنافع العامة كالخانات و الفنادق و الأسبلة و السبل و غيرها من المرافق والمنشآت الضرورية نذكر منها:

1– القصبة:

و هي الحي الذي يسكنه الأمير أو الإمام أو السلطان و أسرته و حاشيته و جنده، مكونة من مباني مخصصة لهذه الطبقة الإجتماعية التي تتصدر الهرم الإجتماعي في المدينة و تتربع عليه و لها أبواب خاصة بها[1]، و قد ذكر المقديسي أن "تاهرت هي اسم لقصبة، هي بلخ المغرب"[2]، و ذكر البكري أن "لتاهرت قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة"[3]، و قال صاحب الإستبصار:"مدينة

1 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص107.

2 - المقديسي: المصدر السابق، ص229.

3 - البكري: المصدر السابق، ص66.

تاهرت مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور و لها قصبة منيعة تسمى المعصومة"[1]، و شرح سليمان الباروني قول أبي اسحاق الفارسي عن تيهرت: "و مدينة كورة اسمها تاهرت و هي مدينة كبيرة"، بأن الكورة هي اسم لكل صقع أي ناحية تشمل على عدة قرى، ولها قصبة أي مدينة ينسب ذلك الصقع كله إليها كما هنا[2]، و ما نستنتجه من قول المقدسي و شرح سليمان الباروني لقول أبي اسحاق الفارسي أن مدينة تيهرت هي نفسها القصبة و تضم عدة أحياء و قرى، و ليس كما نعرفه أن القصبة هي جزء من المدينة أو كما عرفها عبد العزيز فيلالي.

و ما ورد لدى هؤلاء أكدته حفريات الأثريين جورج مارسيه و دوسوس لامار[3] حيث اكتشفا سور المدينة الذي كان محاطا بهيكل مستطيل الشكل اعتقدا أن يكون هذا المستطيل هو القصبة، أو بعبارة أخرى أول تمركز للمدينة في مرحلتها الأولى دون التوسعات التي عرفتها في الفترات اللاحقة خاصة فترة أفلح بن عبد الوهاب حيث بنيت القصور و اتسعت البلاد، و من مميزاتها أنها بنيت بأحجار مطروقة مستوية، و تحتل شكلا مستطيلا يصل طوله إلى 100 متر تقريبا و عرضه إلى 33.65 مترا من خلال تقرير الباحثين جورج مارسيه و دوسوس لامار[4].

و رغم عدم ظهور الأسوار التي تحيط بالقصبة، توصل الباحثان[5] إلى وضع فرضية للمدخل الرشيسي في الجهة الشمالية الشرقية، و هو عبارة عن ممر على جانبيه مقاعد حجرية، و يؤدي المدخل مباشرة إلى ساحة في الوسط طولها 53.20 مترا و عرضها 22 مترا يحدها من الجوانب الأربعة غرف تختلف مقاساتها و اتجاهاتها من غرفة إلى أخرى، و على يسار المدخل مباشرة في الجهة الشمالية الشرقية غرفتان عريضتان خصصتا للإستقبال، و من الجهة الجنوبية الشرقية حوالي خمسة غرف، غرفة بها مدخلان يعتقد أن تكون غرفة الحرس أو الإسطبل، و تحتل أيضا الجهة

---

1 – مؤلف مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص66، و يعلق سليمان الباروني على كلامه بأن اسم هذه القصبة بالمعصومة يدل على القوة التي كانت بها المدينة و قصبتها، فإن العصمة لغة المنعة، فقد طابق اسمها وصفها، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص27.

2 - سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص نفسها.

3 - G.Marçais et L.Dessus : Tihert, op.cit, p32- 33, R.Bouruiba : Tahert à l'epoque rostomide, Algerie Actualité n 495, 1975, p14.

4 - Ibid, p - p 42 – 53.

5 - Ibid, p 46.

الجنوبية الغربية غرف يصل عمق الواحدة منها 4.50 مترا و عرض يتراوح ما بين 2 متر إلى 2.50 متر، و قد عثر في غرفة على فحم اعتبرها الباحثان[1] مطبخا، و الغرف المجاورة لها ملحقات، و في الجهة الشمالية الغربية غرف طويلة عمقها 20 مترا و عرضها 2.75 مترا يعتقد أن تكون مخصصة للتخزين يقطعها ممران بهما سلالم، مما يؤكد وجود طابق علوي للقصبة يحتمل أن يكون على نفس تخطيط الطابق الأرضي، أما مواد البناء المستعملة، فقد غطيت أرضيت الغرفة بالآجر و طلاء من الجير، أما الجدران فطليت بطلاء أملس، أو استعملت في هذه القصبة تقنيتان للبناء، الأولى عبارة عن أحجار مختلفة الأحجام تتخللها أحجار صغيرة و في اتجاهات مختلفة، أما الطريقة الثانية فهي عبارة عن أحجار متساوية و مطروقة بطريقة متقنة، و يرى الباحثان أن هذه القصبة لها نفس تخطيط القصور الأموية باتخاذها فناء كبيرا و غرفا طويلة على الجانبين و كذا المدخل الرئيسي بمقاعده الحجرية، نذكر أن الوصف الذي قدمه الباحثان و المخطط الذي وضعوه لا نجد له أثرا في الموقع سوى بعض البقايا، لما عرفته من تدهور و تدمير أفقدها معالمها الأساسية.

لكن اليعقوبي و ابن الصغير لم يشيرا إلى وجود قصبة في تيهرت مع أنهما ذكرا عددا من القلاع والحصون سنذكرها لاحقا، و هذا يجعلنا نستنتج أن ما اكتشفه الأثريان جورج مارسيه ودوسوس لامار يرجع إلى فترات متأخرة من العهد الرستمي، وهذا ما لاحظه أيضا موسى لقبال، حيث رأى أن بعض المنشآت التي ورد ذكرها عند الجغرافيين و الرحالة العرب كقلعة المعصومة قد ظهرت في فترات متأخرة في العهد الرستمي، و ربما في العهد الفاطمي[2].

2– أبواب المدينة:

لقد جرت العادة عند المسلمين أن يؤسسوا أبوابا في اتجاه المدن الكبيرة سواء داخل البلاد أو خارجها، ويسمونها في بعض الأحيان بأسماء هذه المدن مثل باب فاس في تلمسان[3].

---

1 - G.Marcais et L.Dessus,Op.cit, p-p 49- 50.

2 - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص235.

3 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص107.

أما بخصوص مدينة تيهرت، فقد أشار ابن الصغير إلى وجود أبواب المدينة، فنذكر باب الصفا بقوله عند دخول وفد البصرة تيهرت: "حتى دخلوا من الباب المعروف بباب الصفا...حتى وقفوا عليها و أصابوا عند بابها"[1]، و أضاف "أن يعقوب بن أفلح أمر بأبواب المدينة فغلقت إلا بابا واحدا"[2]، و يضيف البكري إلى باب الصفا أبوابا أخرى بقوله: "مدينة تاهرت لها أربعة أبواب، باب الصفا و باب المنازل و باب الأندلس و باب المطاحن"[3].

و يشرح سليمان الباروني شرحا وافيا و باستحسان لأسماء هذه الأبواب بقوله: "ما ألطف هذه الأسماء و ما أحسن هذا التقسيم المحكم الذي لم يدع للازدحام مجالا، إذ خصص لكل شغل من هذه الأسماء الأربعة التي عليها مدار حركات الناس بابا، فالذين ينقلون أنواع الحبوب لأجل الطحن لهم باب المطاحن و الذين يريدون السفر أو عبور البحر إلى الأندلس من التجار و غيرهم لهم باب الأندلس، و المشتغلون بالعمل في البساتين لهم باب المنازل، و الذين يريدون النزهة والرياضة البدنية و تسلية النفس لهم باب الصفا[4]، و بهذا يعلم ما كان في هذه المدينة من حسن الإنتظام و الترتيب"[5]، و لا يستبعد أن هذه الأبواب الرئيسية كانت مصفحة بالحديد و لها مصاريع حديدية تغلق بها، و هذا نستشفه من قول ابن الصغير عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب: "و ابتنى القصور و اتخذ بابا من حديد"[6].

و يحدد أحمد سليماني[7] موقع هذه الأبواب على الشكل التالي:

---

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص29، و قد جاءت عند البكري باسم "الصبا"، البكري: المصدر السابق، ص66، رشيد بوروبية: الفن الرستمي، تاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، جانفي 1977، ص184.

2 - ابن الصغير: المصدر نفسه، ص97، و يقول سليمان الباروني:"فأمر يعقوب بأبواب المدينة فأغلقت و ترك واحدا وقف عليه بنفسه مع من كان معه"، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص360.

3 - البكري: المصدر السابق، ص66، رشيد بوروبية: الفن الرستمي، المرجع السابق، ص184، القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص111.

4 - جودت عبد الكريم عن باب الصفا أنه من المرجح أنه على الصورة التي وردت عند ابن الصغير، إذ بما أنه الباب الشرقي، فربما قصد به باب الحج مثلما قيل باب الأندلس، و ربما تيمنا بباب الصفا أحد أبواب مكة المكرمة، جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص34.

5 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 32- 33.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

7 - أحمد سليماني: المرجع السابق، ص- ص 82- 83.

- باب الصفا من الجهة الشرقية.
- باب المطاحن من الجهة الغربية.
- باب الأندلس في شمال المدينة.
- باب المنازل في جنوب المدينة و تستعمله القوافل القادمة من الصحراء.

3- الدور و المساكن:

تخضع مساكن بلاد المغرب الأوسط إلى عاملين يحددان طرازها و أثاثها، و هما يتمثلان بالتراث المتوارث عبر الأجيال، و المستوى الحضاري الذي بلغه المسلمون في القرنين الثالث و الرابع الهجري، و هي إن اختلفت من منطقة إلى أخرى[1]، و قد كانت بعض المنازل تبنى بالطوب، وأخر بالحجارة المنحوتة، أما سقفها فكانت من الخشب كبيت الإمام يعقوب بن أفلح، كما كانت المنازل متلاصقة، ليكون بالإمكان إحاطتها بسور، و تشقها أزقة و شوارع تؤدي إلى الساحة العامة، و الأسواق و أبواب المدينة، و يتكون المترل من عدة حجرات، أما بابها فمن خشب، ويتكون عادة من مصراعين يسمح بدخول الأحمال[2]، أما أثاثها فيتكون من فراش محشو بالصوف و الريش، و الحصير بحيث كان في بيت عبد الرحمن بن رستم حصير فوقه جلد، و هذا ما ذكره ابن الصغير ابن الصغير بقوله: "فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد و ليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها و سيفه و رمحه و فرسه مربوط في ناحية من داره[3]، و كان القنديل ضروريا جدا في البيت، يضاء باستعمال الزيت كوقود له[4]، و كانت الدور تتألف كل منها من عدة بيوت، فقد ذكر ابن حوقل: "أن لسكان تاهرت مياه كثيرة تدخل عن أكثر دورهم"[5]، وعلى كل حال فإن تيهرت اتسعت و تطورت حيث ذكر ابن الصغير: "و اتسعوا في البلاد و تفسحوا فيها و أتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقاص الأقطار، ليس أحد يترل بهم من الغرباء إلا

1 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص- ص 384- 385.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص237.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص29.

4 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص- ص 388- 389.

5 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص86.

استوطن معهم و ابتنى بين أظهرهم...حتى لا يرى دارا إلا قيل إنها لفلان الكوفي و هذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي..."[1]، و قد اكتشف جورج مارسيه و دوسوس لامار[2] عدة مبان تتكون من عدة غرف، أخذت كلها شكلا مستطيلا مع عدم وجود الأعمدة و الدعامات، و هذا راجع إلى مادة التسقيف حيث تذكر لنا المصادر التاريخية أنه استعمل الشعراء في التغطية، و هذا ما لم يسمح للغرف بأن تكون عريضة لصغر طول خشب التسقيف، فجاءت الغرف ضيقة أعطت لها ميزة خاصة.

4- القصور[3]:

تعتبر القصور ظاهرة حية تعبر عن المستوى الحضاري العالي و الذي بلغته المنطقة، و هي نتيجة الثراء، نظرا لما عرفته مدينة تيهرت من رخاء اقتصادي، و خاصة في عهد الإمام أفلح حيث تنافس الناس في البنيان، حتى أنه ابتنى الناس القصور و الضياع[4] خارج المدينة[5].

و قد كان للإمام أبي بكر قصره، و لأبي اليقظان كذلك، و كان لأبي حاتم قصر على نهر مينة، و كانت تبنى وسط البساتين وعلى ضفاف الأنهر ليضفي عليها جمالا و رونقا أكثر[6].

و يظهر الإهتمام و التنافس على بناء القصور من خلال ما ذكره ابن الصغير: "فابتنى أبان و حمويه القصرين المعروفين لهما باملاق، و ابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم و غيره مما يطول ذكره، و لقد حدثني بعض من أثق به أن أبان و حمويه خرجا يوما إلى قصورهما متنزهين ومعهما جماعة إخوانهما، فذكر بعضهم أنه قال، لما أشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبيدهما فأعلموا ناس القصرين بقدومهما قال فتشوف من كان بالقصرين بهما، فو الله ما رأيت شرافة من القصرين إلا عليها ثوب أحمر و أصفر على الجدار كالبذور، و انتشرت القبائل و عمرت العمائر،

---

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 31- 32.

2 - G.Marçais et L.Dessus : op.cit, p – p 24- 57.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 53- 54.

4 - الضياع: جمع ضيعة أي العقار و الأرض المغلة، و ما يكون منها عطية لبعض الناس من طرف الملوك يسمى قطيعة كما كان يفعله بعض بني أمية و بني العباس، للمزيد، ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج1، ص- ص 21- 22.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص- ص 384- 385.

و كثرت الأموار بأيديهم، و كانت العجم قد ابتنت القصور و نفوسة قد ابتنت العدوة و الجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم"[1].

هذا النص يبين لنا أن تيهرت تعددت بها القصور حتى بالنسبة للعجم و للجند الوافدين إليها من افريقية، و أنها كانت لا تخلوا من المتنزهات.

5- الدروب:

كانت تيهرت كغيرها من مدن المغرب الإسلامي تحتوي على دروب و شوارع و ساحات عمومية أطلق عليها أسماء الفئات التي تقطنها، مثل درب النفوسيين، و عدوة نفوسة و رحبة القرويين[2]، ولعل ما يثبت وجود هذه الدروب و الساحات وصف المقدسي لتيهرت في القرن الرابع الهجري أي بعد سقوط دولة بني رستم، و بعدما فقدت تيهرت جزء هاما من سكانها و حضارتها حيث قال: "انتعش فيها الغريب و استطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق...و قرطبة...و من دروبها[3] المعروفة أربعة، درب "مجانة"[4]، درب "المعصومة"، درب "راها"[5] درب حارة الخفير، درب البساتين[6].

يعتبر وصف المقدسي شاملا لتيهرت رغم أنه عرف بالإختصار عندما يصف مدن المغرب الإسلامي لأنه لم يزره، بل اكتفى بما وصله من مؤلفات المشارقة أو أخبار من المغاربة الذين رحلوا للمشرق لأن النص لا يرتبط بعصره بل بالقرن الثالث الهجري الذي وصلت فيه الدولة الرستمية

---

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 53- 54، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص123، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص442.

2 - أحمد سليماني: المرجع السابق، ص83.

3 - شرح الدروب: و الدرب باب السكة الواسع، و يقصد بالدرب الشوارع الكبرى التي تتفرع عنها أزقة كثيرة، و هذه لها أبواب تغلق بالليل كما نشاهد اليوم في مدينة تونس في الشوارع القديمة كسوق العطارين و غيره، فيكون للحارات أبوابها وأسوارها كما للبلد سوره العام، و هذا مبالغة في تحصين المدينة، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص271.

4 - مجانة: جاءت عند ابن الصغير في حديثه عن ابن وردة: "قال و كان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من مجانة"، و يقول المحقق لعل المقصود بها مدينة مجانة في المغرب الأدنى، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص54، البكري: المصدر السابق، ص63.

5 - المقديسي: المصدر السابق، ص229، مختار حساني: المرجع السابق، ج4، ص315، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص- ص 543- 544.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

إلى مراحل قوتها، لكن في عصره عرفت هذه الدولة الحروب المتواصلة و تدمير منشآتها، حيث تحولت من مدينة ذات حضارة إلى تكنة عسكرية.

و ما يؤكده لنا هذا النص هو أن المدينة كانت تحاف بمجموعة من الأحياء و كل حي يحتوي على جميع المرافق و المنشآت الضرورية من ساحات و أسواق و مساجد، و ذكر ابن الصغير عن عهد أفلح : "و أمنت الساحات و كثرت الأموال"[1].

6- الفنادق[2] و الخانات[3]:

جاء في كلام أبي زكرياء أن الرستميين شرعوا في تأسيس تيهرت و اختطوها بيوتا و قصورا وفنادق[4]، و فيما يتعلق بالخانات، فإن ابن حوقل هو الوحيد الذي أشار إلى وجودها في تيهرت، وهي تعود إلى عهد الدولة الرستمية حيث كانت القوافل تأتيها من المشرق و المغرب و بلاد السودان الغربي و الواحات الصحراوية مما يقتضي وجود خانات لإقامة هؤلاء، و هي تحتوي على غرف للسكن و مخزن للسلع و إسطبلات للمواشي[5] ، و لعل الحفريات التي ستقوم في المستقبل ستؤكد ذلك.

---

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

2 - الفنادق: هناك ما يرى أنها لفظة عربية تعني المخزن أو السوق، و هناك من يرى أنها لفظة إغريقية الأصل تعني الترل الذي يأوي إليه الأشخاص و الحيوانات، فهو مثل الخان في بلاد المشرق، ينظر: Mas.latrie : traités de prix et de commerce et document divers concernant les relations chretiens avec les arabes de l’Afrique septrionale au moyen age, paris 1872, p167.

أما سليمان الباروني فيعرفه لغة بالخان أي محل التجارة و في اصطلاح عصرنا يطلق على محل كبير ذي بيوت معدة لنزول المسافرين بالأجرة، و يختلف باختلاف المدن و البلاد في معداته و ترتيباته، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص10.

3 - الخان هو الحانوت وأماكن التجارة و محل نزول التجار الغرباء الذي يتاجرون فيه، علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص280.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص10، علي دبوز: نفسه، ج3، ص نفسها.

5 - مختار حساني: المرجع السابق، ص317.

كما يظهر وصف ابن حوقل أن مرافق تيهرت الحديثة أكثر من الأولى، فهي تحتوي على مرافق عاصمة للدولة حيث يقول: "...و التجار و التجارة بتيهرت المحدثة أكثر و لهم...بساتين كثيرة... و خانات"[1].

7- الحمامات[2] و خزانات المياه:

يعتبر الإغتسال في الحمامات ظاهرة قديمة، عرفته الشعوب القديمة كالمصريين و الكنعانيين واليونانيين و الرومانيين، و قد وصلت هذه العادة إلى سلوك المسلمين مبكرا، لأن الإسلام يحث على الإغتسال و الطهارة ، و أصبحت هذه المؤسسة الإجتماعية مرتبطة ارتباطا عضويا بالنظافة وبفريضة الوضوء، و لذا اعتبرها الفقهاء من الأماكن الدينية، لأن الطهارة لا يستغني عنها المسلمون و لا يمكنهم أداء فريضتهم إلا بها[3]، فكان المسلمون يترددون باستمرار على الحمامات لتطهير أجسامهم و تنظيفها، و كانت الحمامات في أغلب الأحيان تلحق بالبناءات الدينية والإجتماعية بما في ذلك بيوت الله[4]، و كانت تيهرت تحتوي على حمامات كثيرة بلغت اثني عشر حماما، و هذا ما ذكره البكري بقوله عن تيهرت: "و بتاهرت بساتين كثيرة و حمامات كثيرة يسمى منها اثنا عشر حماما و حواليها من البربر أمم كثير"[5]، و هذا ما أكده أيضا ابن حوقل بقوله: "و لهم (سكان تيهرت) بساتين كثيرة وحمامات"[6]، و من خلال الحفريات تبين وجود هذه الحمامات، فمثلا حفرية الأستاذة سوفي التي اكتشفت مبنى في مستوى أعلى من القصبة يفترض أن يكون حماما لما له من مميزات، لكن لعدم وجود أي تقرير من الباحثة عن هذا الحمام، نكتفي

---

1 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

2 - الحمام: معناه اللغوي هو الماء الساخن، ينظر، عطا الله دهينة: الحياة الاقتصادية و الإجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص491.

3 - عطا الله دهينة: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، ضمن كتاب الجزائر و التاريخ،المرجع السابق، ص364.

4 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص- ص 139- 140.

5 - البكري: المصدر السابق، ص- ص 68- 69.

6 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص49، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص442.

بوصف سطحي له حيث يتكون من ثلاثة غرف تشكل الأولى مربعا لها أرضية مبلطة بالآجر ذو المقاسات التالية:

-السمك: 4.9 سنتيمتر -الطول: ما بين 26.5 سنتيمتر إلى 28 سنتيمتر -العرض: بين 13.5 سنتيمتر إلى 14 سنتيمتر.

و تحيط بها جدران يتراوح علوها ما بين 0.80 متر إلى 1.20 متر و من خلال مدخل بارز بعرض 0.65 متر تدخل إلى الغرفة الثانية التي تأخذ شكلا مستطيلا و به فرن أرضي غطي بحجارة كبيرة، و يحتوي هذا الفرن على أربع فتحات للتهوية يفترض أن تكون هذه الغرفة الساخنة، و في الجهة الشرقية للغرفة الساخنة يوجد هيكل مستطيل يحتوي على حوض به أرضية مغطاة بالآجر، وبجواره قناة تتجه من الجنوب إلى الشمال يعتقد أنها لصرف المياه لأنها مائلة قليلا نحو الخارج.

و ما نستنتجه أن المصادر التاريخية أكدت كلها على وفرة المياه في تيهرت، فهذا ابن حوقل مثلا يقول: "أن لسكان تاهرت مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم"[1]، و هذا ما جعلهم يهتمون بغرس البساتين، فإن إباضيي العراق في رحلتهم الثانية إلى تيهرت وجدوا الأمور قد تبدلت والأحوال المدنية و الأشياء قد حالت و ذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت و إلى بساتين قد غرست[2]، كما أن وصف المقدسي لتيهرت: "قد أحدق بها الأنهر[3]، و التفت بها الأشجار و غابت في البساتين و نبعت حولها الأعين"[4]، تبين اهتمام سكان تيهرت بغرس الأشجار حول المدينة فزادت بها البساتين و هذه الظاهرة تكاد تكون عامة بالنسبة للمدن الجزائرية خلال العصور الوسطى و حتى الحديثة، فالبساتين كانت تزود تلك المدن بما تحتاج إليه من خضر و فواكه و حتى الحليب و مشتقاته لوفرة الأبقار و الأغنام بتلك الضيعات و تربية النحل فالعسل كان كثيرا و سائر غلاتها كانت مباركة[5]، و قول الإدريسي في ذلك: "و بمدينة تاهرت مياه متدفقة و عيون جارية

1 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص86، جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص32.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص33، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص123.

3 - الأنهر: و قد جاءت أيضا في كلام ابن الصغير:"و أجروا الأنهر"، إلا أن الصحيح هو أنهار و نهر و نهور، ابن الصغير: المصدر السابق، ص53، ابن منظور: المصدر السابق، ج1، ص1144.

4 - المقدسي: المصدر السابق، ص229.

5 - الإدريسي: المصدر السابق، ص154، مختار حساني: المرجع السابق، ص316.

تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها"[1] يظهر لنا أن سكان تيهرت استفادوا من هذه المياه الكثيرة، فأوصلوها إلى دورهم و أقاموا عليها بساتين و أشجارا عن طرق قنوات و خزانات من الفخار المطلي، و هذا ما دلت عليه الحفريات خاصة في الجزء الموجود جنوب الطريق الوطني رقم 11 والذي يربط تيارت بمشرع الصفا، و قد عرف هذا الجزء تشويها كبيرا خاصة في الجهة الشرقية منه بسبب تشييد القرية الفلاحية، و التي دمرت آثارا و أشكالا عديدة لبنايات مغمورة تحت التراب قضت عليها أسس هذه القرية الجديدة.

ففي الجهة الغربية من القرية وجدت بقايا الخزانات التي قام فيها جورج مارسيه و دوسوس لامار[2] بحفريتهما و هي في مجموعها خمسة خزانات[3]، و يفترض جورج مارسيه[4] أن لهذه الخزانات دخلات بعرض 0.18 متر تحمل حنفيات يراقب منها مستوى المياه خاصة في موسم الجفاف.

أما مواد البناء فقد استعملت الحجارة و الديش بينما طليت الجدران بطبقة سميكة من الملاط، و نجهل ما إذا كانت هذه الخزانات مغطاة أو بقيت عارية، و نذكر أنه يجب أن تكون لها قنوات تجلب المياه و تصرف من خلالها و هذا ما لم نعثر عليه بعد، و وجودها خارج القصبة ليس من المعهود، فقد تكون هذه الخزانات في مرحلة متقدمة حيث اتسعت المدينة و جاءت الخزانات داخل الأسوار و شأنها شأن الخزانات في المدينة الإسلامية للإحتياط لأي حصار يرقب.

و قد ساعد تزويد أهل تيهرت بالمياه انحدار الأنهار من أعالي الجبال و كثرة الينابيع والعيون، و هذا ما نفهمه من قول اليعقوبي: "شرب أهل مدينة تاهرت من عيون يأتي بعضها من صحراء و بعضها من جبل قبلي يقال له جزول"[5]، و قول البكري: "و هي في سطح جبلي يقال له

---

1 - الإدريسي: المصدر السابق، ص 154، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص22.

2 - G.Marçais et L.Dessus : Tihert Tagdamt, op.cit, p – p 32- 33.

3 - و يشتمل الخزان على ثلاثة أحواض رئيسية ذات شكل مستطيل و متلاصقة، و جدرانها مبنية بأحجار ملتحمة بالملاط ومدهونة بطلاء كثيف، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص124.

4 - G.Marçis et L.Dessus : op.cit, p33.

5 - اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص358.

جزول...و هي على نهر يأتيها من جهة القبلة تسمى مينة و نهر آخر يجري من عيون تتجمع تسمى تاتش، و من تاتش شرب أهلها و بساتينها"[1].

8- الأسواق:

ذكر البكري: "و بتاهرت أسواق عامرة"، و في موضع آخر قال: "لها قصبة مشرفة على السوق"[2]، إلا أن المقديسي يضيف لنا شيئا جديدا لهذه المظاهر العمرانية تتمثل في تحديد موقع الأسواق حيث ذكر: "بها (أي تيهرت) جامعان على ثلثي البلد...قريبان من الأسواق"[3]، أي أن الأسواق قريبة من أماكن العبادة أي المساجد، و هذا ما نلاحظه أيضا أغلب المدن الإسلامية و أحسن مثال على ذلك تلمسان و قسنطينة و فاس و تونس.

و لقد كثرت الأسواق في تيهرت إلى درجة أن أطلقت أسماء بعض منها على الأشخاص حيث ذكر ابن الصغير سوق ابن وردة[4]، و كذا بعض المدن التي نسبت إلى تيهرت مثل سوق ابن جبلة و سوق كري و سوق ابراهيم[5]، و عن مدينة غزة يقول الإدريسي: "هي مدينة صغيرة القدر فيها أسواق مشهورة لها يوم معلوم"[6]، و ذكر أيضا ابن حوقل بمثل هذا و قال: "هي مدينة صالحة"[7]، و نفهم من هذا أنه كان لكل حي أو منطقة سوق خاص بها يسمى باسمها أو اسم شخص أو حتى باسم اليوم الذي تقام فيه السوق.

1 - البكري: المصدر السابق، ص- ص 66- 67.

2 - نفسه، ص- ص 66- 68.

3 - المقدسي: المصدر السابق، ص229، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 46- 47.

4 - ابن وردة: و هو من العجم، كان مقدم العجم، و قد ابتنى سوقا يعرف به، ابن الصغير: المصدر السابق، ص54.

5 - و هي مدينة صغيرة فيها حمام و سوق و هي على نهر الشلف، ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

6 - الإدريسي: المصدر السابق، ص152.

7 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص79.

ثالثا- العمارة الحربية:

تشمل الأسوار و الأبراج و القلاع و الحصون و القصبات، و لعل من أهمها في تيهرت:

1- الأسوار و الأبراج:

تحيط الأسوار[1] و الأبراج بالمدينة عموما و تدور حولها من جميع الجهات، و هي التي تفصلها عن البادية و الحقول الزراعية و تحميها من الغزاة[2].

إن الدولة الرستمية رغم أنها حددت مسارها باتجاه المسالمة و حسن الجوار[3] لكن هذا لا يعني أنها أهملت كلية تحصين مدينتها من الغزاة و تقوية ملكها و أمنها بالسلاح و الجيش، فقد أثار ابن الصغير مثلا الإمام عبد الرحمن أمر أن يجعل من معونة إباضية المشرق ثلثا في الكراع[4] و ثلثا في السلاح...و اشتروا للقوم الكراع و السلاح و قوي الضعيف...و خافهم جميع من اتصل به خبرهم، و أمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم و رأوا أنهم قادرون على غيرهم و من كانوا يخافون أن يغزوهم..."[5].

لقد كانت تيهرت العاصمة السياسية و الإدارية و كانت في نفس الوقت قاعدة عسكرية محصنة بسور من حجر ذات قصبة محكمة التحصين قادرة على أن تصمد لكل هجوم يأتيها من الخارج[6].

لقد كانت حاجة المدن إلى بناء الأسوار ضرورية، يحتمون وراءها من الهجمات و اعتلوا الأبراج بحيث كانوا يرشقون منهم عدوهم، و لهذا وجب إحاطة كل مدينة تبرز إلى الوجود بسور[7]، و رغم أن اليعقوبي يصف تيهرت دون أن يشير إلى إحاطتها بسور[8]، و ابن حوقل أيضا

---

1 - السور: يقصد به الأبنية فهو كل منزلة من البناء، ابن منظور: المصدر السابق، م2، ص287.

2 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج1، ص107.

3 - M.Talbi : L'émirat aghlabide, paris, 1967, p353.

4 - الكراع: اسم يجمع الخيل و السلاح لكن في هذا النص نفهم منه الخيل فقط لأن السلاح يذكر بعد هذا الإسم مباشرة، ابن منظور: المصدر السابق، م3، ص1245.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 30- 31.

6 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ج3، ص109.

7 - حودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص379.

8 - اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص358.

رغم إشارته لتيهرت القديمة بأنها ذات سور فإنه لا يشير إلى محل وجود السور في تيهرت المحدثة[1]، لكن ابن الصغير بإشارته إلى أبواب تيهرت يدل ذلك على أنها كانت محاطة بسور، و هذا ما ذكره البكري: "مدينة تيهرت مسورة و لها أربعة أبواب"[2]، و قال صاحب الإستبصار: "مدينة تاهرت وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر (أي حجر) و لها قصبة منيعة"[3] و يحتمل أن يكون قد بني من لبن و طين تأثرا بالفن المعماري القروي[4].

و قد دلت حفريات جورج مارسيه و دوسوس لامار[5] الأسوار و الأبراج و هو ما لاحظه في الجزء المهم الذي به أكثر الآثار إذ به شكل مستطيل طوله 1100 متر و عرضه 400 متر يتكون من سور يحيط به من كل الجهات و بني بالحجارة المطروقة في صفوف مستقيمة و يتخلل السور من الداخل أكوام من الأحجار تبين استمراره و يعلوه انتفاخ في نقاط عديدة متساوية الأبعاد، يعتقد أنه مكان أبراج ثانوية مكونة للسور، أما في الزاوية الشرقية من السور فتظهر كومة من الأحجار المتراسة على شكل مستطيل قد تكون الجزء السفلي للبرج الرئيسي، و في الركن الغربي أيضا مبنى من الأحجار غير منتظمة في شكل مربع تقريبا قد يكون هو الآخر البرج الرئيسي الثاني.

لهذا يجب إجراء حفريات منتظمة للكشف عن قواعد و أسرار هذه الأسوار و الأبراج وإلى ذلك الحين تبقى هذه مجرد افتراضات فقط.

2- الحصون و القلاع:

دعت الضرورة الدفاعية إلى ظهور عدد من الحصون، و قد كانت منتشرة في أرجاء المغرب الأوسط، يلتجئون إليها حالة تعرضهم لهجوم خارجي، و بالتالي انتشرت حول تيهرت، و قد

---

1 - ابن حوقل: المصدر السابق، ص86.

2 - البكري: المصدر السابق، ص66، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص32.

3 - مؤلف مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص66، سليمان الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص27، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص274.

4 - عبد الكريم جودت: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص34، و قد ذكر المقدسي و اليعقوبي أن "القيروان كان عليها سور من لبن و طين" المقدسي: المصدر السابق، ص229.

5 - G.Marçais et L.Dessus : Tihert, op.cit, p57.

أشار ابن الصغير إلى ذلك، فذكر حصن لواتة[1]، و كان للرستميين حصنهم ب"تماليت" في طرف لواتة، يقع على نهر مينة، فيه مواشيهم و عبيدهم.

كما ذكر كل من اليعقوبي و ابن الصغير عددا من الحصون و القلاع المحيطة بها مثل اسكدال[2] و تسلونت[3]، حيث ورد في قول ابن الصغير أن: "محمود بن الوليد (ثائر بتيهرت) قد صعد إلى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة"[4]، و قال أيضا أن أبا اليقظان: "أتى الظاهر المشرف على المدينة المعروفة بقلعة نفوسة"[5]

وكان هناك أيضا حصن تالغمت[6] خارج المدينة، و قد كانت الحاجة الملحة إليها خاصة أثناء الفتن التي شهدها عهد الإمام أبي بكر[7].

و من القلاع المنتشرة في المغرب الأوسط، نذكر قلعة "ابن هرب" و قلعة "مغيلة" و منها حصن "برقجانة"، المعروف بتيهرت القديمة[8].

و هكذا نستنتج أن الأئمة الرستميين و حكماء تيهرت اتخذوا القصور البديعة لسكناهم وأسسوا دولة شاملة و كافية بنيت دعائمها على البر و الإسلام و عملت على نشره و تعميم مظاهر الرفاهية و الرخاء، فوسعت نطاق التجارة مع كل البلاد، و أقبل البربر و المسلمون على خدمة الأرض، فأصبحت مملكة تيهرت حديقة غناء فيها من كل فاكهة زوجان[9].

---

1 - حصن لواتة: نسبة إلى قبيلة لواتة التي عندما تسلطت عليها هوارة ضغنت عن المدينة و خلت عنها و نزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة، ابن الصغير، المصدر السابق، ص74.

2 - اسكدال: و هو بقبلة تيهرت على مسيرة يوم و أزيد قليلا في مجتمع الإباضية، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص73.

3 - تسلونت: هو على مسيرة أميال عن حصن لواتة و منه مخرج عيون نهر مينة الجاري من قبلة تيهرت، كما يعرف أيضا بحصن تاملونت أو تماليت و يقع على طرف لواتة الذي نزل به أبو اليقظان أثناء الفتنة بين هوارة و لواتة، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 74- 93، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 329- 355.

4 - الكنيسة: تطلق على دار ابني دبوس: أحمد و محمد، ابن الصغير: نفسه، ص100.

5 - هو عبارة عن حصن بناه النفوسيون والرستميون في عدوة نفوسة، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 72- 73.

6 - تالغمت: لعلها هي القرية المعروفة بتيلغمت في صحراء الجزائر بين الأغواط و غرداية على بعد 90 كلم، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص94، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص336.

7 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص383.

8 - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص- ص 153- 163.

9 - محمد بلغراد: المرجع السابق، ص46.

نستنتج من خلال عرضنا للمظاهر العمرانية أن اتساع دائرة تيهرت و عظم ملكها ودخول عدة مدن تحت طاعتها و ولائها، فقد كانت تيهرت شمالها و جنوبها و شرقها و غربها محفوفة بمدن كثيرة متحضرة و راقية، مما جعل المؤرخين و الرحالة ينسبون عدة مدن إليها و يتبعونها لها، و من هؤلاء، المقدسي الذي يذكر أهم هذه المدن فيقول: "و يقرب تيهرت مدينة تسمى رها، و قد خربت، و تنس مسورة عن البحر، شربهم من نهر، و قصر الفلوس و تيهرت السفلى أي القديمة على واد عظيم ذات أعين و بساتين، و افكان مسورة على واد جار ذات بساتين، و يلل و جبل توجان على ما ذكرنا سواء مسورة مما يدل على رقيها ذات بساتين، و هو دليل على حضارتها وعمرانها، و وهران بحرية مسورة يقلعون منها إلى الأندلس في يوم و ليلة، ترى منها البرين، و هي أحد المقابر المشهورة، و جبل زلاغ مدينة على جبل عال يطل على كورة فاس، بناها خلوف بن أحمد المعتلي و بقية المدن أكثر من مسورات ذات بساتين"[1].

و هذا سليمان الباروني ينقل لنا نصا عن البشاري الحرفي ينسب ما يقارب أربعين مدينة لتيهرت بقوله: "و لتيهرت يممة، تاغليسة، قاعة ابن الهرب، خرارة، جعابة، غدير، الدروع، لماية، منداي، سوق ابراهيم، رهباية، البطحة، الزيتونة، تمما، يعود، الخضراء، واريفن، تنس، قصر الفلوس، بحرية، سوق كري، منحصة، أوزكي، تبرين، سوق بن مبلول، ربا، تاويلت أبي مغلول، تمزيت، تاويلت لغو، أفكان (و بها نهر يأتي إلى تيهرت)"[2].

و من خلال هذين النصين نستنتج بعض المدن التي نسبت إلى تيهرت و منها مثلا مدينة إفكان التي يؤكد كل من الإدريسي و ابن حوقل على أنها كانت تابعة لتيهرت[3] و مدن أخرى كتنس و شلف و حتى وهران[4].

---

1 - المقدسي: المصدر السابق، ص230، محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص- ص 231- 232.

2 - البشاري الحنفي نقلا عن سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص39.

3 - الإدريسي: المصدر السابق، ص151.

4 - للمزيد أكثر عن المدن المنسوبة إلى تيهرت، ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 55- 82.

المبحث الثالث: الحياة الدينية و الفكرية في تيهرت

أولا- المذهب الإباضي و آراؤه الفكرية

المذهب في مفهومه اللغوي هو الطريقة و المسلك، يقال ذهب الشخص أي سار في طريقه و مسلكه، أما مفهومه الإصطلاحي فهو استنتاج و استنباط الأحكام الفقهية تفسيرا لما ورد في القرآن الكريم و السنة النبوية، أو عن طريق الاجتهاد، و هو أيضا مجموعة من الأفكار و النظريات العلمية و الفلسفية[1].

1- نشأة المذهب الإباضي:

بعد المذهب الإباضي أول المذاهب الفقهية في نشأته حيث تذكر المصادر الإباضية أن أول من جاء يدعو إلى مذهب الإباضية هو سلمة بن سعد[2] الذي قدم من أرض البصرة إلى المغرب[3] ومعه عكرمة[4] مولى بن العباس على بعير واحد، فسلمة بن سعد يدعو إلى الإباضية و عكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية، و يروي الدرجيني على لسان عبد الرحمن بن رستم نفسه فيقول:"أول من جاء يطلب مذهب الإباضية و نحن بقيروان إفريقية، سلمة بن سعد، قال:قدم علينا من أرض

---

1 - مجموعة من اللغويين:لمعجب العربي الأساسي،المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم، 1989، ص- ص 487- 488.

2 - سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني، عالم و داعية إباضيي، اخذ العلم من أبي عبيدة مسلم، و هو أول داعية قدم إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي رفقة الداعية الصفري عكرمة مولى بن عباس، و دخل بلاد المغرب سنة 95هـ، توفي أثناء عودته إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ينظر، الدرجيني: المصدر السابق، ص- ص 11- 12، بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص32، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص123.

3 - لكننا لا نعلم على وجه الدقة متى وفد هؤلاء الدعاة، و من المرجح أن يكون ذلك مع نهاية القرن1هـ أو مطلع القرن 2هـ، ينظر، عبيد بوداود: ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي و تداعياتها، مجلة المواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، أفريل 2008، ص303.

4 - ذكره الشهرستاني من بين رجال الخوارج دون أن يحدد أي فرقة منهم، ينظر، الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص137، أما بن خلكان فقال فيه:"و قد تكلم الناس فيه لأنهم يرى رأي الخوارج"، ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص265، أما المالكي فيقول عنه:"دخل عكرمة إفريقية و أقام بالقيروان و بث بها العلم و كان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة"، المالكي، المصدر السابق، ج1، ص146.

البصرة... فسمعت سلمة يقول: وددت أن لو ظهر هذا الأمر...يوما واحدا، فلا آسف على الحياة بعده"[1].

اشتهرت الإباضية ضمن فرقة الخوارج و كان ظهورها مرتبطا بتلك الحركة، إلا أنها انشقت عنها لما ظهر غلو بعض المتطرفين من الخوارج، و كان الخلاف حول مسألة الخروج لمحاربة السلطة الأموية المناهضة لهم حيث أن فريق رأي الخروج واجبا بينما الفريق الآخر التزم القعود واعتبر الخروج لا يحل لأن المخالفين لهم بريؤون من الشرك، و بالتالي لا يجوز لهم مقاتلتهم[2]، وابتداء من هذا الاختلاف الذي وقع حوالي 64هـ ، انقسم الخوارج إلى معتدلين ومتطرفين[3] والتي قيل أنها تصل إلى العشرين فرقة تقريبا[4] لا تجمع بينهم سوى نظريتين، أولهما:نظرية الخلافة التي لم يرفضون أن تكون من قريش، و ثانيهما:نظرية اعتبار العمل جزءا من الإيمان[5].

و من أشهر هذه الفرق الإباضية التي تمتاز بالإعتدال في نظريتها إلى مخالفيها، حيث أنهم لا يحكمون بتكفيرهم، بل يعتبرون التزاوج و الميراث مع غيرهم من المسلمين حلالا، و لا يستبيحون قتل غير الخوارج من المسلمين إلا في حالة إعلان الحرب عكس الأزارقة[6]، و أول من تزعم الإباضية هم أبو بلال مرداس بن حدير التميمي[7] الذي وصفه الدرجيني بالورع و الديانة و العلم الصيانة و الفضائل التي لا تحصى[8]، ثم تولى بعد ذلك الزعامة السياسية أو قيادة الحركة عبد الله بن

---

1 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 11- 12، صالح باجية: المرجع السابق، ص- ص 24- 25، ابراهيم بحاز: عبد الرحمن بن رستم، المرجع السابق، ص11، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص123.

2 - ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص74، محمد بلقراد: المرجع السابق، ص43.

3 - محمد الطمار: المرجع السابق، ص93، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص- ص 78- 79.

4 - الشهرستاني: المصدر السابق، ص34، بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص30.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص3، و أيضا: Ch.Bekri : Le royaume, op.cit, p57.

6 - أبو زكرياء: نفسه، ص نفسها.

7 - تم القضاء علسه من طرف القائد الأموي عبد الله بن زياد أثناء الصلاة، كان في قرية أساك عام 61هـ، و لم يكن في نية أبي بلال مرداس القتال و قد كان رفقة ثلاثين من أصحابه، محمد عليلي: المرجع السابق، ص 62، و ينظر أيضا:
Ch.B : Le royaume, op.cit, p60.

8 - الدرجيني: المصدر السابق، ص- ص214- 215.

إباض التميمي[1]، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة و قال عنه:"كان عبد الله بن إباض إمام أهل الطريق، و جامع الكلمة لما وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات و المبني لطرق الاستدلالات والإعتمادات، و المؤسس لأبنية مسندات الأسلاف، و المهدم لما اعتمده أهل الخلاف، و كان رأس العقد، و رئيس من البصرة و غيرها من الأمصار و المتقدم في حلبة الفضل بين أولائك الأخيار"[2]، كان معاصرا لمعاوية و عاش إلى أواخر عهد عبد الملك بن مروان، وصفه الشماخي بأنه:"إمام أهل التحقيق و العمدة" كما أن علاقته المتينة بعبد الملك بن مروان (26- 86هـــ) سمحت له بأن يقوم بدور المستشار لهذا الخليفة[3]، و تميز بقوة الحجة، و تم اختياره للمرافعة عن الإباضية، لما له من ملكة لسانية، فكان قوي المناظرة، إضافة إلى انتمائه إلى قبيلة بني تميم التي تولت الدفاع عنه، مما قد يلحقه الأمويين به[4].

و يتجلى موقف عبد الله بن إباض من الخوارج من خلال الرسالة التي بعثها إلى عبد الملك بن مروان يعظه فيها و يدعوه إلى الإعتصام بكتاب الله و سنة رسوله حيث قال:"أنا براء إلى الله من ابن الأزرق و أتباعه، لقد كان خرج إلى الإسلام فيما ظهر لنا و لكنه أحدث و ارتد و كفر بعد إسلامه، فتبرأ إلى الله منهم"[5].

ب/ علماء و أعلام الإباضية:

ومن بين أشهر أعلام و علماء المذهب الإباضي نذكر:

*جابر بن زيد الأزدي:

أما الزعامة الروحية للمذهب الإباضي، فالمصادر الإباضية تؤكد على أنها كانت في يد

1 - المبرد: الكامل، المصدر السابق، ج3، ص297، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 5- 551، محمد عليلي: المرجع السابق، ص62، و ذكره الشماخي ب: عبد الله بن إباض المري التميمي، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص77.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص214، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص77.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص3، الشماخي: المصدر نفسه، ج1، ص نفسها، صالح باجية: المرجع السابق، ص106.

4 - الشيخ بلحاج: المرجع السابق، ص27 و أيضا لخضر سيفر: المرجع السابق، ص21.

5 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص268، قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج: المرجع نفسه، المرجع نفسه، ص23.

جابر بن زيد الأزدي العماني البصري المتوفي سنة 93هـ/ 711م[1]، و يكنى بأبي الشعثاء[2]، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة و وصفه ببحر العلوم العجاج، و سراج التقوى ناهيك به من سراج، أصل المذهب و رأسه و منار الدين، و من انتصبت به أعلامه، صاحب بن العباس رضي الله عنه، وكان أمهر من صحبه، و قرأ عليه[3]، أخذ العلم عن كثير من الصحابة أمثال عائشة و ابن مالك وعبد الله بن عباس[4]، و قد كان أبو عباس يمتدح علمه فيقول:"إسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق و المغرب لوسعهم علمه"، و قال أيضا:"جابر بن زيد أعلم الناس، عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا و عندهم جابر بن زيد، لو قصدوا نحوه لوسعهم علما"، و لما مات جابر بن زيد قال أنسب بن مالك:"مات أعلم من على ظهر الأرض" أو "مات خير أهل الأرض"[5].

اعتمد جابر بن زيد في دعوته استعمال التقية الدينية و جعلها منهاجا لعمله الدعوي، فلم يكن يعلم بنشاطه إلا الخاصة من أتباعه و كان يخفي انتماءه و يوصي أصحابه أن يحافظوا على السرية، فكانت التقية سببا في نسب المذهب الإباضي إلى عبد الله بن إباض الذي تولى التمثيل السياسي بعد جابر بن زيد[6].

و النماذج التي تجلت فيها هذه التقية لدى الإمام جابر بن زيد أنه سار على سياسة ودية تجاه الأمويين، و ارتبط بعلاقات وثيقة مع الحجاج بن يوسف الثقفي (40- 95هـ) إذ كانت له

---

1 - عون التابعين ولد بقرية فرق من أعمال نزوي بعمان، ولد حوالي سنة 21هـ، روى الحديث عن الكثير من الصحابة أمثال عائشة و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عاس، تعتبره الإباضية إمام المذهب الإباضي، و يعتبر بشهادة أبي زكرياء نفسه من أكبر علماء المذهب، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 117- 118، البخاري: التاريخ الكبير، المصدر السابق، ج1، ص204، الذهبي: المصدر السابق، ص- ص 68- 72، حودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص40.

2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص- ص 70- 71، و الشعثاء هي بنت جابر التي كني بها، و قد توفيت في مدينة الفرق بعمان، و قبرها معروف بها إلى الآن، ينظر هامش علي دبوز: المرجع السابق، ص 139، و للمزيد عن أبي الشعثاء ينظر: يحيى بكوش: فقه الإمام جابر بن زيد، ج1، الدار العربية، ط2، غرداية 1988، ص11، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 117- 118.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ج2، ص205.

4 - كان عبد الله بن عباس أعلم الصحابة بالقرآن الكريم و صاحب حجة و اقتناع، و قد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه دعا له بقوله:"اللهم علمه الكتاب"، ينظر، البخاري: المصدر السابق، ص41.

5 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص205، الذهبي: المصدر السابق،ص72، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص70.

6 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص63، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص21.

زيارات دورية له في قصره[1] بحيث عرض عليه عامل بني أمية منصب القضاء، و قد بلغت ثقة الحجا حبه إلى أن عرض عليه منصب القضاء، و قد كان لجابر بن زيد كتاب ضخم عنوانه "ديوان جابر" أتلف عندما أحرقت مكتبة بغداد العظيمة[2].

*أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة:

بعد وفاة الإمام جابر بن زيد سنة 93هـ، خلفه على إمامة الإباضية، أبو عبيدة مسلم الذي كان مثالا للورع و التمسك بالدين، من أعلم تلامذة جابر بن زيد و أشدهم تفانيا في الدفاع عن الدعوة، شديد التمسك بمبادئ أستاذه[3].

و قد اشتهر أبو كريمة بصناعة القفاف و كان زنجيا أسود اللون أعور و فقيرا، وصفه الشماخي قائلا:"تعلم العلوم و علمها، و رتب روايات الحديث و أحكامها، و هو الذي يشار إليه بالأصابع بين أقرانه و قال:"و قد اعترف مع ذلك بضيق الباع مع ما لديه من المتاع"[4]، و صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة قائلا في حقه:"منهم أبو عبيدة كبير تلامذته جابر، و ممن حسنت أخباره، تعلم العلوم و علمها، و رتب الأحاديث و أحكمها، وحافظ في خفية على الدين حتى ظهر على يد الخمسة الميامين، حسب ما تقدمه من ذكر دراستهم و حملهم العلوم، و كان عالما مع الزهد في الدنيا و التواضع مع نيل الدرجات العليا و الاعتراف بضيق الباع على ما عليه من الأتباع"[5].

و لقد آثر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أسلوب المناقشة و الحوار مع معارضيه، و من بينهم الإباضية، فحاول أبو عبيدة و مشايخ الإباضية بالبصرة التقرب من الخليفة، فأرسلوا إليه وفدا

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص4.

2 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص264، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص4.

3 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص534، لخضر سيفر، ص22.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص83، لخضر سيفر: المرجع نفسه، ص23.

5 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص238.

برئاسة جعفر بن السماك[1] و الذي وصفه الدرجيني قائلا:"و منهم جعفر بن السماك، شيخ الصيانة و النزاهة و ركن الديانة والفقاهة...له الكعب العالي في أهل زمانه، و التقدم في فضله ومكانه"[2] و قد رجع الوفد راضيا عن سياسته الخليفة[3].

و لأن العلاقات اتسمت بالود بين الإباضية و السلطة في عهد الخليفتين سليمان بن عبد الملك (96- 99هـ) و عمر بن عبد العزيز، فإن أبا عبيدة استغل هذه المرحلة و هذه الظروف في حركته من أجل تأسيس إمامة الظهور، فقام بتطوير تنظيمات المجالس السرية التي كانت تقام بالبصرة، فشهدت الجماعة في عهده تنظيما محكما، قسم المهام على مجالس العلماء و الأعيان والعامة لتدعيم الدعوة، مما يسمح بوصولها إلى أبعد المناطق في العالم الإسلامي[4]، و يمكن تمييز ثلاثة أنواع من المجالس السرية:

*أولا- المجالس العامة:و كان يحضرها كل شخص من أهل الدعوة و تعقد سريا ف بيت أحد المشائخ أو في سراديب أرضية، و تقدم فيها دروس في العقيدة.

*ثانيا- مجالس المشائخ: و كان يحضرها فقط زعماء الإباضية و تقرر فيها السياسة التي يجب اتباعها اتجاه المستجدات، و يقوم بدور التخطيط و التنظيم.

*ثالثا- مدارس حملة العلم: قام أبو عبيدة بإنشاء مدرسة يتلقى فيها الطلبة دروسا مباشرة من أبي عبيدة، و كان ظاهر المدرسة معملا لصناعة القفاف حتى سمي بالقفاف[5]، و هو عبارة عن سرداب وضع في مدخله سلاسل حديدية، ففي حالة ما إذا سمع صلصالها، انشغلوا بصناعة القفاف فلا يشتبه في أمرهم[6].فلما أدرك أبو عبيدة صعوبة الدعوة للمذهب الإباضي بالمشرق الإسلامي خاصة

---

1 - جعفر بن السماك: أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم، عرف بحماسة الإباضية و بعلمه الغزير و تقواه و ورعه و بلاغته وفصاحته، موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص226.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص232.

3 - عوض خليفات: المرجع السابق، ص34.

4 - لخضر سيفر: المرجع السابق، ص22.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص83، عوض خليفات: المرجع السابق، ص53.

6 - يذكر الشماخي:"في سرب و على فمه سلسلة..."، الشماخي: نفسه، ج1، ص164، بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص30.

بعد وفاة عمر بن عبد العزيز و اعتلاء يزيد بن عبد الملك الخلافة (101- 105هـ) حيث ظهرت نزاعات ثورية و برزت طائفة متطرفة من بين الإباضية تنادي بوجوب ثورة[1]، أي أن ينطلق الإباضية بدعوتهم إلى أطراف الدولة و على الأخص بلاد المغرب، فاختار أحد تلامذته معروف بحماسته الإباضية و بعلمه الغزير و تقواه و ورعه و بلاغته و فصاحة لسانه و هو سلمة بن سعد، و الذي بدأ دعوته في سرت ثم طرابلس إلى أن وصل إلى إفريقية، كان يجمع الطلبة من جهات مختلفة و يكون منهم بعثة للسفر إلى البصرة، و منهم الخمسة، جملة العلم إلى إفريقية و هم عبد الرحمن بن رستم، و عاصم بن جميل السدراتي، واسماعيل بن درار الغدامسي و أبو داوود القبلي النفزاوي[2]، ثم انضم إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، و قد اختاره أبو عبيدة مسلم رئيسا للإباضية التي ينوي البربر إقامتها في المغرب لغزارة علمه و مهارته في الإستنباط[3].

و عاد حملة العلم الخمسة إلى المغرب الإسلامي بعد إقامة دامت خمس سنوات في البصرة، فلما أرادوا الخروج عنه سأله اسماعيل بن درار عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام فقال له أبو عبيدة، أتريد أن تكون قاضيا يا ابن درار؟، قال:أرأيت إن أبتليت بذلك، قال: لا تفت بما سمعت مني و لا بما لم تسمع، فمنعه من الفتوى كلية[4].

*الربيع بن حبيب:

هو ابن عمر الأزدي الفراهدي، خرج إلى البصرة طالبا للعلم، من علمائها الأجلاء كيفية العمانيين الذين تلاحقوا على هذه المدينة منذ عهد عمر بن العاص[5]، و كان صاحبا لأبي عبيدة، فتصدر من بعده كل علماء المذهب، و أدرك في شبابه الإمام جابر، و لعل أكثر ما حماه الربيع بن حبيب و ضمام بن السائب أحد تلاميذه جابر بن زيد الأزدي، فكان الإمام الربيع بن حبيب

1 - بلحاج معروف: المرجع السابق، ص31.
2 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص164.موسى لقبال: المرجع السابق، ص227.
3 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص353.
4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص164، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص23.
5 - عمر بن العاص (تعريف بحث)

يقول:"أخذت الفقه عن ثلاثة، أبي عبيدة، أبي نوح و ضمام ن السائب"[1]، و صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الرابعة (150- 200هـ) قائلا:"منهم الربيع بن حبيب رحمه الله، طور المذهب الأشم، وعلم العلوم الذي إليه الملجأ في معظمات الخطب، و من تشد إليه حبال الرواحل و تزم، صاحب أبا عبيدة فاغترف من بحره الزاخر، و لزم مجلسه، فكان الأول و الآخر، روى عنه "المسند" المشهور، المتعارف البركة على مر العهود، وله في الفروع كل قول و مذهب، أجوبته من المعتمدة في المذهب، باين من خالف من حاضريه أهل العدل و الطوب و وصف في الإمامة و الولاية بالبراءة عند موافقة السنة و الكتاب و الصواب عندنا في كل ذلك جوابه، فإن سمعت بأصحابه فنحن و الحمد لله أصحابه"[2].

3- مبـــادئ المذهب الإباضي و آراؤه الفكرية:

مما لا شك فيه أن الصورة تبقى مبتورة إذا توقفنا عند هذا الحد، لهذا من الضروري ذكر بعض المبادئ و الأفكار الإباضية، و لعل المذهب الإباضي أقرب المذاهب إلى السنة، إذ يقول ابن إباض أقرب الأقاويل إلى السنة[3]، و ذكر الدرجيني في وصفه لابن إباض ما يلي:"و المهدم لما اعتمده أهل الخلاف...و على ما أعتقده بن الأزرق في المحمدية و عدل عن طريقي البيهسية والنجدية"[4]، و هذا يعني أن الإباضية لا يوافقون الأزارقة في دمويتهم و غلوهم وتحلة دماء و أموال أمة محمد عليه الصلاة و السلام، لهذا خالفوهم و تبرؤوا منهم، فانفصلوا عنهم و كان ذلك في سنة65هـ/684م في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65- 86هـ/675- 705م).

و من هنا نستنتج أن الإباضية من الفرق الإسلامية المسالمة المعتدلة في آرائها و مبادئها، وهي أقرب إلى أهل السنة و الجماعة، و منه يمكن إجمال هذه المبادئ و الأفكار فيما يلي:

---

1 - مريم بن سعيد: المرجع السابق، ص23.
2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص273.
3 - المبرد: المصدر السابق، ج3، ص299، ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص77.
4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص214.

-مصادر التشريع الإباضي هي القرآن و السنة و الإجماع و القياس و الإستدلال[1]، كما يصف تساشو المتخصص في الإباضية أن البرهان يصدر من الكتاب و السنة و الإجماع و العقل و هو ما يعادل القياس، و بالتالي، الأسس الأربعة للتشريع هي الكتاب و السنة و رأي المسلمين و العقل، ومنه الإباضية متوافقة مع السنة[2].

-القرآن مخلوق عند قسم منها المغاربة خاصة، و غير مخلوق عند القسم الآخر[3]، و توجد في "الجواهر المنتقاة" للبرادي رسالة مطولة لرابع الأئمة أبو اليقظان، يتحدث فيها عن خلق القرآن في الفصل الخاص بالحياة الفكرية[4].

-يرى فقهاء الطائفة أن مرتكب الكبيرة موحد و ليس مؤمنا، فمن أقوال عبد الله بن إباض:"لا تقل فيمن خالفنا أنه مشرك لأنه معه التوحيد و الإقرار بالكتاب و الرسول صلى الله عليه و سلم و إنما هو كافر للنعم، و مواريثهم و مناكحهم و الإقامة معهم حل و دعوة الإسلام تجمعهم و قتالهم غير جائز إلا بعد إقامة الحجة عليهم و دارهم دار السلام ما عدا معسكر السلطان"[5].

فكانت بذلك نزعتهم أميل إلى السلم، فلم يتعالوا في الحكم على مخالفيهم كالأزارقة، فهم يرون أن مخالفهم براء من الشرك و الإيمان، و أنهم ليسوا مؤمنين و لا مشركين، و لكنهم كفار، وأجازوا شهادتهم و حرموا دماءهم في الستر و استحالوها في العلانية، و صححوا مناكحتهم والتوارث منهم، و قاموا باستحلال بعض أموالهم دون بعض، و الذي استحلوه الخيل و السلاح، أما الذهب و الفضة فإنهم يردونها إلى أصحابها عند الغنيمة[6].

-رؤية الله مستحيلة و لا تتحقق للإنسان أبدا، لا في الدنيا و لا في الآخرة، كما جاء في الفصل الثالث من "الرسالة الشافية" لمحمد أطفيش المتوفي سنة 914[7].

---

1 - بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص- ص 42- 43.

2 - سلفادور غومث نوغاليس: الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر و الأندلس من خلال الإباضية، العدد46، رجب 1977، الملتقى الفكري الحادي عشر للفكر الإسلامي، وارجلان، ص16.

3 - Ch.Bekri :le karijisme op.cit, p58.

4 - البرادي عن: Ibid : p59.

5 - موسى لقبال: المرجع السابق، ص- ص 229- 230.

6 - البغدادي: الفرق، المصدر السابق، ص83.

7 - Louis Garder : op.cit, p – p 214- 215.

-الإتفاق مع المذاهب السنية في أن أفعال الإنسان من خلق الله، لكن للإنسان حرية اكتساب الأفعال، فهو ليس مجبرا على القيام بها[1].

-الإيمان يكون بتطبيق أركان الإسلام، و من مات على كبيرة و لم يتب خلد في النار[2]، أي أن الخلود في الجنة و النار أبدي، لا يشقى من سعد في الآخرة و لا يسعد من شقي في الآخرة أبدا.

-الإنكار معلوم من الدين بالضرورة شرك[3].

-الصفات الإلهية هي عين ذات الله.

-النفاق منزلة من الشرك و الإيمان و لا منزلة بين الإيمان و الكفر.

-الإيمان قول تصديق و عمل و ليس قولا و تصديقا فقط دون عمل.

-شفاعة الرسول ثانية[4].

-يعتبرون الجوانب المادية و الروحية متكاملة، لذلك أنكروا التصوف[5].

- الإمامة فرض و لا ينحصر في عنصر خاص، و إنما شرطها هو الكفاءة و الشرعية[6].

-الإمامة أربعة أنواع وتعرف عند الإباضة بمسالك الدين وهي:الظهور،الدفاع،الشراء والكتمان[7].

أ/إمامة الظهور:و هي واجبة عندما تتوفر شروطها لتأسيس دولة إباضية المذهب و شروطها هي أن يكون مسلمو الإباضية أقوى من غيرهم بحيث يستطيعون انتخاب من يحكم علنا و ذلك طبقا لكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الراشدين، من بعد فيقوم إمام

---

1 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص272، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 77- 78، أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص- ص 289- 290.

2 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص64.

3 - نفسه، ص نفسها.

4 - بلحاج معروف: العمارة الدينية، المرجع السابق، ص43.

5 - الحاج سعيد عيسى: المرجع السابق، ص272.

6 - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص78.

7 - عوض خليفات: المرجع السابق، ص- ص 113- 190.

الظهور بالقطع و الجلد و الرحم و أخذ الحقوق[1]، و الظهور بمعنى تولية إمام عدل تسند إليه الأمور[2].

ب/ إمامة الدفاع:هي مرحلة بين الظهور و الكتمان[3]، فإن كان الإباضية في طور الكتمان وداهمهم العدو، فتجب عليهم أن يعلنوا حالة الدفاع عن انفسهم، و يعقدوا إمامتها لمن يعرف بالشجاعة و الخبرة العسكرية و من يطلق عليه إسم إمام الدفاع[4]، و مهمته الدفاع عن الوطن حتى نهاية الحرب، و تزول إمامته بزوال الخطر الداهم[5].

د/ إمامة الكتمان: و تعبر عن مرحلة الضعف بحيث يركنون إلى السرية و استعمال التقنية وينتخبون إماما عليهم، يكون عادة هو أعلم كجابر بن زيد الأزدي، و أبي عبيدة مسلم ، ويقومون بنشر الدعوة سرا.

و لعل هذه الأفكار و المبادئ الإباضية و التي يكون مسك ختامها ما ذكره الإمام الإباضي في القرن الرابع عشر الشيخ أطفيش قطب الأئمة حيث قال:"إن الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا، لأن الحق عند الله الواحد، و مذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ، ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصدق"[6].

نستنتج من خلال الحياة الدينية في الدولة الرستمية أن أغلب سكان تيهرت كانوا يعتنقون المذهب الإباضي، لكن هذا لا يمنع وجود أقليات مذهبية و دينية كالصفرية و المالكية و المعتزلة بالإضافة إلى النصارى و اليهود عاشوا مع الإباضيين في سلام و وئام طيلة حكم الرستميين، و هذا ما يشير إليه بن الصغير عندما ذكر تسامح الإباضية بقوله:"و لا يمنعون أحدا من الصلاة في

1 - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص79.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص6.

3 - الكتمان: ملازمة الأمر سرا بلا إمام، ابن الصغير: المصدر السابق، ص25.

4 - إمامة الدفاع: أن يدعم أهل الكتمان

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص5، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص80.

6 - أطفيش نقلا عن ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص88.

مساجدهم و لا يكشفون عن حاله ما خلى المسجد الجامع، فإنهم إذا رأوا فيه من رفع يديه منعوه و زجروه، فإذا أعاد ضربوه"[1].

ثانيا– عوامل ازدهار الحركة العلمية و الفكرية بتيهرت

لقد تظافرت عدة ظروف سياسية و اقتصادية و اجتماعية إضافة إلى جهود الأئمة الرستميين أنفسهم في النهضة الثقافية و الثراء المعرفي نذكر على سبيل المثال:

1– تشجيع الأئمة الرستميين للحركة الفكرية:

مما لا شك فيه أن الطابع الذي كان غالبا على الأئمة الرستميين زهدهم في شؤون الحياة الدنيا، و عدولهم عن شهواتها و ملذاتها، حيث كان همهم الوحيد هو الظفر بمرضاة الله تعالى، لذلك كانت عنايتهم الكبيرة بالعلوم خاصة الدينية منها[2].

و لذا فقد بذل الأئمة الرستميون جهودهم في سبيل تنشيط الحركة الفكرية و العلمية في ربوع دولتهم من تشييد للمساجد و الدور العلمية و جلب الكتب من المشرق، فكان لاهتمامهم أثر في تفعيل المجال العلمي[3]، كما اهتمت أيضا الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم و الآثار، و لعل من أشهر مكتباتها، مكتبة المعصومة التي كانت تحوي آلافا من المجلدات و الكتب، قدرها الباحثون بثلاثة آلاف مجلد[4]، فمن بين ما كانت تحويه، كتب الحرف والفنون الدينية و الدنيوية[5]، و لعل تسامح الأئمة هو الذي زاد و أفاد توسع النطاق المعرفي،

---

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص.

2 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص111.

3 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

4 - المعصومة: ربما يكون قد أطلق عليها هذا الإسم لقربها من القصبة التي كانت مشرفة على السوق المسماة المعصومة، البكري، المصدر السابق، ص66، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص8، مهنا السعدي: الدولة الرستمية دولة جهلها التاريخ، على موقع www.FRWLA.com ، نظر يوم، 11- 02- 2006، 10:45.

5 - موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي، مكتبة المعصومة، هل أحرقت؟ أم نقلت عيونها إلى سدراتة في حوار بني وارجلان؟ مجلة الأصالة، العدد 44، وارجلان، 1977م.

وأصبحت بهذا تيهرت توازي القيروان حاضرة العلم[1]، حيث أنهم كرسوا حياتهم للعلوم و شرائها و نشرها في كل طبقات المجتمع، و ذلك بشجعيهم على طلب العلم، حتى وصل بهم الأمر إلى لتدريس بأنفسهم في جامع تيهرت و بجبل نفوسة[2]، حيث أنه كان من بين الشروط التي تؤخذ بعين الإعتبار عند اختيار الإمام، و مبايعته أن يكون عالما ورعا[3]، و هذا ما لمسناه من أغلب الأئمة الرستميين لا سيما الأولين منهم. فالإمام عبد الرحمن بن رستم كان قد أخذ العلم من المشرق، واعتبر من حملة العلم كم ذكرنا[4]، و كان له من العلم الغزير، حيث قال عنه

أحد معاصريه:"لا أعلم من يخرج مسائل الدماء، أهل القبلة في زماننا إلا عبد الرحمن بن رستم بالمغرب كما كان سمحا غير متشدد في الدين"[5]، بارعا في علوم الدين و اللغة و الفلك، و كان محبا للعلم فأقبل على التأليف على قلة ما كان يجده من الوقت، فصنف كتابا في التفسير[6]، هذا الذي تنافس عليه الإباضية الوهبية و النكارية على اقتنائه، ذلك لأن الكتاب هو لأول إمام لم يقع عليه الإختلاف، و تولته الطائفتان معا، أما كتابه الثاني فقد جمع في خطبه التي كان يلقيها و ما أسهم به ذلك في نشر الدين و الفقه و الثقافة[7]، ليليه فيمات بعد ابنه الإمام الرستمي الثاني عبد

1 - صالح باجية: المرجع السابق، ص57، و قد تحدث عنها ابن حوقل فقال:"فكانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب و أكثرها تجرا و أموالا و أحسنها منازل و أسواقا، و كان فيها ديوان جمع المغرب و إليها تجبى الأموال و بها دار سلطانها و بظاهرها المكان المدعو رقادة كانت منازل لآل الأغلب"، ابن حوقل: المصدر السابق، ص96، خاصة الدور الذي لعبه مسجدها الجامع حيث قيل:" لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعا له مدينة"، أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته و نظمه، دار الفكر، ط2، دمشق، 1982، ص358.

2 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص574.

3 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص26.

5 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص265.

6 - محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، ص- ص 34- 36، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص574، و رغم أن البرادي و موتلنسكي يذكران عبد الرحمن ألف شرحا للقرآن، و قد اختفى هذا الشرح و هو أقدم شرح للقرآن ذكرته الآثار الأدبية الإباضية، إلا أن ابن الصغير يذكر أن عبد الرحمن لم يكن له كتاب معروف من تأليفه"، تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في افريقيا الشمالية، ترجمة ريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت2000، ص- ص 38- 39.

7 - مهنا السعدي: المقال السابق، في الموقع الإلكتروني السابق.

الوهاب بن عبد الرحمن (171- 208هـ)، و الذي سار على خطى أبيه، فكان عالما يلقي دروسا في مساجد جبل نفوسة[1].

و من المؤلفات التي نسبها إليه ابن الصغير هي نوازل[2] نفوسة الجبل، و يضيف ابن الصغير أن هذا الكتاب كان في أيدي الإباضية، مشهورا عندهم، معلوما يتداولونه قرنا بعد قرن، و قد كان هذا الإمام يبعث بالأموال إلى العراق لشراء الكتب، و لا يمل قراءتها شتاء أو صيفا[3].

أما الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب (208- 258هـ) فيعتبر عهده من أزهى عصور الدولة الرستمية ثقافة و فكرا، و رخاء اقتصاديا، فقد كان قبل توليه الإمامة يقعد بين يديه ثلاث حلقات في علم الفقه و الكلام و اللغة[4]، و له أجوبة و نوازل تخص المسائل الفقهية، حيث نقل عنه العديد من المؤرخين أمثال أبي زكرياء في الحديث و الشعر و غيرهم[5]، فأصبح من العلماء المشهورين، و انفرد بأقوال في علم الكلام، و اعتبر من أجلها إماما، كما بلغ مبلغا في حساب الغبار، و النجامة، كما حث على دراسة الكتب حيث قال:"عليكم بدراسة كتب المسلمين، لا سيما كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل"[6]، و الإمام محمد بن أفلح بن عبد الوهاب الذي قال عنه الدرجيني:"فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه و سيرته إلا بأيام جده عبد الرحمن وسيرته، و ذلك أنهم اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون و طائفة يقرأون الكتاب، وطائفة يتذاكرون في فنون العلم...و له تآليف في الرد على أهل الخلاف لا يشق فيها غباره"[7]

---

1 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

2 - هي التي تنزل على العباد مما ليس لهم عهد من كتاب الله، و لا سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فيسرع لهم الجهاد بين مخطئ و مصيب، و الكل محمول عنهم، أو مسائل نفوسة، يجيب فيه عن 300 سؤال، ابن الصغير: المصدر السابق، ص45، هامش ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص267، ذكر المخطوطة رقم تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص42.

3 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص- ص 272- 273، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص نفسها.

4 - الوسياني نقلا عن تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص143، و سنتطرق للعلوم في الحياة الفكرية.

5 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص242، و لقد نحا نحو أبيه الإمام عبد الوهاب و ألف كتابا سماه "جوابات الإمام أفلح"، محمد عليلي: المرجع السابق، ص84.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص81.

7 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 83- 84.

إن المدن المغربية عامة و تيهرت خاصة و التي شيدت على الأسس المادية و الفكرية للحضارة الإسلامية[1]، لعبت دورا كبيرا في إثراء الثقافة و الفكر الإسلاميين، فقد ظلت زمنا طويلا كمراكز لإنتاج علمي و فكري غزير في ظل مؤسسات علمية و دينية زخرت بها المدن المغربية، ومن أبرز المدن التي قادت هذا الدور الفعال في بلاد المغرب، تيهرت التي عرفت توسعا عمرانيا كبيرا، خاصة في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب[2]، فقد أصبحت مقعدا للعلماء و الفقهاء والأدباء بمختلف أفكارهم المذهبية، فكان شأنها كبيرا بين المدن الإسلامية الأخرى، و ما مقارنتها بحواضر العالم الإسلامي في هذه الفترة إلا دليل على المكانة التي بلغتها في مجالات عدة و خاصة الثقافية، فقد شبهها بعض المؤرخين بقرطبة و دمشق و بغداد[3].

إن مدينة تيهرت لم تكن فقط العاصمة السياسية للرستميين، بل كانت عاصمتهم الثقافية والحضارية، و من أكبر المؤسسات الثقافية و العلمية في تيهرت مسجدها الجامعن و هو ثاني معلمة دينية و حضارية في المغرب الإسلامي بعد القيروان، و الذي كان بمثابة مدرسة الإباضية[4]، ليس فقط لإباضي الدولة الرستمية بل لمعتنقي هذا المذهب من كل مكان لدور و اهتمام أئمته في إنشاء الفقه الإباضي و تطويره، دون أن ننسى دور مكتبة المعصومة التي جسدت جهود أئمة الدولة الرستمية و حققت مساعيهم في تحويل حاضرة دولتهم إلى مركز إشعاع فكري يضاهي لا بل ينافس المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي في زمانها[5]، خاصة و أن الأئمة الرستميين قاموا بتزويد مكتبتهم بأمهات الكتب و نفائسها، فكانت عامرة بمختلف ألوان الأدب و فروع العلم،

---

1 - محمد حسين سليمان: التراث العربي الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص57.

2 - إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد1، 1977، ص126.

3 - عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية و الوعي)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1984، ص79.

4 - سليمان داود بن يوسف: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية و تركيزها، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، م1، ص- ص 82- 83.

5 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص51.

وما يفسر ضخامة الكتب التي حوتها أنه قيل أنها قدرت ب300ألف مجلد[1] في شتى صنوف العلم والأدب.

إن موقع تيهرت الوسطي في المغرب الإسلامي جعلها ملتقا تجاريا و علميا و مذهبيا، فقد توافد عليها عدد كبير من الناس إما لغرض الإقامة الدائمة أو ارتحالا طلبا للعلم، كما كانت التجارة و ما توفره من مكاسب عاملا مهما في الترحال إليها، فقد سكن تيهرت أهل المشرق والقيروان و من الأندلس، فضلا عن بعض المسيحيين و حتى اليهود[2]، و بما أن أصول الدول التي تأسست في المغرب كانت عربية، فقد حرص أمرائها و أئمتها على تنشيط حركة التعريب[3]، و قد واكب انتشار اللغة العربية، التعريب الجنسي[4]، و هو يعني استقرار القبائل العربية في المدن و بناء مدن حديثة انصهر فيها العنصر العربي و البربري في مجتمع واحد ولاءه للعقيدة أو المذهب الديني الذي ينتمي إليه، كما أن ازدهار التجارة في المدن ترتب عنه تحول في البنية الإجتماعية فقد شهد القرنان الثاني و الثالث الهجريين[5]، انتقال قبائل بدوية إلى المدن و هو انتقال من البداوة إلى التحضر، ما يعني زيادة فرص تعلم العربية بين هذه القبائل.

إن المدن المختلطة[6] التي يسكنها العرب و البربر و التي أسهمت في نشر العربية بشكل واسع، فالبربري المسلم كان يرى لزاما عليه تعلم العربية حتى يفهم دينه، فالإسلام إذا هو الحافز الذي دفع البربر إلى الإقبال على تعلم اللغة العربية، فضلا على أن اكتساب العلم و الثقافة في ذلك العصر يتطلب معرفة اللغة العربية.

---

1 - عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص86، عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص60.

2 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص60.

3 - عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص77.

4 - شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، لبنان، 1981، ص- ص 157- 160.

5 - عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص77.

6 - نفسه، ص نفسها.

و ما يمكن قوله هو أن المدينة تيهرت و حواضر أخرى كالقيروان و فاس كانت بوثقة انصهرت فيها عناصر الإشعاع الحضاري و هو ما يعني النهضة[1].

3- تعايش المذاهب و الفرق الدينية في تيهرت:

كان المغرب الإسلامي تربة خصبة لاحتضان و نمو الفرق و المذاهب الدينية و الإسلامية التي نشأت في المشرق، و تسربت إلى المغرب في فترات مختلفة، إما نتيجة صراعات جعلت زعماءها يفرون بأفكارهم لبثها في أوساط البربر أو نتيجة وفود العلماء و الفقهاء القادمين من المشرق خاصة في عصر الولاة[2].

إن المتتبع لتاريخ المغرب الإسلامي يجد أنه معلم من معالم الحضارة الإسلامية أو يظهر له هذا جليا في الحياة الفكرية بمختلف اتجاهاتها لا سيما منها الدينية و المتمثلة أساسا في المذاهب الإسلامية بمختلف أنواعها السياسية و العقائدية من خوارج و شيعة و معتزلة و الفقهية من حنفية و مالكية و شافعية و حنبلية، اختفت في غالبيتها من حواضر المغرب الإسلامي، و بقي منها راسخا المذهب المالكي.

و قبل معرفة ما دور الاختلاف المذهبي من إثراء الجانب الثقافي و الفكري، و هل كان هناك صراع أو حوار مذهبي؟ يجب علينا أن نقف على نشأة هذه المذاهب و الفرق الإسلامية، والتي كان لها بدون شك أثر بارز في المغرب الإسلامي سياسيا و ثقافيا، و منها المذاهب الفقهية أو السنية و الفرق الدينية.

أ/ المذاهب السنية[3]:

نشأت المذاهب السنية الأربعة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، إلا أن المغرب تأثر أكثر بالمذهب المالكي و الحنفي.

1- R.Cornevin : op.cit, p265.

2- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص58.

3- المذاهب السنية المشهورة في الفقه هي: المذهب المالكي اتبعه بصفة خاصة أهل المغرب الإسلامي، المذهب الشافعي اتبعه أهل مصر، الحنبلي اتبعه أهل الشام و بغداد و المذهب الحنفي، أتبعه أهل الهند و الصين و خرسان...، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 496- 497.

– المذهب المالكي: نسبة إلى الإمام مالك بن أنس[1]، و هو من وضع أصولا للمذهب و هي الكتاب والسنة و الإجماع و القياس، و عمل أهل المدينة و قول الصحابة و الاستحسان[2].

و قد نال الإمام مالك من ثناء العلماء[3]، ما لم ينله عالم قبله حيث يقول عنه شيوخ من أهل المدينة:"ما بقي على ظهرها – يعني الأرض- أعلم بسنه ما فيه و لا بقية منك يا مالك"[4].

خلف الإمام مالك عدة مؤلفات و رسائل و مصنفات في مقدمتها الموطأ[5] و المدونة التي ألفها الفقيه عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون[6] (160هـ/240م)، و هي عبارة عن مجموعة رسائل جمعها أسد بن الفرات[7]، ما سمعه من مالك في الموطأ و كانت تسمى الأسدية[8] و جمعها ابن القاسم أحسن تلاميذ الإمام مالك[9].

---

1 - مالك بن أنس: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامربن عمرو بن الحارث يقول عنه ابن فرحون:"كان طويلا جسما، عظيم الهامة، شديد البياض يميل إلى الصفرة، حسن الصورة"، ابن فرحون ابراهيم بن علي: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق برهان الدين ابراهيم، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ، ص18، الزرقاوي: موطأ مالك، دار الجيل، بيروت، ج1، ص02.

2 - شهاب الدين عبد الرحمن: إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، ب.ط، المكتبة الثقافية، لبنان، ب.ت، ص74.

3 - ابن فرحون: المصدر السابق، ص20، محمد أبو زهرة: مالك بن أنس، المرجع السابق، ص66، الزرقاوي: المرجع السابق، ص4.

4 - ابن فرحون: نفسه، ص22.

5 - قيل سمي بالموطأ لأن الإمام مالك على بضعة عشر تابعيا، و كلهم واطئوه على صحته، ينظر بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص59.

6 - هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، أصله من الشام و هو مفتي القيروان و قاضيها، أخذ عن أبي القاسم و ابن وهب و أشهب، ينظر أبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي: شذرات المذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، 1979، ط2، ج2، ص12، أبو العرب التميمي: المصدر السابق، ص83، بن محمد بن مخلوف، المصدر نفسه، ص-ص69- 70.

7 - أسد بن الفرات: ولد 145هـ، و توفي سنة 214هـ، يكنى بأبي عبد الله مولى بني سليم، من أصل خرساني، رحل إلى المشرق، سمع من مالك موطأه، ينظر، أبو العرب: المصدر نفسه، ص- ص 81- 83، بن مخلوف، نفسه، ص62.

8 - الأسدية نسبة إلى أسد بن الفرات، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص458.

9 - أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، ص27، عبد الرحمن بن خلدون: نفسه، ص نفسها.

انتشر المذهب المالكي انتشارا واسعا، و قد أخذ به أهل المغرب حتى أصبح مذهبا مميزا لهم منذ القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا، و انتشر مذهب مالك بالمغرب الإسلامي جاء نتيجة جهود تلامذته منهم: الليث بن سعد المتوفي 165هـ/783م[1] و عبد الرحمن بن القاسم المتوفي سنة 191هـ/806م[2] و عبد الله بن وهب المتوفي سنة 197هـ/812م[3]، و أشهب بن عبد العزيز القيسي المتوفي سنة 204هـ/819م[4] سنة 213هـ/828م[5] في صقلية[6] الذي جمع بين المذهبين الحنفي و المالكي.

لقد كان أول تواجد للمذهب المالكي بمنطقة تيهرت، في عهد عبد الرحمن بن رستم (144- 168هـ) لأن عصره تميز بسيادة التعايش الفكري و تنوع المذاهب و المساجد، فهذا مذهب البصريين و القيروانيين الذين ينتمون للمذهب المالكي[7].

و قد كان لهذا التواجد مظاهر فيما بعد، تجسدت في مجموعة من العلماء الذين مثلوا المذهب المالكي و منهم: ابن الصغير الذي تذكر المصادر عنه الكثير، إلا أنه عاش بتيهرت في العصر الرستمي الأخير في فترة أبي اليقظان بن أفلح (242- 281هـ)[8]، كشيخ من شيوخ المالكية، و لم يقف ابن الصغير موقف عداء من الإمارة الرستمية بالرغم من مخالفاته للمذهب

1 - و هو من أصحاب مالك محدث استقل بالفتوى في مصر، له كتاب "مسائل في الفقه"، ينظر، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة و النشر، 1958، ج7، ص517، ابن الجوزي، ذكر أن وفاته كانت سنة 175هـ، و كذلك ابن قنفذ القسنطيني، ينظر ابن الجوزي: صفوة الصفوة، المجلد2، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992، ص458 و ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس بن الخطيب: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة، دار النشر، بيروت، 1982، ص139، و كذلك النديم: الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص339.

2 - و هو الذي راجع كتاب المدونة مع قاضي القيروان سحنون بن سعيد التنوخي، أحمد فراج حسين: المرجع السابق، ص194.

3 - محمد مصطفى الشكعة: المرجع السابق، ص138، ينظر، ابن القيم الجوزي: المصدر السابق، 1992، ص459، و أيضا ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص153.

4 - محمد مصطفي الشكعة: نفسه، ص141، ابن قنفذ القسنطيني: نفسه، ص147.

5 - الدباغ: المصدر السابق، ص255، عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص203.

6 - صقلية: جزيرة عظيمة تحادي بلاد إفريقية، ينظر، القيسي الغرناطي: المصدر السابق، ورقة رقم 5.

7 - قادة سبع: المرجع السابق، ص45.

8 - رابح بونار: المرجع السابق، ص37، وداد القاضي: المرجع السابق، ص233.

الإباضي، و قد كان له دور في نشر الفقه المالكي، و تجلى في محاوراته و مناظراته المذهبية مع رؤساء الإباضية والمعتزلة خاصة في المسائل الفقهية[1]، و بكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي، إمام فقيه عالم بالحديث[2]، نشأ بتيهرتن و برز دوره في نشر المذهب المالكي، من خلال رحلته إلى المشرق 217هـ، فاجتمع بعلمائه و سمع الحديث منهم ثم عاد إلى القيروان، و سمع من سحنون و غيره[3]، و تصدر للعلم بجامعها الكبير، فرحل إليه أهل إفريقية و الأندلس[4].

إن إقبال أهل المغرب على هذا المذهب يعود خاصة إلى رحلة طلب العلم و التي كانت وجهتها في معظمها إلى الحجاز أي المدينة و ميلهم إلى الحجاز يفسره ابن خلدون بكون البداوة كانت غالبة عليهم، و الحجاز أنسب لبداوتهم[5]، فأخذوا الكثير عن شيوخها و فقهائها.

– المذهب الحنفي: ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت من أصل فارسي[6]، ولد بالكوفة سنة 80هـ/700م، و توفي بها سنة 150هـ/768م، لقب بالإمام الأعظم[7]. اعتمد الإمام أبو حنيفة في منهجيته على القرآن و السنة أولا ثم أقوال الصحابة و القياس[8] و الإستحسان[9]، أي إعمال الرأي إذا لم يجد نصا في القرآن و السنة، كما اعتمد على الفقه التقديري أو الإفتراضي أي استنباط الحكم لأحداث أو وقائع يحتمل وقوعها في المستقبل[10]، و كان يرى أن أقوال فقهاء

1 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص20.

2 - بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ص72.

3 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص120.

4 - مبارك محمد الميلي: المرجع السابق، ج2، ص86.

5 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص431.

6 - محمد اسماعيل ابراهيم: المرجع السابق، ص45.

7 - أحمد فراج حسين: تاريخ الفقه الإسلامي، الدار الجامعية، القاهرة، 1989، ص168.

8 - يقصد به إلحاق أمر غير منصوص على حكمه، يأمر منصوص على حكمه، ينظر محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، المرجع السابق، ص417.

9 - و هي مصلحة لم يشهد لها من الشرع، لقب معين بالبطلان و حل التراع في العمل بها إذا عارضت دليلا آخر من نص أو قياس، ينظر، أبو زهرة: المرجع نفسه، ص418.

10 - مصطفى محمد الشكعة: المرجع السابق، ص1661.

الصحابة، حجة تقدم على القياس، و هذا ما كان يراه و يأخذ به الإمام مالك، غير أن الشافعي خالفهما، و ذهب إلى أن الحجة في أقوال المعصوم و هم غير معصومين[1].

انتشر المذهب الحنفي في مناطق واسعة من العالم الإسلامي و منها بلاد المغرب في عهد الدولة الأغلبية[2]، حيث كان أمراؤها مرتبطين اسميا و مذهبيا بالعباسيين، لكن الرعية اعتنقت المذهب المالكي الذي ترسخ في عهد الفقيه سحنون الذي أثر تأثيرا بالغا في دولة الأغالبة و أمرائها الذين عرفوا مكانتهن فولوه القضاء سنة 234هـ فلم يتعرضوا له في أمره و نهيه، و لو كان ذلك ضد مصالحهم، و هذا ما يعلل غلبة المذهب المالكي بالمغرب و تمسك أهل هذه البلاد به، لأن سحنون بتوليه القضاء قام بتفريق حلقات جميع المخالفين و منع الفتوى بغير مذهب مالك[3].

و هو العامل الذي أدى إلى تراجع نفوذ المذهب الحنفي في بلاد المغرب، كما أن اتصال أصحابه بالمعتزلة حسم الموقف لصالح المالكية، و جعل الأمراء الأغالبة يخضعون للرأي العام، فيجبرون إلى تعيين قضاة القيروان من الفقهاء المالكيين[4]، و هو ما جعل العلاقة بين الأحناف و المالكية في القيروان تشهد تنافسا حادا[5]، و قد تواجد الأحناف أيضا في تيهرت منذ إمامة عبد الرحمن بن رستم، و كان غالبيتهم من أهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم يسمى مسجد الكوفيين[6].

ساد المذهب الحنفي بلاد المغرب إلى حوالي 400هـ/1900م و انقطع على يد المعز بن

---

1 - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب، المرجع السابق، ص417.

2 - أحمد أمين: المرجع السابق، ج1، ص293.

3 - أبو العرب: المصدر السابق، ص83، بن محمد بن مخلوف: المصدر السابق، ص69، كمال السيد مصطفى: جوانب من الحياة الإجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوي المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية، مصر، 1996، ص14.

4 – شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص65.

5 - رابح بونار: المرجع السابق، ص84.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص13.

الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي -كرم الله وجهه- كانوا يفضلون أبا بكر و عمر[1]، ولهذا سمي الطاعنون على الشيخين بالرافضة[2] لأنهم لا يستحقون وصف التشيع[3]، و يقول الذهبي بضربين من التشيع، تشيع أصغر أو بدعة صغرى كالتشيع بلا غلو، و بدعة كبرى كالرفض الكامل و الغلو فيه، فالشيعي الغالي في زمان السلف هو من تكلم في عثمان و الزبير و طلحة ومعاوية و طائفة ممن حارب عليا -كرم الله وجهه- و تعرض لسبهم، و الغالي في زمننا هو الذي يكفر هؤلاء السادة و تبرأ من الشيخين، فهذا ضال مفتر[4].

إن التشيع درجات و أطوار و مراحل، كما أنه فرق و طوائف، فقد انقسم إلى عدة فرق حسب الشهرستاني[5]، و كل فرقة تشعبت إلى فرق عديدة و من أشهرها و التي كانت لها دور في المغرب الإسلامي:

***الزيـــديـــة:**

و هم أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط[6]، الذين كانوا يفضلون عليا عن سائر الصحابة، و يتولون أبا بكر و عمر[7]، و هي أقرب الفرق الشيعية إلى السنة، فقد اعترفوا

---

1 - ابن تيمية: مجموع الفتاوى، دار الفضاء بالمنصورة، مكتبة العبيدات، الرياض، ط1، 1418هـ/1998، ج3، ص153.

2 - الرافضة: هي إحدى الفرق المنتسبة للتشييع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر و عمر و سائر أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم إلا القليل منهم، و تكفيرهم لهم و سبهم إياهم، و قال الإمام احمد:"الرافضة هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم يسبونهم و ينتقصونهم"، ينظر، أبو يعلى: طبقات الحنابلة، المصدر السابق، ج1، ص33، ويقول الأشعري:"أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، أي رفضهم إمامة أبي بكر و عمر"، ينظر، أبو حسن الأشعري: مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، المصدر السابق، ج1، ص89.

3 - ناصر القفاري: المرجع السابق، ج1، ص- ص 66- 67.

4 - الذهبي: ميزان الإعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص- ص 5- 6، ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، 1390هـ، ج1، ص- ص 9- 10.

5 - الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص147.

6 - السبط: ولد البنت و لذلك يطلق على الحسن و الحسين ابني الإمام علي بن فاطمة الزهراء، فكل منهما سبط الرسول صلى الله عليه و سلم، ينظر، عبد ابن خلدون:المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 208- 210، العبر، م1، ص1420.

7 - أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ج1، ص- ص - ص 37- 66- 88.

بخلافة أبي بكر و عمر –رضي الله عنهما- بمبدأ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل[1] و هو علي –كرم الله وجهه- و هؤلاء يسمون بالإمامية[2]، و هم أبعدهم عن الغلو و الإنحراف[3].

***الإسمـــاعـــيلـــيـــة:**

نسبة إلى القول بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقي بن علي زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه-[4]، و يسمون بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور، و يسمون أيضا الملحدة لما في ضمن مقالاتهم من الإلحاد[5].

انتقل المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى المغرب بفرار إدريس بن عبد الله الفاطمي[6] و هو على مذهب الزيدية[7] لحق إدريس بن عبد الله بالمغرب الأقصى هو و مولاه راشد، فنزل بوليلي و بها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة سنة 172هـ[8].

و بدأ في الإنتشار على يد الداعي أبي عبيد الله الشيعي الذي دخل ديار كتامة سنة 280هـ/893م[9]، و قد قام هذا الداعية بجهود كبيرة حتى استطاع التغلب على الأغالبة،

1 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص272، ناصر القفاري: المرجع السابق، ج1، ص71.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص208.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1420.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص211.

5 - نفسه، ص نفسها.

6 - مؤلف مغربي مجهول : الإستبصار، المصدر السابق، ص280، حيث لقبه بالفاطمي و كذا ابن أبي دينار الذي يسمي الأدارسة بالفواطم، ينظر، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص99، و في جمهرة الأنساب نجده "إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي كرم الله وجهه"، ابن حزم: جمهرة الأنساب، المصدر السابق، ص49.

7 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص210، كما يذكر بن خلدون:"كان واضح، يتشيع.."، عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر السابق، م1، ص1428.

8 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ص نفسها، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص210.

9 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص127.

وإخضاع ممالك أخرى بالمغرب الأوسط كمملكة بني رستم و مملكة بني مدرار، و قد عرف بالمحتسب، و المعلم، فهو المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية[1].

لقد ضيق الشيعة الإسماعيلية على فقهاء المغرب من السنة و الإباضية على حد سواء، خاصة بعد ما تمكن الداعية الشعبي من إخضاع العشائر الكتامية و حتى بعض القبائل الأخرى مثل عجيسة و زوارة[2]، فكانوا يجبرون الناس على اعتناق المذهب الشعبي و الذي يرفض منهم يحبس أو يقتل[3].

***المعـــتــزلـــة:**

اختلف المؤرخون في أصل التسمية من حيث دلالتها التاريخية و الإصطلاحية، فهناك من أطلق تسمية الإعتزال على الفئة التي وقفت على الحياد في الفتنة الكبرى سواء في معركة الجمل[4]، أو في معركة صفين[5]، و هناك من أرجعها إلى اعتزال قول الأمة أي أهل السنة و الجماعة، إذ اعتبروا أن الفاسق من المسلمين لا مؤمن و لا كافر بالقول المنزلة بين المنزلتين[6]، و في الفهرست يرجع التسمية إلى اعتزالهم أقوال الخوارج و المرجئة و الإباضية في صفة مرتكب الكبيرة من حيث الشرك و الكفر و النفاق و الإيمان بقولهم بأن مرتكب الكبيرة فاسق و هي الصفة التي أجمعت عليها هذه الفرق[7]، و قد ذهب بعظمهم إلى القول بأن الإعتزال يعني الأخذ بموقف الحياد من

1 - أبو حنيفة النعمان: رسالة افتتاح الدولة، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970، ص71، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر نفسه، ص133، موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ص- ص 231- 329.

2 - أبو حنيفة النعمان: المصدر السابق، ص- ص 121- 122، حيث يقول:"و استولت أمور أبي عبد الله الشعي على عامة كتامة و علب أمره عليها و لم يبق فيها إلا من يدخل دعوته، إما راغبا و إما راهبا أو مخذولا".

3 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج6، ص158.

4 - للمزيد من المعلومات عن وقفة الجمل، ينظر، ابن طبطبا: المصدر السابق، ص- ص 84- 86، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص193.

5 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص290.

6 - حنا فاخوري و خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، ط1، بيروت، 1993، ج1، ص140.

7 - النديم: الفهرست، المصدر السابق، ص282.

الفتنة، فهو موقف سياسي عكس حالة دينية[1]، إلا أن دلالة التسمية ارتبطت تاريخيا بأبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألثع[2] من خلال القصة الشهيرة و التي مفادها أن أحدهم دخل على الحسن البصري فقال له:"يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج من الملة وهم وعيدية الخوارج، و جماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان و لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر الطاعة، و هم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا فتفكر الحسن في ذلك و قبل أن يجيب قال واصل بن غطاء:"أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا و لا كافر مطلقا، بل هو في مترلة بين المترلتين:لا مؤمن و لا كافر ثم اعتزل في جانب من المسجد، فقال الحسن البصري اعتزل عنا واصل"[3].

و ما نستنتجه أن اسم المعتزلة أطلقه فقهاء أهل السنة و الجماعة على من اشتغل بمسائل الجدل كصفات الله عز و جل، و الوعد و الوعيد لهذا اتهموهم بالخروج عن السنة، إلا أن أهل هذه الفرقة اعتبروا الإعتزال خروجا عن الباطل و ليس خروجا عن السنة و الجماعة[4].

1 - D.sourdel et J.sourdel : La civilisation de l'islam classique, les edition Arthand, paris, 1983, p139.

2 - تنسب إليه الجماعة المسماة بالواصلية، و هم من المعتزلة حيث يقول الشهرستاني:"الواصلية أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألثع، كان تلميذا للحسن البصري، يقرأ عليه العلوم و الأخبار، و كانا في أيام عبد الملك بن مروان، و هشام ابن عبد الملك، و بالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسني، الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور"، الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص46.

3 - نفسه، ص48.

4 - علي الشابي و حسن أبو لبابة و عبد المجيد النجار: المعتزلة بين الفكر و العمل، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص25.

نشأت المعتزلة بالبصرة حيث نشأ واصل بن عطاء[1] و عمرو بن عبيد المولود سنة 80هـ/699م[2]، و هما من تلامذة الحسن البصري المتوفي سنة 110هـ/728م[3]، ثم انتشرت في كامل بلاد العراق حيث أصبحت المدرسة الثانية للإعتزال[4]، و يقول أحمد أمين أن الفترة الممتدة من 100هـ إلى 255هـ 718م- 869م، يحق فترة العصر الذهبي للمعتزلة[5]، و من علماء المعتزلة في هذه الفترة أبو الهذيل العلاف المتوفي سنة 235هـ/849م[6]، و قد تلقى على يده الخليفة العباسي المأمون أفكار الإعتزال[7]، و كان يتميز بالفصاحة و قوة الجدل و البراعة في المناظرة مع الزنادقة و المجوس إذ يقال إنه أسلم على يديه ثلاثة آلاف رجل[8].

دخل مذهب الإعتزال إلى بلاد المغرب في أوائل القرن 2هـ/ 8م[9] تزامنا مع المذاهب الأخرى مثل الإباضية و الصفرية، إذ تشير بعض المصادر أن جماعة من بربر زناتة كانت قد اعتنقت الواصلية، ذلك أن واصل بن عطاء بعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب[10]، و يبدو أن انتشاره في المغرب الأوسط كان واسعا بين قبائل زناتة حيث ذكر البكري أن مجمع الواصلية في عهد الرستميين كان قريبا من تاهرت و كان عددهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب

---

1 - هو من أئمة البلاغة و علم الكلام، ولد بالمدينة المنورة (80- 131هـ/699- 848م) و نشأ بالبصرة، و قد كان ممن بايع لمحمد بن عبد الله بن الحسني و له عدد من المؤلفات منها:"المعتزلة بين المترلتين"، "و أصناف المرجئة"، ينظر أبو زكرياء: المصدر السابق، ص74.

2 - محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، ط4، ص1986، ص267، و أيضا:
Abdurrahman Badawi:Histoire de la philosophie en Islam,lirairie philosophique , place de la sorbonne, paris, 1972, p 35, 36, 37.

3 - محمد علي أبو ريان: نفسه، ص نفسها.

4 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص299.

5 - أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ج3، ص90.

6 - نفسه، ص 98، Abdurrahman Badawi : op.cit, p54- 55.

7 - الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داوود: الأخبار الطوال، ص401.

8 - أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ص99.

9 - محمد منصور الزاوي: المرجع السابق، ص38، و يفهم مما ذكره القاضي عياض:"قال المهدي:أخبرني بعض نقاض المعتزلة من القرويين، قال:أتيت مالك بن أنس..."، القاضي عياض: ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج1، ص90.

10 - محمد منصور الزاوي: نفسه، ص38.

يحملوها"[1]، و كان أول ظهور لهم على مسرح الأحداث في تيهرت في عهد الإمام عبد الوهاب الذي كانت له مناظرات معهم حسب ما يورده ابن الصغير[2].

بينما كان وجود المذهب في المغرب الأدنى بصورة محدودة إلا ما كان من ميل بعض أمراء الأغالبة لفكر الإعتزال مثل زيادة الله الأول و محمد بن الأغلب[3].

***المـــرجـــئـــة:**

هي فرقة عبرت عن موقفها بالحياد تجاه الأحداث التي وقعت المسلمين، و قولها بالإرجاء أي أنهم لم يكفروا أي فريق من المتخاصمين، بل يرجعون أمره إلى يوم القيامة[4]، فإذا قالت الإباضية أن من أذنب ذنب فهو من أهل النار، فإن المرجئة تقول:"لا تضر الذنوب مع التوحيد"[5] أو كما قال أحمد أمين:"لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة"[6].

و المرجئة على النقيض من الخوارج فهم لا يكفرون أحدا لأنهم يرون أن الإيمان هو الإنقياد بالقلب[7]، هذه المبادئ جعلتهم يقفون موقف الحياد في الصراعات السياسية خاصة فيما تعلق بمسألة الخلافة و الحكم[8].

وصلت أفكار المرجئة إلى المغرب في النص الثاني من القرن الثاني الهجري[9].

---

1 - البكري: المصدر السابق، ص67، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص74، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص8،

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 93- 94، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 62- 67، و ما يوضح كثرة عددهم في تيهرت قولهم:"إذا كنا جماعة و كان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفينا عقدنا للإمام و نهضنا فقتلنا السلطان"، ينظر أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ص466.

3 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص102، و أيضا، A.Laroui : Lhistoire du Maghreb, op.cit, p110.

4 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص71.

5 - سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص109.

6 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص279.

7 - الحاج سعيد عيسى: المذهب الإباضي و علاقته بالمذاهب الأخرى، محاضرات الملتقى الخامس للفكر الإسلامي، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية من 27 جمادى 1 إلى 10 جمادى 2، 1391هـ/20/7، إلى 10/8/1971م، ص269، أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص218.

8 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص71.

9 - سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج2، ص109.

و لكن ما نستنتجه من هذا المذهب لم يكن له اتباع في المغرب مثل المذاهب الأخرى إنما اقتصر عن أفكار فقط.

و مما لا شك فيه أن تعدد المذاهب و الفرق الدينية في المغرب الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، لم يكن فقط عاملا للفتن و الصراعات و التي حددت العلاقة بين أتباع هذه المذاهب و الخلافة في المشرق سواء الأموية أو العباسية بل كان له أثر إيجابي في الحركة الفكرية والثقافية في هذه الفترة، فإنه و أن حرية الفكر و التسامح المذهبي عنصران امتاز بهما أئمة الدولة الرستمية، ضف إلى ذلك تمسك الرستميين بالتفتح الفكري و الدليل على ذلك هو عقد مجالس للمناظرة تشجيعا على طلب القلم و إقبال عليه في جو يسوده التنافس العلمي، و كان من نتائج حرية الفكر و تعدد المذاهب، تعدد حلقات المناظرة و الجدل مما أسفر عن نشاط في حركة التأليف، فكثر وضع الكتب للرد على المخالفين[1].

3- التبادل التجاري و الثقافي:

للتجارة دور كبير في تنشيط و تفعيل الحركة الفكرية و الثقافية، فتيهرت ذات الموقع الوسطي كان لها شأن كبير في المبادلات التجارية، فتوافد عليها التجار من أماكن بعيدة كبلاد فارس[2]، و العراق و مصر و القيروان، و حتى التجار المسيحيون[3]، على أن العلماء و الحجاج الخارجين من تيهرت و القادمين إليها مقيمون أو عابرون شرقا أو غاربا، قد أسهموا أيضا في نقل مختلف العلوم و الفنون[4]، إن عبارة ابن الصغير "واستعملت السبل إلى بلد السودان و إلى جميع البلدان من مشرق و مغرب بالتجارة و ضروب الأمتعة"[5]، تعطينا صورة عن اتساع المبادلات التجارية الرستمية مما سمع للتجار أو الذين كانوا يرافقونهم من طلبة العلم أن يجلبوا معهم نفائس الكتب من المشرق من مختلف إيقاع العلوم لتزويد مكتبة تيهرت، و بهذا كانت التجارة وسيلة

1 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص109.

2 - إيف لاكوست: المرجع السابق، ص62.

3 - A.Laroui : L'histoire du Maghreb, op.cit, p104.

4 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص108.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

لتبادل السلع و الأفكار إذ أن التاجر غالبا ما يكون من العلماء[1]، فالتاجر النشط صار بإمكانه أن ينتقل بين قطر و آخر و مدينة و أخرى يشتري و يبيع و ما كان له أن يمر بالبلد دون أن يتعرف على أهله و يخبر أحوالهم، و كانت هذه المعرفة تنقل رواية و أخبار، فأصبحت جزءا من التراث الأدبي للرحلة[2]، خاصة و أن التجار الرستميين اتصفوا بالحذق و البراعة و الأمانة في المعاملات التجارية[3]، هذه الصفات الحميدة التي تميز بها تجار تيهرت جعلت أهل السودان الغربي يتقربون منهم، فكانت الآثار الثقافية، تعريب جزء كبير من تلك المناطق و دخولهم في دين الإسلام، دون أن نهمل أثر و دور الرحلة العلمية و التي كانت من المسائل المحمودة في المغرب الإسلامي عموما، إذ نتج عنها تبادل المعارف و الآراء في مختلف العلوم العقلية و النقلية حيث كان علماء المغرب يتصلون بعلماء المشرق و الأندلس و يتداولون معهم الكتب و المصنفات و شتى العلوم، فكانت الحركة متواصلة للإستزادة من العلوم[4]، فلم تكن أمام الطلبة في تبليغ العلم حدود بل كانت الرحلة في طلبه من أقوى الدوافع في تذليل الصعاب و مشقة السفر[5]، و بهذه الرحلات احتك علماء المغرب الأوسط بعلماء باقي دول المغرب و المشرق بدافع حب العلم و الإستطلاع[6]، و يقول ابن خلدون في أهمية و فائدة الرحلة:"...فلقاء أهل العلم و تعدد المشايخ يفيده تمييز الإصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها و يعلم أنها أنحاء تعليم و طرق توصيل...فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال"[7].

---

1 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص282.

2 - نكولا زيادة: الجغرافيا و الرحلات عند العرب، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1962، ص147.

3 - موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول (القرن 2- 5هـ/8- 11م)، ترجمة و تعليق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1979، ص324.

4 - رشيد الزواوي: التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، 1993، ص- ص 324- 339، هواري بكاي: العلاقات الثقافية للزيانيين و المرينيين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، تلمسان، 2007-2008، ص227.

5 - لخضر لعبدلي، المرجع السابق، ص160.

6 - القلصادي علي بن محمد القرشي الأندلسي: رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978، ص59.

7 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 559- 560.

و لا يخفى دور الوراقين و النساخ في عملية انتشار العلوم و تنشيط التبادل الثقافي، فقد كانوا يتنقلون بين الأقاليم الإسلامية شرقها و غربها بحرية تامة، و كانوا يحظون بالمكانة المرموقة والتقدير لدى الأمراء و العلماء[1]، مما أدى إلى انتشار الكتب التي كان يتهافت طلاب العلم على شرائها حتى و لو اقتضى ذلك السفر إلى مدن بعيدة للحصول عليها شراء أو استنساخها، و انتقال صناعة الورق و الكاغد و كذا الحبر من بغداد إلى القيروان[2]، هي أهم الوسائل التي ساهمت في تسيير العلم و انتشاره.

و لعل الرحلة العلمية كانت أقوى في عهد التفرق السياسي[3]، فلما ذهبت الوحدة السياسية، بقيت وحدة الدين و هيأت و ربطت الحجاج و طلاب العلم و رسل السلاطين و حملة البضائع و زعماء الصنائع فاحتفظوا بالصلة[4]، و هذا ما يفسر لنا عدم تأثر التواصل الفكري بالنزاع السياسي بين الأغالبة و الرستميين، إن الإختلاف السياسي و كذا المذهبي مثلا بين القيروان وتيهرت لم يكن حائلا دون إقامة جسر من التواصل الفكري و الثقافي بين الحاضرتين لوجود مساحة ثقافية مشتركة صنعها العلماء و التجار في حركة انتقالهم بين المدينتين[5]، فقد ساهمت جماعة من القرويين في الحركة العلمية في تيهرت، فظهر فيها عدد من العلماء العرب و البربر منهم محكم الهواري وابنه هود الذي وضع كتابا في تفسير القرآن من جزأين[6]، و عبد الله بن اللمطي وهو الذي كان يتولى المناظرة المعتزلة، و أبو عبيدة الأعرج الذي قال عنه ابن الصغير أنه:"كان عالما بالفقه و الكلام و النحو و اللغة"[7]، و عبد العزيز بن الأوز (الأوس) و هو صاحب فقه ورحلة نحو المشرق[8]، و غيرهم كثير و استمرت رحلة العلماء وظيفة العلم بين القيروان وتيهرت، و كانت

1 - محمد الفاضل بن عاشور: المرجع السابق، ص8.
2 - عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص62.
3 - نكولا زيادة: المرجع السابق، ص15.
4 - نفسه، ص نفسها.
5 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص74.
6 - البرادي نقلا عن جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص108.
7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص46.
8 - نفسه، ص47.

تشد الرحال إلى المشرق قصد الحصول على العلم و الفقه من منابعه الأصلية وممن صاحب الأئمة الكبار و كانت العراق و الحجاز بحواضرها منتهى من يرغب في التحصيل العلمي و التفقه من أهل المغرب كل على متحمس لمذهبه فالقيروان و تاهرت هي المحطة الأولى لتلقي المراحل الأولى من العلم ثم تكون وجهته إلى المشرق و غالبا ما تكون مناسبة الحج فرصة للتزود بالعلم (الحج العلمي)[1].

و يقول خالد بلعربي أن هذه الرحلات شدت إلى هذه الأماكن في سبيل طلبة العلم والإستزادة منه، سواء من تيهرت أو إليها، فكانت الصلة قوية بين تيهرت و بين غيرها من مراكز الفكر، و يضيف قائلا أن تيهرت :"عراق المغرب تعد إحدى معاقل الفكر الإسلامي في القارة الإفريقية، بل امتدت إلى جزر البحر المتوسط و أوروبا[2]، و بالتالي حدوث تقارب ثقافي واجتماعي، و ربما عسكري و سياسي و كذا اقتصادي و حضاري بين الرستمية و عدة دول أخرى تدفعهم مصالح متباينة.

و خلاصة القول أن الرحلات العلمية و التجارية بين تيهرت و عواصم الدول المجاورة، ساهمت في التقارب الثقافي و إثراء المعارف و العلوم كما أدت إلى حدوث التآلف الإجتماعي رغم الإختلاف المذهبي، و هذا ما حصل بين الأغالبة و الرستميين، فقد ذكر الونشريسي أن رجلا من الإباضية الوهبية تزوج امرأة مالكية لتقوى شوكته بمصاهرة أهل السنة[3].

و بهذا تكاملت مجموعة من العوامل و على رأسها اهتمام أئمة تيهرت في إضفاء صبغة فكرية متقدة، أسهمت إسهاما بالغا في تحريك عجلة الحركة الثقافية، و عكس بذلك الوجه الحقيقي الثقافي لمدينة تيهرت خاصة و الدولة الرستمية عموما.

---

1 - عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص59.

2 - خالد بلعربي: العلاقات الثقافية بين تيهرت و مراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن 5هـ/11م، مجلة القضاء المغاربي، العدد2، خاص بالملتقى الوطني الثاني، مخبر الدراسات الأدبية و النقدية في المغرب العربي، تلمسان، 2004، ص252.

3 - الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص446.

ثالثا- المؤسسات التعليمية و العلوم المتدارسة

تعددت و تنوعت مراكز و مؤسسات التعليم في تيهرت، كما احتوى البيت التيهرتي على علوم كثيرة و متنوعة[1].

1- المؤسسات التعليمية و مراحل التعليم:

مما لا شك فيه أن طلاب العلم كانوا يحصنونه في مساجد تيهرت و نفوسة، على أيدي كبار الإباضية، في أصول الدين و الشريعة و الرياضيات، التي ساهمت بدورها في ازدهار الحياة العلمية[2].

و بالتالي اعتبر المسجد أهم هذه المؤسسات التعليمية في دولة تيهرت الرستمية، و غيرها من الدول الإسلامية حيث كان يؤدي دوره التثقيفي و التعليمي، إضافة إلى إقامة الشعائر الدينية حيث أن أول ما اهتم به عبد الرحمن بن رستم في تأسيس الدولة الرستمية هو بناء المسجد، و تعددت في عهده، فكان مسجدا للكوفيين، و آخر للقيروان و مسجد للبصريين و غيرها[3].

أ- الكتاتيب:

يذكر بحاز ابراهيم أن المعلومات الخاصة بهذه المدرسة جد منعدمة، و يعتبرها اللبنة الأولى في التعليم في المغرب، و هو من أشهر أنواع التعليم الإبتدائي فكان الصبية يتلقون دروسا دينية بحتة، و يتعلمون مبادئ اللغة العربية و حفظ القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة بطريقة التكرار و الترديد وراء الشيخ[4]، و الكتاتيب عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد، تخصص لتعليم الصبيان الصغار، بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة، حفاظا على طهارتها[5]

و لعل هذه الطريقة ما زالت متداولة إلى حد الآن في الكتاتيب، و بنفس الوتيرة بالنسبة للصبية الذين لو يبلغوا سن الرشد، و قد أشار أبو زكرياء إلى الكتاب، و ذلك عندما أشار إلى

---

1 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162.

2 - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص575.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص32.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص276.

5 - محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص87.

أحد الإباضيين الذين انشقوا عن المذهب، و يعرف باسم الشكاس[1]، و قال بأنه أدخله أبوه في الكتاب فقرأ و حفظا[2]، و كان يعتمد في تلقين الدروس على لوح من خشب و دواة، بحيث يكتب على الألواح القرآن بواسطة الدواة، و بقيت متوارثة إلى حد الساعة، و لعل أول من علم القرآن رجل يدعى عمر بن يمكتن[3] بجبل نفوسة، و كانت تسلك نفس الطريقة في الكتابة على الألواح، فإذا أتم الصبي حفظ ما عليها يقوم بمحيها[4]، و قد كانت عناية الرستميين ببناء المساجد كبيرة، حتى أنهم وصلوا إلى جزيرة جربة و يسمى هذا الجامع "بتاجديت".

كما وجدت أيضا بوارجلان و أريغ و قنطرار، هذا الأخير الذي كان يقصده كبار العلماء و الطلبة لأخذ العلم فقد كان عبد الله محمد بن بكر يسأل أبا نوح بمحراب هذا المسجد عن عدة مسائل، و لعل مرحلة التعليم الإبتدائي في الكتاب هي أرضية ممهدة و مساعدة لمهمة المساجد، حيث قال أبو زكرياء:"...فقرأ و حفظ، فلما اشتد، و بلغ الحلم، سولت له نفسه طلب العلوم"[5].

ب- المكتبات:

تقوم المكتبات بدور ريادي في تنشيط عجلة الفكر النير و العلم المتوقد، و تغذية الحركة العلمية و دفعها إلى الإمام، و لعل هذه المكتبات، كانت نتاج عمل و جهد الأئمة و من بينهم عبد الوهاب، حيث أنه بعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق بالبصرة، أن يشتروا له بها ورقا، فنسخوا له أربعين جملا من الكتب، و بعثوا بها إليه، فلما جاءته نشرها و قرأها، حتى أتى إلى آخرها[6]، و لعل ما زاد في إثراء المكتبات الرستمية، هو نشخ عمروس بن فتح النفوسي[7]، لمدونة

---

1 - كان يكنى "أبد الله"، و كان أبوه رجلا صالحا، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص133.

2 - أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص134.

3 - من رجال القرن 2هـ، توفي مع أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 144هـ، ينظر هامش أبو زكرياء: المصدر نفسه، ص122.

4 - ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص277، عمار عمورة: المرجع السابق، ص97.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص134، صالح باجية: المرجع السابق، ص62.

6 - ذكر الشماخي أنه:"تشمر و حد لقراءها ليلا و بعض أوقات النهار...فقال الحمد لله وجدت جميع ما فيها محفوظة عندي و لم أستفد منها إلا لمسألتين، و لو سئلت عنهما لأجبت فيهما.."، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص65، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص112.

7 - عمروس بن فتح النفوسي من أعلم أهل زمانه النفوسيين (250هـ- 300هـ)، ابن الصغير: المصدر السابق، ص51.

أبي غانم بشر بن غانم الخرساني[1]، و بالتالي كانت عملية هذا النسخ مثالا من بين العديد من النسخ التي قاموا بها آنذاك، و التي أسهمت في إثراء المكتبة التيهرتية و التي عرفت بالمعصومة و كذا مكتبة نفوسة الجامعة لآلاف الكتب، و لعل أغلبيتها كانت من إسهام الأئمة العلماء، و لعله سبب حرقها، حيث أن عبد الله الشيعي لما دخل تيهرت و اقتحم دار إمامتها في المعصومة، وجد تلك المكتبة، فانتقى منها ما يعجبه من كتب الصنائع و الحساب و سياسة الملك، و أضرم النار في الباقي من كتب الفقه والفكر الإباضي[2]، و بالتالي كان هذا العمل قضاء على بعض الإرث الرستمي.

ج- حلقات التعليم في المساجد:

تعد هذه الطريقة من أنجح الطرق و أكثرها تأثيرا في نشر تعاليم الدين، و الأدب و غيرها حيث تلقى في المساجد مواعظ و دروسا للعامة و الخاصة، محاولين بث العلم، مثلما كان يفعل أبو خليل الدركلي[3]، و قال لتلامذته:"سيروا إلى الحلقة، واقصدوها حيثما كانت باكسالي، فإن رجلا سار من الجبل "نفوسة" إلى فزان و إلى غدامس، و إلى الساحل رغبة في الحلقة، و فيما يستفاد منها".

و لم نجد في المصادر التي تمكنا من الرجوع إليها توضيح هذه الحلقات معادا ما ذكره ابن الصغير عن الإمام أبي اليقظان بقوله:"و كان إذا جلس (أبو اليقظان) في المسجد الجامع جلس على وسادة من أدم مستقبلا الباب البحري، و له سارية تعرف به يجلس إليها و لم يكن غيره يجلس إليها في حلقاته"[4]، و هو ما يدل بأن الحلقات كانت مرتبطة بالسواري، و ربما كان لكل عالم وقت خاص به لعقد حلقاته[5]، أو ما ذكره أبو زكرياء عن الأإمام أفلح، "أنه كان هناك أربعة

1 - أبو غانم بشير بن غانم الخرساني: أحد علماء الإباضية بالمشرق، زار الدولة الرستمية و قصد عاصمتها، و قد طبع كتابه في جزأين بسوريا، و نشره الشيخ سالم بن أحمد سليمان الحارثي العثماني، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص82.

2 - موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي، المرجع السابق، ص13.

3 - صالح باجية: المرجع نفسه، ص65.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص81.

5 - مختار حساني: المرجع السابق، ص305.

حلقات تدرس العلوم المختلفة على الإمام أفلح و ذلك قبل أن يبلغ سن الرشد[1]، و كانت حلقة العلم تعقد في المساجد في غير أوقات الصلاة، ويذكر سليمان داوود أن الرستميين جعلوا بجزار كل مسجد كبيرا أو صغيرا مدرسة للصغار وحلقات العلم للكبار في المسجد، و في كل مسجد تخصص ناحية للنساء، و أما كل مسجد بيت للضيوف و أكثرهم من الحجاج، يقوم رواد المسجد بما يجب لإعالتهم و لا يزال هذا النظام ساري المفعول إلى اليوم[2]، بحيث لم يكن في المساجد أو الكتاتيب فحسب بل حتى في دور الأئمة و في الليل، و هذا ما نفهمه من قول أبي زكرياء عن محمد بن أفلح"، فكانت نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله يتحدثون ف فنون العلم[3]

و ما نستنتجه أن التعليم نال حظا وافرا و عناية كبيرة من طرف الأئمة الرستميين ضف إلى ذلك أنه كان يشمل جميع النواحي التربوية من تعليم و سلوك، و حتى الفروسية[4].

2- مراحل التعليم:

و كان التعليم مقسما إلى ثلاث مراحل و هي:

أ/ **مرحلة التعليم الإبتدائي:** و يشمل تحفيظ القرآن و المبادئ الأولى للفقه، يتعلم فيه التلاميذ الصغار عن طريق الألواح، أي أنه يقتصر على الكتاتيب و يخص الأطفال و الصبيان[5].

ب/ **مرحلة التعليم الثانوي:** و يشمل العقيدة و الفروع و الأدب، يعتمد فيه الطالب على الكتب، وهو النوع الثاني الذي يأتي مباشرة بعد النوع الأول، و هو ما يتأكد من نص أبي زكرياء عن أبد الله الشكاس :"فنشأ الغلام، فلما احتمل الأدب أدخله أبوه في الكتاب، فقرأ و حفظ، فلما اشتد وبلغ الحلم سولت له نفسه طلب العلم"[6].

---

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89، كما ذكر الوسياني أنه أدار ثلاث حلقات علمية، الوسياني نقلا عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص143.

2 - سليمان داوود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص- ص 60- 61.

3 - أبو زكرياء يحيى: المصدر السابق، ص98، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص84.

4 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص97.

5 - نفسه، ص 97، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص277.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص134، حسن حساني: المرجع السابق، ص305.

ج/ **مرحلة التعليم العالي:** و يشمل التبحر في علوم التفسير و الفروع و علم الأموال و اللسان والنجوم[1]، و كان التعليم مجانا مباحا للذكور و الإناث، تلقى الدروس في حلقات بالمساجد في إطار منظم و دقيق تراعى فيه كل قواعد التعليم سواء من حيث السيرة أو الحضور أو اللباس، ومتابعة الطلب هو من اختصاص الشيوخ الذين يصهرون على احترام أوقات الدراسة و كيفية السؤال و آدابه و الثواب و العقاب و مراقبة نتائج الطلبة و الأكل و النوم، إلا أن من سلبياته يعتمد على الحفظ أكثر من العقل كما يمتاز بالصرامة في تطبيق العقوبة البدنية[2].

و حتى الكهول كان لهم نصيب من التعليم في تيهرت يتمثل فيما يطرحونه من أسئلة على الشيوخ في حلقات الدروس و المناظرات التي تخص كل مسائل العقيدة و الشريعة.

و لعل نظام الحلقات تحول إلى نظام آخر خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية حيث تحولت الإباضية إلى مرحلة الكتمان، و استحدثوا نظاما يعرف بالعزابة[3].

و لقد ظهرت فئة من العلماء و الفقهاء و الأدباء في هذه الحلقات، و منهم كان الشيخ أفلح بن عبد الوهاب الذي كان على قدر كبير من العلم و الفقه و اللغة العربية[4]، و كان ابن الصغير يقول عن ذلك من أتى إلى الإباضية و من غيرهم قربوه و ناظروه ألطف مناظرة[5]، و قد كان المسجد الجامع بتيهرت أهم مركز لتعليم و تلقين الفقه الإباضي، و عقد اجتماعات و تدارس أوضاع الأمة باجتماع أعيان القبيلة و هذا ما قام به عبد الرحمن بن رستم عندما جاءه وفد من إباضية المشرق (البصرة) فجمع أعيان كل قبيلة، ينوبون أفراد القبائل من أجل النظر في هذا الموضوع[6]، ضف إلى الأئمة في هذا الصدد، نجد بعض المشايخ (حملة العلم) كعاصم السدراتي الذي كان يشق طريقه

---

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص97.

2 - نفسه، ص نفسها.

3 - أعزبوا عن الدنيا و تفرغوا للآخرة، فأقاموا حلقة العزابة الرئيسية، التي تتفرغ عنها حلقات العلم، و أول من أحدث هذا النظام هو أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي في القرن5هـ، الذي رتب قواعده و أسسه، ينظر، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص123، B.Fekar, op.cit, p – p 120- 121.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 56- 57.

5 - مهنا السعدي: الموقع الإلكتروني السابق.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص30، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص141.

بالأحياء الضاربة في الصحراء، و اتخذ في طريقه عدة مساجد صغيرة، تعرف بالمصليات و كذلك لأبي داوود القبلي (حملة العلم) الدور الواسع في تثقيف المغاربة و تعليمهم الديني خاصة[1].

و لم يكن التعليم في عهد الدولة الرستمية مقتصرا على علوم الشريعة بل كان يشمل تعليم الحرف و هو ما يؤكده الوسياني بقوله:"ثلاثة نجارين أحدهم يحسن قطع الخشب و الثاني يشقها وينشرها و الثالث يركب الألواح و يسمرها فيما يصلح من الأدوات"[2].

3- أنواع المعارف و العلوم المتدارسة:

يقول ابن خلدون:"أعلم أن العلوم التي يخوض فيه البشر و يتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، و صنف نقلي يأخذه عمن وضعه، و الأول هي العلوم الحكمية الفلسفية العقلية يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، والثاني هي العلوم النقلية الوضعية و هي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي و لا مجال فيها للعقل"[3].

لعل الجو العلمي الذي كان سائدا في الأسرة الرستمية الحاكمة، أثر في التجاوب الفعلي من طرف أفراد المجتمع التيهرتي خاصة، و بروز فئة من العلماء الأجلاء في مختلف المجالات: العلوم النقلية و العقلية التي حملت مشعل العلم في الأوساط الرستمية خاصة و البلاد الإسلامية عامة.

و من بين هذه العلوم نذكر:

أ- العلوم النقلية:

و تشمل العلوم الدينية و الدنيوية أي اللسانية و الاجتماعية، يقول ابن خلدون:"و أصناف هذه العلوم النقلية كثيرة، و أصلها كلها هي الشرعيات من الكتاب و السنة، و ما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي...فمنها العلوم الدينية من علم

1 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 283- 284.

2 - الوسياني نقلا عن مختار حساني: المرجع السابق، ص305.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 442- 443.

التفسير، و علم الحديث و علم القراءة و علم الفقه، و العلوم اللسانية من لغة و نحو و ادب وعلم

صفوفها فقد خرج مهدي للمناظرة بين الصفين و من معه من أصحابه و جماعة المسلمين فخرج معهم الإمام بوجود أصحابه فخرج الفتى المناظر من المعتزلة و وجوه المعتزلة معه فقال مهدي[1] لمحمد بن يانس أخرج عليه فناظره فقال له بن يانس فأخرج إليه أنت و لست بأعلم مني، قال خرج المهدي و تقدم إلى الفتى المعتزل و قد كان قبل ذلك أسلمته نفسه و ظنت به الظنون فأرسل المهدي في سر من أصحابه يقول له أني إذا ناظرتك و غلبتني أريد أن تستر علي و إن غلبتك سترت عليك و ليس فينا أحد يدري من الدائرة على صاحبه فاتفق المهدي مع أصحابه إذاغلبته يترع الشاشية عن رأسه و يضعها تحت ركبته[2].

و كانت أهم و أشهر المناظرات التي احتضنتها تيهرت تلك التي دارت بين الإباضية والمعتزلة، إذ تذكر المصادر و المراجع أن علماء الفريقين كانوا يلتقون بوادي مينة[3]، في حلقات مناظرة تدور حول مواضيع فقهية بالأساس إلى جانب العلوم الأخرى كعلم الكلام و اللغة.

لا شك أن هذه المناظرات كان لها محاسن و آثار إيجابية من حيث أنها أسهمت في ظهور مؤلفات أظهرت جهود العلماء و الفقهاء في حركة التأليف اعتبرت ذخيرة علمية و أدبية للمؤسسات العلمية في هذا العصر.

* التــفـــســـيــــــر:

هو من أعظم العلوم الدينية مقدارا، و أرفعها شأنا و منارا لكونه رئيس العلوم الدينية و رأسها، ومبنى قواعد الشرع و أساسها[4]، و التفسير هو شرح كلام الله تعالى ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه لفهم اللغة العربية[5].

---

1 - قال عنه الشماخي أنه كان شيخا فاضلا فقيها، و كان ممن أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم"، ينظر الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص143، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص – ص 69- 78.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص70.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص94.

4 - أحمد محمد الصاوي المالكي: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج1، مطبعة مصطفى محمد مصر، 1934، ص2، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 484- 486.

5 - لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص150.

لقد كان اهتمام العلماء المسلمين به كثيرا و خاصة بالقرآن الكريم، كونه المصدر الأساسي و الأول للتشريع الإسلامي، و نظرا لما ورد من الترغيب فيه من النصوص الشرعية كقوله تعالى: **﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[1]، و قول الرسول صلى الله عليه و سلم:**"كتاب الله تبارك و تعالى، فيه نبأ من قبلكم و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله و من ابتغى الهدى في غيره أضله الله..."**، و من هنا فقد تفرغ بعضهم لتفسيره، قصد تيسير و تسهيل فهمه على العرب، لأن نزوله بلغة العرب لا يعني أن كل العرب يفقهون أحكامه و معانيه و لأن فهم أي كتاب لا يتوقف على اللغة وحدها إنما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق و درجة الكتاب في رقيه[2]، و بما أن المجتمع الرستمي كان معظم تركيبته البشرية من الجنس البربري، فقد كان الإحتياج الأكبر إلى فهم ما جاء في القرآن الكريم[3]، و بحاجة ماسة إلى تفسير بعض الآيات التي شكلت عليهم، وقد تفرغ بعضهم إلى هذا، و اهتموا بالتفسير للألفاظ و الكلمات و شرح معانيها و معاني الآيات، و عرفوا بالمفسرين لكتاب الله، و ذكر الدرجيني أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن طلب من أهل نفوسة أن يبعثوا له وفدا من علمائهم، يضم من كل صنف من العلوم مائة عالم بما في ذلك التفسير، ليتناظروا مع المعتزلة بتيهرت[4].

و لعل أهل نفوسة أرسلوا له مفسرا واحدا، يمكنه أن يحل محل المائة مفسر المطلوبة، و هو محمد بن يانس[5] الدركلي النفوسي المعروف ب"ابن أبي المنيب"، عاش ما بين (200- 250هـ/ 815- 864م)[6]، و هو أشهر مفسري نفوسة و أعلمهم، و من أشهر علماء التفسير أيضا:

-**لواب من سلام التوزري المزاتي:** من علماء قبيلة مزاتة، كان شيخا و إماما عالما بالأصول

1 - سورة الحشر: الآية 21.

2 - أحمد أمين: فجر الإسلام، المرجع السابق، ص196.

3 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص242، مختار حساني: المرجع السابق، ص307.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 57- 58.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص67.

6 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص828، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص299.

والفروع[1]، و قد قام بتفسير جزء من سورة الشورى[2] في كتابه "شرائع الدين" باعتماده على الحسن البصري و ابن العباس[3]، كما تطرق إلى حكم حجاب المرأة، و فسر الآيات التي تحتويها لقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾[4] وليس في تفسيره أي غموض أو ابهام.

– **هود بن محكم الهواري**: كان أبوه محكم الهواري قاضي تيهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208- 258هـ/823- 871م)[5]، و هو أشهر مفسر عرفته الدولة الرستمية و تداولته المصادر و المراجع الإباضية و غير الإباضية.

تلقى هود بن محكم تعليمه في تيهرت و كان يفسر القرآن الكريم بالمأثور من الأقوال، و قد اتبع في ذلك شروطا ثمانية هي: معرفة المكي و المدني، الناسخ و المنسوخ، التقديم و التأخير، المقطوع و الموصول و الخاص و العام و الإضمار و اللغة العربية[6]، ألف كتابا في التفسير فيه أربعة أجزاء[7]، و يعتبر تفسيره مرجعا أساسيا للإباضية بالإضافة إلى الأحاديث النبوية[8].

*** الفـــقـــــه:**

الفقه لغة هو الفهم مصداقا لقوله تعالى:﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[9]، أي لا تفهمون، وقيل الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة،

---

1 - جمعية التراث: المرجع نفسه، ج4، ص733.

2 - قال الله تعالى:﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الذي أوحينا إليك﴾، الآية 13.

3 - معروف بلحاج: المرجع السابق، ص143، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص299.

4 - سورة الأحزاب: الآية 59.

5 - محمد مختار اسكندر: المرجع السابق، ص40، موسى لقبال: دور كتامة، المرجع السابق، ص77.

6 - محمد مختار اسكندر: نفسه، ص41.

7 - هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز 4 أجزاء، تحقيق شريفي بلحاج، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، و يذكر الشيخ سليمان داود بن يوسف أنه رغم ضياع كتب الإباضية فإنني وجدت نسخة كاملة من هذا الكتاب في خزانة جدي الشيخ أحمد ابن أيوب التحنيني، كتبه بخطه سنة 1050هـ، و هو بصدد التقديم للطبع، و قد وجدت بعض الأجزاء من الكتاب متفرقة في وادي مزاب و جربة، ينظر، سليمان داود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص60.

8 - صالح باجية: المرجع السابق، ص54.

9 - سورة الإسراء: الآية 44.

واصطلاحا هو معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الإجتهاد[1]، و عرفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله:"هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين"[2]

يعتبر هذا العلم في نظر الإسلام جزء من الدين و من أمور الدنيا، حيث يتناول الفقه حياة الإنسان كلها من الصغر إلى آخر مراسم الدفن و هو إذن قواعد عملية نتيجة التطور و اختلاف البيئات، و لعل الخطوات الأولى للفقه الإسلامي وضعت وقت الرسول صلى الله عليه و سلم وصحابته، و ذلك قبل الإنقسامات السياسية و الخلافات العقائدية[3]، و لقد كان التنافس على أشده بين المذاهب الإسلامية داخل العاصمة، و على شكل مناظرات بين الإباضية و المالكية والحنفية و المعتزلة و الصفرية، هذا الجو التنافسي أثر في توجيه اهتمام العديد من العلماء إلى هذا العلم.

إن التنافس بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم أفضى إلى غزارة التأليف، فكثرت بذلك المدونات الفقهية، و لا أدل على ذلك ما قاله ابن الصغير:"...و من بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم من الكوفيين و المدينيين (أي المالكية) لم يطلب بعضهم بعضا، و لا يسعى بعضهم ببعض..إلا أن الفقهاء تباحثت المسائل فيما بينها، و تناظرت و اشتهت كل فرقة أن تعلم ما خالفتها فيها صاحبتها..."[4].

و الجدير بالذكر أن الحلقات العلمية و المناظرات التي كانت تقام في تيهرت بإشراف الأئمة الرستميين عليها في بعض الأحيان كان لها دور فعال في إثراء الفقه كانت حلقات الجدل والمناظرة تعقد بين فقهاء المالكية و الإباضية، يورد بحاز ابراهيم جانبا من مناظرة فقهية بين ابن الصغير المالكي و أبي الربيع الإباضي حول تفسير الآية **﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**

---

1 - أحمد بن زكريا لتلمساني: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محند أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005، ص- ص 281- 282.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص443.

3 - صالح باجية: المرجع السابق، ص53.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص117.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[1]، فابن الصغير فسر "لم" بأنها لا تعني النفي القاطع إنما تنطبق على الفتيات الصغيرات اللائي لن يبلغن سن الحيض، بينما أبو الربيع فسرها على أنها تعني النساء المسنات[2].

كذلك الأمر بين فقهاء الحنفية و الإباضية، حيث يتفق المذهب الإباضي و المذهب الحنفي على الكتاب و السنة و القياس و الإجماع و الإختلاف هو أن الإباضيين يأخذون بفتاوى الصحابة والتابعين، أما الأحناف فلا يأخذون إلا بفتاوى الصحابة[3].

كما أن الفقه الإباضي[4] تميز بالتشدد و هو ما كان عليه شيوخ المذهب الأوائل، و الدافع إلى ذلك هو الرغبة في زيادة الأجر و الحيطة من الوقوع في الحرام، إذ يذكر أن أبا مرداس رأى على غير قصد امرأة مكشوفة الرأس فصام سنة كفارة على ذلك[5]، و من بين الأحكام الفقهية التي يتميز بها المذهب الإباضي عن سائر المذاهب الأخرى، سواء السنية أو الشيعية، فمثلا في نطاق العبادات و ما يتصل بها: تعتبر الصلاة بدون البسملة قبل الفاتحة باطلة، و كذلك الأذان بدون أربع تكبيرات إحرام، و ما تتميز به صلاتهم أن كل ركعة سرية يكتفي فيها بالفاتحة، و الأفضل عند الصلاة إفراد لباس خاص بها تبريا من نجاسة قد تعلق بالثوب، أما في مسألة الصيام، فمن أصبح جنبا أصبح مفطرا (إذا كان عمدا كان عليه القضاء و الكفارة)، و في نطاق المحرمات: من زنى بامرأة فلا يجوز له الزواج بها، و كذلك التدخين، و لعب الشطرنج و الغناء و الموسيقى، و حلق اللحية، و الصيد و الذبيحة على يد اليهود، و بناء القبور على الموتى[6].

إن الاجتهاد الفقهي في المغرب خاصة بالنسبة للمذهب الإباضي بدأت معالمه تظهر بشكل جلي و نهائي، مع ظهور عدد كبير من الشيوخ و الفقهاء، الذين كانوا قد خدموا الفقه في المغرب

---

1 - سورة الطلاق: الآية5.

2 - بحاز ابراهيم: المرجع السابق، ص300، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 117- 118- 119.

3 - عبد الكريم جودت: العلاقات، المرجع السابق، ص96، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص269.

4 - للإباضية آراء فقهية جيدة اقتبست القوانين المصرية في المواريث بعض آرائهم، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد، ج1، دار الفكر العربي، ص85.

5 - صالح باجية: المرجع السابق، ص66.

6 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص99.

الأوسط و ساهموا في تنشيط الحياة الفقهية في الدولة الرستمية[1] سواء كانوا إباضيين أو غير إباضيين، نذكر منهم:

الفقهاء الإباضيون:

كان الأئمة الرستميون أنفسهم علماء و فقهاء و منهم الإمام عبد الوهاب الذي ألف كتابا في الفقه الإباضي سماه نوازل نفوسة[2]، جاءت في حوالي ثلاثة مائة سؤال يجيب فيها عن أسئلة النفوسيين[3]، كما ألف الإمام أفلح بن عبد الوهاب كتاب الجوابات التي بحث فيها عن أسئلة فقهية، و ما زال هذا الكتاب عبارة عن مخطوط يشمل ثمانين ورقة و يحتاج إلى التحقيق[4].

و من بين العلماء و الفقهاء من غير البيت الرستمي و الذين أسهموا في ازدهار الحياة الفكرية نذكر منهم:

-**أبو عبيدة الأعرج:** عاش في القرن 3هـ/9م، و عاصر الإمام أبا اليقظان، كان عالما بالفقه[5] وعلم الكلام و البلاغة و النحو، قال عنه ابن الصغير:"كلهم مقرون له بالفضل، معترفون له بالعلم، مسلمون له في الورع إذ اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه"[6]، و مما ذكر عن خصاله قلة تردده على الأمراء و حسن أدبه[7]، و ابن الصغير كان أحد تلامذته، كان مشهودا له بالورع حتى أن إباضية سجلماسة يبعثون إليه زكاتهم ليصرفها حيث يشاء[8]، و لقد احتضنت تاهرت فقهاء آخرين تمتعوا بنفس المكانة الفقهية، و نذكر منهم:

1 - رابح بونار: المرجع السابق، ص85.

2 - حسين مؤنس: تاريخ المغرب و منارته، المرجع السابق، ص332، ابن الصغير: المصدر السابق، ص36، و يذكر محمد علي دبوز بأن هذا الكتاب لا زال موجودا في مدن ميزاب و جبل نفوسة و جربة، محمد علي دبوز: المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص- ص 272- 273.

3 - ابن الصغير: نفسه، ص45.

4 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

5 - وداد القاضي: المرجع السابق، م1، ص233.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص84.

7 - و قال عنه ابن الصغير:"و كان قليل الدخول على أبي اليقظان، و لم يكن يجمعه و إياه سوى المسجد الجامع"، ابن الصغير، المصدر نفسه، ص83.

8 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص596.

-عبد العزيز بن الأوز: عاش في تيهرت في عهد الإمام أفلح و الإمام أبي اليقظان، و كان فقيها بارزا رغم أن بالبعض أخذ عليه فكره السطحي[1] يقول عنه ابن الصغير أنه كان صاحب فقه ورحلة نحو المشرق[2].

-عبد الله بن الخير: و تتلمذ عل يد أبان بن وسيم، و لغزارة فقهه برز في الإفتاء[3]، اشتهر بعلمه وقيل عنه من ضيع كتابا كمن ضيع خمسة عشر عالما مثل الخير[4]، و نبغ أيضا في الفقه عيسى بن فرناس النفوسي و أبو ربيع سليمان و عثمان بن أحمد بن يحتاج و أبو ميمون الجيلاطي[5].

كما لا ننسى جهود حملة العلم الفقهية، أمثال اسماعيل بن درار الغدامسي الذي أدى دورا هاما في التعليم، و نشر الفقه الإباضي، و أيضا داورد القبلي النفزاوي الذي أخذ عنه الإمام عبد الوهاب العلم[6]، و لم تكن تيهرت وحدها المدينة الرستمية التي كانت تحتضن الفقهاء، فقد ظهر أيضا في جبل نفوسة عدد من الفقهاء، و رأينا أن نذكر و لو البعض منهم لأن الأئمة الرستميين استعانوا بهم في المناظرات و في القضاء و من أشهر هؤلاء العلماء و الفقهاء:

-عمروس بن فتح المساكني النفوسي: عاش في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح، تولى القضاء بجبل نفوسة، قام باستنساخ مدونة أبي غانم[7] التي لها أهمية في الفقه الإباضي حيث

---

1 - تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص36.

2 - قال عنه ابن الصغير:"و كان له فقه بارع و له رحلة نحو الشرق، ولكنه سفيه اللسان خفيف العقل، يتزهون مجالسهم عن حضوره، و يستغنون عنه في معضلات مسائلهم"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص86.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 318- 319.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص179.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 81- 110.

6 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص245، جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 109- 2856- 499- 505- 515.

7 - و يذكرني هذا السياق أن أبا غانم بشر بن غانم الخرساني خرج من المشرق متوجها نحو المغرب قاصدا الإمام عبد الوهاب و معه مدونته، و أثناء مروره بجبل نفوسة استودعها عند عمروس بن فتح الذي عكف هو و أخته على استناخها، ينظر، حبيب الجنحاني: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1990، ص105.

يعتمد عليها بعد القرآن و السنة، و مسند الربيع مثل مدونة أبي سحنون من أهمية عند المالكية[1]، وكان من الفقهاء الذين قتلوا في موقعة مانوا سنة 283هـ/896م، حيث أخذ أسرا إلى الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني ثم قتل بطريقة بشعة[2].

-عيسى بن فرناس و محمود بن بكر: استعان بهما الإمام أبو اليقظان في أمور الدين و السياسة[3]، حيث يذكر ابن الصغير:"و كان إذا جلس (أبو اليقظان) في المسجد الجامع...كان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس، و كان عندهم من الورع بمكان...و كان عن يمينه و عن يساره و بين يديه وجود الناس، و كان محمود بن بكر يدافع عن الإباضية و يرد عن الفرق الأخرى بمقالاته و يؤلف الكتب في الرد على مخالفيه[4].

-محكم الهواري: عينه الإمام أفلح بن عبد الوهاب قاضيا على تيهرت، قيل أنه كان شديدا في الحق، فلم يفرق بين أمير و مأمور و بين حاكم و رعية، لهذا ارتضاه الناس قاضيا يحكم بينهم بالعدل[5]، و كان حيا فيما بين 208- 258هـ/823- 871م[6].

-عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ: محمد بن أفلح فقيه من تيهرت، عاصر الإمامين أبي اليقظان و أبي حاتم يوسف الذي عينه قاضيا، و قد كان متطلعا في الفقه[7]، و مجموعة أخرى من العلماء و الفقهاء أمثال ابن أبي عياض اللواتي الذي عاش في القرن 3هـ بين عهدي أبي حاتم يوسف و يعقوب بن أفلح[8]، و أبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي كان يستغل بالتدريس

1 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص99.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص89.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص81.

4 - يقول ابراهيم بحاز:"لم تصل إلينا هذه الكتب التي رد بها محمود بن بكر عن مخالفيه الإباضية و لعلها ذهبت ضحية حرق مكتبة الرستميين"، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 310- 311، ابن الصغير: نفسه، ص نفسها.

5 - ابن الصغير: نفسه، ص- ص 59- 60.

6 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص- ص 745- 746.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص89، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص178، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص86.

8 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص675، محمد عليلي: المرجع السابق، ص87.

في الفقه و اللغة بجبل نفوسة[1]، و ماطوس بن هارون المتوفي 283هـ/896م، له كتاب يسمى "كتاب ماطوس"[2]، و أبو حسان عامر بن عاصم السدراتي و هو من ذرية عاصم السدراتي، كان يعقد مجلسين، مجلس للقضاء و آخر للنساء، يعلمهن الأحكام و يفقههن في دينهن[3]، و من فقهاء و خطباء تيهرت أيضا: أحمد التيه الذي برز في فن المناظرة، و عثمان بن القفار و أحمد بن منصور، وقد عاصروا الإمام أبا حاتم يوسف بن أبي اليقظان[4]، و غيرهم كثير.

و ما نستنتجه من خلال عرض لهؤلاء العلماء و الفقهاء مكانتهم الكبيرة عند الأئمة الرستميين، الشيء الذي دفعهم إلى تعيين هؤلاء الفقهاء في منصب القضاء باعتباره جهازا إداريا له علاقة وطيدة بالفقه لأن إصدار الأحكام القضائية يجب أن يتطابق مع الأحكام الفقهية الشرعية، لا سيما إذا علمنا أن من شروط تولي مهمة القضاء، هو أن يكون المؤهل له درجة عالية من الفقه والفتوى، و لعل أشهر قاض شهدته الدولة الرستمية هو عمروس بن فتح النفوسي، الذي وصف بالبحر الزاخر، و لعل أبرز تصنيف يعرف باسم العمروسي[5].

- **الفقهاء غير الإباضيين:**

لم يقتصر الإنتاج الفقهي للمذهب الإباضي فحسب بل فتح المجال لمختلف العلماء و الفقهاء على اختلاف مذاهبهم و مشاربهم الفكرية مما مكن من وجود تعايش مذهبي جعل من تيهرت رمزا لما يمكن أن نسميه "حوارا مذهبيا" إلا ما كان يعترض هذا التعايش من تصادم بين الإباضية والمعتزلة الواصلية و أسبابه في غالب الأحيان النزعة القبلية[6]، فقد فتحت تيهرت أبوابها أمام الوافدين إليها من كل حدب و صوب دون تضييق أو تعصب و كان من الطبيعي أن يتواجد عدد من الفقهاء غير الإباضيين خاصة فقهاء المالكية، نذكر منهم:أبو الفضل عباس بن محمد العواف

---

1 - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص121.

2 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص738.

3 - نفسه، ص- ص 244- 245.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص266.

5 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص320.

6 - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص120.

الغدامسي المتوفي سنة 309هـ/921م[1]، و ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي، سمع من أبي علي القالي، توفي 307هـ/919م[2]، و كذلك الفضل بن سالم البجائي المتوفي 319هـ/931م، كان له باع كبير في الفقه من تآليفه "جامع المسائل الموازنة و المستخرجة"[3]، و أيضا قاسم بن عبد الرحمن و زكرياء بن بكر و المؤرخ الفقيه المالكي بن الصغير[4]، كما كان للفقهاء الحنفية قدم راسخة في تيرهت بدليل وجود مسجد خاص بهم و كان يطلق عليهم تسمية الكوفيين[5]، و منهم أبو مسعود و أبو دنون و كانا فقيهين على مذهب الكوفيين[6]، و قد كان لهذين الفقيهين طلع بارز في إحداث المنافسات التي وقعت بين الإمام أبي حاتم و عمه يعقوب بن أفلح في سنوات 282هـ/286م[7].

إن الانتاج الفكري الإباضي لا سيما الفقه منه لم ينته بعد انتهاء دولتهم و سقوط تيهرت بل استمر في واحات وارجلان و سدراتة و جربة، إذ نزح يعقوب بن أفلح إلى وارجلان عقب مقتل يوسف أبو يقظان، هذه المناطق كانت في الحقيقة معاقل لانطلاقة جديدة للفكر الإباضي بعد سقوط تيهرت فقد أنجبت هذه المدن علماء و فقهاء مثلوا استمرارية فكرية و مذهبية للدولة الرستمية و عرفوا بقوة الإستماتة في الدفاع عن مذهبهم[8]، إذ عاش العديد من أئمة الفكر الإباضي خلال القرن الرابع و الخامس الهجريين[9] حتى يومنا هذا و من هؤلاء الفقهاء نذكر منهم:

---

1 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص246.

2 - رابح بونار: المرجع السابق، ص92.

3 - نفسه، ص93.

4 - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص237.

5 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص95، ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

6 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص180.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص134.

8 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص92.

9 - و للمزيد عن هؤلاء، ينظر، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص- ص 35- 174.

أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي المتوفى سنة 570هـ/1174م[1]، سعيد بن زنغيل (أبو نوح) أوائل القرن 4هـ/10م[2]، أبو عبد الله محمد بن بكر الذي تتلمذ على يدي أبي نوح سعيد بن زنغيل و قد أشاد بنبوغه في الفقه، رحل إلى القيروان لتعلم علوم اللغة العربية[3].

إن جهود هؤلاء العلماء و الفقهاء في الحفاظ على المذهب الإباضي عملت على التواصل الفكري عبد العصور هو الأمر الذي أدى إلى استمرارية هذا المذهب حتى يومنا هذا إضافة إلى صفة الإعتدال التي لزمت هذا المذهب منذ نشأته و هي في الحقيقة من عناصر قوته و عوامل انتشاره و بقائه على غرار المذاهب الأخرى التي ظهرت في المغرب ثم سرعان ما اندثرت بسبب جنوحها إلى القوة و الإكراه.

و من المظاهر و المعطيات التي نستنتجها بعد اطلاعنا على هذا العلم نذكر:

-أن الفقه طبع الحياة العلمية بتيهرت طيلة وجود الدولة الرستمية، و ازدهار هذا العلم يرجع بالدرجة الأولى إلى التنافس الذي عرفته تيهرت بين الفرق و المذاهب المختلفة و حتى انشقت عن الإباضية النكارية، فقد برز في تيهرت عدد هائل من هؤلاء الفقهاء أورد ابن الصغير البعض منهم أمثال أبو عبيدة الأعرج و عبد العزيز بن الأوز و عيسى بن فرناس النفوسي و ابن محكم الهواري، و منهم أيضا مسعود الأندلسي و أبو قدامة بن يزيد اليفريني و عمران بن مروان الأندلسي و أبو الموفق سعدوس بن عطية و سكر بن صالح الكتامي و مصعب بن سلمان و كلهم من فقهاء تيهرت.

و يلاحظ من خلال سردنا لهذه الأسماء العلاقة بين الأندلس و تيهرت و التي تعود إلى هذه المرحلة المبكرة و كذلك وجود علماء أجلاء ينسبون إلى القبائل الأمازيغية مثل قبيلة بني يفرن، مما يؤكد على أن الأمازيغ اهتموا بعلوم الشريعة منذ القرون الأولى، لكن أغلب مؤلفات علماء

1 - يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص127.

2 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص- ص 364- 365.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص173، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص167.

تيهرت لا تزال مخطوطة بخزائن وادي ميزاب، نذكر منها على سبيل المثال جوابات الإمام أفلح ورسالة أبي عبيدة في الزكاة و ديوان أبي سهل[1].

*الحـــــديـــــث:

عرف الإباضية بروايتهم للحديث عن شيوخهم بالمشرق منهم حملة العلم الخمسة بالإضافة إلى هؤلاء ذكر ابن الصغير أبو عبيدة الأعرج الذي كان يأتي إليه ليسمع منه كتاب اصلاح الغلط و هو تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة[2]، و لعل النقص في المصادر التي تتحدث على مؤلفات الإباضية في هذا العلم دال على عدم الإهتمام الكبير به، فتراجم و سير العلماء لا تأتي على ذكر المحدثين إلا قليلا، و لعل ذلك راجع إلى أن تعدد المذاهب في تيهرت جعل الفقه يحظى بالإهتمام الكبير في بيئة تميزت بالمناظرات الفقهية و الكلامية، و مع ذلك تشير هذه المصادر إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208- 258م) له روايات في الحديث[3].

و لعل أبرز كتاب إباضي في الحديث هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي[4] الذي كان عل اتصال بعلماء المغرب، وقد اعتمده الإباضية في الحديث و أولوه عناية كبيرة و اعتبروه سندا صحيحا، و هذا المسند يحتوي على أربعة أجزاء: الأول تناول فيه أحاديث الوحي و ذكر القرآن و العلم و الولاية و الصلاة و الزكاة و الطهارات، أما الثاني فقد ضم سبعة و خمسين بابا تناول فيه أحاديث الحج و الجهاد و الطلاق و الأحكام، أما الثالث فقد ضم أحاديث احتج فيها الربيع على

---

1 - أبو سهل النفوسي: و يعرف أيضا بالفارسي نسبة إلى والدته المتحدرة من عائلة الأئمة الرستميين، و تروي لنا الأخبار أنه كان ترجمان الإمام أفلح، و كتب حوالي اثني عشر كتاب شعر باللغة البربرية، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص- ص 289- 290، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص- ص 115- 116.

2 - ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي، بها مولده و يقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينور، و توفي سنة 270هـ، له كتاب"إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث"، ينظر، النديم: المصدر السابق، ص- ص 58- 59، هامش ابن الصغير، ص84، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.

3 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص242.

4 - هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي العماني، من علماء القرن الثاني هجري، تولى إمامة الإباضية بعد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، عاصر الإمام عبد الوهاب، يحتمل أنه توفي في 172هـ، بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص243.

خصومه كحجة تكفير أهل الكبائر، ككفر النعمة، أما الجزء الرابع فضم روايات محبوب بن الرحيل عن الربيع، و روايات الإمام أفلح عن أبي غانم بشير الخرساني، و مراسيل جابر بن زيد[1].

أما بالنسبة لإباضية المغرب، فنجد بعض رواة الحديث الذين اهتموا بالفقه الإباضي منهم الشيخ: أبو قاسم سدرات بن الحسن اليغطوري، و أبو ذر إبان بن وسيم، أبو خليل صال، من أهل دركلل، و كذا أبو المنيب محمد بن يانس[2]، و جابر بن زيد الأزدي، اعترضه نفاث في طريقه و أخذ عنه الديوان الذي جمع فيه أحاديث تسعين من الصحابة، و حوى ما عندهم و قام بحفر له و دفنه و لم يعرف وضعه إلى يومنا هذا، كله حسد و غيلة[3]، و لعل هذه الحادثة من حوادث الدهر آنذاك.

و يبدوا هذا الفراغ في مصنفات الحديث لعلماء إباضيين، هو الذي دعى أبا عبيدة الأعرج التيهرتي، العالم الفقيه بالكلام و الوثائق و النحو و اللغة، إلى دراسة كتب غير الإباضية التي كانت من مخلفات العديد من رواة الحديث، نذكر منهم أبا عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الوناتي التيهرتي[4] الذي يعد من أشهر علماء الجزائر و أدبائها في هذا العصر عالما بالحديث، إماما، صدوقا، حافظا للحديث[5]، ولد بتيهرت عام 200هـ، أخذ العلم عن علماء بلده، ثم ارتحل إلى القيروان، فأخذ عن صاحب المدونة سحنون بن سعيد، و قد أخذ الحديث عن بكر العديد من العلماء أمثال قاسم بن إصبع والذي نقل مسند مسدد بن مسرهد إلى الأندلس، و هو في عشرة أجزاء[6]، و أيضا ولده عبد الرحمن[7]، و كذا صالح القحطاني المعافري، و قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التيهرتي التميمي الذي كان من جلساء بكر بن حماد[8].

1 - بلحاج معروف: المرجع نفسه، ص244.

2 - الشماخي المصدر السابق، ج1، ص155.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص96.

4 - ذكره الدباغ باسم بن سمك و بن عذارى باسم بن سمر، ينظر، الدباغ: المصدر السابق: ص281، ابن عذارى: المصدر السابق، ص103.

5 - ابن عذارى: المصدر السابق، صج1، ص153، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.

6 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص174.

7 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص309.

8 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

و من المحدثين أيضا أبو سعيد بحيج بن خداش توزري، توفي بنفزاوة سنة 296هـ/909م، و قد روى الحديث عن محمد بن سحنون[1]، و يظهر أن معظم هؤلاء المحدثين كانوا قد رحلوا إلى القيروان لتلقي العلم من شيوخها، و المؤلفات في هذا الباب شبه معدومة إلا ما كان قد استعين به في التفسير، وهي طريقة هود محكم[2]، السالف الذكر و يذكر أن نفاثا بن نصر قد أتى معه بنسخة من ديوان جابر بن زيد الأزدي من بغداد، و هو مؤلف يعتقد أنه في الحديث[3]، لما كان يسمعه جابر عن الصحابة منهم بن عباس، يذكر الدرجيني أن مدونة أبي غانم احتوت على جملة من الأحاديث[4].

***علم القراءات:**

و هو معرفة القراءات المشهورة و كيفية أداء الحروف، كما يضاف إليه فن الرسم، و هي أوضاع حروف القرآن الكريم في المصحف و رسومه[5].

هو من أفضل و أشرف العلوم لتعلقه بالقرآن الكريم[6]، واضعه من الناحية العملية هو سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، فهو أول من تلا القرآن الكريم مجودا[7] من البشر، أما واضعه من الناحية العملية فقيل: أنه أبو الأسود الدؤلي و قيل:أبو عبيد القاسم بن سلام، و قيل: الخليل بن أحمد الفراهدي[8]، و من أعلام القراءة و أئمتها الذين اشتهروا بتفاصيل علم القراءات رواية و دراية

1 - معروف بلحاج: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

2 - بحاز ابراهيم:الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص301.

3 - نفسه، ص- ص 305- 306.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ص10.

5 - لقي فن رسم القرآن الكريم عناية و اهتمام كبيرين و ألفت فيه العديد من المصنفات، ابراهيم بن محمد المغني: دليل الحيران على مورد الظمآن في فن الرسم و الضبط باعتبار قراءة الإمام نافع لمحمد بن محمد الشريسي الخراز، دار الكتاب، الجزائر، د.ت، ص10.

6 - رحيمة غيساني: الميسر في أحكام الترتيل، مراجعة و تصحيح رمضان يخلف و صالح فريوي، دار الهدى عين ميلة، الجزائر، 2000، ص11، و يقول عنه بن خلدون بأنه علم يتعلق بكتاب الله ببيان ألفاظه أولا ثم اسناد نقله و روايته إلى النبي صلى الله عليه و سلم و اختلاف روايات القراء في قراءته، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص443.

7 - أي تجويد القراءة و تلاوة القرآن الكريم بتمهل و تؤدة و اطمئنان، و إخراج الحروف من مخارجها، بلقاسم مصباحي: هبة الرحمن في تجويد القرآن، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، 2006، ص12.

8 - رحيمة عساني: المرجع السابق، ص11.

تامة بما كان الصحابة رضوان الله عليهم يقرؤون القرآن كما تعلموا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و هم سبعة[1]، الإمام نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي.

و زاد ابن الجزري ثلاثة قراء مختلف في تواتر قراءاتهم و هم: أبو جعفر في المدينة المنورة، ويعقوب في البصرة و خلف في بغداد[2].

لكن هذا العلم في تيهرت لم تشر المصادر التي رجعنا إليها في تأليف في هذا العلم رغم وجود أئمة جودوا و رتلوا القرآن في المساجد طبقا لما جاء في الآيات الكريمة و التي تحث على الترتيل مثل قوله تعالى:﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾[3]، و كذا قوله عز وجل:﴿**وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾[4]، و هذا ما ذكره ابن الصغير[5]:"حضرت لهم خطبا كثيرة أولهم ابن أبي دريس، و الثاني أحمد التيه و الثالث أبو العباس بن فتحون، و الرابع عثمان بن الصفار، و الخامس أحمد بن منصور، فسمعت أحمد التيه يقرأ بعد فراغ إلى بلغ:﴿ **تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا** ﴾"[6]، فقد كان هؤلاء الخطباء يؤمون الناس في الصلاة و من ثم كان عليهم تجويد القرآن وترتيله بأحكامه لأنها فرض عين[7].

ب/ العلوم اللسانية:(علم الكلام، اللغة، النحو، الأدب، التاريخ، الجغرافيا)

تنوعت العلوم اللسانية و الإجتماعية من أدب و ما يتصل به من فنون مثل الشعر و النثر، و علوم اللغة و قواعدها من نحو و علم كلام و كذا التاريخ و الجغرافيا، و قد حظيت هذه العلوم باهتمام و إقبال كبيرين من قبل أئمة تيهرت حيث تذكر المصادر أن الإمام أبا بكر كان شغوفا باللغة و الأدب[8]، إذ أن المجالس العلمية و الحلقات التي كان يقيمها حملة العلم العائدون من المشرق كانت بمثابة مدرسة لتلقين الأتباع علم الأصول و الفروع و السير و آراء الفرق و علوم اللغة

---

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص444.

2 - بلقاسم مصباحي: المرجع السابق، ص- ص 10- 11.

3 - سورة المزمل:الآية4.

4 - سورة الفرقان: الآية32.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، 105.

6 - سورة طه: الآية 4.

7 - مختار حساني: المرجع السابق، ص308، رحيمة عيساني: المرجع السابق، ص12.

8 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص238.

والأدب، و قد تمثلت هذه العلوم فروعا شتى من شعر و أدب و تاريخ، لكن حرق المكتبة بعد دخول العبيديين إلى تيهرت صعب الحصول على المؤلفات التي تفي هذه العلوم سواء النقلية أو العقلية[1].

و من هذه العلوم نذكر:

***علـــم الكــــلام:**

يعرفه ابن خلدون بقوله:"هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة"[2]، فهو العلم الذي يعتمد على الجدل للبحث في مسائل العقيدة الإسلامية بغرض الدفاع عنها بالحجة و الإقناع، أي الغوص في مسائل فلسفية بحتة، و قد اشتهرت تيهرت بالمناظرات التي تعتمد على علم الكلام و كان أغلبها يتم في المساجد والساحات العمومية[3].

تعد الخلافات التي كانت تصدر عن الإباضية من أهم أسباب التفرق المذهبي عن الإباضية الأم، التي احتفظت لنفسها باسم الوهبية، نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن[4]، و تعود الانشقاقات إلى أسباب فقهية سياسة الباطن، و لعل سببه الرئيسي هو مسألة الإمامة[5]، و قد كانت لهم عدة اجتهادات فقهية، انحرفوا فيها عن الإسلام، و كانت الوهبية، ترد عليهم و تدحض حججهم، و بالتالي ظهر النزاع و الجدل و المناظرة، و كانت الإباضية دائمة المناظرة الكلامية والمنافسة الفقهية[6]، فكانت مسألة خلق أسماء الله و مسألة الله هو الدهر الدائم من أهم الأفكار الكلامية التي أثارت هذه المناظرات، و لعل الرستميين فتحوا المجال واسعا أمام حرية الفكر، فلم يضايقوا أحدا و لا طردوا مخالفا، و كانت الإباضية يدعون في أغلب الأوقات أتباع الفرق

---

1 - عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص86.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص467.

3 - مختار حساني: المرجع السابق، ص309.

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص37.

5 - تعد الإمامة و شروطها من أهم المسائل التي أشغلت المسلمين، و كانت سببا لظهور الفرق الإسلامية، موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص202.

6 - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص331.

الأخرى لحضور ندوات، و كان كل مشارك فيها حر للدفاع عن وجهته و عن مذهبه، و كان يشترط في الشيخ الإباضي أن يكون متطلعا في معرفة اللغة العربية، و القرآن الكريم و الحديث، والفقه و علم العقائد و تاريخ الخلفاء و تاريخ صحابة رسول الله عليه الصلاة و السلام[1]، و كانت هذه المناظرات تقع بين المذاهب الواصلية و الحنفية[2]، و غيرها من المذاهب، و لعل ابن الصغير من الشخصيات البارزة في تيهرت، فكانت معرفته الفقهية خاصة تجعل له القدرة الكلامية في المناظرة على الرغم من علم عبد الوهاب الواسع، و ثقافته الكبيرة، فإنه لم يقدر على الرد على مناظرات الواصلية، و بالتالي استمد العون من نفوسة[3].

و قد كان له ما طلب، فجاءه أشهر مناظر إباضي في علم الكلام، مهدي النفوسي الوغيوي المتوفي سنة 196هـ/811م[4] الذي عاش في عهده، و كان رجلا شديد الورع و الزهد في الحياة الدنيا[5]، فكان هو المقوم في علم الجدال الذي له اليد العليا في البرهان و الاستدلال، هو المحتج على أمكان الممكن و استحالة المحال، و على الفرق بين الحلال و الحرام الرادع لقيام أهل البدع والضلال[6]، و كان يغيب لعدة أيام قبل انعقاد المناظرة، فلما سئل عن مكان غيابه، قال:"إني رددت إلى مذهب الحق"[7]، و من أمثلة هذه المناظرات، تلك التي كانت بين النفوسي و الواصلي، الذين لم تذكر المصادر اسم هذا الأخير، حيث كان الناس في بداية الأمر يعملون ما يقولان، فلم يفلح أحدهما على الآخر، ثم أنهما دخلا في فنون من العلم، فلم يفهمهما أحد من الناس سوى الإمام عبد الوهاب، و تعمقت المناظرة الكلامية، أكثر حتى أصبح لا يفهمها إلا المتناظران وحدهما، و استوى الإمام عبد الوهاب في هذه المرحلة مع العامة من الناس، فما كان أوشك من

---

1 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص113.

2 - أهم أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان المشهور بعلم الكلام، ثم تفرغه للعلوم الشرعية و عرف بآثاره الإجتهادية، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص82، ابن الصغير: المصدر السابق، ص92.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص171.

4 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج2، ص892، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص- ص 100- 101.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص143، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص113، يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص119.

6 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 313- 314.

7 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص- ص 113- 114.

أن ظفر به مهدي، فكبر أصحابه و انتصر على الواصلية[1]، فتحولت هذه المناظرة بعد انتصار المهدي إلى مبارزة أفضت إلى مقتل المعتزلي[2]، و قال عنه الدرجيني:"هو المقوم في علم الجدال الذي له اليد العليا في البرهان و الاستدلال و هو المحتج على امكان الممكن و استحالة المحال، و كلها للفرق بين الحرام و الحلال...الرادع لقيام أهل البدع و الضلال...استطاع أن يقنع سبعين عالما ممن سماهم بأهل الخلاف إلى مذهب الإباضية[3]، و ممن برع في علم الكلام و المناظرات أيضا عبد الله بن اللمطي الهواري، عاش في أواخر القرن 3هـ/9م[4] من علماء تيهرت كان معاصرا للإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح (261- 281هـ/874- 894م) اشتهر في الجدل و المناظرة و التأليف له باع كبير في علم الكلام و كان يناظر المعتزلة الواصلية و نظرا لمكانته في الجدل و رسوخ قدمه في الحجة و البرهان اختاره الإمام يعقوب بن أفلح للتحكيم في الفتنة التي جرت بينه و بين ابن أخيه أبي حاتم يوسف[5]، و قد انتقلت روايته المتعلقة بالمناظرة بين الإباضيين و المعتزلة بواسطة بن بشير إلى ابن الصغير[6]، و نذكر أيضا محمود بن بكر[7] الذي عاصر هو الآخر أبا اليقظان محمدا بن أفلح، تميز بشدة استماتته في الدفاع عن المذهب بالتصدي للفرق و الرد عليهم في مقالته و كتبه ومن المتكلمين أيضا عبد الله بن يزيد الفزازي عاش في القرن 3هـ/9م، له كتاب في علم الكلام عنوانه "الرد على الروافض"[8].

كانت المناظرات تتم في جو تسوده الملاطفة، إلا حينما كانت تتم مع المعتزلة الواصلية في أمور عقدية، و هؤلاء عظم نفوذهم في تيهرت و ما جاورها من مناطق و كان يستعان في

---

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص- ص 71- 72.

2 - محمد بلغراد: المرجع السابق، ص114، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص 57- 63.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، المصدر السابق، ج1، ص60، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص336.

4 - انتقلت روايته المتعلقة بالمناظرة بين الغباضية و المعتزلة بواسطة أحمد بن بشير إلى ابن الصغير، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 93- 94، جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص55، تاديوس ليفيتيسكي: المؤرخون الإباضيون في إفرقيا الشمالية، ترجمة ماهر جرار و ريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2000، ص43.

5 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص362، ابن الصغير: المصدر نفسه، ص113.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 93- 94، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص43.

7 - البرادي نقلا عن محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص236، الباروني: ج2، ص119.

8 - جمعية التراث: المرجع السابق، ص589.

مناظرتهم بفطاحل الفقه و علم الكلام من النفوسيين و كانت المسائل المحورية في هذه المناظرات تدور حول خلق القرآن و التأويل المجازي مثل الميزان من الصراط و الاستواء على العرش[1].

و كان ممن يتواجدون في تيهرت عدد من اليهود الذين عرفوا باشتغالهم بعلم الكلام إذ كانت لهم علاقة بالأوساط العبرية البابلية[2].

و كانت أهم مسألة بحثها علم الكلام هي خلق القرآن، و نستشف رواج هذا العلم في تيهرت من خلال رسالة الإمام محمد بن أفلح في مسألة خلق القرآن بقوله:"اجتمعت الأمة على أن القرآن كلام الله و لا يخلو هذا الكلام من أن يكون شيئا أو ليس بشيء يختلف فيه المخالفون وينازع فيه و لو صح أنه ليس بشيء لبطل أن تكون رسل الله جاءت بشيء"[3].

هذه المسألة أثارت جدلا و جدالا[4] في هذا العهد مما يجعلها موضوعا بمختلف المناظرات الفقهية و الكلامية، قال بها حتى الأئمة الرستميون، فالإمام أبو اليقظان كان يقول:"إذا قلنا أن نعترف أن القرآن هو الله لزم حينئذ أن نعترف له بنفس صفات الأبدية و القدرة والخلق...وبالتالي يجب أن يعبد و ذلك مستحيل..إذا قلنا أن القرآن هو جزء من الله يصير الله تعالى حينئذ ممكن الإنقسام إلى أجزاء و ذلك مستحيل إذن القرآن ليس هو عين الله أو جزء من الله بل هو منفصل عنه فليس أمامنا حينئذ إلا حالتان إما أن يكون قديما فهو إذا سرمدي مثل الله، و إما أن يكون مخلوقا، فإذا استحال أن يكون سرمديا من غير أن يكون جزء من الخالق فلا يكون إلا حقيقة غير الله و يكون الله هو الذي خلقها"[5].

---

1 - صالح باجية: المرجع السابق، ص50.

2 - محمد بلقراد: المرجع السابق، ص121.

3 - البرادي نقلا بصالح باجية: المرجع السابق، ص213.

4 - الجدال: هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية و غيرهم، و قيل فيه:"إنه معرفة بالقواعد من الحدود و الآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو 7غيره، و هي طريقتان: طريقة البردوي و هي خاصة بالأدلة الشرعية من النص و الإستدلال و الإجماع، و طريقة العميدي و هي عامة في كل دليل يستدل به منن أي علم كان، و أكثره استدلالا"، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص466.

5 - محمد بلقراد: المرجع السابق، ص112، البرادي نقلا عن: CH.Bekri : Le royaume, op.cit, p151.

و منه كانت المسائل الكلامية من المواضيع الفكرية التي شغلت العلماء على حد سواء في الدولة الرستمية و أمدها بأفكار جديدة[1].

***اللـــغـــة و النـــحـــو:**

يقول ابن خلدون:"أركان علوم اللسان العربي أربعة و هي اللغة و النحو و البيان و الأدب و معرفتها ضرورية عند أهل الشريعة، إذ مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب و السنة و هي بلغة العرب، و نقلتها من الصحابة و التابعين عرب، و شرح مشكلاتها من لغتهم..فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، و ليس كذلك اللغة"[2].

تعتبر اللغة العربية من أغنى اللغات السامية و أرقاها، لأنها تتميز بكثرة المفردات، و تتصف بالمرونة و القدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها، مع سهولة التعبير الدقيق في إطار من الجزالة و سمو البلاغة و سحر البيان، و بفضل غنى اللغة العربية و قوتها و قدرتها على الإشتقاق و البحث و اللفظ المعبر، استطاعت أن تكون أداة التعبير عن حضارة سادت خلال العصور الوسطى[3].

و لما كان فهم الدين الإسلامي و القرآن الكريم تحديدا يتطلب معرفة اللغة العربية لأداء العبادات و فهمها بشكل صحيح، فإن تعلم قواعد اللغة العربية كانت ضرورة لغوية فضلا على أنها ضرورة دينية، و نستشف أهمية هذه العلاقة من قول أحد شيوخ الإباضية هو أبو عمران موسى بن زكرياء:"إن تعلم حرف من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفقه و تعلم مسألة من الفقه كعبادة ستين سنة"[4].

احتضنت تيهرت أقواما عديدة، و بذلك تعددت فيها اللغات إلا أن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية للدولة، لأن الرستميين عملوا ما في وسعهم لنشرها في أوساط البربر، كما أن اللغة البربرية عاشت بل تعايشت مع اللغة العربية، فقد كان يستعملها الفقهاء في خطبهم لأنها

1 - محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص202.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 597- 598.

3 - عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص452.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص348، جمعية التراث: المرجع السابق، ج4، ص- ص 896- 897.

كانت لغة العامة[1]، فكانت صعوبة تمكن البربر من اللغة العربية سبب في اضطرارهم إلى اللجوء إلى مترجمين رستميين[2]، و لعل كتاب المهدي النفوسي أحد مشايخ نفوسة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري[3]، و هو كتاب رد به على نفاث بن نصر الذي طعن في الإمام عبد الوهاب، و يعد هذا الكتاب أقدم كتاب إباضي بالبربري و ألف نثرا، و وضع بهذه اللغة يتناقله البربر[4]، لأنها لغتها و هي أسهل عليهم، و لكن لا يستعبد أن يكونوا يتقنون اللغة العربية و ما دل على ذلك الإنقلاب اللغوي الذي كان في عهد الخوارج، حيث قلبوا الخط البربري إلى العربي، و بالتالي توغلت اللغة العربية إلى اللسان البربري[5]، و منه عاشت اللغة العربية مع البربرية عيشة العامية مع الفصحى[6].

و لقد خلفت بعض الكتابات النثرية التي كتبت بالبربرية كتلك الرسائل التي كان الأئمة يبعثونها إلى الرعية في الولايات، و لم تكن تصدر بالبربرية و إنما بالعربية و يقوم بترجمتها الشيخ أبو سهل النفوسي إلى البربرية، فقد كان فصيحا بلغتهم و قد وصلت صدى هذه الترجمات إلى الواحات في الصحراء أو جبال نفوسة و الأوراس، و لعل منهم من يتحدث البربرية إلى اليوم[7].

كما كان من البربر شعراء بالبربرية، فلأبي سهل النفوسي دواوين شعرية حيث شبه أحد المؤرخين قصائد أبي سهل بقصائد عمران بن حطان الشاعر الخارجي حيث قال:"من أراد قراءة الشعر، فعليه بشعر أبي سهل الفارسي"، ضف إلى هذا نجد أبا ربيع سليمان بن علي بن يخلف، فكان شاعرا، يجيد الشعر باللغة الدارجة البربرية، و له قصيدة وعيظة بلسان البربر و هي مقفاة[8]، كما كانت تستعمل البربرية في حلقات الوعظ و الإرشاد في المساجد، تسهيلا للبربر تتناول

1 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص101.

2 - صالح باجية: المرجع السابق، ص150.

3 - تولى الترجمة للإمامين أفلح بن عبد الوهاب و أبي حاتم يوسف، ينظر، جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص452، رابح بونار: المرجع السابق، ص91.

4 - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص- ص 372- 375، صالح باجية: المرجع السابق، ص158.

5 - مبارك الميلي: المرجع السابق، ص77.

6 - نفسه، ص78.

7 - صالح باجية: المرجع السابق، ص158.

8 - للمزيد عن مصير هذه المؤلفات، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص- ص 289- 290، أيضا، الوسياني نقلا عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص116، صالح باجية: المرجع نفسه، ص160.

الإسلام و تعلمه و فهمه[1]، و بهذا يمكن القول أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، و قد تعايشت مع اللغة البربرية من أجل تنشيط الحركة الفكرية، و قد كانت تعتمد على المشافهة بها في التسيير و الشرح أكثر من كتابتها و التدوين بها.

أما النحو فقد بدأ في البصرة و الكوفة في القرن الأول الهجري على يد أبي الأسود الدؤلي الذي وضع قواعد اللغة العربية و يقال إنه تلقى أصول هذا العلم عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–[2]، و الدوافع التي اقتضت الإهتمام بهذا الجانب هي أن كثيرا من الموالي الفرس كانوا يختلطون بالعرب فتعرضت العبارات العربية إلى اللحن في النطق و حتى لا يتعرض القرآن الكريم للتحريف كان لا بد من تقويم اللسان العربي بوضع قواعد تحفظ سلامة النطق.

إذن تعد البصرة المركز الأم للنحو، و إحدى المدارس النحوية البارزة في ذلك الوقت، ولكن كانت تيهرت بعيدة عن مسايرة البصرة في هذا الإختصاص، و ذلك لأن البربر كانوا في هذا الوقت يحاولون التحدث باللغة العربية، على أكثر تقدير دون النظر إلى النحو و القواعد ، ويذكر بلحاج معروف أن المعلومات في هذا العلم قليلة جدا، فيقول إننا لا نعرف عن هؤلاء الكثير إلا ما صنفه الزبيدي من النحويين الرستميين خطأ مع العلماء القرويين، أمثال الأخوين ابراهيم المهري، و أبو عبد الملك المهري ابن قطن، و أبو محمد عبد الله بن محمد المكفوف النحوي من مواليد سرت، التي كانت تابعة للدولة الرستمية، حيث قيل في شأنه:"كان من أعظم خلق الله بالعربية و الشعر و تفسير المشروحات...و له كتب كثيرة أملاها في اللغة العربية، و له كتاب في العروض، يفضله أهل العلم على سائر الكتب المؤلفة، و توفي سنة 920هـ[3]، ضف على ذلك أبو عبيدة الأعرج[4] الذي قال عنه ابن الصغير:"كان عبيدة عالما بالفقه و الكلام و الوثائق و النحو

---

1 - عثمان الكعاك: المصدر السابق، ص218.

2 - يقول ابن خلدون:"و أول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، و يقال بإشارة علي –رضي الله عنه–..."، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص599، حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق، ص277.

3 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص353.

4 - هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي من تيم قريش لا تيم الرباب له كتاب غريب الحديث، توفي أبو عبيدة سنة 210هـ، و قيل 211هـ، النديم: الفهرست، ص- ص 59- 96، ابن الصغير: المصدر السابق، ص84.

واللغة"[1]، و أضاف قائلا:"قد أتيته يوما أسمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة على أبي عبيدة، فلما افتتحت قراءته و قلت لعل ناظرا في كتابنا، هذا ينفر من عنوانه ويستنفز من تلرجمته و يربأ بأبي عبيدة عن الزلة، فلم أهمزه و أمده، فقال لي يربأ بأبي عبيدة، بهمز الألفن و ضمه و إنما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة[2]، و لعل هذا التنوع في اللغات و اللهجات بالعاصمة الرستمية أنجبت شخصية ساهمت مساهمة فعالة في مجال اللغات هو يهوذا بن قريش التيهرتي، و كان يحسن اللغات العربية و الأرامية و الفارسية و البربرية و الكنعانية و العبرية، هو الذي أكد في كتابته أن هذه اللغات ذات أصل واحد[3]، و بالتالي أول واضع للنحو التنظيري[4]، و يضيف عبد الرحمن الجيلالي أن هذا الكتاب موجود في مكتبة أكسفورد الإنجليزية.

1 – النثر:

يقول ابن خلدون:"و أما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا، و يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا، و منه المرسل، و هو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا و لا يقطع أجزاء، بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية و لا غيرها، و يستعمل في الخطب و الدعاء و ترغيب الجمهور و ترهيبهم، و أما القرآن و إن كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين و ليس يسمى مرسلا مطلقا و لا مسجعا، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، و يثنى من غير التزام حرف يكون سجعا و لا قافية، و هو معنى قوله تعالى:﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ** ﴾[5].

لقد برز النثر في شكل خطب و وصايا و رسائل ديوانية أو أقاصيص تعليمية أو حكم أو أجوبة، و لعل من أشهر الرسائل الديوانية رسائل الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى جدبل نفوسة في

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 84.

2 – نفسه، ص نفسها.

3 – أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص80.

4 – عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص174، رابح بونار: المرجع السابق، ص91.

5 – سورة الزمر: الآية 23.

مسألة خلف بن سمح[1]، جاء في مضمونها ما يلي:(بسم الله الرحمن الرحيم، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم، من أمير المؤمنين عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بطرابلس، أما بعد فإنني آمركم بتقوى الله و الإتباع لما آمركم به، و الإنتهاء عما نهاكم عنه، فقد بلغني ما كاتبتموني به من وفاة السمح، و استخلاف البعض خلفا، و رد أهل الخير ذلك، فإن من ولى خلفا بغير رضا إمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين و من أبى من توليته فقد أصاب، فإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله السمح إلى عمله الذي ولي عليه إلا خلف بن السمح فحتى يأتيه أمري و توبوا إلى ربكم لعلكم تفلحون)[2].

كما كان للإمام أفلح بن عبد الوهاب مجموعة من الرسائل التي وجهها إلى الرعية و عماله ينصحهم فيها بالتقوى و الصلاح[3]، كما وجه أيضا رسالة[4] أخرى إلى نفاث بن نصر يتوعده فيها بعواقب صنيعه في ضق عصى الطاعة[5].

و قد امتازت كل هذه الرسائل بالإيجاز و صحة الألفاظ و التسلسل المنطقي، و ببساطة الخطب و ترك ما لا يدخل في الموضوع، و هي توحي بجمال أسلوب الأئمة و قدرتهم البلاغية وثقافتهم الدينية، و تميزت بثلاثة أبعاد، أو لهم أدبي و ثانيهم تاريخي و ثالثهم ديني[6].

و هذه الرسائل كانت تمثل نموذجا لما كان عليه النثر في هذا العصر، من عمق في المعاني والبلاغة، ليس فقط في رسائل الأئمة و إنما حتى في الرد على تلك الرسائل من طرف الولاة و هذا ما نستشفه من خلال رد والي نفوسة أبي منصور الياس على العباس بن طولون حينما كان يحاصر طرابلس سنة 267هـ/880م، حيث قال:"قل لهذا الغلام إنك أقرب الكفار مني و أحقهم

---

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص80، بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص247.

2 - ورد اختلاف في بعض العبارات بين أبي زكرياء يحيى و الدرجيني و هي (بتقوى الله)، (الانتهاء عما نهاكم عنه) و (توبوا إلى ربكم لعلكم تفلحون) وردت عند أبي زكرياء بالشكل التالي:(بتقوى الله العظيم)، (الانتهاء كما نهاكم عنه)و (راجعوا التوبة لعلكم تفلحون)، أبو زكرياء يحيى: نفسه، ص نفسها، الدرجيني: المصدر السابق، ص69.

3 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص- ص 281- 282.

4 - ستكون هذه الرسالة ضمن قائمة الملاحق، ص5.

5 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص267، و عن مسألة نفاث بن نصر، ينظر، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص- ص 92- 93- 94.

6 - رابح بونار: المرجع السابق، ص152.

بمجاهدتي، فقد بلغني من قبيح أفعالك ما لا يسعني التخلف عن جهادك، و أنا على أثر رسالتي إليك"[1].

و للفقهاء أيضا بصمات في مجال النثر و نستشف ذلك من خلال الوصايا المتضمنة للنصح و الوعظ أمثال أبي يعقوب يوسف بن سيلوس السدراتي، كان شيخا عالما قال لابنه و هو يعظه ويرشده لعمل الخير:"لا يكن ندبك الناس للخير أوكد من ندبك نفسك، و لا يكن غيرك أسبق إلى خير منك، و كن للناس كالميزان و كالسيل للأدران و كالسماء للماء"[2].

2 – الـشـعـر:

يعرفه ابن خلدون بقوله:"هو فن من فنون كلام العرب...و هو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى، إذ هو كلام مفصل قطعا قطعا، متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة، و تسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا، و يسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه، رويا و قافية، و يسمى جملة الكلام إلى آخره: قصيدة و كلمة، و ينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده، مستقل عما قبله و ما بعده، و إذا أفرد كان تاما في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء[3].

يعتبر الجو الثقافي الذي كان سائدا في تيهرت، هو الذي ساعد على ظهور الشعراء الذين ترعرعوا في كنف الدولة الرستمية فنجد للإمام أفلح قصيدة تقع في أربعة و أربعين[4] بيتا، يشيد فيها بفضائل العلم و يحث فيها على العلم و طلبه فيقول في مطلعها:

العلم بنى لأهل العـــلم آثارا ... و ليلهم بشموس العلم قد نـــارا
حتى و إن مات ذو علم و ذو ورع ... ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا
العلم در له فضل و لا أحد ... في الناس يدري لذلك الدر مقدار
للعلم فضل على الأعمال قاطبة ... في العلم أعظم عند الله أخطارا

---

1 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص340.
2 - رابح بونار: المرجع السابق، ص91.
3 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 621- 622.
4 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص- ص 376- 377.

يشرف العلم للإنسان منزلة و يجتبي من جناة العذب أثمارا
العلم فخر علا عن كل مرتبة و يرفع العلم للإنسان أقدارا[1]

و يقال عن هذه القصيدة أنها من نوع النظم التعليمي، و فيها تعابير فقهية و هي نتاج عربي في جو بربري و تمهيد لعبقرية بن حماد التيهرتي[2] الزناتي الذي ولد في تيهرت سنة 200هـ/815م، وارتحل إلى المشرق سنة 217هـ/832م[3]، حيث تنقل بين البصرة و الكوفة و بغداد[4] فالتقى بعظماء الشعراء أمثال أبي تمام و دعبل الخزاعي[5]، عاد إلى القيروان من المشرق سنة 239هـ/853م، و تفرغ للتدريس في جامع القيروان سنة 274هـ/887م[6]، لكن سوء علاقته مع الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد جعلته يخرج هاربا من القيروان يريد تيهرت سنة 295هـ/907م[7]، فاعترض سبيله قطاع الطرق بالقرب من تيهرت فقتل ولده عبد الرحمن وجرح بكر في بطنه، و لعل الجراح التي أصيب بها في الحادث المذكور[8] كانت سبب وفاته في قلعة بن حمة بالقرب من تيهرت على ما ذكر ابن عذارى، و كان ذلك في شوال سنة 296هـ/جويلية 909م[9].

و يعد بكر بن حماد من أعظم شعراء الدولة الرستمية، و كانت له مساجلات أدبية أسفرت عن ثبوت قدمه في الأدب و صناعة الشعر و النثر، و قد اتصل بالخلفاء العباسيين، و قال فيهم الشعر، و نال حبهم و عطفهم و إحسانهم، و لما عاد إلى بلاده إنهال عليه الطلب من كل

1 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص- ص 247- 248- 249، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص- ص 106- 107.

2 - رابح بونار: المرجع السابق، ص112، مختار حساني: المرجع السابق، ص309.

3 - الدباغ: المصدر السابق، ص282، يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص122.

4 - يحيى بوعزيز: المرجع نفسه، ص نفسها.

5 - هو أبو تمام حبيب بن أوس المعروف بأبي القاسم المتوفي سنة 228هـ/843م، نشأ في دمشق و كان معظم شعره في المدح، أما دعبل المتوفي سنة246هـ/860م، فقد ولد بالكوفة فهو عكس أبي تمام، اشتهر بالهجاء و قتل بسبب حدة لسانه في الهجاء، ينظر، حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص- ص 729- 731- 738.

6 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص123.

7 - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص21.

8 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص124.

9 - ابن عذارى: المصدر السابق، ص153.

فج و صوب حتى من الأندلس[1]، و قد كان نابغة في الأدب و الشعر و له قصائد في جميع الأغراض الشعرية من غزل و وصف و مدح و زهد و رثاء و غيرها[2]، نذكر بعضها:

في موضوع الرثاء له قصيدة يرثي فيها ولده يقول فيها:

بكيت على الأحبة إذ تولوا و لوَ أني هلكت بكوا عليا
فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا و فقدك قد كوى الأكباد كيا
كفى حزنا بأني منك خلو و أنك ميت و بقيت حيا
و لم أك آسيا فيئست لما رميت الترب فوقك من يديا
فلا تفرح بدنيا ليس تبقى و لا تأسف عليها يا بنيا
فقد قطع البقاء غروب شمس و مطلعا عليا يا أخيا
و ليس الهم يجلوه نهار تدور له الفراقد و الثريا[3]

في موضوع الوصف لم نجد لبكر بن حماد إلا مقطوعة واحدة و هي في وصف تيهرت ذكرناها سابقا مطلعها:

ما أخشن البرد و ريحانه و أطرف الشمس بتاهرت[4]

و استعمل لونين من الشعر، المدح و الهجاء في قصيدة يمدح فيها علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه– و يهجو في نفس الحين عمران بن حطان[5] الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم على قتله لعلي بن أبي طالب جاء فيها:

قل لابن ملجم و الأقدار غالبة هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم و أول الناس إسلاما و إيمانا

1 - محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، المرجع السابق، ص99.
2 - مبارك الميلي: المرجع السابق، ص81.
3 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص92.
4 - رابح بونار: المرجع السابق، ص72، و أيضا: CH.Bekri, op.cit, p157.
5 - عمران بن حطان السدوسي الشيباني المتوفي سنة 89هـ/707م، نشأ في البصرة و كان مناصرا للخوارج من خلال شعره، و قد اعتبره الصفرية في ما بعد إمامهم، حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص457، و كذلك : Laoust Henri : op.cit, p37.

و أعلم الناس بالقرآن ثم بما سن الرسول لنا شرعا و تبيانا
صهر النبي و مولاه و ناصره أضحت مناقبه نورا و برهانا[1]

*في باب المدح كانت له قصائد عدة نذكر منها:

1 – قصيدته التي رد فيها على دعبل الخزاعي الذي هجأ الخليفة العباسي المعتصم قال فيها:

أيهجو أمير المؤمنين ورهطنه و يمشي على الأرض العريضة دعبل
أما و الذي أرسى ثبيرا مكانه لقد كادت الدنيا لذلك تزلزل
و لكن أمير المؤمنين بفضله يهم فيعفو أو يقول فيفعل
و عاتبني فيه حبيب و قال لي لسانك محذور و سمك يقتل
و إني و إن صرفت في الشعر منطقي لأنصف فيما قلت و أعدل[2]

2 – مدح أيضا أحمد بن القاسم أمير فاس قال فيها:

إن السماحة و المروءة و الندى جمعوا لأحمد من بني القاسم
و إذا تفاخرت القبائل و انتمت فافخر بفضل محمد و بفاطم
و بجعفر الطيار في درج العلى و علي العضب الحسام الصارم
إني مشتاق إليك و إنما يسمو العقاب إذا سمى بقوادم
و أعلم بأنك لن تنال محبة إلا ببعض ملابس و دراهم[3]

*و في الزهد له قصائد كثيرة منها:

لقد جمعت نفسي فصدت و أعرضت و قد مرقت نفسي فطال مروقها
فيا أسفي من جنح ليل يقودها و ضوء نهار لا يزال يسوقها
إلى مشهد لا بد من شهوده و من جزع للموت سوف أذوقها
ستأكلها ديدان في باطن الثرى و يذهب عنها طيبها و خلوقها

---

1 - محمد عمرو الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984، ص34، لخضر سيفر: المرجع السابق، ص109.

2 - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص122.

3 - ابن عذارى: المصدر السابق، ص236.

سحاب المنايا كل يوم يظله   فقد هطلت حولي و لاح بروقها
و للنفس حاجات تروح و تغتدي   و لكن حدثان الزمان يعوقها
تجهمت خمسا بعد سبعين حجة   و دام غروب الشمس لي و شروقها
و أيدي المنايا كل يوم و ليلة   إذا فتقت لا يستطاع رتوقها
يصبح أقوام على حين غفلة   و ياتيك في حين البيات طروقها[1]

و في موضع آخر يقول:

كيف البقاء و هذا الموت يطلبنا   هيهات هيهات يا بكر بن حماد
بينا ترى المرء في لهو و في لعب   حتى تراه على نعش و أعواد[2]

و ما يمكن أن نلاحظه من خلال استعراضنا لشعر بكر بن حماد أنه يمتاز بالبساطة، والألفاظ السهلة و قلة الصور البيانية لأن شعره يغلب عليه طابع الزهد بسبب ثقافته الدينية والأدبية و كذا انتقاله بين حواضر المغرب الإسلامي، كل ذلك جعل منه شاعرا و فقيها، وصل صيته حتى إلى الأندلس، إذ انتقل علمه و أدبه إليها عن طريق تلامذته أو الأندلسيين الذين سمعوا منه أثناء وجوده بالقيروان[3].

و لعل من الشعراء الذين برزوا في هذه الفترة كذلك سعيد بن واشكل التيهرتي، نشأ وعاش في تيهرت في القرن 3هـ/9م، ثم انتقل في آخر حياته إلى تنس له قصيدة يقول في بدايتها:

نأى النوم عني و اضمحلت عرى الصبر   و أصبحت عن دار الأحبة في أسر
و أصبحت عن تاهرت في دار معزل   و أسلمني مر القضاء من القدر[4]

---

1 - عبد الله شريط و محمد مبارك الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1985، ص84.

2 - الدباغ: المصدر السابق، ص284، المالكي: المصدر السابق، ص25.

3 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص174، محمد عليلي: المرجع السابق، ص99.

4 - معروف بلحاج: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص248.

و شعراء آخرون أمثال أحمد بن فتح المعروف بابن خراز التاهرتي قاضي تيهرت و الذي اشتهر بمدحه لعيسى بن ابراهيم بن القاسم حاكم طنجة 272هـ/890م[1]، و يقال أنه لما زار فاس فتن بنسائها، فقال في إحداهن شعرا جاء فيه:

قبح الله الدهر إلا قينة ... بضرية في حمرة و بياض
الخمر في لحظتها و الورد في ... وجنتها و الكشح غير نغاض
في شكل مرجي و نسك مهاجر ... و عفاف سني و سمت إباض
تيهرت أنت خلية و برقة ... عوضت عنك ببصرة فاعتاض
لا عذر للحمراء في كلفي بها ... أو تستفيض بأبحر و حياض[2]

و أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن التيهرتي المعروف بالبزاز و ابراهيم بن علي المعروف بابن الهرمة الشاعر المضروب به المثل في إجادة النقد و حذق الشعر[3]، و أبو سهل الفارسي[4] و هو شاعر و مؤرخ، عاش حوالي النصف الثاني من القرن الثالث، و سكن (بعد سقوط تيهرت) في مرسى الخرز أو في مرسى الدجاج[5].

***التـــاريـــخ و الجـغـــرافـــيـــا:**

إن فن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية إذ يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولتهم، و سياستهم حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرونه في أحوال الدين و الدنيا[6]، و في موضع آخر قال:"فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم الأجيال، و تشد إليه الركائب و الرحال، و تسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، و تتنافس فيه الملوك و الأقيال، و تتساوى في فهمه العلماء و الجهال، إذ هو في ظاهره

---

1 - مختار حساني: المرجع السابق، ص309.
2 - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص101.
3 - مختار حساني: المرجع السابق، ص309.
4 - سبقت لنا ترجمته و للمزيد عنه، ينظر، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص289، الوسياني نقلا عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص115.
5 - الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص- ص 289- 290،تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص- ص 115- 116.
6 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص23.

لا يزيد على إخبار عن الأيام و الدول، و السوابق من القرون الأول تنمو فيها الأقوال، و تضرب فيها الأمثال، و تطرف بها الأندية إذا غصها الإحتفال، و تؤدي إلينا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال، و اتسع للدول فيها النطاق و المجال، و عمروا الأرض حتى نادى بهم الإرتحال، و حان منهم الزوال، و في باطنه نظر و تحقيق، و تعليل للكائنات و مباديها دقيق، و علم بكيفيات الوقائع و أسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، و جدير بأن يعد في علومها و خليق"[1].

و لكن التاريخ بمدلوله هذا لا يتناسب مع تلك الفترة، حيث ذكر ابن الصغير قولا عن الإمام أبي بكر و حبه للتاريخ، حيث قال:"كان يحب الآداب و الأشعار، و أخبار الماضين"[2].

فقد كان أبو بكر يحب التطلع إلى أخبار الماضين و الأولين و السلف من الائمة، فضلا عن تاريخ صدر الإسلام، و ما حدثت فيه من أحداث، فنجد مثلا لهذه الكتب التاريخية، كتاب لواب بن سلام بن عمر[3] بكتابه "شرائع الدين"، و قد روى فيه نبذة عن تاريخ أبي بكر و عمر –رضي الله عنه– و ما حدث في عهدهما و لم يتطرق إلى الخليفتين عثمان بن عفان، و علي بن أبي طالب، و تحدث أيضا على معركة صفين، و اختصر فيها ثورتي أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري في اليمني، و إلى حاتم الملزوزي بالمغرب[4]، و كان ما زال على قيد الحياة في العام 260هـ/873م[5]، و هو صاحب مؤلف تاريخي عن إباضيي شمال إفريقيا، يوجد في مصنف الشماخي بعض المقتطفات منه[6]

كما تذكر المصادر الإباضية أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب كان أحد الرواة المهمين للأثر الإباضي في المغرب، و يذكر أبو زكرياء أنه نقل عن أبيه عبد الوهاب الأثر المتعلق بدخول

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 16- 17.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص62.

3 - أقدم مؤرخ إباضي رستمي سكن تيهرت سنة 240هـ/854م، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص- ص 367- 368، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص48.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص- ص 133- 143، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص369.

5 - الشماخي: نفسه، ج2، ص261.

6 - نفسه، ج1، ص- ص 133- 162، ج2، ص- ص 260- 262، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص- ص 150- 151.

الإباضية إلى إفريقية الشمالية و بالأئمة الإباضيين الأوائل الذين ظهروا في هذا البلد، و يرجع هذا الأثر على أي حال إلى عبد الرحمن بن رستم و لم يكن لعبد الوهاب أو لأفلح سوى دور الوسيط[1].

و إذ نتحدث عن التاريخ فلا بد من ذكر مؤرخ هذه الدولة و هو ابن الصغير الذي عايش المراحل الأخيرة من الدولة إذ عاصر فترة حكم أبي اليقظان بن أفلح (261- 281هـ/874- 894م)[2]، و أبو حاتم، و هو على أرجح الروايات ولد في تيهرت بين سنتي 265- 270هـ[3]، لم يشهد تاريخ نهاية الدولة الرستمية استقى أخباره من معارفه أمثال أحمد بن بشير[4] الذي عاش في أواخر القرن 3هـ/4م[5]، كانت أسرته مقربة إلى الإمام أبي اليقظان بن أفلح فكان ذلك دافعا قويا في اعتماد روايته الشفوية في تدوين أخبار الأئمة الرستميين انطلاقا من ثقته في روايته لكون معلوماته مستقات من مصادر صنع القرار بالدولة الرستمية[6].

يمتاز تدوينه التاريخي بالبساطة في عرض الحوادث التاريخية، و يعتبر مؤلفه ابن الصغير تاريخا قصصيا أكثر منه سياسيا أو دراسة أحادية عن تيهرت الإباضية في حياته، كما يذكر موتيلنيسكي بحق[7]، فقد أشاد بالأئمة الرستميين رغم اختلاف مذهبه، عمل في التجارة في نفس الوقت، كان يتلقى الفقه و علم اللغة من فقهاء تيهرت منهم أبو عبيد بن الأعرج، الأمر الذي مكنه من أن يحصل على زاد معرفي كبير سواء في الفقه أو في العلوم الأخرى فكان قادرا على الولوج في العديد من المناظرات بكل ثقله المعرفي غير أن مبارك ميلي يعتبر لغته قريبة للعامية[8]، أما محمود اسماعيل فقد

---

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص- ص 143- 144.

2 - محمد بلقراد: المرجع السابق، ص119.

3 - نفسه، ص120.

4 - أحمد بن بشير: راو من تيهرت و أحد مصادر المؤرخ ابن الصغير، كان على صلة طيبة مع عدد من أعلام الإباضية في تيهرت، و لعله ابن لآخر المقربين من الإمام أبي اليقظان الذي يدعى بشيرا، ابن الصغير: المصدر السابق، ص82، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص144.

5 - جمعية التراث: المرجع السابق، ص- ص 82- 83.

6 - نفسه، ص83.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 37- 58.

8 - مبارك الميلي: المرجع السابق، ص80.

اعتبره شاهد عيان على أحداث و أطوار الدولة و سير أئمتها، و بهذا فهو أقرب إلى الواقع ومعاصر للأحداث[1]، و بالتالي هذا الكتاب جامعا لأخبار الأئمة و أهم الفتن و الثورات التي وقعت في عهدهم، و تشير معظم المصادر التاريخية أن ابن الصغير كان مالكيا في مذهبه[2] و لكن لم يمنعه ذلك من أن يكون لديه معرفة بالمذهب الإباضي ، ألفّ كتابه "أخبار الأئمة الرستميين"[3]، حيث سجل مختلف الأحداث التي وقعت في الدولة الرستمية منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حتى ولاية أبي حاتم يوسف بن محمد بن أبي يقظان بن أفلح[4]، و رغم ذلك يبقى من أهم المصادر التاريخية التي تؤرخ للدولة الرستمية، و من ثم لا يمكن الإستغناء عنه من حيث أنه يرصد حياة الأئمة الرستميين منذ نشأة الدولة.

و من بين المؤرخين أيضا:

-**يعقوب بن أبي يعقوب:** راو و يعتبر المرجع الرئيس لأبي زكرياء[5] و للدرجيني[6] الذي يعيد سرد روايته فيما يخص تاريخ التجمعات الإباضية في طرابلس و جزيرة جربة في عصر الأئمة الرستميين المتأخرين في تيهرت، و لا نعرف شيئا عن حياته أو عن عصره، و نستنتج من عبارة في تاريخ أبي زكرياء بأنه كان معاصرا، أكبر سنا لهذا المؤرخ و بأنه توفي قبل إتمام كتاب السيرة و أخبار الأئمة.

—**سليمان مولى محمد بن عبد الله:** راو إباضي، أحد مصادر المؤرخ ابن الصغير (نحو بداية القرن العاشر الميلادي) عن فترة حكم الإمام الرستمي أبي اليقظان (المتوفي سنة 281/894- 95)، وهو مولى أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ القاضي الإباضي للإمام أبي اليقظان في تيهرت[7].

---

1 - محمود اسماعيل: المصدر السابق، ص9.

2 - وداد القاضي: المرجع السابق، ص233.

3 - كانت مجموعة الأخبار التاريخية لابن الصغير مقدرة جدا من قبل المؤرخين الإباضيين في المغرب و قام اثنان منهم، و هما أبو الفضل أبو القاسم البرادي و أبو العباس الشماخي، بنقل مقاطع كثيرة منها، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص148، كتب ابن الصغير، هذه المجموعة على الأرجح عام 290هـ/902م، المصدر السابق، ص- ص 148- 149.

4 - وداد القاضي: المرجع نفسه، ص234، تاديوس ليفتسكي: نفسه، ص149.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص39.

6 - الدرجيني: المصدر السابق، ورقة 30.

7 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 90- 91.

سليمان بن زرقون: راو يعتمد عليه المؤرخ ابن سلام بن عمر في روايته المتعلقة بتاريخ إباضيي المغرب تحت حكم الإمام أبي حاتم الملزوزي[1]، فهو على الأرجح معاصر لابن سلام بن عمر الذي كتب مصنفه بعد العام 260هـ/873م، و أكبر منه بقليل، و علينا التمييز بين سليمان ابن زرقون، مصدر ابن سلام بن عمر و بين الربيع سليمان بن زرقون النفوسي، عالم إباضي أصله من إقليم قسطيلية كان يعيش في النصف الأول من القرن الرابع عشر، و كان معاصرا و زميلا في الدراسة لأبي يزيد مخلد بن كيداد "صاحب الحمار"، الرئيس النكاري الشهير الذي كاد أن يطيح بدولة الفاطميين[2].

و التاريخ عند الدولة الرستمية كان منصبا في مجمله على دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابة و الأئمة الإباضيين أي دراسة تاريخ المذهب الإباضي، و هذا الإهتمام ندركه في حرص أفلح بن عبد الوهاب على دراسة سيرة أئمة المذهب الأوائل في قوله:"عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لاسيما كتب أبي سفيان"[3]، و كان الإمام أبو بكر بن أفلح قد ولى اهتماما كبيرا بالتاريخ[4]، لهذا قال فيه ابن الصغير:"...و يحب الآداب و الأشعار و أخبار الماضين"[5].

أما الجغرافيا فإنها لم تحظ باهتمام هذه الدولة، غير أن هذا لا يمنع أن يكون بعض الناس، اهتموا بالمسالك و الممالك، و معرفتها خاصة بعد ازدهار التجارة و طرقها، الأمر الذي تطلبت معرفة جغرافية للمواقع و البلدان و المدن و تأمين القوافل التجارية، و بخاصة في عهد الإمام أفلح الذي امتاز بتوثيق علاقات تيهرت بعدد من مماليك السودان مثل مملكة كوكو و كذلك مع الأندلس[6].

---

1 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص135، تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص168.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص164، يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص121.

3 - بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص296، أبو سفيان هو قنبر البصري المعروف بأبي سفيان، تتلمذ على يد جابر بن زيد و قد عاصر عمر بن عبد العزيز، جمعية التراث: المرجع السابق، ج2، ص728.

4 - بحاز ابراهيم: المرجع نفسه، ص نفسها.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 62- 71.

6 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89.

ب- العلوم العقلية:

يقول ابن خلدون:"أما العلوم العقلية فهي طبيعية للإنسان من حيث أنه ذو فكر"[1]، ويصنفها إلى علوم الفلسفة و الحكمة و من فروعها المنطق مثلا و العلوم الطبيعية و الفلك و من فروعها الطب و العلوم العددية و منها الحساب وَ الفلك و التنجيم، أما بالنسبة لثقل هذه العلوم من فروعها في الدولة الرستمية، فيشير معظم المؤرخين على أن عناية الرستميين كانت شاملة لكل العلوم بما فيها العلوم العقلية بمختلف أصنافها و منها:

*الــــطــــب:

يعرفه ابن خلدون بالتالي: "و من فروع الطبيعيات صناعة الطب و هي صناعة تنظر في بدن الإنسان...هذه الصناعة ضرورية في المدن و الأمصار لما عرف ما فائدتها، فغن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء و دفع المرض بالمداواة بالأدوية و الأغذية"[2].

إلا أن المصادر و المراجع التاريخية لا تعطينا إلا معلومات قليلة جدا عن الطب و الأطباء في الدولة الرستمية إلا ما يمكن استنتاجه من بعضها، و لما كانت هذه المهنة ضرورية في أي مجتمع فلا شك أن الرستميين اهتموا بهذا العلم إدراكا منهم بأهميته، و لما عرف عنهم من تشجيع لكل العلوم و نقلها إلى بلادهم، حيث يذكر ابن الصغير أن طبقات الأطباء الذين ظهروا بتيهرت وأقاموا بها كان يعدون على الأصابع من اليهود و النصارى، و كان لهم درب في تيهرت يعرف بالرهادنة[3]، كما يضيف دبوز إلى هذا وجود أطباء في تيهرت، فالطب في نظره يقوم الصحة، و لا يمكن لدولة كالدولة الرستمية أن تغفل عن هذا الجانب[4]، أو تغفل عن الكيمياء لتركيب العقاقير والأدوية والأصباغ، أما أبو زكرياء، فيقول أن الرستميين أتقنوا الطب ما دام بيتهم بين علم[5]، فاشتهروا في

---

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص504.

2 - نفسه، ص520.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص102، بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية، ص373.

4 - محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج2، ص372.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص85.

هذا المجال، حيث كانت المراكز العلمية في تيهرت، و مدينة شروّس بجبل نفوسة، ولعل محمد بن سعيد أحد حفدة عبد الرحمن بن رستم قد نبغ في هذا المجال[1]، لكنه كان مقيما في الأندلس[2].

***الــحـــــســـــاب:**

يعتبر علم الحساب أحد فروع العلوم العددية التي تلعب دورا بالغ الأهمية في العلوم العقلية (التجريبية) و غيرها من العلوم التي لا غنى لها عن الرياضيات[3]، و يعرفها ابن خلدون بأنها:"معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف إما على التوالي أو التضعيف"[4]، و يقول أيضا:"و هذه الصناعة الحسابية حادثة احتيج إليها للحسبان في المعاملات، و ألف الناس فيها كثيرا و تداولوها في الأمصار بالتعليم للولدان، و من أحسن التعليم عندهم الابتداء بها لأنها معارف متضحة و براهينها منتظمة، فينشأ عنها في الغالب عقل مضيء درب على الصواب، و قد يقال:"من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني و مناقشة النفس، فيصير ذلك له خلقا و يتعود الصدق و يلازمه مذهبا. و من أحسن التآليف المبسوطة فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب "الحصار الصغير" لابن البناء المراكشي[5] فيه تلخيص ضابط لقوانين أعماله مفيد، تم شرحه بكتاب سماه –رفع الحجاب–"[6].

و في الدولة الرستمية كان لعلم الحساب شأن كبير لأنه ارتبط بعدة عوامل أهمها:

–النشاط التجاري الذي تميز بربط علاقات تجارية مع الدول المجاورة و حتى البعيدة عنها فرض عملية العد و ما تتطلبه من أرقام في المعاملات التجارية.

–علاقة الحساب أو العد بالفروض الدينية خاصة ما تعلق منها بالمواريث، و في ذلك يقول بن خلدون:" و هي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات إذا تعددت،

1 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص374، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص575.

2 - محمد عليلي: المرجع السابق، ص108.

3 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص470.

4 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص508.

5 - ابن البناء المراكشي العددي المتوفى سنة 721هــ/1321م، و للمزيد عن مصنفيه في تلخيص أعمال الحساب "الحصار الصغير" و "رفع الحجاب" ، عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص470.

6 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص509.

وهلك بعض الوارثين و انكسرت سهامه على ورثته، أو زادت "الفروض عند اجتماعها و تزاحمها على المال كله"[1].

-عملية تنظيم بيت المال من حيث حساب نفقات الدولة على القائمين بأمورها من قضاة وأصحاب الشرطة و غيرهم و كذلك الحاجة إلى إحصاء الفقراء و المساكين و تحديد متطلباتهم من الطعام و الصدقات[2].

عرف هذا العلم انتشارا واسعا في أوساط الرستميين، حيث ذكر أبو زكرياء و الشماخي عن الإمام أفلح أنه: "...بلغ في حساب الغبار و النجامة مبلغا عظيما، ضف إلى أخته التي برعت هي الأخرى في الحساب و الفلك و التنجيم[3] و لعل الغبار نسبة للأرقام الغبارية، و سميت كذلك لأن أهل الهند كانوا يأخذون غبارا لطيفا و يبسطونه على لوح من خشب أو غيره و يرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون إليها في عملياته الحسابية و معاملاتهم التجارية و هي الأرقام المستعملة اليوم في المغرب العربي[4] مثل:0، 1، 2، 3...8، 9 و انتقلت إلى الأندلس و منه دخلت أوروبا، فعرفت فيما بعد بالأرقام العربية[5]، وقد دونت هذه العلوم في كتب إلى أن عبد الله الشيعي انتقى جملة من هذه الكتب وأحرق ما تبقى منها.

---

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص511.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص- ص 41- 42.

3 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89، كما قيل عن أفلح أنه كان بارزا ذا معرفة شبه شاملة...و كان متطلعا جدا في علمي الحساب و الفلك على الخصوص، تاديوس ليفنسكي: المرجع السابق، ص143، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص193.

4 - ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص374.

5 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص- ص 575- 576، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص374، عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص472، لقد عرف أهل المغرب إلى جانب الأرقام الغبارية المستعملة في الترقيم الشرطي، و هي الغالبة في تعمير جداول الأوقاف ببلاد المغرب الأقصى، هناك حساب الجمل تكتب بالحروف الأبجدية و به ترسم الحسابات الفلكية و أحيانا تستعمل في الرياضيات، كما أن الأرقام الرومية هي الأخرى كانت تستعمل في محاسبات الوثائق العدلية بالتركات و تقدير النفقات و أحيانا في تاريخ المنتسخات و ترقيم صفحاتها، الونشريسي: المصدر السابق، ج10، ص142.

*علـــم الفـــلـــك (التـــنـــجـــيـــم):

يسميه ابن خلدون بعلم الهيئة و يقول عنه:"و هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة و المتحيرة، و يستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال و أوضاع للأفلاك"[1]، اهتم الرستميون بعلم الفلك و التنجيم بنفس مستوى الإهتمام بالحساب لارتباط أحدهما بالآخر، ونستشف هذا من قول أبي زكرياء عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب، و ذكروا عنه أنه قعد ذات ليلة هو و أخته، فقال لها، هلم نحسب ماذا يذبح في السوق غدا أولا إن شاء الله، فحسب فقال لها أفلح، إن أول ما يذبح في السوق بقرة صفراء، في بطنها عجل ذو غرة في جبهته، فقالت له، صدقت هي البقرة الصفراء و في بطنها عجل، غير أن الذي رأيته هو طرف ذنبه أبيض تعممه على جبهته، فخلته أبيض الجبهة ذا غرة، وإنما ذلك طرف ذنبه"[2].

و من العوامل الأخرى التي دفعت الرستميين للإهتمام بهذا العلم نذكر:

-العلاقات التجارية المرتبطة بالمسالك و الطرق و رصد مواقع النجوم يسهل عملية الإهتداء إلى الطرق خاصة لتلك القوافل التي تسير ليلا، قال الله تعالى:﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[3].

-الفروض الدينية المتعلقة برؤية القمر و مصدقا لقوله تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[4].

و علاوة على ذلك فإن أهمية علم الفلك من رصد لحركة القمر و التنجيم و الكواكب هو تدبر و تأمل في خلق الله و في ذلك عبادة.

لقد كان بيت الرستميين بيت علم في فنونه من الأصول و الفقه و علم النجوم و غيرها من العلوم حيث ذكر كل من الدرجيني و أبي زكرياء و الشماخي عن أحد أفراد تلك الأسرة:"معاذ

---

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص513.

2 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص89.

3 - سوة النحل: الآية 16.

4 - سورة يونس: الآية 5.

الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر"[1].

و يقول أيضا أبو زكرياء عن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن :"و بلغنا أن عبد الوهاب رضي الله عنه سمر ذات ليلة هو و أخوه يتعلما مسائل الفرائض، فلم يصبح عليهما إلا و هما يورثان أهل المشرق و أهل المغرب، و كانا في سمرهما يقدان مصباحا يجعل له عبد الوهاب الفتائل من عمامته حتى أتى عليها"[2].

و بالتالي أصبح هذا العلم متوارثا ابتداء من عبد الرحمن بن رستم حيث أن أباه رستم كان عنده من العلم أن ذريته ستلي أرض المغرب[3] إلى آخر إمام و هو يعقوب، فقد كان أيضا متمكنا في الحساب و التنجيم، حيث قال عنه أبو زكرياء:"...أنه نظر إلى الطالع في طريقه ذلك، فالتفت إلى أصحابه، و قال لهم أنه لا يجتمع منكم اثنان إلا إذا كان عليهم الطلب، افترقوا، فقد انقضت أيامكم، و زال ملككم و لا يعود إليكم غلى يوم القيامة[4]، و لهذا فعلم النجوم و مواقعها، وحساب الأمور قبل وقوعها، قد عرف ازدهارا و انتشارا في أوساط الأئمة الرستميين، كونه علما يعتمد على قواعد مضبوطة و حسابات مدققة و فكر نير.

رابعا– المرأة و دورها في الحياة العلمية و الفكرية:

احتلت المرأة مكانة محترمة في مجتمع بلاد المغرب الأوسط، و خاصة في الدولة الرستمية حيث كانت سواء في البادية أم في المدينة، فكانت المرأة تتمتع بحرية واسعة النفوذ[5]ن كثيرة الإعتناء بالشعائر الدينية و حملته بأمانة، و أنشأت على نهجه الأجيال و الخلف الصالح، فقد برز عدد كبير منهن في الفقه و العلم، و إسداد النصائح للرجال.

---

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص65، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص56، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص193، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص375.

2 - أبو زكرياء: نفسه، ص65.

3 - نفسه، ص35.

4 - نفسه، ص124، و هذا ما جعل سليمان الباروني يصف الإمام يعقوب بن أفلح بالعلامة، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج2، ص358.

5 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص318.

و قد وصلت درجة العلم حتى الخدم و الإماء و الذي كان عاملا مساعدا في عتقهن و مثال ذلك الأمة السودانية التي تدعى غزالة[1]، هاته التي كانت تخدم مولاها، و بعد نومهم تذهب لتحضر مجلس الذكر عند أبي محمد عبد الله بن الخير[2].

و لقد بلغت المرأة درجة ذكاء فائقة، و درجة عالية في الرأي الصائب و السديد، و لعل ما دل على ذلك هو استشارة أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي، عجوزا من جبل نفوسة و هذه الأخيرة مشهورة بالعلم والدين في تحمل مقاليد الحكم التي أوكلها إليه الإمام عبد الوهاب في توليه أمور الجبل و الصلاح[3]، و قد عرضت عليه القبول و أقامت عليه الحجج[4]، كما كانت المرأة الرستمية، تشهد المجالس العلمية، و لعل أخت الإمام عبد الوهاب لأحسن دليل، حيث كانا يتعلمان مسائل الفرائض والحساب، فلم يطلع عليهما الفجر إلا و هما قد تعلماها جميعا[5]، كما كان الأمر كذلك بالنسبة لأخت عمروس[6] بن فتح، التي كان لها دور ثقافي في الدولة الرستمية، حيث كانت تمثل المساعد الرئيسي لأخيها في الإستنساخ لمدونة أبي غانم بشير بن غانم الخرساني، و التي كانت في اثني عشر جزء، و بالتالي كانت المرأة الرستمية فقيهة، أفتت نساء تلك الفترة، و أظهرت دورا بالغا في الحياة الفكرية و العلمية حيث كانت ربة البيت، الفقيهة و الورعة الناضجة.

و مما لا شك فيه بأن اهتمام الرستميين بنشر العلم و التشجيع على طلبه لم يكن قاصرا على الرجال دون النساء إنما كان المجال مفتوحا أمام المرأة، فكسيرا من النساء بلغن منزلة كبيرة في

---

1 - كانت غزالة مالكته لأمر الإمام أبي اليقظان و حشمه، و هي أم لإبنه يوسف المكنى بأبي حاتم يقول عنه ابن الصغير:"أنه كان شابا يجمع الفتيان إلى نفسه، فيطعم و يكسي، و كانت له أم تسمى غزالة و كانت مالكة لأمور أبي يقظان و حشمه، فلما كان في بعض الأعياد و أبو اليقظان حي في قصره و لم يحضر المصلى مع الناس حملته العوام على درقة، و نادت بطاعته، فلما اتصل الخبر بأبي اليقظان قال لأمه احذري يا غزالة، فقد أصبح اليوم ابنك باغيا، ابن الصغير، المصدر السابق، ص89، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص- ص 348- 349.

2 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص319.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص71.

4 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص82.

5 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص163، جودت عبد الكريم: الأوضاع الإقتصادية، المرجع السابق، ص318.

6 - عاشت في أواخر القرن 3هـ/9م، لم تذكر المصادر إسمها، ساعدت أخاها على استنساخ مدونة أبي غانم بشير، حيث كانت تملي عليه المدونة، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص323، سليمان داود بن يوسف: حلقات تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص61.

العلم، و في الفقه بوجه خاص حيث اكتسبن سمعة طيبة بين الفقهاء بل إن منهن من كانت في نفس مكانة الرجال في التضلع في الفقه و العلوم الشرعية الأخرى نذكر منهن:

-أم الربيع الوريورية 250هـ/912م:

امرأة فاضلة اشتهرت بالعلم و الكرم، ما جعل المشايخ يلجأون إليها للمشاورة و المناقشة العلمية.

و امرأة أخرى يقال لها زيديت الملوشية، و هي شاعرة يقال أن شعرها نظمته باللهجة البربرية، لكن للأسف لم نجد أثرا لهذا الشعر[1].

و نختم هذه المسيرة الثقافية لتيهرت الرستمية خاصة و الدولة الرستمية عامة بما قاله الشماخي عن البيت الرستمي:"و بيت الرستميين احتوى على علوم كثيرة من فقه و إعراب و لغة و فصاحة وعلم نجوم"[2]، و هذا ما لاحظناه من خلال دراستنا للحياة الثقافية و الفكرية.

المبحث الرابع: معالم تأثر و تأثير تيهرت الحضاري

لا شك أن ما يبرز مدى تأثر و تأثير تيهرت الحضاري يتمثل في تلك الإرتباطات والمبادلات التجارية الواسعة مع باقي دول المغرب الإسلامي و المشرق و كذا العلاقات الثقافية التي تعتبر مظهرا أساسيا من مظاهر التأثر و التأثير الحضاري لمدينة تيهرت.

و لعل الغاية المتوخاة من هذا البحث هو إعطاء الوجه الحقيقي لتلك العلاقة التي كانت تربط بين تيهرت و المراكز الفكرية في المغرب الإسلامي مع ذكر نماذج لبعض العلماء و الباحثين الذين كان لهم صيت في هذا المجال الحيوي، و الذين كانت لهم رحلات علمية إلى مراكز الفكر المختلفة على حسب ذكر خالد بلعربي الذي يقول أن هذه الرحلات شدت إلى هذه الأماكن في سبيل طلب العلم و الاستزادة منه، سواء من تيهرت أو إليها فكانت الصلة قوية بين تيهرت

1 – مختار سليماني: المرجع السابق، ص84.

2 – الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص163.

وغيرها من مراكز الفكر[1]، و يضيف قائلا أن تيهرت " عراق المغرب" تعد إحدى معاقل الفكــر الإسلامي في القارة الإفريقية، بل امتدت إلى جزر البحر المتوسط و أوروبا[2]. وبالتـــالي حـــدوث تقارب ثقافي و اجتماعي، و ربما عسكري و سياسي، و كذا اقتصادي وحضاري بـــين تيهـــرت الرستمية وعدة دول أخرى، تدفعهم مصالح متباينة[3]، و منه كانت لتيهرت علاقات ثقافية، خاصة مع بلدان المغرب و الأندلس و كذا مع بلاد السودان و بلدان المشرق العربي[4] ونذكر منها:

أولا- علاقة تيهرت مع دول المغرب الإسلامي:

مما لا شك فيه أن تيهرت تعد مركز إشعاع قوي للإباضية، بحكم مركزها المتوسط في بلاد المغرب، حيث كانت تربط بين عواصم المغرب بعضها ببعض و مما سهل ذلك هو طرق التجارة، حيث كانت تحمل معالم الثقافة في بضائعها، و في رحال التجار و كثيرا ما كان يتنقل العلماء مع قوافل التجارة و غالبا ما يمتهن العلماء هذه الحرفة، و منه فقد واكبت التجارة، الحياة الفكرية.

إن وجود القيروانيين في تيهرت ساهم في تفعيل الحركة العلمية و ذلك عن طريق مساجدهم، و ما كانوا يقومون به من مناظرات مع علماء الإباضية و الكوفة و البصرة[5].

كانت تربط تيهرت بالقيروان علاقات ثقافية، و مما يدل على ذلك وجود شخصية يوسف الفتاح، الذي درس بتيهرت، وانتقل إلى القيروان ليعلم إباضييها ما كان قد أخذه من العاصمة الرستمية، و قد توفي سنة 260هـ[6]، لقد كانت القيروان مثابة للإباضيين الواردين من مختلف بقاع المغرب، ليعلم العربية و آدابها و التعلم ببيت الحكمة للتفقه في الدين، و تعلم العربية، و من

1- خالد بلعربي: المرجع السابق، ص 252، العلاقات الثقافية بين بين تيهرت و مراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، مجلة القضاء المغاربي، العدد الثاني، خاص بالملتقى الوطني الثاني مخبر الدراسات الأدبية والنقدية في المغرب العربي، تلمسان 2004، ص 252.

2- خالد بلعربي: نفسه، ص252.

3- عبد العزيز فيلالي: العلاقات بين الدولة الأموية، المرجع السابق، ص 96.

4- مهنا السعدي: الموقع الإلكتروني السابق.

5- محمد الطمار: الروابط الثقافية، المرجع السابق، ص 93.

6- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 383.

طلبة العلم الذين وفدوا إلى القيروان من تيهرت بكر بن حماد التيهرتي الذي ولد و نشأ في تيهرت ثم رحل إلى القيروان و منها إلى المشرق لطلب العلم 217 هـ/832 [1].

كما كانت لتيهرت علاقة بالأدارسة ثقافيا حيث يقول الشاعر بكر بن حماد الذي مدح حكاما أدارسة قائلا:

إني لمشتاق إليك و إنما 　　 يسمو العقاب إذا سما بقوادم

فابعث إلي بموكب أسمو به 　　 علي أكون عليك أول قادم

و أعلم بأنك لن تنال محبة 　　 ألا ببعض الملابس و داراهم [2]

أما المدراريون أصحاب سجلماسة، فقد وجد العديد من الإباضية في عاصمتهم [3]، ولعل المنافسة التي جرت بين ولدي مدرار بن اليسع قبيل سنة 253 ه، على الحكم، و سببها اعتناق ابن الرستمية للإباضية، [4] و ميول والده إلى ابن أروى و هذا ما يدل على تأثير الإباضية في الدولة المدرارية، و بالتالي التأثير و التأثر الثقافي و المذهبي بين تيهت الإباضية و سجلماسة الصفرية، فقد استوطن سجلماسة عدد من العلماء أمثال ابن الجمع الذي كان غزير العلم، و كان أبرز تلامذته الربيع سليمان بن زرقون النفوسي، و كذا أبو يزيد مخلد بن كيداد صاحب الثورة على العبيدين [5] و استمرت العلاقة بين سجلماسة، و أبو الربيع بعد مغادرته لها، و ما دل على هذه العلاقة هي تلك المسألة التي استفتوه بها و كادوا يقتلون من أجلها لولا تدخله، و إرجاعهم إلى الصواب [6].

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع نفسه، ص 384، جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 112، يقول الدباغ أنه: " سمع من سحنون... ثم رحل إلى البصرة"، ينظر، الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 281.

2- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 236.

3- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 46.

4- أحدهما ابن أروى بنت عبد الرحمن، و يعرف باسم جده من أمه، و آخر من زوجة ثانية لمدرار تدعى –تقي- ينظر: ابن الصغير: المصدر السابق، ص 46.

5- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 128، ص 131.

6- نفسه، ص 128، ص 129.

أما فيما يخص علاقة تيهرت مع الأندلس، فقد كانت مرحلة متكاملة، ذات سمات خاصة تتلاءم مع خطوات التاريخ بالنسبة للإسلام في الغرب، حيث كانت علاقة ثقافية في غاية الأهمية، مثل حالة تواجد شخصين أندلسيين في مجلس الشورى، المكون من ستة أعضاء، و هما مسعود الأندلسي، و الثاني عثمان بن مزوان الأندلسي[1].

و لعل ما يدل على عمق العلاقة الثقافية المزدهرة بين تيهرت و الأندلس، و التي اتسمت بالتأثير و التأثر سماح الأمويين بتواجد المذهب الإباضي، إلا أن تأثيره كان محدودا، فيذكر أن قرية بلفين في المرية عرفت شيئا من الإباضية[2] كما تسرب المذهب الحنفي مع بعض أفكار المعتزلة إلى الأندلس عبر تيهرت نتيجة رحلة العلماء الحنفية إلى هناك و قد أكد ذلك المقديسي الذي يذكر مناظرة بين الأحناف و المالكية أمام أمير قرطبة[3].

إن التأثير و التأثر في العلاقات بين تيهرت و الأندلس يظهر في كون الرستميين أفادوا كثيرا الإمارة الأندلسية، فقد اعتبرت تيهرت بمثابة الوسيط الثقافي بين المشرق و الأندلس[4] في الإطلاع على التيارات الثقافية و الفكرية في المشرق من خلال المؤلفات و المخطوطات، ومن جهة أخرى فإن الثراء المعرفي الذي ميز الأندلس، بازدهار العلوم بمختلف أنواعها نتيجة اتصال علمائها وفقهائها بالمشرق قد أفاد الرستميين الذين عملوا على نقل هذه العلوم إلى تيهرت.

ثانيا- العلاقات الثقافية مع السودان:

لقد خلفت العلاقات التجارية الواسعة بين السودان الغربي و الدولة الرستمية، أثارا عميقة الأصول و الفروع و لعل حملة العلم و رواده، الذين قطنوا بلاد السودان، أمثال الشيخ عبد الحميد الفزاني و كذلك أبي يحي أبي القاسم الفرسطائي الذي قتل أبوه، و هو في معركة مانوا 283هـ،

1- ماريا خسوس فيغيرا: المرجع السابق، ص 74.
2- محمد عين الحريري: المرجع السابق، ص 221، و قد كشف ابن القوطية عن وجود الخوارج في الأندلس، ينظر، ابن القوطية: المصدر السابق، ص 71.
3- المقديسي: المصدر السابق، ص 272.
4- محمد عليلي: المرجع السابق، ص 73.

حيث كانت له رحلة إلى بلاد السودان، و التقى فيها بملكها، فدعاه إلى دخول الإسلام، و بعد أخذ و رد قال أبو يحي " ما زلت أذكره بنعم الله و آلائه، حتى أسلم و أحسن إسلامه، و أسلمت من بعده رعيته، ما دام الناس على دين ملوكهم[1] و قد بقيت هذه العلاقة حتى بعد سقوط دولتهم تيهرت. لعل ما يبرز أيضا هذا التمازج الرستمي السوداني تلك الهندسات التي كانت في المساجد السودانية و التي كانت متشابهة مع الهندسات الإباضية، كالمحراب المستطيل الشكل و المئذنة، ذات الشكل المستطيل المخروطي.[2]

و من بين الآثار الثقافية التي تركتها هذه العلاقة الثنائية، تعريب جزء كبير من تلك المناطق و نتجت نظرا للاحتكاك الدائم و المستمر بالإباضية، عن طريق التجارة و منه كانت هذه العلاقة واسعة، و لا يمكن إجمالها كليا.

ثالثا– العلاقات الثقافية مع المشرق:

كان الأئمة أنفسهم يبعثون ببعثات إلى المشرق، فيرجعون مزودين بالعلوم و أنفس الكتب، مثلما قام به عبد الوهاب كما ذكرنا سابقا، كما قام الإمام أبو اليقظان برحلة إلى الحج و سجن ببغداد[3] الإضافة إلى بكر بن حماد الشاعر الذي رحل إلى المشرق، سنة 217هـ، ودخل البصرة وبغداد، و كانت له علاقات بعلماء بلده[4] و من الذين لهم رحلة إلى المشرق عبد العزيز بن الأوز، فقد رحل إلى البصرة و بغداد ليس بنية الحج، و إنما طلبا في العلم، ولعل هناك آخرون أمثال نفاث بن نصر النفوسي[5] الذي ارتحل إلى بغداد[6] هو الذي استنسخ ديوان جابر بن زيد الأزدي، و قد

1– الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص 328.

2– إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 390.

3– للمزيد أكثر عن قصة سجن أبي اليقظان، ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص– ص 55- 56، سليمان الباروني: المرجع السابق، ص289.

4– ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 153، ص 154.

5– سماه الإمام أفلح بالنفاث، لأنه كان ينقد شيخه و ينفث عنه أخبار باطلة، و اسمه الحقيقي – فرج– ينظر، ابن الصغير: المصدر السابق، ص85.

6– ابن الصغير: المصدر نفسه، ص 59.

زار تيهرت، و جبل نفوسة، عدد كبير من المشارقة أمثال العالم الخرساني أبو غانم بشر بن غانم، الذي استنسخ له مدونته عمروس النفوسي[1] و لعل ما أبرز تلك العلاقة بين الدولة الرستمية وبلاد المشرق زيارة اليعقوبي المؤرخ و الجغرافي العربي، إذ زارها و نقل مشاهداته في كتبيه " التاريخ والبلدان". و نذكر أهم المناطق و طرقها و منافذها[2].

و اعتبرها مركزا استراتيجيا من وجهة نظر عسكرية و هو الذي حمل الأمير عبد القادر على الإقامة فيها في العصور الحديثة[3].

و لعل العديد من المشارقة توجهوا إلى تيهرت هروبا، من بطش العباسيين، و قبضتهم فنشطت حركة الهجرة إلى العاصمة تيهرت، رغبة في العيش في كنف الدولة و بالتالي حدث الامتزاج الثقافي بين المشرق و المغرب و تجسدت هذه العلاقات الثقافية في شكل مقالات و كتب و رسائل و جوابات بين الطرفين[4]. و لم تنقطع صلة خوارج المشرق بالمغرب و استمرت بشكل دائم.[5] فكانوا كلما نزلت نازلة بهم لم يترددوا في إرسال الكتب إلى علماء المشرق، يستفتونهم فيها مثلما كان يفعل علماء القيروان للإمام مالك بن أنس بالمدينة أو أبو يوسف القاضي ببغداد، ولعل من بين الكتب التي وصلت إلى المغرب كتب محبوب بن الرحيل وابنه في الفقه و الكلام و العقائد و الأخبار، و كانت تعرف عنه نفوسة " بسيرة ابن محبوب إلى أهل المغرب"، و هو في سبعين جزء و لم تصل إلى المغرب إلا الجزء السادس فقط[6].

و مما يدل على ثراء الرصيد المعرفي، و كثرة كتب أهل المشرق بالدولة الرستمية يقول الإمام أفلح: " عليكم بدراسة كتب الدعوة و لاسيما كتاب أبي سفيان[7] و كذلك تلك المناظرات

1- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص 223.

2- اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص 195، ص 198.

3- ماريا خسوس فيغيرا: المرجع السابق، ص 76.

4- مهنا السعدي: الموقع الإلكتروني السابق.

5- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 219.

6- نفسه، ص 220.

7- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 58.

الفقهية و الكلامية"[1].

و ختام القول أن العلاقة بين المشرق و المغرب لعبت دورا كبيرا في تغذية الفكر الإسلامي بالمغرب، كما أسهمت العلاقات الثقافية التي ربطت تيهرت بغيرها من الدول كالقيروان وسجلمانة و الأندلس و السودان في إثراء ذلك الفكر النير المتوقد لهذه الدولة، و إعطاء صورة مشعة للأئمة الرستمين، و دورهم في تفعيل الحركة العلمية و الفكرية.

1- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 149-164.

الخـــاتمـــة

ابنه أبو بكر (240هـ، 241هـ) و الذي لم يرث قوة جده، و لم يحظ من حسن سياسة أبيه فعرفت فترته فترة ريب و شكوك، و دخلت بهذا الدولة الرستمية منعطفا خطيرا من الضعف والتدهور، لولا تدخل الإمام الخامس " أبي اليقظان بن أفلح"، (241هـ، 281هـ)، الذي أنقذ الدولة من الانهيار و سيّرها بحكمة و عقلانية، وهذا ما استمر عليه أبو حاتم (281هـ، 294هـ)، حتى قتلته أسرته و هو أول إمام يموت قتلا في هذه الدولة، ليتبايع فيما بعد الحكم آخرون منهم يعقوب بن أفلح و اليقظان بن أبي اليقظان.

و ظل أتباع هذه الدولة يتصارعون و يختلفون حتى انقرضت الدولة الرستمية (296هـ/909م) في عهد اليقظان بن أبي اليقظان على يد – أبي عبيد الله الشيعي–.

لاحظنا أيضا أن الظروف الطبيعية و المناخية ساهمت بشكل كبير في الاستيطان البشري بهذه المدينة خاصة في القرنين الثاني و الثالث الهجريين، و تجلت هذه الظروف في الوسط الطبيعي الملائم و توفر المراعي و الزراعة و المياه.

فكانت الحياة الاجتماعية في مدينة تيهرت متبلورة في الطبقات الاجتماعية و في نوعية الحياة الاجتماعية، حيث كان السكان يختلفون في أنماط معيشتهم، فقد كانوا بدوا و حضرا ويبدوا أن القبائل التي كانت تمركز غالبا حول التجمعات الحضرية، مثلما كان الشأن بالنسبة لتيهرت فكانت تحيط بها مجموعة من القبائل الزناتية، و بالتالي كانت تمثل تلك العلاقة بين البدو والحضر.

و الملاحظ أن المجتمع البدوي يمتاز بمحافظته على القديم فيسوده النظام القبلي، يسيطر عليهم النزعة القبلية، و بالتالي فالمجتمع القبلي يكاد يكون متجانس التركيب، فلا تكاد الفوارق الاجتماعية تظهر على عكس المجتمع الحضري، فالفوارق الاجتماعية واضحة للعيان و البعد الاجتماعي واسع بين قمة الهرم و قاعدته بين أصحاب الثراء و القصور و بين الفقراء و المحرومين.

و لقد اهتم أئمة تيهرت بالجانب الاقتصادي لدولتهم، فاهتموا بالزراعة و ذلك لتوفر مجموعة من العوامل كالموقع و التربة و التطور الاجتماعي و توفر الأمن و غيرها، فكانت تكثر فيها البساتين و زراعة الحبوب و الكتان و السمسم و مختلف الفواكه، فكانت تدر أرباحا طائلة،

و كانت تكثر بها الأنهار و أقام الرستميون خزانات وأحواض للماء كبيرة، محكمة التصميم، ليحافظوا على الماء أيام الجفاف، بل أنهم أوصلوا الماء إلى البيوت عن طريق الأنابيب ومد القنوات.

و قد قامت علاقة جدلية بين الإنتاج الفلاحي و تربية المواشي و كانت الظروف مواتية لنجاح و اتساع تربيتها منها الازدهار الزراعي و طبيعة البلاد لمراعيها و طبيعة المجتمع القبلي، حيث أن هذه الأخيرة تهتم بتربية المواشي بل هي تعتبره أموالا عوض النقود، فكانوا يربون الغنم والبقر و الجمال و الخيول و النحل و غيرها.

و كانت تجارتها رائجة تصدر منها إلى الدول المجاورة، فكانوا يستغلونها في إنتاج الصوف و العسل و السمن، حتى أن بعضهم كان يمتلك منها آلاف الماشية أمثال ابن زلغين و ابن جرني وغيرهم.

كما كان الاهتمام بالحرف أثر واضح المعالم، حيث وجدت في تيهرت العديد من الحرف كالنجارة و الحدادة و الخياطة و الدباغة والطحن و صناعة السيوف و الأسلحة، و كذا الفخار والتحف و العطور و الخشب المنحوت و صناعات أخرى للذهب و الفضة، حيث أنها كانت تضرب منها الدراهم و الدنانير، فكانت لتيهرت عملتها الخاصة التي كشف عنها الأثريون فيما بعد، ضف إلى عدة مهن أخرى لا تستطيع ذكرها ككل.

إن هذا الازدهار الحرفي قد تولد عنه نشاط تجاري سواء داخلي أو خارجي، فقد كان الاهتمام واضحا بالتجارة، فأنشأت الأسواق في مختلف الجهات، و كانت رائجة بشتى أنواع البضائع و المؤن و التي كان بها محتسب يراقب أسعار بعض السلع، و يمنع الاحتكار و يراقب الموازين و المكاييل، وقد ازدهرت التجارة الداخلية، و ما دل على ذلك اتساع نطاق الحركة التجارية فشملت مختلف الجهات، و سارت القوافل إلى الكثير من الدول كالأندلس و بلاد السودان و غيرها من الدول في المشرق و المغرب، فكانت القوافل التجارية تخرج من تيهرت محملة بشتى أنواع البضائع و المؤن، إلى هذه الدول و تعود كذلك محملة بالبضائع التي تنتج في تلك البلاد، و كانت تجارة الذهب و بيع الرقيق رائجة في ذلك الوقت، و لتيهرت نشاط كبير فيها، ووصل النشاط التجاري في هذه المدينة إلى حد أنه كان يوجد بها التخصص في الأسواق، فكان

بها سوق النحاس و سوق الأسلحة، و سوق الصاغة، و سوق الأقمشة، و غيرها من الأسواق، كما ساعد على ازدياد النشاط التجاري بها وجود نظم متطورة في التعامل التجاري مثل الصيارفة بالإضافة إلى بناء الفنادق و القيصريات.

و قد قام الأئمة الرستميين بإنشاء بيوت الأموال في مدن الدولة الرستمية و بيت مال مركزي في العاصمة تيهرت مع دار للزكاة.

أما دور الأموال فكانت مصادرها الجزية و خراج الأراضي، و الضرائب و الرسوم التي تؤخذ على القوافل التجارية و التجار الحرفيين و أهل الذمة و غيرهم، و كانت تسخر في أجور الموظفين و في بناء المساجد و الطرقات و الأسواق و مصالح المسلمين.

و مما لا شك فيه أن الحياة الاجتماعية كانت لها علاقة مباشرة بالحياة العلمية، وقد سلف الذكر أن الأئمة أنفسهم اهتموا بالجانب العلمي و الفكري اهتماما كبيرا و لا أدل على ذلك من أن الشروط الأساسية في " إمام الدولة" حتى يتم انتخابه، أن يكون عالما بأمور الشريعة و السياسة والحكم، فاهتم الأئمة بإنشاء المؤسسات التعليمية كالكتاتيب و كذلك لإقامة الحلقات في المساجد سواء في التفسير أو الحديث أو اللغة و غيرها من العلوم، و كانوا يساهمون في التعليم بأنفسهم، ولا يتكبرون في ذلك كالإمام عبد الوهاب، الذي قضى سبع سنوات يعلم الناس أمور الصلاة في جبل نفوسة، أو الإمام أفلح، الذي كان يعقد الحلقات و كذلك اهتم الأئمة بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة لمختلف فنون العلم و الآثار، ومن مكتباتها المشهورة مكتبة المعصومة، التي كانت تحوي آلافا من المجلدات و الكتب في علوم الشريعة من تفسير وحديث و فقه و توحيد، وكتب في الطب و الرياضيات و الهندسة و الفلك و التاريخ و اللغة وغيرها من العلوم المختلفة، كانت في مجملها جامعة لمختلف المذاهب الإسلامية.

و قد واكبت هذه النهضة مجال التأليف، فقد قدم أئمتها و علماؤها للأمة الكثير من المؤلفات في مختلف فنون العلم سواء الدينية أو الدنيوية، و كان أئمة تيهرت، و في مقدمتهم الإمام عبد الرحمن الذي ألف كتابا في التفسير و كتابا جمع فيه خطبه، و كذا الإمام عبد الوهاب الذي

ترك كتابا يعرف "بمسائل نفوسة الجبل"، و الإمام أفلح الذي ترك العديد من المؤلفات والرسائل العلمية و الفكرية.

كذلك لم تهمل تيهرت العلوم العقلية كعلم الكلام و غيره، فقد كانت تجري بين العلماء في مختلف المذاهب الإسلامية و التيارات الفكرية و المناظرات و ذلك لتعدد أتباع المذاهب الإسلامية كالإباضية و المعتزلة و الصفرية و الحنفية و الشيعية و غيرهم.

و لعل الاهتمام تعدى إلى الأدب العربي و ما احتواه من شعر و نشر، فأما الشعر فقد كان لهم فيهِ نصيب و لكن ليس كالنثر، و من الشعراء، الإمام أفلح بن عبد الوهاب وشاعر تيهرت "بكر بن حماد الزناتي".

و قد كان للمرأة دور بارز في الحركة الثقافية، فوجدت بها العديد من العالمات والمصلحات أمثال أخت الإمام أفلح و أخت الشيخ عمروس، اللتين كانتا من عالمات الدولة الرستمية، و لم يقتصر العلم على الطبقة الثرية، بل تعدى العلم و طلبه إلى الإماء.

أما عن العلاقات الثقافية لمدينة تيهرت، فقد كانت لها علاقات مع بلدان المغرب والأندلس و مع بلاد السودان، فكانت بينهم مراسلات و لقاءات غذت الفكر و ساهمت في عمليتي التأثير والتأثر.

بالإضافة إلى هذا، حاولنا توضيح الإشكال القائم حول بناء المدينة و موقعها، و ذلك بالوصول إلى أن المدينة إنتاج إسلامي جديد و لا علاقة له بالمواقع الرومانية القديمة، و كذا إشكالية التسمية التي رأينا فيها التضارب و الاختلافات، جعلتنا نتبنى بعض الآراء دون غيرها بسبب الدراسات القليلة في هذا المجال.

أما الجانب العمراني، فبسبب البقايا القليلة و معطيات و نتائج الحفريات المحدودة تمكنا من الوصول إلى حدود افتراضية للمدينة و قليل من تقنيات و أشكال البنايات التي وجدت في تيهرت، لهذا يبقى المسلك الوحيد لإزالة الغموض عن عمران و حضارة هذه المدينة هو اللجوء إلى حفرية منظمة تكون بمثابة كتاب مفتوح يخرج المدينة من صمتها و يعرف بحضارتها.

و من بين الملاحظات و المظاهر البارزة التي نستنتجها نذكر:

1. أن تيهرت الرستمية عاشت فترة طويلة في استقرار سياسي و اقتصادي ساعد أئمتها على سلوك سياسة التعايش السلمي، و احترام مبدأ الحرية و الرأي و العدل و المساواة بين الرعية، وبالتالي الارتباط بكل المذاهب رغم اختلافها مع المذهب الإباضي و المحافظة على حسن الجوار.

2. لم تدخل هذه المدينة في حروب مع جيرانها، مما ساعدها على إقامة علاقات طيبة مع جيرانها كسجلماسة، و بلاد السودان و غيرها، و هذا لا يعني أن جميع علاقاتها الخارجية كانت حسنة باستمرار بل كانت تتخللها علاقات عداء مثل خلافها مع الأقاليم و غيرها.

3. إن الطابع المذهبي كان الميزة الأساسية في النهضة الفكرية عند الرستميين، فقد حظي المذهب الإباضي بقبول أهل المغرب، فاعتنقه عدد كبير من القبائل البربرية و تمسكوا بمبادئه، لا بل دافعوا عنها في أحلك الظروف، و لأنه أقرب إلى المذاهب السنية من حيث اعتزال مبادئه السياسية و المذهبية، مما جعله يستمر و يتعايش مع المذهب المالكي إلى يومنا هذا.

4. ارتبطت النهضة الفكرية بمدينة تيهرت التي احتضنت كل الفئات و كانت مقصدا للفقهاء و العلماء من كل الأمصار، كما أن التنافس العلمي الذي عرفته الدولة الرستمية ساهمت فيه عدة عوامل على رأسها سياسة الأئمة في تشجيع العلم و تعريب البربر و بالتالي إنتاج فكري ضخم في كل المجالات العلمية.

5. إن التسامح الديني كان هو القاعدة التي ينبني عليها أي حوار، مما جعل الاختلاف المذهبي يؤدي إلى تلاقح الأفكار و ينميها و بالتالي التطور الفكري و الثقافي.

6. مساهمة المغرب الأوسط في ترسيخ مبادئ الحضارة الإسلامية في إطار الانجازات الضخمة للرستميين على المستويين التاريخي و الحضاري مما حدد موقع و مكانة المغرب الإسلامي بشكل عام.

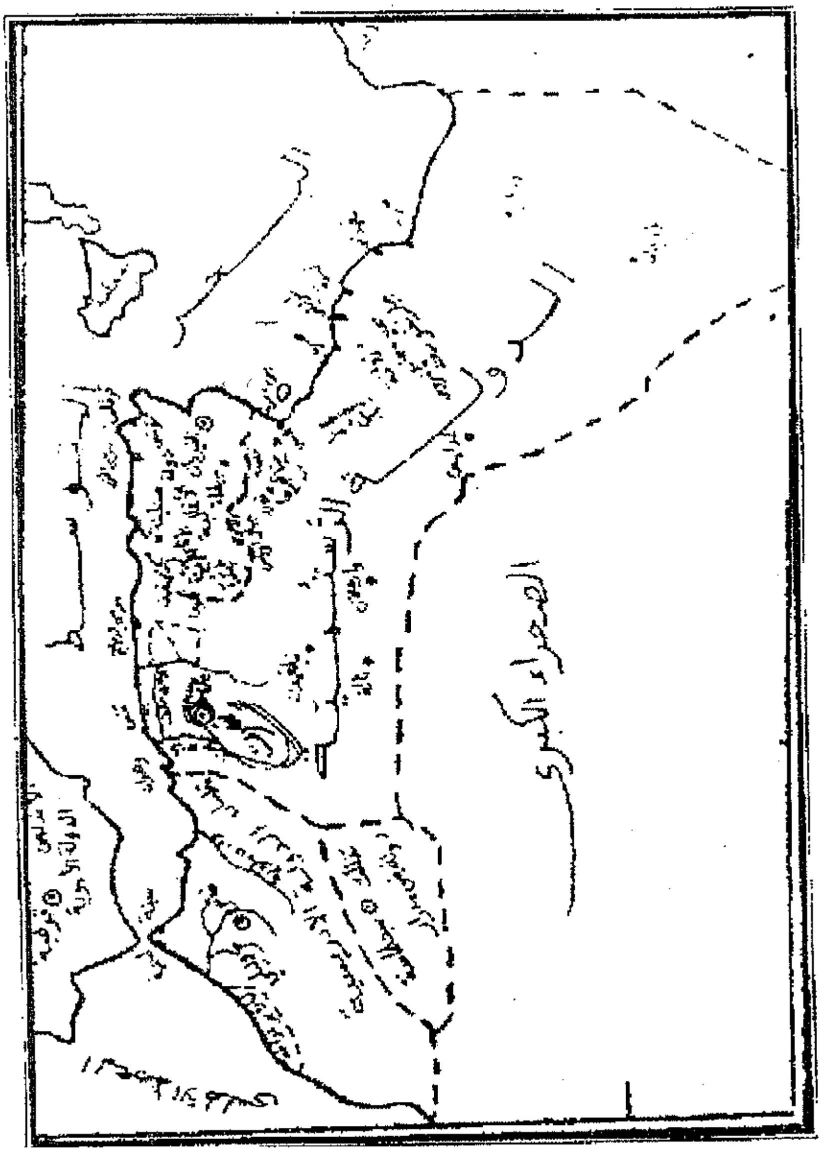
و مجمل القول أن تيهرت عاصمة الرستميين، هذه المدينة العريقة التي قدمت الشيء الكثير للدولة الإسلامية حيث أنها شكلت إرثا حضاريا راقيا، و بعدا تاريخيا بارزا ترك أثره على مر الأجيال وقدمت إنجازات ضخمة للأمة الإسلامية، إلا أن الحاجة إلى إسكان الجزائريين و هذا واجب السلطات الجزائرية و من حق الجزائريين أدى إلى استغلال جانب (حيز) من المنطقة الأثرية لبناء القرية الفلاحية "تاقدمت" و ذلك سنة 1976 مع العلم أنها تدخل في إطار الألف قرية

فلاحية لبرنامج الحكومة في السبعينيات. إن هذا الخطأ في اختيار موقع القرية أثر و يؤثر سلبا على تاريخ المنطقة من جهة و تجاهل البعض لمدى أهمية تاريخ و حضارة الجزائر من جهة أخرى، فإننا هنا لا ننكر الفائدة من أهمية الإسكان في الجزائر و لا أهمية المشروع في حد ذاته و لكننا نتأسف لوجود هذه القرية على أنقاض أول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب و هذا يكفي للإعتزاز بها.

هذه إذن مدينة تيهرت الرستمية الإسلامية و أهم جوانبها التاريخية و الحضارية، و هـــذه محاولة متواضعة للإسهام في الكشف عن هذه الحضارة و معالمها، و فتح باب البحث عن جوانب أخرى منها، فقد كان بودنا أن نقدم بحثا أكثر إثراء و تعمقا، خاصة في الجوانب الحضارية غير أن نقص المعطيات و الدراسات في هذا المجال حال دون ذلك.

الملاحق

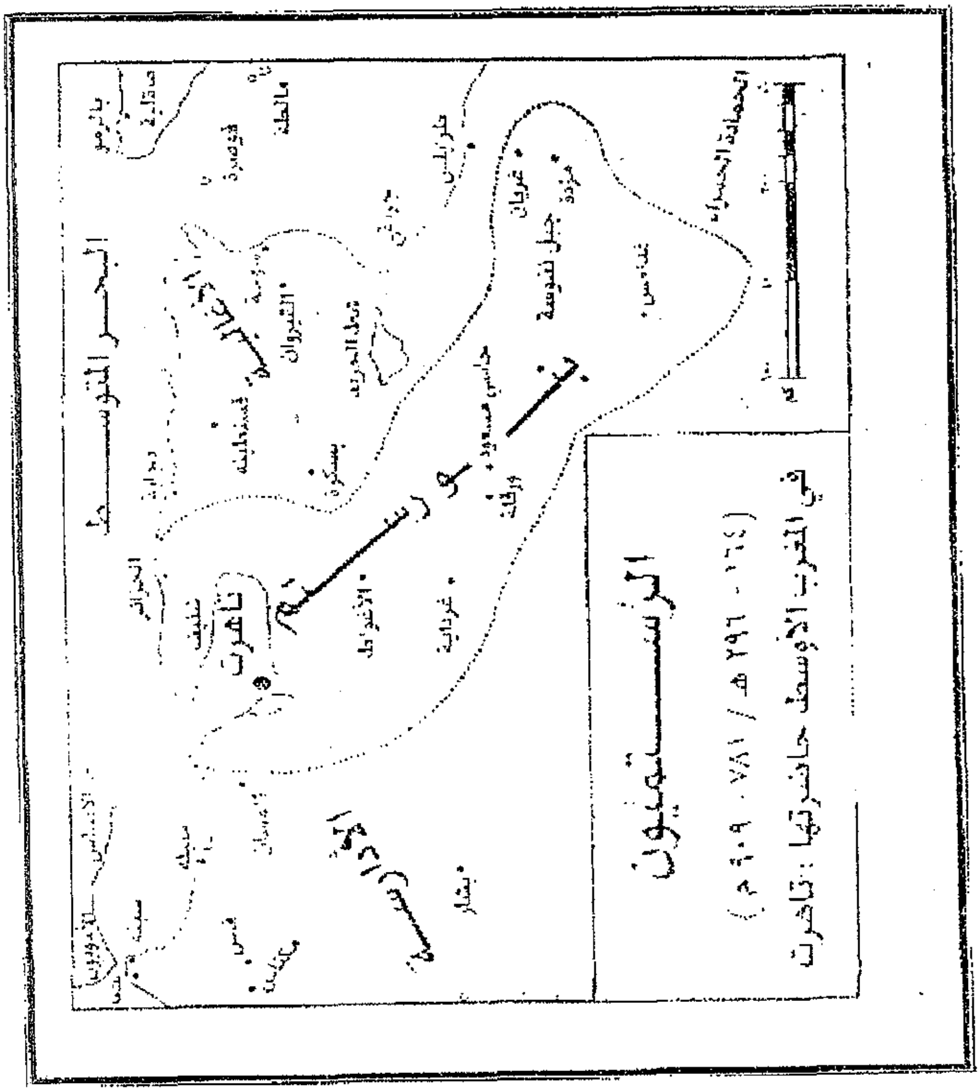
الملحق 1



الدول المستقلة ببلاد المغرب - القرن 3هـ

عن ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية: المرجع السابق، ص106، محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص169.

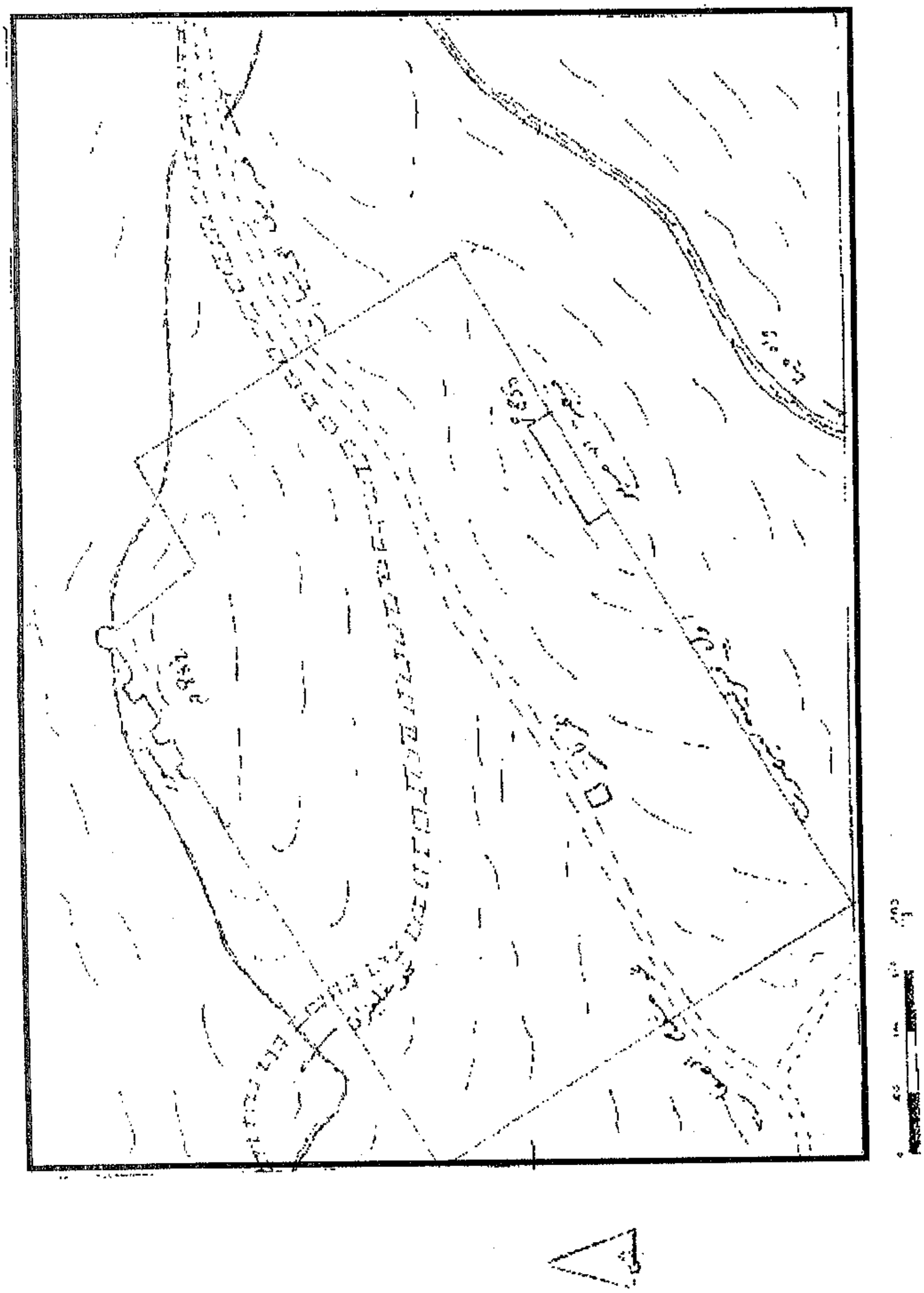
الملحق 2



الحدود السياسية للدولة الرستمية

عن شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ الإسلامي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ص150.

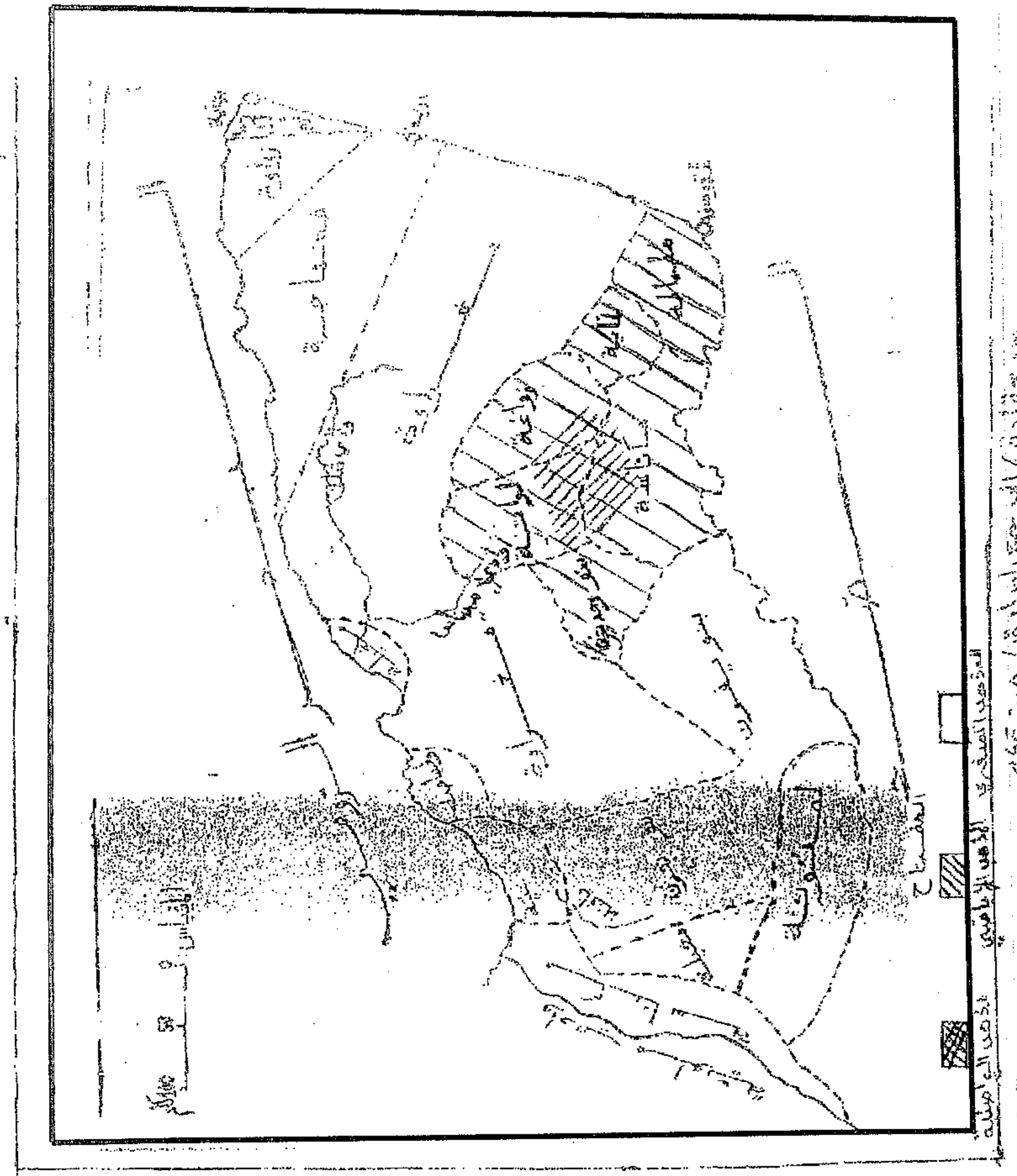
الـــملـــحـــق 3



تخطيط افتراضي لحدود المدينة

G.Marcais et L.Dessus, op.cit, p29. (بتصرف)

الملحق 4

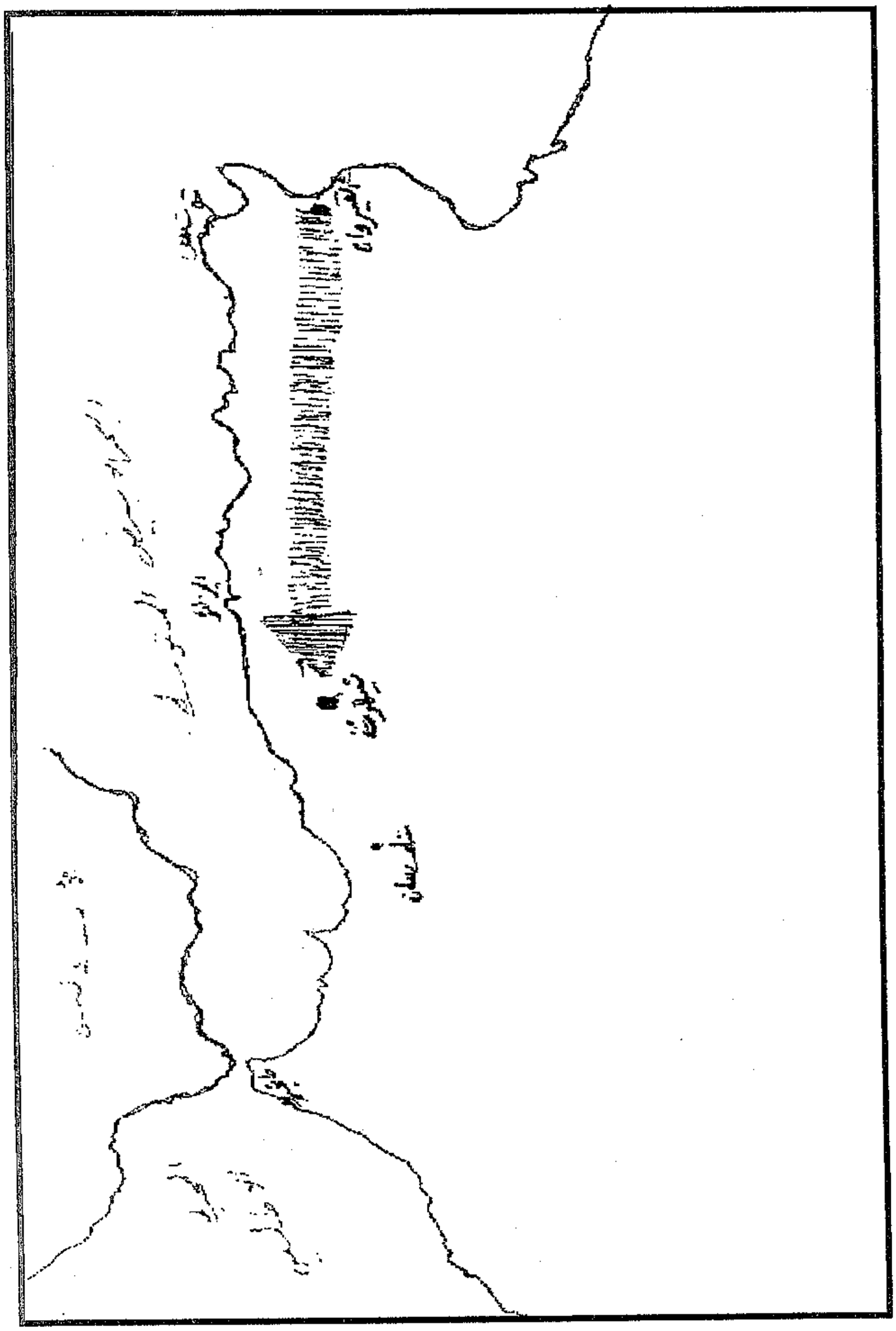


المذاهب في المغرب الأوسط

في النصف الأول من القرن 2هـ/8م

عن قادة سبع: المرجع السابق، ص165.

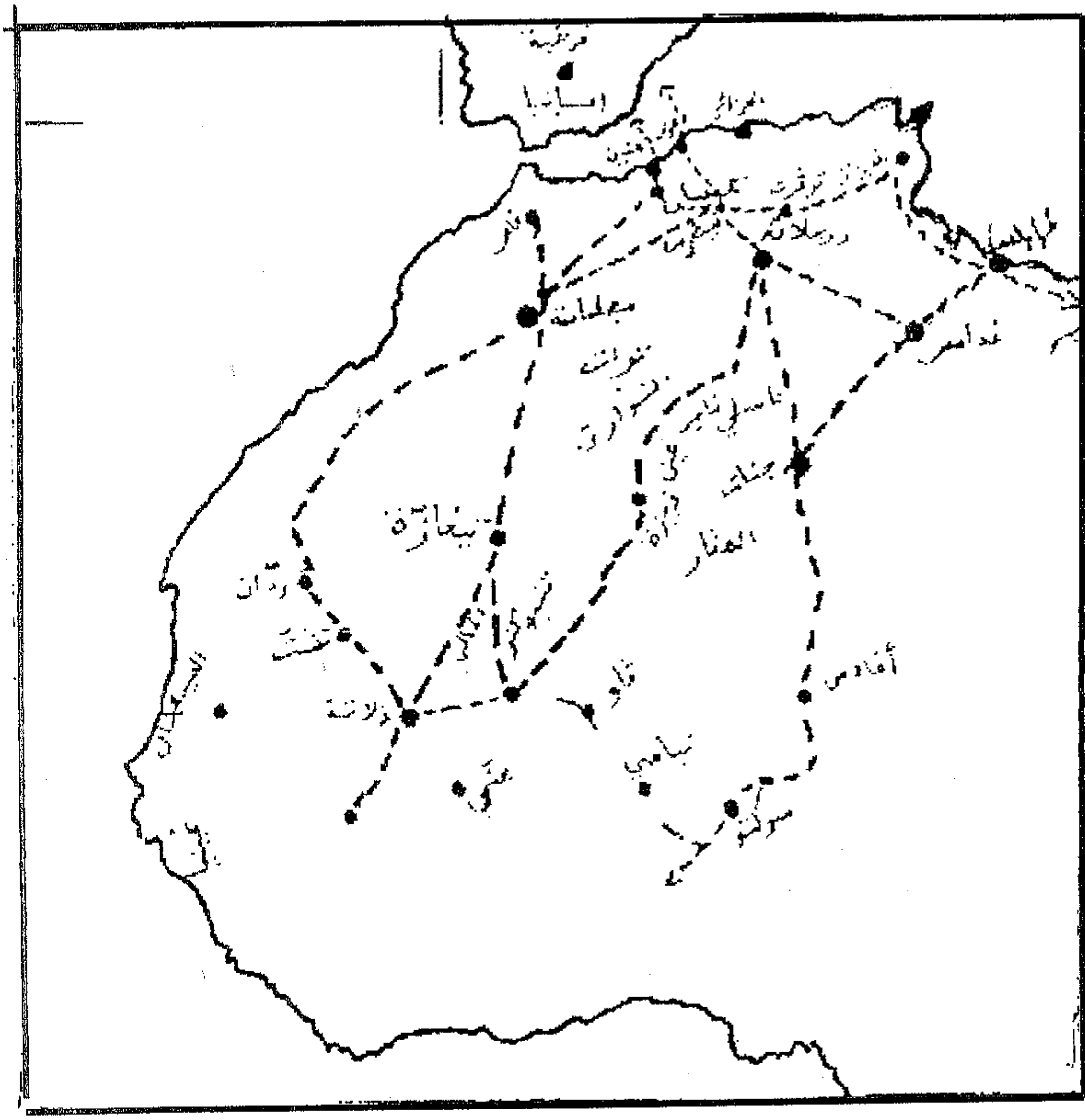
الـــملـــحـــق 5



اتجاه عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى تيهرت

S.Tribuzu et R.Bouruiba, op.cit,p. (بتصرف)

الملحق 6

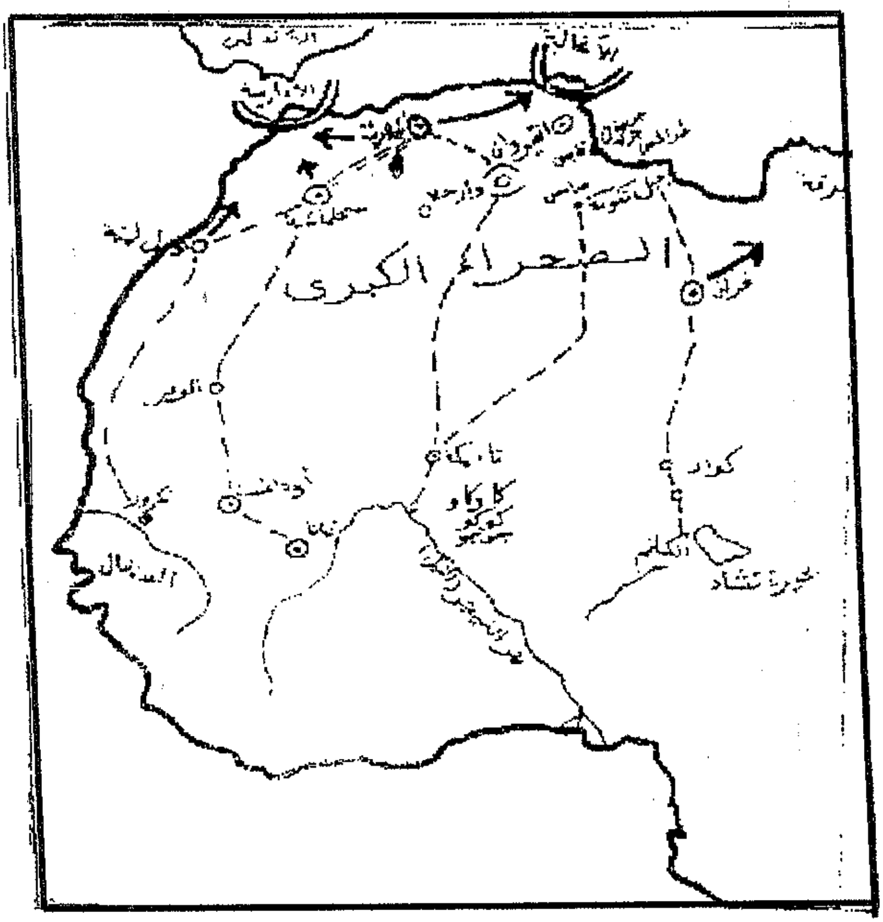


الطرق التجارية الرابطة بين الدولة الرستمية و جيرانها

عن محمد عمرو الطمار: المرجع السابق، ص95

الملحق 7

التجارة الخارجية للخوارج



توغل تجارة الخوارج نحو الصحراء الكبرى و السودان ---------

توغل تجارة الخوارج نحو الساحل ⟵

عن ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص255.

الـــمـلـــحـــق 8



أ

الوجه أ: ضرب هذا الفلس بافريقية

العملة من النحاس قطرها: 21ملم



ب

الوجه ب: سنة اثنين و أربعين و مائة

فلـــــوس إباضـــــية

عن ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص183.

الملحق 9

الأئمة الرستميون

(144- 296هـ/761-762-908- 909م)

بسبب الإختلافات العديدة بين المصادر و المراجع، نحاول من خلال هذا الجدول جرد هذه الإختلافات بتخصيص قسم لها و نرمز بالحروف لكل مصدر مختلف عن غيره.

اسم الإمام	تاريخ الإمامة	تاريخ الوفاة	المصادر و المراجع
عبد الرحمن بن رستم	144هـ- 761م	168هـ- 784م	خ ، Ch
	160هـ- 776م	168هـ- 784م	ك ، ص ، ب
	162هـ- 779م	—— ——	أ
	160هـ- 776م	171هـ- 787م	ج
عبد الوهاب بن عبد الرحمن	168هـ- 784م	208هـ- 823م	ر ، Ch
	171هـ- 787م	190هـ- 805م	ج
	171هـ- 787م	211هـ- 826م	د
		188هـ- 804م	ع
		180هـ- 796م	ك
أفلح بن عبد الوهاب	180هـ- 796م	230هـ- 844م	ك
	211هـ- 826م	240هـ- 854م	د
	190هـ- 805م	240هـ- 854م	ج
	208هـ- 824م	250هـ- 864م	ر
أبو بكر بن أفلح	240هـ- 854م	241هـ- 855م	ج
	250هـ- 864م	254هـ- 868م	ر
	230هـ- 844م	241هـ- 865م	ك
	240هـ- 854م	241هـ- 855م	د

أبو اليقظان بن أفلح	241هـ- 855م	281هـ- 894م	ج
	254هـ- 868م	281هـ- 894م	ر
	241هـ- 855م	281هـ- 894م	ك
	241هـ- 855م	281هـ- 894م	د
أبو حاتم بن أبي اليقظان	281هـ- 894م	282هـ- 895م	ج ، Ch
	281هـ- 894م	294هـ- 907م	ر
	281هـ- 894م	294هـ- 907م	ك
	281هـ- 894م	294هـ- 907م	د
اليقظان بن أبي اليقظان	294هـ- 906م	296هـ- 909م	إتفاق جميع المراجع

ص- ابن الصغير: كتاب أخبار الأئمة الرستميين، ص36.

ب- سليمان الباروني: كتاب الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، ج2، ص99.

أ – أبو زكرياء: كتاب السير و أخبار الأئمة، ص85.

ع- ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص127.

ك- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص- ص 63- 69.

ر- رشيد بورويبة: تاريخ الجزائر، ص89.

ج- محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص178.

خ- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص.

د- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ط1، ج3، ص- ص 523- 609.

Ch- Chikh Bekri : Le royaume rostemide, op.cit, p64.

الملحق 11

رسالة الإمام أفلح إلى الرعية ينصحهم بالتقوى و الصلاح

(بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم، من أفلح بن عبد الوهاب إلى من بلغه كتابنا هذا من لمسلمين، أما بعد، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة و السلام و أبقانا بعد تناسخ الأمم، حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطا شاهدة لنبيئها بالتبليغ و مصدقة لجميع الأنبياء، و شاهدة على جميع الأمم بالبلاغ من الأنبياء...فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم و القيام له بحقه فيما وافق هواكم أو خالفه وتقربوا إلى الله بالقيم بطاعته، و طلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب و كرم المآب...و اعلموا أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عباده و بلاده، و لا تأخذكم لومة لائم...ثم أحذركم أهل البدع، الذين لم يعرفوا حقا فيتبعوه، و لن يلقوا أهل العلم فيقتبسوا منهم الدين، عاشوا مع أهل الجهل فخلا بهم الشيطان...فعليكم معشر المسلمين باتباع الآثار والعمل بما عمل به أسلافكم المتقدمون قبلكم، فقد سنوا لكم الهدى، ففي اتباعهم كل رشد و في مخالفتهم كل غي، و الرشد خير من الغي...).

عن سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، المرجع السابق، ج2، ص- ص 280- 285.

الـــمـــلحـــق 12

رسالة الإمام أفلح إلى بعض العمال

من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد، سلام عليك و إني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم و على آله.

(أما بعد) ألبسك الله عافيته فإني أذكرك عظمة الله لا تنساها و فكر في صغير خلقتك و في عظيم ما خلقه الله و ما جعله من النكال و العذاب لابن آدم و ما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه للسموات و الأرض و الجبال و الشجر، و أذكرك ما أعده الله لابن آدم من الكرامة التي تكل الألسن عن وصفها فلو تكن كرامة تطلب إلا النجاة من جهنم...و أن الدواء في هذا هو الإستغاثة إلى الله في العصمة، فمن أراد به الإحسان عصمه و جعله من أوليائه الذين قال لإبليس فيهم:﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فاطلب الله و ارغب إليه في العصمة و التوفيق...إلى أن قال: وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلا و أطلق يدك و أن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب فلعلمي إنه لكذلك و لكن ليس هذا إنما هي أسهم جعلها الله و أوقفها و هي وسخ أموال الناس و ليس لنا فيها قضاء و لا زيادة و لا نقصان و لا أمر و لا نهي إلا على قدر الإجتهاد، فاتق الله و اجتهد جهدك في توفير الحقوق و توجيهها إلينا، على هذا مضى من كان قبلك...

عن سليمان الباروني: المرجع السابق، ص244.

الـــمـــلحـــق 13

خطبة عقبة أمام تيهرت

قام عقبة في الناس خطيبا فحمد الله تعالى و أثنى عليه و قال:

"أيها الناس إن أشرافكم و خياركم الذين رضي الله عنهم و أنزل فيهم كتابه، بايعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم – بيعة الرضوان- على من كفر بالله إلى يوم القيامة و هم أشرافكم والسابقون منكم إلى البيعة باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة، و أنتخم اليوم في دار غربة و إنما بايعتم رب العالمين و قد نظر إليكم في مكانكم هذا، و لم تبلغوا هذه البلاد إلا طلبا لرضاه و إعزازا لدينه، فأبشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم و أذل، إن شاء الله تعالى و ربكم عز و جل لا يسلمكم فالقوهم بقلوب صادقة فإن الله عز و جل جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فقاتلوا عدوكم على بركة الله و عونه و الله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين".

عن محمد بن رمضان شاوش و الغوتي بن حمدان: المرجع السابق، ص14.

الملحق 14

نموذج من الكتابة البربرية

النص البربري:

"أغرتمزيد انم آيصيل تجد ويتمتتان ولا آدغ ويتلالن ملك تصريط آن أزن آتووشنين ايو يعجدن تمزيد ان يوشن يتصلاّ الشغل اذ يدغغن احاتين آنغاظ تسفار آنجنين و رتنت تصكيد الشغل اذ يدفار سمطين آتلسط تملسان ديد نين ورتترطيط تلطن أسد أمان ضقلنين آد أم زنن دمج الميزان أم تقيراطين".

النص بالعربية:

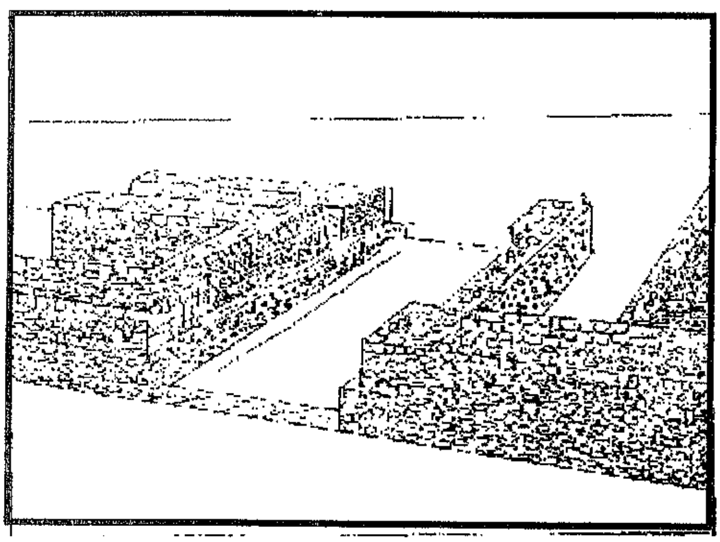
"أمضي مسجدك يا اصل و دعي من يموت و من يولد لو رايث الثواب الذي يتلفى من يزور مسجد الله للصلاة لا تشتغلي بالاحجار الذي ! يغترها ! تدخل ! البيوت العالميات لم تبنها !لا تشتغلين ! بالسبرات و البرد تلبسي ثيابا رقاقا لم تنسجيهن تبكين اليوم ماء حارا يوزن لك في الميزان كالقراريط".

المعنى بالفرنسية:

- « Va à la mosquée, o Asil, laisses ceux qui meurent aussi bien que ceux qui naissent; si tu voyais les récompenses qui sont données à celui qui visite la mosquée de Dieu pour y prier, tu ne t'occuperais pas assurément, des pierres qui l'entourent.Tu entreras dans de grandes demeures que tu n'a pas construites; ne t'inquiètes pas des fraiches matinées et du froid, tu reveteras des habits fins que tu n'as pas tissée. Tu pleure aujourd'hui une eau chaude (des larmes chaudes) qui te seront pesées dans la balance comme des Kirats ! »

عن صالح باجية: المرجع السابق، ص- ص 161- 162.

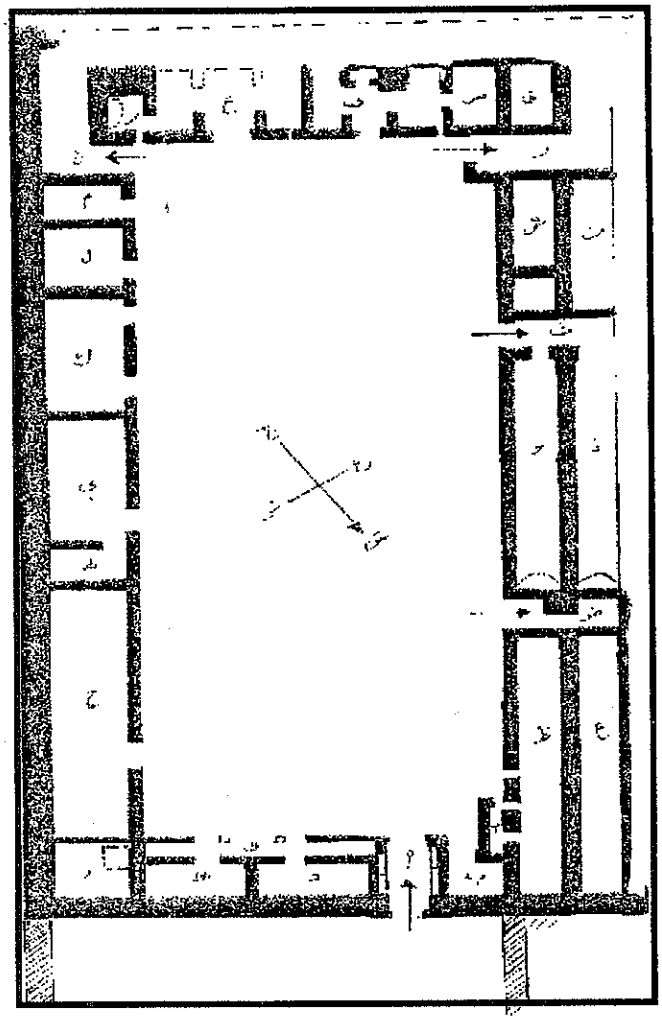
الــملــحــق 15



المدخل الرئيسي للقصبة

G.Marcais et L.Dessus, op.cit, p- p 42- 53.

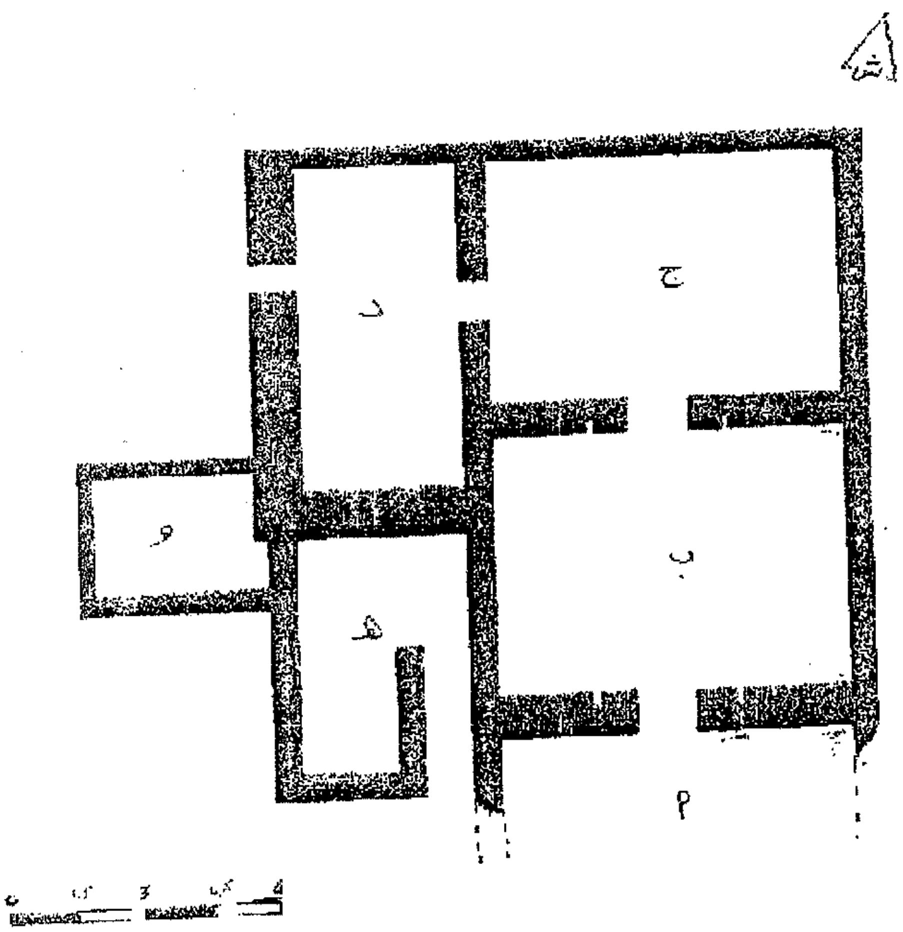
الملحق 16



قصبة الجهة الجنوبية

CH.Bekri : Le royaume, op.cit, p125, G.Marcais et L.Dessus, op.cit, p- p 42- 53.

الــملــحــق 17



خـــزانات المـــياه

CH.Bekri : Le royaume, op.cit, p129, G.Marcais et L.Dessus, op.cit, p- p 32- 33.

الببليوغرافيا

المصادر و المراجع

أولا: المصادر

* **القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)**

1. **ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني ت1110هـ/1698م)**:المؤنس في أخبار افريقية و تونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1957.

2. **ابن أبي الضياف(ابن عمر ت1291هـ/1845م)**:إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1976.

3. **ابن أبي الفداء (اسماعيل ابن علي)**:المختصر في أخبار البشر، تعليق محمود دبوب، ج1، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

4. **ابن أبي زرع (علي بن عبد الله أو عبد الحليم بن صالح ت726هـ/1326م)**: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط 1972.

5. **ابن أبي شيبة** : المصنف في الأحاديث و الآثار، طبع الدار السلفية، ط1، بومباي، الهند، 1403هـ.

6. **ابن أبي عذارى المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حيا سنة 712هـ)**: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، الطبعة2، 1980.

7. **ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت630هـ)**: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة و النشر، ج3 ج4، ج5، ج6، ج10، بيروت، 1979.

8. (ــــــ، ــــــ): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق الشيخ خليل مؤمون شيحا، ج1، ج2، ج3، دار المعرفة للطباعة و النشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1997.

9. **ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي)**: صفوة الصفوة، المجلد الثاني، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992.

10. (ــــــ، ــــــ):تلبيس إبليس، تحقيق محمود مهدي اسطنبولي، 1976.

11. **ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني ت776هـ/1374م)**: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق و تعليق، أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

12. (ــــــ، ــــــ): كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة 2003.

13. **ابن الصغير (كان حيا في القرن3 هـ)** : أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق و تعليق محمد الناصر و ابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986.

14. **ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ت327هـ/977م)**:تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957.

15. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي ت770هـ/1368م): تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تقديم محمد سويدي، الجزائر، 1989.

16. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، دار الفضاء بالمنصورة، مكتبة العبيدات، الرياض، ج3، ط1، 1418هـ/1998م.

17. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت852هـ): هدى الساري في مقدمة فتح الباري، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، د.ت.

18. (ـــــ، ـــــ): فتح الباري، ج2، المطبعة السلفية، ط2، القاهرة، د.ت.

19. (ـــــ، ـــــ): لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت، 1390هـ.

20. (ـــــ، ـــــ): الإصابة في تمييز الصحابة، دراسة و تحقيق و تعليق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

21. ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد ت456هـ/1063م): الفصل في الملل و الأهواء و النحل، الجزء2، المطبعة الأدبية، مصر، 1320هـ.

22. (ـــــ، ـــــ): جمهرة أنساب العرب، جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي برفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1948، ص315.

23. ابن حوقل (ت367هـ/977م): صورة الأرض، دار صادر بيروت، 1928.

24. ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت في حدود300هـ): المسالك و الممالك، بريل ليدن، 1989.

25. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت808هـ/1405م): كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول و الثاني، دار ابن حزم للطباعة و النشر، ط1، بيروت، 2003.

26. (ـــــ، ـــــ): المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007.

27. ابن خلكان (أبو العباس أحمد ابراهيم ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت،1970.

28. ابن سعد محمد: الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة و النشر، 1958، ج7.

29. ابن سعيد المغربي (علي بن موسى ت685هـ/1274م):كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، 1980.

30. (ـــــ، ـــــ):المغرب في حلي المغرب، تحقيق و نشر شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1953.

31. ابن طبطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقة):الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.

32. ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله ت257هـ/881م): فتوح افريقية و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.

33. (ـــــ، ـــــ): فتوح مصر و المغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1961.

34. ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم بن علي ت799هـ/1403م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق برهان الدين ابراهيم، مطبعة الفحامين، مصر، 1351هـ.

35. **ابن قنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ت810هـ/1407م)**: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، دار النشر، بيروت، 1982.

36. **ابن كثير الدمشقي (ت774هـ/1372م)** : تفسير القرآن العظيم، المجلد 3 و 4، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، ط2، بيروت، 2006.

37. (ـــــ، ـــــ): البداية و النهاية، دار الريام، ط1، 1988.

38. **ابن مخلوف (محمد ابن محمد)**: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949.

39. **ابن منظور الإفريقي المصري (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): ابن منظور** : لسان العرب، المجلد1، 2، 3، 4، دار صادر للطباعة و النشر، ط1، بيروت ،د.ت.

40. **أبو الحسن الأشعري** : مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين، الجزء1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

41. **أبو الحسن الملطي** : التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع، مكتبة المثنى، بغداد، 1968.

42. **أبو العرب بن تميم (محمد بن أحمد القيرواني ت333هـ/944م)** : طبقات علماء افريقية، تحقيق محمد بن أسد الخشني: دار الكتاب، بيروت.

43. **أبو حنيفة النعمان (ابن محمد بن حيون ت363هـ/973م)**: رسالة افتتاح الدولة، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970.

44. **أبو زكرياء (يحيى بن أبي بكر ت471هـ)**: سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.

45. **أبو عبد الله (محمد بن سحنون التنوخي)**: كتاب آداب المعلمين، تقديم و تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الرغاية، الجزائر، 1981.

46. **أبو عبد الله (محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن الربيع محمد القيسي الغرناطي)**: تحفة الألباب، مخطوط.

47. **أحمد بابا التمبكتي (أبو العباس أحمد بن محمد ت1036هـ/1624م)**: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة.

48. **أحمد بن أبي راس الناصر**: عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تقديم و تحقيق محمد غالم، ج1،منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية، وهران، د.ت.

49. **أحمد بن زكريا التلمساني**: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محند أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

50. **الإدريسي (محمد بن عبد الله الحمودي السبتي ت560هـ/1164م)**: المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، حققه و نقله إلى الفرنسية، محمد بلحاج صادق، المؤسسة العامة للنشر والإشهار، حيدرة، الجزائر، 1983.

51. **الإصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي ت بعد 340هـ/951م)**: المسالك و الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، القاهرة، 1381هـ/1961م.

52. **الإمام البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل)** : صحيح البخاري، ج2، دار الهدى للطباعة و النشار و التوزيع، عين ميلة، 1992.

53. (ـــــ، ـــــ): فضائل الصحابة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق خالد عبد الفتاح شبل، الشركة العلمية للكتاب، بيروت، ط1، 1990.

54. **الإمام مسلم** : صحيح مسلم، ج2، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، 1972.

55. **البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت487هـ/1094م)**: المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، نشر ديسولان، باريس1965.

56. **البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى)**: فتوح البلدان، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 1988.

57. **البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)**: أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق و تعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر1974.

58. **حسن الوزان (بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت956هـ/1549م)**: وصف افريقية، ج2، ط2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1983.

59. **الحموي (ياقوت شهاب الدين أحمد أبو عبد الله محمد ت626هـ/1228م)**: معجم البلدان، ج1، ج2، ج3، ج4،ج5، ج9، دار صادر بيروت، 1995.

60. **الحميري (محمد بن عبد المنعم)**:الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدليرغ، ط1، بيروت، 1990.

61. **الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري)** : معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، ج1، تحقيق، محمد ماضور، ومحمد الأحمدي أبو النور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة.

62. **الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد ت670هـ)** : طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق و طبع ابراهيم طلابي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974.

63. **الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داوود)**: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر و مراجعة جمال الدين الشيال، دار المسيرة، بيروت، د.ت.

64. **الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت748هـ/1347م)**: ميزان الإعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ج1.

65. **الرقيق القيرواني**: تاريخ افريقية و المغرب من أواسط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثاني الهجري، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، توفيق السقطي، تونس، 1968.

66. **الزمخشري (أبو القاسم)** : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

67. **السلاوي (أحمد بن خالد الناصري ت1315هـ/1867)**: الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب بالمغرب، الدار البيضاء، 1954- 1956.

68. الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد ت928هـ): كتاب سير المشائخ، طبعة حجرية، قسنطينة، ج1، ج2.

69. الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد) : الملل و النحل، المجلد1، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، 1980.

70. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):تاريخ الأمم و الملوك، الجزء 6، مكتبة خياط، بيروت، د.ت.

71. عبد الواحد المراكشي (أبو محمد بن علي التمم ت647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب أثناء صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م.

72. الفيروز (أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ت817هـ): بصائر ذوي التمييز لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، ج1، المكتبة العلمية.

73. القلصادي (علي بن محمد القرشي الأندلسي ت891هـ/1486): رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد أبوالأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978.

74. القلقشندي (أحمد بن علي ت821هـ/1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1991.

75. (ـــــ، ـــــ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، القاهرة 1963.

76. مؤلف مجهول (كاتب مراكشي من القرن6هـ/12م): الإسبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958.

77. مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار و عبد القادر زمانة، الدار البيضاء1979.

78. المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت في القرن 5هـ/11م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية وزادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم، ج2، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

79. المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): الكامل، ج3، دار نهضة، مصر، د.ت.

80. محمد بن العربي : أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، ج2، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1957.

81. محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1958.

82. المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق مصطفى السيد بن أبي ليلى، ج2، المكتبة التوفيقية، د.ت.

83. المقديسي (شمس الدين أبو عبد الله):أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ط2، دار صادر بيروت، 1909.

84. المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط2، بيروت، 1998.

85. النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق): الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

86. النسائي : خصائص من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، تحقيق، أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المحلا، الكويت، 1986.

87. النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت732هـ/1331م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22، تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.

88. **هود بن محكم الهواري:** تفسير كتاب الله العزيز 4 أجزاء، تحقيق شريفي بلحاج، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.

89. **اليعقوبي** (**أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح**): البلدان، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

90. (ـــــ، ـــــ): تاريخ اليعقوبي، م2، دار صادر بيروت، د.ت.

ثانيا: المراجع

1 – المراجع العربية:

1. **ابراهيم بحاز بكير:** الدولة الرستمية (160-296هـ/777- 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1993.

2. (ـــــ، ـــــ): شخصيات تاريخية، عبد الرحمن بن رستم مؤسس أول دولة إسلامية مستقلة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

3. **أبو الأعلى المودودي:** الحضارة الإسلامية، أسسها و مبادئها، دار الأنصار، القاهرة،د.ت.

4. **أبو الفضل ابراهيم:** دار النهضة، مصر للطبع و النشر، د.ت.

5. **أبو القاسم سعد الله:** تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16- 20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

6. **إحسان حقي:** تونس العربية، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

7. **إحسان عباس:**تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر و التوزيع، بن غازي، ليبيا، ط1، 1967.

8. **أحمد ابراهيم العدوي:**بلاد الجزائر، تكوينها الإسلامي و العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، 1970.

9. **أحمد أمين:** فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط11، 1979.

10. (ـــــ، ـــــ):ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2.

11. **أحمد بن النعمان** : هذه هي الثقافة، شركة دار الأمة، الجزائر، 1996.

12. **أحمد حسن محمود و منى حسن محمود:** تاريخ المغرب و الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1999.

13. **أحمد شلبي** : موسوعة التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية و الحركات الثورية و الفكرية خلالها، ج2، مكتبة النهضة الإسلامية.

14. **أحمد علي عبد اللطيف:** الإمبراطورية الرومانية، طبعت بمكتب كريديه إخوان، 1976.

15. **أحمد فؤاد الأهواني** : التربية في الإسلام و التعليم في رأي القابسي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955.

16. **أحمد فكري** : عوامل دراسات في الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، القاهرة 1979.

17. **أحمد مصطفى أبو ضيف:**القبائل العربية في عصري الموحدين و المرينيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

44. **سليمان الخطيب** : أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ.

45. **سليمان داود بن يوسف**: الخوارج هم أنصار الإمام علي، ج1، مكتبة البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، 1983.

46. **سليمان عشراتي**:الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية و المحددات الحضارية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 2002.

47. **السيد عبد العزيز سالم** : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تارخية و عمرانية و أثرية، ج2، دار النهضة.

48. **شكيب أرسلان**: الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، م1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

49. **شهاب الدين عبد الرحمن**: إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، ب.ط، المكتبة الثقافية، د.ت.

50. **الشيخ قاسم بن أحمد بلحاج** : الظروف السياسية لنشأة الفرقة الإباضية، المطبعة العربية، غرداية، 1998.

51. **صالح باجية**: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة و أصول الدين، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس 1976.

52. **صالح بلعيد**:في المسألة الأمازيغية، دار هومه، الجزائر، 1999.

53. **الصغير بن عمار**: الفكر العلمي عند بن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط3، الجزائر، 1984.

54. **طه حسين**: فلسفة بن خلدون الإجتماعية، نقله إلى العربية محمد عبد الله عنان، مطبعة الإعتمار بمصر، ط1، 1925.

55. **طه عبد الواحد ذنون**: دراسات في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، ليبيا، 2004.

56. **عباس بدر محمد** : قبة الصخرة، ضمن كتاب دراسات في الآثار الإعلامية، مطبعة القاهرة، 1979.

57. **عبد الرحمن بدوي**: شبنجلر، دار القلم، الكويت، 1982، ص34.

58. (ـــــ، ـــــ): التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، وكالة المطبوعات دار القلم، الكويت بيروت، ط4، 1980.

59. **عبد الرحمن علي الحجي**: أضواء على الحضارة و التراث، شركة الشهاب للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت.

60. **عبد العزيز التعالبي**:تاريخ شمال إفريقية، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم و مراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

61. **عبد العزيز فيلالي**: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1982.

62. (ـــــ، ـــــ): تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، احتماعية و ثقافية)،ج1و 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002.

63. **عبد الله شريط**:الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

64. **عبده عبد الله كامل**:الأمويون و آثارهم المعمارية، مطبعة القاهرة، 2003.

65. **عثمان الكعاك**:موجز في التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم أبو القاسم سعد الله، محمد البشيري التستيني، نصر الدين سعيدوني، ابراهيم بحاز، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

66. **عثمان سعدي**: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982.

67. **عطا الله دهينة**: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984.

68. **عفيف البهنسي** : العمارة و المعاصرة، دار الشرق للنشر، دمشق، 2005.

69. **علي الوردي**: منطق بن خلدون في حضارته و شخصيته، مطبعة جامعة الدول العربية- معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1992.

70. **علي جفال** : الخوارج، تاريخهم و أدبهم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990.

71. **علي عائض ناصر**: عقيدة أهل السنة و الجماعة في الصحابة الكرام، ج3، مكتبة الرشد، ط1، 1999.

72. **علي محمد الصلابي**:فكر الخوارج و الشيعة في ميزان أهل السنة و الجماعة، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، ط1، الفسطاط، 2005.

73. **علي يحيى معمر**:الإباضية في موكب التاريخ، ج2، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت.

74. **عمار عمورة**: الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962، مراجعة عبد العزيز بو شعيرات، ج1، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر.

75. **عمر رضا كحالة**: دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1973.

76. **فرحات الجعبري** : البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، نشر جمعية التراث، القرارة، 1987.

77. **فريد شافعي** : العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، القاهرة، 1980.

78. **فيصل شكري**: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1981.

79. (ـــــ، ـــــ):حركة الفتح الإسلامي في القرن1، دار العلم للملايين، بيروت.

80. **مالك بن نبي** : تأملات، دار الفكر للطباعة و النشر، ط5، دمشق، سوريا، 1991.

81. (ـــــ، ـــــ): فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،د.ت.

82. **مبارك ميلي** : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

83. **محمد أبو القاسم**: العالمية الإسلامية الثانية، دار المسيرة، لبنان، ط1، 1979.

84. **محمد أحمد حسونة**:أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1960.

85. **محمد الفاضل بن عاشور**:محاضرات المغربيات، الشركة الوطنية للنسر و التوزيع، الجزائر، د.ت.

86. **محمد المختار اسكندر**: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، د.ت.

87. **محمد بن رمضان شاوش و الغوتي بن حمدان**: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر من الفتح العربي إلى عصرنا، ج1، حي داود بريكسي للإشهار، الكيفان، ط1، تلمسان 2001.

88. **محمد بن عبد الكريم الجزائري**: الثقافة و مآسي رجالها، شركة الشهاب، الجزائر، د.ت.

89. **محمد بن عميرة** :دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

90. **محمد حمزة اسماعيل الحداد** : المجمل في الآثار و الحضارة الإسلامية، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006.

91. **محمد سراج**: مدخل لدراسة تاريخ الفقه، د.ط، 1955.

92. **محمد عبد الحكيم**: ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، ط1، 1991.

93. **محمد عفت الشرقاوي**: فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة، بيروت، ط2، 1981.

94. **محمد علي دبوز**: تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، 1963.

95. **محمد عمارة** : أبو الأعلى المودودي و الصحوة الإسلامية، دار الشروق، ط1، 1987.

96. **محمد عمرو الطمار**:الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.

97. (ـــــ، ـــــ): تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984.

98. **محمد عوض خليفات**: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، د.ت.

99. **محمد عيسى الحريري**:الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس، دار القلم للنشر و التوزيع، الكويت، ط3، 1987.

100. **محمد لعروسي المطوي**: السلطنة الحفصية تاريخها السياسيّ و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986.

101. **محمد هيشور** : سنن القرآن في قيام الحضارات و سقوطها، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، سنة1991.

102. **محمود أحمد حسن**:تاريخ المغرب و الأندلس، دار الفكر العربي، د.ت.

103. **محمود شيت خطاب**:قادة الفتح الإسلامي في المغرب العربي، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1966.

104. **موسى سلامة** : الصراع في الوجود، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

105. **موسى لقبال و آخرون**:الجزائر في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

106. **موسى لقبال**: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها و تطورها، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 1971.

107. (ـــــ، ـــــ) : تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة للنشر و التوزيع، ط4، الجزائر، 2001.

108. (ـــــ، ـــــ): المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخوارج سياسة و نظم، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984

109. **ناصر العقل**: الخوارج، دار الوطن، الرياض، ط1، 1995.

110. **نصر الله سعيدون**:تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة20- 640هـ/788- 1492م، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

111. **نكولا زيادة**: الجغرافيا و الرحلات عند العرب، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1962.

112. **وديع أبو زيدون**:تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة في قرطبة، دار الأهلية للنشر و التوزيع، ط1، بيروت، 2005.

113. **يحيى بوعزيز**: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1(الجزائر القديمة و الوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، وهران، الجزائر، 1995.

2 - المراجع المعرّبـــــة:

1. **أ.هـــ.جونسون** : فلسفة والهيد في الحضارة، ترجمة عبد الرحمن ياغي، نشر بالإشراك مع مؤسسة فرن كلين للطباعة

2. **آرشيبالد**: القوى البحرية والتجارية في البحر الأبيض المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مطبعة مصر، القاهرة، د.ت.

3. **أرنولد توينبي** : مختصر دراسة التاريخ، ترجمة محمد فؤاد شبيل، ج1، طبعة الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية.
4. **أزفالد شبنجلر** : تدهور الحضارة الغربية،ترجمة أحمد الشيباني، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964.
5. **ألفرد بل**:الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغر ب الإسلامي، بيروت، د.ت.
6. **دوزي**:تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي، ج1، الحروب الأهلية، دار المعارف، 1963.
7. **ستانلي لين بول**:الدول الإسلامية، تصحيح، بارتولد و خليل أدهم، نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات.
8. **شارل أندري جوليان**: تاريخ افريقيا الشمالية، ج2، (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط2، تونس، 1983.
9. **فان برشم، مارجريت، واوري، سولانج**: القدس الإسلامية في أعمال ماكس برشم، ترجمة عطى الله دهينة و آخرين، دمشق، 1994.
10. **كارل ماركس**: انجلز، لينين : المادية التاريخية، دار الفارابي، بيروت، 1975.
11. **مالك ابن نبي**: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة و النشر، دمشق، 1984.
12. (ــــــ، ــــــ): شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، 1976.
13. (ــــــ، ــــــ): ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الإجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهي، دار الفكر، سوريا 1962.
14. **محمد الطالبي**: الدولة الأغلبية، 184- 296هـ/800- 909م، التاريخ السياسي، ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.
15. **موريس لومبار**: الإسلام في مجده الأول (القرن 2- 5هـ/8- 11م)، ترجمة و تعليق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1979.
16. **هارترت** : الحب و الحضارة، ترجمة مطاع صفدي، دار الآداب، بيروت، 1975.
17. **ول وايرل ديورنت** : قصة الحضارة، المجلد1، ترجمة محمد بدراز، ط1، دار الجيل، بيروت، 1988.

3 – الأطروحات و الرسائل الجامعية:

1. **حبيب خنفار**: عمارة المساجد في منطقة تيارت، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2007- 2008.
2. **عبد الرحمن بلاغ**: قبيلة مكناسة البربرية و دورها المذهبي و السياسي في بلاد المغرب من القرن 2 إلى 4هـ (8- 10م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المركز الجامعي بشار، 2006- 2007م.
3. **فريد داودي**:الأصوات اللغوية في اللهجات البربرية القبائلية نموذجا، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2000- 2001.
4. **لخضر عبدلي**: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (633- 962هـ/1236- 1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005.
5. **مبخوث بودواية**: العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2005.

6. **محمد عليلي** : الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين2- 3هـ/8- 9م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007- 2008.

7. **معروف بلحاج**: العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2002.

4 – الدوريات و المجلات و الملتقيات:

1. **ابراهيم فخار**:دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد4، ورحلان، من6 إلى 15 فبراير، 1977.

2. **إحسان عباس**: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد1، 1977.

3. **أحمد الطاهر الزاوي**:شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد1، مؤسسة الإتصال و الإعلام.

4. **حبيب الجنحاني**: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد 40-43، تونس 1975.

5. **حسين مؤنس**: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، يناير، 1981، ص83.

6. **خالد بلعربي**: العلاقات الثقافية بين تيهرت و مراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن 5هـ/11م، مجلة القضاء المغاربي، العدد2، خاص بالملتقى الوطني الثاني، مخبر الدراسات الأدبية و النقدية في المغرب العربي، تلمسان، 2004.

7. **رشيد بورويبة**: الفن الرستمي، تاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، جانفي 1977.

8. **رشيد زواوي**: التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، 1993.

9. **سلفادور غومث نوغاليس**: الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر و الأندلس من خلال الإباضية، العدد46، رجب 1977، الملتقى الفكري الحادي عشر للفكر الإسلامي، وارجلان.

10. **عبيد بوداود**: ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي و تداعياتها، مجلة المواقف، عدد خاص، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، أفريل 2008.

11. **العربي بوجلال**:الأمازيغية و الشخصية الوطنية، في جريدة الخبر، العدد2049، أوت 1997، الجزائر.

12. **ماريا خيسوس فيغيرا**:محمد بن عبد الرحمن بن رستم في قرطبة، مجلة الأصالة، العدد41، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، 1977.

13. **محمد بلقراد**: الحركة الإباضية في تيهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد41، 1977.

14. **محمد فؤاد شبل** : منهج توينبي التاريخي، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، سلسلة الثقافة، العدد 209،968.

15. **معروف بلحاج**: الإنتاج الفكري في عهد الدولة الرستمية، مجلة الفضاء المغاربي، العدد2، مجلة دورية يصدرها مخبر الدراسات الأدبية و النقدية، و أعلامها في المغرب العربي، كلية أبو بكر بلقايد، تلمسان، أفريل 2004.

16. **موسى لقبال**: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتاهرت هل أحرقت؟ أم نقلت عيونها إلى سدراتة؟، في جوار بني ورجلان؟ مجلة الأصالة، العدد44، 1977

17. **وداد القاضي**: ابن الصغير، مجلة الأصالة، الملتقى11 للفكر الإسلامي بوارجلان، العدد45، قسنطينة، 1977.

5 – المعاجم و الموسوعات:

1. جمعية التراث: أعلام الإباضية منذ القرن 1هـ إلى العصر الحاضر، مجلد1- 2- 3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999.

2. ر.بودون و ف.بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1986.

3. علي كبريت : موسوعة التراث الشعبي لتيارت و تيسمسيلت، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

4. مجموعة من اللغويين: المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم، 1989.

6 – المواقع الإلكترونية:

1. الموقع: www.univ- tiart.org 2004/2005

2. بلحاج بن عدون قشار: موقعة مانوا و ما رافقها من أحداث www.ibadhiyah.net

3. مهنا السعدي: الدولة الرستمية دولة جهلها التاريخ، على موقع www.FRWLA.com ، نظر يوم، 11- 02- 2006، 10:45.

4. http//fr.wikipedia.org/wiki/civili

7 – المراجع بالفرنسية:

1- Abdalla Laroui :l'Histoire du magreb(un essai de synthese)tome1,petite collection maspero.

2-Abdurrahman Badawi:Histoire de la philosophie en Islam,librairie philosophique.

3- Amar Dhina: Grands tournants de l'histoire de l'Islam de La Barbar a l'attaque d'Alger par Charles Quint , 2eme edition , societe national d'edition et de diffusion , Alger , 1982.

4- Andre negre, :la fin de l'etat rostumide, revus d'histoire et de civilisation du magureb, faculte des lettres d'Alger, 1967.

5-Brahim Zerrouki : L'imama de tahert Paris,1976,p104 Payot, paris, p264.

6- Brahim Fekar : Les institution Ibadites Magrebines Au Moyen- age, Actes 3ème cingres D'Histoire et de la Civilisation du Maghreb, Oran, 26-27 Novembre 1983.

7- Chikh Bekri : Le royaume rostemide, Le premier etat Algerien , edition, ENAG, Alger, 2005.

8-(____,____):Le kharijisme berbere, annales de l'institut d'etudes Orientales, Universite d'Alger, tome XV, Alger, 1957.

9- Dangel.G : L'imama Ibadite de tahert (781-909) these de doctora 3eme ciècle universite des science humaines starsbourg 1977.
10- Dominique Sourdel : reflexims sur la diffusion de la madrasa en orient du 11eme et 12eme siècle in l'enseignement en islam et on orient en moyen age, Colloques internationnaux de la Napoule, paris 1977.
11-Dominique sourdel et Jamine sourdel : La civilisation de l'Islam classique, les edition Arthand, paris, 1983.
12- Emile Felix Gautier:le passe de l'afrique du nord:les siecles obscurs,edition payot, paris,1964.
13-Ernest Mercier : histoire de L'afrique septentrionale (berbéris) depuis les temps les plus recules jusqu a la conquete Française, T1, Ed Ernest leroux, 1888.
14-Fournel(H):les berberes,etudes sur conquete de l'afrique du nord par les arabes,paris,1927.
15-Funéraire berbères de la région de frenda O.P.U.1983.
16-G.pascal : Nouvelle Encyclopédie Bordas, T.2,Ed, Bordas, paris, 1985.
17- George Marcais :L'architecture Musulmane d'occident , Paris, 1955.
18- (___,___) :la berberie Musulmane et l'orient au moyen age, Paris, 1946.
19- George Marcais et Dessus Lamar : Tahert Tagdamt, Revue Africaine, tome xI , 9eme année, Alger, 1946.
20-Henri Laoust: Les schismes dans l'islam, edition payot, paris, 1965.
21- Levi. Provençal : Histoire d'Espagne Musulmane, Ed. G.p, Maisonneuve, Paris, 1950, T.Lewicki.
22- Louis Gardet : Les hommes de L'islam, edition hachette, 1971.
23-M.Fabre : note sur la ville romain de tiaret, société géographique d'archéologie la province d'oran, fondée en 1878, tome22, 1902.
24-Mas.latrie : traités de prix et de commerce et document divers concernant arabes de l'Afrique septrionale au moyen age, les relations chretiens avec les paris 1872.
25-P.Cadenat : recherche à Tihert Tagdemt, Bulletin d'archeologie Algerienne, T. vII, 1977- 1979.
26-Pellegrin .A : Essai Sur Les Noms des Lieux D'Algerie, place de la sorbonne, paris, 1972.
27- Robert Conevin: histoire de l'afrique de,tome1desorigines au XVI siecle,nouvelle edition.
28- Robert Mamtran : L'expansion Musulmane vll-xl siecle , presses universitaires de France , 1ere edition.
29-Tribuzi.s et autres : Les places fortes de L'Algerie mediévale, centre de recherche en architecture et en urbanisme, Alger, 1978- 1979.
30- Wiliam Didier :Recherches sur quelques grande Mosquees du M'zab et du sahel central, Etude realisee dans le cadre d'un D.E.A en Etudes Islamiques, Institut D'histoire de l'art et archeologie, paris, IV – Sorbonn, Annee Academique 1990- 1991.

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

الفصل الثاني: الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية بتيهرت

الفصل الثالث: المظاهر العمرانية و الفكرية في تيهرت الرستمية